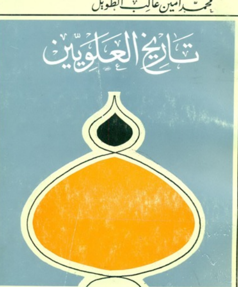
محمد أمين غالب الطويل

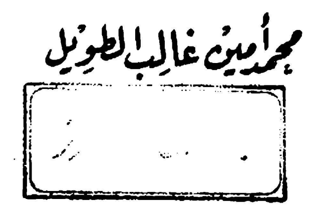
تاريخ العلويين



دار الأندلس

تاريخ العلويين


مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

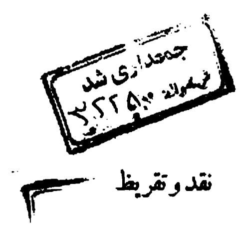


تاريخ العلويين



دار الأندلس
للطباعة والنشر والتوزيع

دار الأندلس - بيروت . لبنان
هاتف : ٣١٧١٦٢ - ٣١٦٤٠١ - ص.ب : ٤٥٥٣ ١١ - تلكس ٢٣٦٨٣



نقد وتقريظ

بقلم فضيلة الاستاذ الحاج عبد الرحمن الخير

بسم الله الرحمن الرحيم . والحمد لله رب العالمين . والصلاة والسلام على خاتم المرسلين سيدنا محمد وآله الأكرمين . ورضوان الله على أصحابه المنتجبين ، وعلى تابعيهم من المؤمنين إلى يوم الدين .

وبعد فقد رغب إليّ ناشر هذا الكتاب في أن أقول كلمتي فيه ، وألحّ عليّ حتى لم أجد بداً من اجابته . فاستخرت الله تعالى ، وأجبته إلى ملتمسه .

من هو المؤلف؟

كتب المؤلف في نهاية هـــذا التاريخ نسبه من جهة الأب والأم . ولا مجال للمناقشة في صحة ذلك أو عدمه ، لأن النفي والاثبات في الأنساب ، عند المحقق الذي يحترم نفسه ويحترم العلم ، انما يكون بالإستناد إلى وثائق خطية ذات قيمة علميّة عند العارفين بالأنساب . وبما أن ذلك غير متوفر الآن فأترك البحث فيه .

من هو المؤلف ؟ وما هي درجة ثقافته ؟ وما هي مرتبته الاجتماعية والدينية بين قومه الذين كتب عنهم هذا التاريخ ؟ فهو ما يهمّني ويهمّ القارىء الكريم .

المؤلف :

ان محمد أمين غالب الطويل هو أحد اخواننا (المسلمين العلويين) الذين هاجروا من (كليكيا) بعد أن أتفق الفرنسيون مع الأتراك على الانسحاب من تلك المناطق التي أصلوها بنيران حروب طائفية ذهب ضحيتها آلاف الأبرياء دون جدوى . وكانت هجرة المؤلف وأمثاله نتيجة حتميّة للمهات التي قاموا بها في تلك الأحداث. وهو يذكر في نهاية كتابه بعض الأعمال التي شارك بها في بلاده قبل هجرته الينا .

وقد حدثنا عن نفسه ، كما حدثنا عنه رفقاؤه ممن لقيناهم، انه كان يشغل في الحكومة العثمانية منصب (مدير بوليس ولاية) وأنه تنقل خلال وظيفته في كثير من الولايات .

وعيّن في (دولة العلويين) عضو محكمة بداية في اللاذقية . ثم نقل الى وظيفة حاكم صلح في تلكلخ، وكانت يومئذ، تابعة للاذقية . وسرّح منها بعدئذ بدوافع سياسية . وتلك كانت عادة الفرنسيين المستعمرين مع الموظفين الذين تستيقظ ضمائرهم فلا يستمرون في تنفيذ مآرب الاستعمار الدنيئة دون أي اعتراض أو تردد أو تذمر ، وخاصة إذا كانوا من (العلويين).

مرتبته الاجتماعية :

لم يكن المؤلف من الفئة التي يطلق عليها (المسلمـون العلويون) اسم (المشائخ) . وهؤلاء هم بحسب العرف والعادة ، أصحاب الاختصاص في معرفة العقائد الدينية وتعريفها على الوجه الصحيح . ولكنه كان ذا ثقافة عامة مرموقة . وكان له خبرة عملية في صناعات يدوية كيميائية ، برهن خلال اقامته عندنا عن صدق مدعـاه في بعضها . وأمسك عن اعطائنا البرهان العملي على ما يحتمل منه التعرّض لخطر مـادي من اجراء التجارب في البعض الآخر منها .

درجة ثقافته المدرسية :

قال المؤلف وقال رفقاؤه ، انه نال شهادات جامعية في السياسة والادارة والحقوق . ولكن هجرته المفـاجئة ، والحوادث المؤسفة التي أغرقت بلاده بالدماء ، لم تمكنه من استصحاب شهاداته معه . ومن الطبيعي انه لم يتيسر لنـا نفي ذلك أو اثباته .

وكان قـد كتب تاريخه هذا بلغته التركية التي يحسنها . وذلك قبل عام ١٩١٩ . واعتمد في جمع أكثر المعلومـات الواردة فيه على تجوله ، بحكم الوظيفة ، في الولايات العثمانية ، وعلى مطالعاته الخاصة . وقام بجولة في بلاد الهند مع لجنة لجمع التبرعا بتفويض خطي من أعاظم امراء آل عثمان ، وهذا يدل على مكانته السابقة لديهم ، وبذلك يكون بلا ريب قد اطلع

عن كتب على أحوال المسلمين في الهند وباكستان قبل انفصالهما سياسياً ، وكان يبدي اعجابه الشديد بالسيد طاهر سيف الدين (امام البهرة من الاسماعيليين) وبتوسع (علم الباطن) عندهم . كما كان يفيض في الحديث عن غنى وتواضع وزهد الأمير نظام حيدر أباد المنقطع النظير .

وبعد أن هاجر إلى انطاكية أولاً ، وإلى اللاذقية ثانياً ، قام بتعريب هذا الكتاب عن التركيـــة مستعيناً في تركيز عباراته لغوياً بأصدقائه من العلويين الملمين بقواعد اللغة العربية. وأضاف اليه ، طبعاً ، معلومات جديدة عن (بلاد العلويين) وعشائرهم أخذها سماعاً.

ثقافته الدينية والاجتماعية :

من دراسة هـــذا التاريخ بدقة ، ومن مناقشة المعلومات الواردة فيه ، يتضح أن المؤلف كان يحمل فكرة خاصة عن طريقة تصوف معينة . فهو يحاول في تاريخه هذا أن يضفي على جميع (العلويين) رداء الطريقة التي ينتمي اليها هو .

وقد اغتنم الفرصة المواتية فنشر هذا التاريـــخ في ظرف كانت ثقة الفرنسيين به لمّا تتزعزع بعـــد ، ولم تكن سياسة الاستعمار تفسح لأحد من علماء (المسلمين العلويين) ان يكتب أو يؤلف في هذا الصدد . وكان أكثر رجالات الفكر من قادة (المسلمين العلويين) في تلك الآونة مشغولـين بأمور هامة ، منها الثورة ضد الانتداب وتخفيف ويلاتها التي كادت تقضي على

البقية الباقية لدى العلويين من بطولة وجــاه وثروة ، ومنها التخطيط والعمل الجدّي الصامت للخروج بجماعاتهم من حالات التخلف الاقتصادي والاجتماعي والثقافي والعمراني التي أصارتهم اليها خمسة قرون متتالية من حملات الاذلال والافقار والابادة. تلك الحملات التي شنها عليهم بمنتهى الضراوة والهمجية الأتراك الحاكمون وأعوانهم من المستغلين الذين يكلسون من عري الشعب ، ويتخمون من جوعه ، وينعمون بشقائه ، وما كان أكثرهم في تلك العهود المظلمة .

وظلّ المخلصون من رجالات العلويين الأفذاذ يجالدون سياسة الاستعمار الغاشمة التي كانت ترمي الى تنصير جهلائهم ، وتستثمر انقساماتهم العشائرية وتستغل جشع بعض زعمائهم الى الظهور ، وتحاول الوقوف دون انتشار العلم بينهم ، أقول : ظل رجالاتهم المخلصون يجادلون ويجاهدون حتى قيض الله النصر ، فذهب الاستعمار إلى غير رجعة . وهنا تنفس الشعب وأقبل النشء على العلم والعمل والمساهمة في كثير من مناحي الحياة في الوطن بهمة عجيبة وإقدام أعجب . فوصل العلويون خلال عقدين من السنين إلى حـــالة تبشر بالخير العميم للأمة والوطن . أقرر هذا وإن يكن بعض المتزمتين والمستغلين، ممن لا يؤمنون إلا بأنانياتهم ، ولا يستبشرون بغير منافعهم واثرتهم ، لا يزال ينظر بقلق وحـــذر وحسد إلى هـــذه النهضة المباركة التي كادت تعم الريف السوري وأبناءه على اختلاف مذاهبهم وعشائرهم .

عفو القاريء الكريم فلقد أسهبت في ناحيـــة جانبية من الموضوع وأعود فأقول : ولعلّ ما تضمنه هذا الكتاب من معلومات صحيحة عن وحدة العرب المسلمين في هذا الوطن، ومن اعلان الدعوة الى الأخوة بين جميع فئات (الشيعة) ، والى ضرورة التفاهم بين الشيعة والسنة ، بل الى الوحدة القومية بين جميع المواطنين – وهذا ما كان يقيم الاستعمار ويقعده في تلك الآونة ، بل في كل وقت – كل ذلك لعلّه من الدوافع الخفيّة لتخفيض رتبة (المؤلف) في القضاء من عضو محكمة بداية في مركز الحكومة ، الى حاكم صلح في بلدة نائية ، ثم لتسريحه من الوظيفة بعد ذلك ، في حين انها احتفظت من رفقائه بمن هو أقل منه ثقافة وجدارة للعمل .

لقائي للمؤلف :

عرفت (المرحوم) شخصياً قبل بضع وأربعين سنة ، يوم كان يعد العدة لاخراج هذا التاريخ . وحضرت مجالس نقاش حول محتوياته ، وشاركت في بعضها على حداثة سني يومئذ . وكان أخوالي وأعمامي وأساتذتي يحاورونه ، ويعارضونه ، ويوجهونه . وكان (ره) يصغي اليهم تارة ، ويناقشهم أخرى، ويستجيب لملاحظاتهم فيأخذ بها احياناً، ويتشبث بأفكاره في أمور كثيرة أحياناً أخرى . وكان شديد الثقة بما تلقفه سماعاً من أفواه الطاعنين بالسن ، وخاصة السذّج منهم ، ويعتبر أن

أولئك البسطاء لا يعرفون الوضع والاختلاق ، وأنهم ينقلون بأمانة ما سمعوه من أمثالهم .

وها قد دار الزمن ، وقدّر لي أن أضع مـــا كتبه هذا المؤلف على بساط البحث والمراجعة والتدقيق ، بعد أن صار أكثر أولئك الرجال في دار البقاء . ولا أشك في أنه سيأتي بعدي من يعيد الكرّة فيناقشني أنا والمؤلف ، ويمحو ويثبت ، كما يبدو له من خلال تحرياته في كتب التاريخ المدوّنة ،وقصصه المروية . وهذا شأن الحياة والأحياء والتاريخ والمؤرخين .

(المقدمة) :

انني لا أكتم لعجابي بالروح الطيبة التي كتب بهـا المؤلف مقدمة كتابه ، واني أوافقه على مجمل مـــا أورده فيها ، لأنه بنظري قــــد أصاب لباب الحقيقة ، وتوخى للمصلحة الاسلامية والوطنية فيا عرضه ضمن سطورها . فلروحه مـني تحية الاعجاب والاحترام بسبب ذلك .

بيد أنني لا أوافقه على تفسيره عبارة (الشعب العلوي) بجماعة النصيرية من العرب (وجه ١٩) فاطلاق اسم (النصيرية) على (المسلمين العلويين) لم يكن الا بداعي العداوة المذهبية في مجال التفكير وتسفيه الرأي ، وفي التذرع لاضطهادهم والفتك بهم دون هوادة ولا رحمة . وكما كان يُطلَق على (المسلمين الاماميين) في مناطق اخرى (الروافض) فكان يقابل ذلك عند الشيعة اطلاقهم (النواصب) على (المسلمين السنيين) .

ونحمد الله على أن كل ذلك في طريق الزوال عند المخلصين من الفريقين .

وكذلك لا أوافقه على قوله: ان الشعب العلوي [يرى أن سياسة التوكل وعدم السعي هي أفضل سياسة يمكنها أن تصل بالانسان إلى ابعد غايات السعادة] وجه ٢٠ و ٢١ .

كلا ليس ذلك من الآراء الأصيلة لهذا الشعب . ولكنه مما فرضته عليه ظروف الجور والارهاق طيلة خمسة قرون ، لا على العلويين وحدهم، بل على جميع العرب من سنيين وعلويين على السواء ، من سكان الأرياف في البلاد التي حكمها الأتراك العثمانيون بروح الاستبداد والرشوة والاقطاع . وها قد اندفع سكان الأرياف في سورية ، وخاصة العلويين منهم ، الى الاعتماد على النفس والسعي الحثيث في طلب (السعادة) أو بتعبير أصح (الحياة الفضلى) عندما خفّ عنهم الظلم والاستبداد ، وعندما أتيحت لهم الظروف المواتية .

ولا يفوتني هنا أن ألفت نظر القارىء الكريم الى أن العلويين لم يفترقوا عن الشيعة الاماميين وليسوا غيرهم ، خلافاً لما أورده في (وجه ٢٢) . ولا تختلف تسميتهم هذه عن عبارة (المتاولة)التي تطلق على شيعة لبنان. واذا تفشى الجهل بين قوم فلا يجوز للعاقل الفطين أن يعتبر جهلهم خروجاً عن المذهب أو الدين . ولو جاز ذلك لقلّ من يعتبرون بحق مسلمين او مسيحيين في كثير من العصور وخاصة في هذا العصر . والعالم

المنقب لا يسمح لنفسه بأن يعتمـــد في معرفة قوم ، أو في تعريفهم ، على ما يراه من جهلائهم . ولو اعتمد المؤرخون على ذلك لضاعت قيم الأديان والعلوم والفنون عند جميع الشعوب.

المدخـــل :

أطلق المؤلف عبارة (الأمة العلوية) على الشعب العلوي —وجه ٢٦— وهذا خطأ تاريخي ولو أنه كان صحيحاً من الناحية اللغوية . فمفهوم كلمة الأمة هو أوسع مدلولاً من ذلك وخاصة في هذا العصر . وحصره مدلول عبارة العلويين على العلويين العرب نسباً ، (في الوجه ذاته) ، وتفسيرها بالنصيرية ، هو خطأ فادح. لأن بقية الشيعة في سورية والعراق واليمن والحجاز أكثرهم من العرب نسباً ، فلا مسوّغ لهذا الحصر .

كما أن عده الدروز من فرق الشيعة ، (في الوجه ذاته)، هو وهم تاريخي لا يستند فيه على معرفة واقع الدروز الاجتماعي والمذهبي حالياً . ولعله اعتمد فيه على كونهم انفصلوا في عصر مـــا عن الفاطميين الذين هم من الشيعة . وسيأتي بحث هذا الأمر فيما بعد .

في وجه (٢٧) يخطىء المؤلف تقسيم المسلمين دينياً إلى فرقتين ، شيعة وسنة ، ويقول بقسمتهم الى ثلاث فرق : علويين ، وأمويين ، ومعتدلين . في حين أن انقسام المسلمين كان بفعل فهم الدعوة الالهية وقبولها ، وبتأثير الأحداث التاريخية التي جرّها ذلك الفهم ، لا بتأثير التسمية من قبـل

المؤرخين . وعودته الى استعمال كلمة (السنيين) مقابل كلمة (العلويين) لا تنسجم مع تقسيمه الذي ارتآه . وانني أغنى مخلصاً أن يكون المؤرخون أخذوا بفكرة الفرق الثلاث بدلاً من أخذهم بفكرة الفرقتين فحسب . وأعتمِدُ في هذا التمني الأسباب التي أوردها المؤلف، وتتلخص في أن الأكثرية الساحقة من المسلمين السنيين تحافظ على مودّة أهل البيت واعطائهم حقهم من التقدير . فمن الظلم التاريخي اعتبارهم جميعاً مِمّن يحملون فكرة العداء الأموية لآل البيت الطاهر (ع) .

وفي وجه (٣١) يقول المؤلف : [ولما كان الدين من أعظم المؤثرات في البشر فقد اتخذ الأمويون لعن أمير المؤمنين كرم الله وجهه من العقائد الدينية ، فأصبحوا يسبونه عند كل صلاة ويهيئون القيام ضدّه باسم الدين، وأضافوا أخيراً الى سبه سب ريحانتي الرسول الحسن والحسين رضي الله عنهما ، وبعض كبار الصحابة العلويين معتبرين هذه المسبة من شرائط قبول الصلاة. وقد دامت هذه الخزية حتى خلافة الأموي المصلح عمر بن عبد العزيز فأزالها . **ومقابلة للأمويين في هذا العمل الفاضح اتخذ العلويون ايضاً مسبة الحزب المعارض لعلي فريضة دينية يحافظ عليها للأبد..**]

ان المسبة ليست فريضة دينية ولكنها عادة أملتها العداوة وورثها الفريقان الشيعة والسنة على السواء ، ومع ابن عمر بن عبد العزيز أزالها من الصلاة فقد بقيت مستمرة على الأفواه حتى يومنا تتردد تلقائياً على ألسنة الكثيرين من المسلمين السنيين

بعبارة : (بابا حسن) ، حتى لقد سرت عدوى هذه العادة المخزية فظهرت على ألسنة بعض الجهلة من المسلمين الشيعيين دون التنبه لها .

ويقول في الوجه ذاته : [ولما انتقلت الامامة الى علي زين العابدين (ع) كانت بعده لولده زيد] ان هذا القول لا صحة له عند (المسلمين العلويين) فهو خطأ من المؤلف ، لأن الامامة لم تكن أبداً لزيد (رض) رغم خروجه الى الجهاد . ولم يدّعها هو . فالإمامة في عرفنا هي بموجب نص إلهي بلّغه الرسول (ص) عن ربه تبارك اسمه ، وسمّى به الأئمة الاثني عشر (ع) واحدا واحدا .

وفي وجه (٣٢) : يزعم ان الشيعة اسقطت زيداً (رض) عن الامامة وبايعت الامام محمد الباقر (ع) . وهذا الزعم كسابقه يدل على جهل بمنصب الإمامة . فهي ليست بالمبايعة من قبل الناس . وإنما هي بنص إلهي - نبوي يبلغه كل إمام لمن بعده وللشيعة جمعاء . وخروج بعض الشيعة عن قبول النص لا يؤثر في منصب الإمامة. وفي الوجه ذاته يقع في خطأ مماثل فيذكر ان الامام جعفر الصادق (ع) اعتبر ولده إسماعيل ولي عهد له . وأكرر القول : ان الامامة ليست تابعة للاعتبارات بل هي نص واضح قاطع وليست ولاية عهد .

وفي وجه (٣٣) يذكر ان الاثني عشرية : (الجعفرية والعلويين والمتاولة) قد انفصلت عنهم فرقة أخرى اطلق

عليها اسم الدرزية ويعتبر انها مذاهب مختلفة . والمؤلف بهذا يناقض أقواله المتكررة في هذا الكتاب كما يناقض الواقـــع، فالجعفرية والعلوية والمتاولة ليست ثلاثة مذاهب ولا ثلاث فرق ولكنها ثلاثة أسماء لمذهب واحد وفرقة واحدة . والدروز ليسوا من الاماميـــة الاثني عشرية لأنهم لا يقولون باثنى عشر إماماً .

وفي الوجه ذاته يذكر ان العلويين انقسموا الى اسحاقية وهالتية وعلوية محضة . ان هذا التقسيم هو من خيال المؤلف . ويبدو انه كان مولعاً بطرق التصوف .

نسب العلويين :

وفي وجه (٣٤) بحث انقسام العرب الى بائدة وعاربة ومستعربة تحت عنوان نسب العلويـــين . وأغرب من ذلك اعتباره ان (المستعربة) هم العرب الذين وجدوا بعد ظهور الاسلام . وهذا يـــدل على انه يكتب التاريخ وفق آرائه وأهوائه الخاصة .

القسم الثاني

زمن السعادة

وفي وجه (٦٠) يذكر أن العلويين يصفون مرافقة أبي بكر (رض) للرسول ﷺ في ليلة الهجرة بالخيانة . وأقول : ان هذا من الأوهام المتداولة على ألسنة العوام الجهلاء ، فمن الافتراء المخجل نسبته للعلويين . والمؤرخ كثيراً ما يعمد إلى تدوين مثل هذه الخرافات وينسبها الى عقائد العلويين ، ذلك لأنه يعتمد على أخذ أكثر المعلومات سماعاً من الجهـــلاء ، كما سبق بيانه .

وفي وجه (٦١) يقول :[وأول من جاهر بعداوة الرسول ومقاومة دعوته أعداؤه في النسب بنو أمية وعلى رأسهم أبو سفيان وابو جهل] .

وأقول : لم يكن ابو جهل من الأمويين بل هو من بني مخزوم . ولم يجاهر هذان بعداوتهما للرسول ﷺ أكثر من عمه (أبي لهب) وابن عمه (أبي سفيان بن الحارث بن عبد المطلب). ونزول سورة (تبت) في حق عمه ورد (حسان بن ثابت

شاعر الرسول ﷺ على ابي سفيان بن الحارث في هجائه للنبي ﷺ ، برهان على شدة عداوتهما وهما من عائلته ونسبه الأقرب. فحمل المؤلف عداوة بني أمية للرسالة الاسلامية على التنافس العائلي غير صحيح . ولكن تلك العداوة انما كانت رفضاً للمبادىء التي دعا اليها الاسلام من التوحيد والعدالة الاجتماعية والتضحية في سبيل المجتمع ووو... الخ، ما هنالك من مكارم الاخلاق . وهذه المبادىء السامية لا تقبلها إلا النفوس الشريفة والهمم العالية . اما النفوس الوضيعة والهمم الدنيئة المعتادة على الغدر والخيانة واللؤم فانها تنفر من مكارم الأخلاق وتعارض أشد المعارضة تطبيق النظام لأنه يحول بينها وبين العبث والفساد والولوغ في أعراض الناس المادية والمعنوية . وفي حلفي الفجار والفضول البرهان القاطع على أن الخلاف هو خلاف حول المبادىء . وهذا هو السبب الصحيح في مقاومة أكثر المشركين والذميين لرسالة الاسلام ، هذه الرسالة التي لم يسارع الى قبولها غير النفوس الصافية ولم يتفان في الجهاد لاعلان مبادئها غير ذوي الاخلاق الكريمة. اما من عداهم فكان همه من المشاركة في الحروب الاسلامية النهب والسلب والسيطرة والسلطان والتملك ، لا اعلاء شأن المبادىء التي بسموّها وصفائها انتشر الاسلام وفي وقوف كثير منهم من الرسول ﷺ موقفاً غير مشرف ، عند قسمة الغنائم ، البرهان على خسة تلك النفوس . فقد ورد في صحيح البخاري عن عمرو بن تغلب (رض) ان رسول الله ﷺ أتى بمال أو سبي فأعطى

رجالاً وترك رجالا. فبلغه أن الذين تركوا عتبوا،فحمد الله ثم أثنى عليه ثم قـــال : « أما بعد فوالله اني لأعطي الرجـــل وأدع الرجل ، والذي أدع أحب إلي من الذي أعطي . ولكـــني انمـــا أعطي أقواماً لمـــا أرى في قلوبهـــم من الجزع والهلع ، وأكل أقواما الى ما جعل الله في قلوبهم من الغنى والخير ، منهم عمرو بن تغلب » قال عمرو بن تغلب : فوالله ما أحب اني لي بكلمة رسول الله (ص) حمر النعم – نقلاً عن رياض الصالحين وجه (٢٤٨) باب القناعة والعفاف . ومنه في باب الصبر وجه (٤٠ و ٤١) عن ابن مسعود (رض) قال : لما كان يوم حنين آثر رسول الله (ص) ناساً في القسمة فأعطى الأقرع بن حابس مائة من الابل،واعطى عيينة بن حصن مثل ذلك ، وأعطى ناساً من أشراف العرب وآثرهم يومئذ في القسمة . فقال رجل : والله ان هذه قسمة ما عدل فيها، وما أريد فيها وجه الله . فقلت : والله لأخبرن رسول الله (ص) فأتيته فأخبرته ، فتغير وجهه حتى كان – كالصرف [١] . ثم قـــال : « فمن يعدل اذا لم يعدل الله ورسوله ؟ » ثم قال : « يرحم الله موسى قد أوذي بأكثر من هذا فصبر » فقلت : لا جرم لا أرفع اليه بعد هذا حديثاً – متفق عليه ، أي رواه البخاري ومسلم . وفي هذا نزلت الآية الكريمة : «ومنهم من يلمزك في الصدقات فان اعطوا منها رضوا وان

---

(١) الصرف : صبغ أحمر .

لم يعطوا منها اذا هم يسخطون - » التوبة (٥٨).

وفي جعل الله سبحانه سهماً من الصدقات للمؤلفة قلوبهم بنص الآية الكريمة : « انما الصدقـــات للفقراء والمساكين والعاملين عليها والمؤلفة قلوبهم وفي الرقاب والغارمين وفي سبيل الله وابن السبيل فريضة من الله والله عليكم حكيم . » سورة التوبة (٦٠) دليل قاطع على صحة مـا نقول . وقد ذكر الطبري في تفسيره جامـع البيان اسماء نفَر من (المؤلفة قلوبهم) فعدّ من بني أمية : أبا سفيان بن حرب ، ومن بني مخزوم : الحارث بن هشام ، ومن بني هاشم : سفيان [١] بن الحارث بن عبد المطلب ، ومن بني فزارة : عيينة بن حصن بن بدر، وغيرهم وغيرهم -تفسير الطبري ج (١٤) وجه (٣١٣) طبع دار المعارف .وكان أبو سفيان بن حرب حتى خلافة عمر ابن الخطاب يعطي سهم (المؤلفة قلوبهم) وعلى هـــذا إجماع المؤرخين . وكان حتى بعد اسلامه يعرف بلقب (عدو الله) يؤكد هذا ما رواه مسلم في صحيحه (عن ابي هبيرة عائذ بن عمرو المزني ، وهو من أهل بيعة الرضوان (رض)، أن أبا سفيان أتى على سلمان وصهيب وبلال في نفر فقالوا : مـــا أخذت سيوف الله من عدوّ الله مأخذها . فقال أبو بكر : أتقولون هذا لشيخِ قريش وسيدهم ؟ . فأتى النبي (ص) فأخبره فقال : « يا أبا بكر لعلـــك أغضبتهم ؟ لئن كنت

---

(١) (سفيان) هكذا وردت ولعلها (ابو سفيان) .

أغضبتهم لقد أغضبت ربك» فأتاهم فقال : يا اخوتاه آغضبتكم؟ قالوا : لا ، يغفر الله لك يا أخي .) نقلاً عن رياض الصالحين وجه (١٤٢) باب ملاحظة اليتيم . وكتاب رياض الصالحين لجامعه الامام النووي المتوفي سنة (٦٧١ هـ) هو أشهر من أن يعرّف ، وهو مختار من الصحاح المعتبره عند المسلمين السنيين وخاصة صحيحي البخاري ومسلم .

وفي وجه (٦٧) يقول : [وقتل في هذه المعركة ابو جابر أحد كبار أجداد العلويين . فطلبت روحه من ربها إعادتها الى الجسم للتمكن من الحرب ثانيـة ، فأبلغت استحالة ذلك لمخالفته لسنة الله في خلقه . وحينئذ انزلت الآية الشريفة : « ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتـاً بل أحياء عند ربهم يرزقون » . وقد سر العلويون بنزول هذه الآية . ولذلك هم يزورون القبور بكثرة ، ويعتقـــدون ان للاموات حياة باقيه ، وأن الأرواح تظل حية ترزق] .

يكفي عند المؤلف ان يكون (أبو جابر) ممن والوا أمير المؤمنين (ع) ليعدّه من (كبار أجداد العلويين) وهو يعلل زيارة العلويين للقبور بهذه الحادثة . وأبو جابر هذا هو عبدالله ابن عمر بن حزام الأنصاري قتـل يوم أحد شهيداً . والمؤلف يـــذكر ان حزب علي إنما تشكل بعد بيعة الغدير في حجة الوداع (انظر آخر وجه :٦٩). وعلى هذا فكيف صح له ان

يقول : وقد سر العلويون بنزول هذه الآية قبل ان يكون العلويون موجودين كحزب حسب زعمه .

وأما زيارة القبور فليست من ميزات العلويين . وإنما هي عادة عامة عند جميع المسلمين ما عدا الوهابيين . والمسلمون السنيون في دمشق يزورون القبـــور كل أسبوع وفي الأعياد باستمرار ، ولا وجود لهذه العادة عند المسلمين العلويين ما عدا مرة واحدة في العام عند بعض عوامهم . اللهم إلا زيارة قبر الميت ثلاثة أيام اثر دفنـــه . فهذه سنة مستحبة عند جميع المسلمين .

وأما الاعتقاد بأن للأموات حياة باقية فليس من خصائص العلويين وحدهم بل جميع المسلمين يعتقدون ذلك تبعاً لنصوص القرآن الكريم وحكم العقل .

وأما قصة (ابي جابر) فقد ذكرها المفسرون من الشيعة والسنة على السواء . وإليكها من تفسير بن كثير ، الجزء الثاني وجه (١٥٤) طبعة دار الأندلس – بيروت . (قال الامام أحمد : حدثنا ... عن جابر قال : قال لي رسول الله ﷺ : « أعلمت ان الله أحيا أباك فقال له : تمنّ ، فقال : « أرد الى الدنيا فأقتل فيك مرة أخرى» . قال : اني قضيت انهم لا يرجعون) . (وروى الامام أحمد عن ثابت بن أنس ان رسول الله ﷺ قال : ما من نفس تموت ، لها عند الله خير ، يسرها ان ترجع الى الدنيا ، إلا الشهيد ، فانه يسره ان يرجـع الى

الدنيا فيقتل مرة اخرى مما يرى من فضل الشهادة ، تفرد به مسلم من طريق حماد) .

ومن هذا يتضح أن الرواية لا تختص بالعلويين وحدهم بل هي عند جميع المسلمين . كما ان كتب التفسير عند الفريقين الشيعة والسنة تذكر انها نزلت في شهداء أحد وبدر ، وانها عامة لجميع الشهداء .

في وجه (٦٩) : اعتبر حجـــة الوداع مبدأ لتشكل حزب علي . وهذا خطأ واضح . فحزب الامام علي (ع) انما تشكل منذ بدء الاسلام قبل الهجرة وقبل وفاة أبي طالب (رض) وذلك يوم أنزلت الآية الكريمة « وأنذر عشيرتك الأقربين » — سورة الشعراء (٢١٤) . وقد أشار المؤلف إلى هذه الآية في وجه (٦١ و ٦٢) من تاريخه ، ووهم هناك في عدّه ابا جهل من الأمويين ، في حين انه من بني مخزوم . والمفسرون يكادون يجمعون على انه عندما نزلت هذه الآية دعا الرسول (ص) وجوه قومه إلى مأدبة فأطعمهم وسقاهم من القليل ما أشبعهم جميعاً . وجاهر يومئذ رؤوس الضلال منهم بأنه (ص) قد سحرهم بذلك . وعرض عليهم ثلاثاً أيهم يعاهده على نصرته في هذه الأمر حتى يظهره الله ويكون شريكه في أمره ، وأخاه ووزيره في حياته ، ووصيّه وخليفه من بعده . وفي الثلاث لم يجبـــه منهم إلا علي (ع) وكان أصغرهم سنّاً . فبايعه رسول الله (ص) على ذلك وتفرق

القوم يتغامزون ويقولون لأبي طالب . لقد أمرك أن تطيع أبنك .

وقد روى ابن كثير في هذه الحادثة خمسة أحاديث معنعنة عن الامام أحمد . ورواها عنه بطرق أخرى عديدة ومختلفة الألفاظ والمعنى من صحيحي مسلم والبخاري والنسائي وغيرهم **(راجع تفسير ابن كثير جزء ٥ وجه ٢٧ – ٣٣ طبعة دار الأندلس – بيروت)** ورواها الطبرسي في مجمع البيـان جـ ٧ مجلد ٤ وجه ٣٠٦) وذكرها الدكتور هيكل في كتـابه حياة محمد – الطبعة الاولى .

وبما ان علياً بن أبي طالب (ع) قد وفى بعهده لرسول الله (ص) فنصره في دعوته بسيفه ولسانه في جميع مواقفه حتى أظهر الله أمره ، فلذلك كرّر رسول الله (ص) وهو الصادق الأمين الوفي، عهده باستخلاف عليّ (ع) والوصية له. وآخر بيعاته العلنية له يوم غدير خم في حجة الوداع . وكان المسلمون الحاجون يومئذ يتراوحون بين ٩٠ و ١٢٤ ألف حاج وقد روى هذه البيعة خلق كثير من ثقات الصحابة والتابعين. ومن أراد الاطلاع فعليه بكتاب المراجعات للسيد عبد الحسين شرف الدين الموسوي (ر ه) وكتـاب الغدير للشيـخ عبد الحسين الأميني (طال بقاه) ففيها البلغة والكفاية .

يتضح من كل ما تقدم ان حزب علي (ع) إنما تشكل من بدء الاسلام ، فهو حزب المؤمنين . وقد ميز الله سبحانه بين الايمان والاسلام في الآيات الكريمات من سورة الحجرات تمييزاً

واضحاً قاطعاً بقوله جل من قائل : « قالت الأعراب آمنا قل لم تؤمنوا ولكن قولوا أسلمنا ولما يدخل الايمان في قلوبكم... » الى آخر السورة .

وزاد المؤلف في نص المبايعة يوم الغدير عبارة : [وأدر الحق معه كيف دار] . وهي غير واردة في نص البيعة (راجع مجمع البيان ج ٢ و ١٥٩) .

وفي وجه (٧٤) يقول : [ان العلويين يقولون ان الاسلامية لم تقرر على شكلها المعروف دفعة واحدة وإنما كانت ترتب تدريجياً] .

هذه ليست مقالة خاصة بالعلويين وحدهم، بل عليها اجماع المسلمين من شيعة وسنة . فالقرآن الكريم، وهو المصدر الأول للإسلام ، نزل نجوماً خلال (٢٣) سنة . والسنة النبوية ،او الحكمة ، كما أسماهـا القرآن الكريم ، وهي المصدر الثاني لأحكام الاسلام ، علـّمها الرسول ﷺ خلال مدة نبوته . ثم تناولها الأئمة المعصومون (ع) بالإيضاح والشروح والتعليقات خلال التطبيق العملي لهذه الأحكام طيلة ثلاثة قرون أي حتى الغيبة الكبرى للامام الحجة (عجل الله فرجه) ، هذا وفق معتقدنا نحن الإماميين الاثني عشريين . ومذهب الجمهور ، أي المسلمين السنيين ، أن الأصحاب والتابعين والفقهاء الذين أطلق عليهم اسم الأئمة المجتهدين ، كل هؤلاء طـوّروا السنة النبوية والاحكام الاسلامية ، او بتعبير أصح ، ساهموا في تطوير

التشريع الإسلامي وفق مقتضيات الحوادث ، ولا يزالون يساهمون في عمليـــة التطوير استنادا الى القياس والرأي والاستحسان وتغيّر الزمان .

وفي وجه (٧٥) **يقول** : [ولم ير الرسول ان يكلف المسلمين القيام بالواجبات الاسلامية على السواء،لأنه كانت هناك فروق أساسية بين العرب من جهة الأخلاق والآداب . فانه لم يـــدع المؤلفة قلوبهم والفساق الى القيام بوظائف المؤمنين الصادقين ...]

هذا القول هو من عندیات المؤلف وآرائه الخاصة ،فالعلويون لا يقولون به مطلقاً. بل ما يقوله المسلمون العلويون : ان الرسول ﷺ بلغ رسالة ربه الى الناس كافة ، ودعا الجميع إلى مكارم الاخلاق والأخذ بجميع تعاليم الدين الحنيف . ولكن الفروق والتفاوت حصل في الاستجابة لا في الدعوة . فبعض العرب صدق الرســـالة الالهية وآمن بها ، وبعضهم تظاهر بالتصديق والايمان وكتم الجحود والعصيان ، وبعضهم أعلن الانكار واستكبر وخاصم وحارب ، وبعضهم لم يؤمن ولكنه لم يحارب فوقف موقف المراقب المتربص وبعضهم آمن وصدّق وأطاع ولكنه كتم ايمانه ليتمكن من دفع الأذى عن صاحب الرسالة فكان له أجر المجاهدين . ولذلك قال فيه الصـــادق الأمين ﷺ : « أنا وكافل اليتيم في الجنة هكذا » وأشار بالسبابة والوسطى وفرّج بينهما – رواه البخاري ، ورواه مسلم بصيغة اخرى . ولذلك قال ﷺ يوم بدر :« **قد عرفت**

أن رجالا من بني هـــاشم قد اخرجوا كرها فمن لقي أحدا منهم فلا يقتله » ، أخرجه ابن اسحاق من حديث ابن عباس (انظر فتح الباري على شرح البخاري ، ج ٨ وجه ٣٢٣) . وقال ﷺ : « يا عباس افدِ نفسك وابن أخويك عقيل بن ابي طالب ونوفل بن الحارث وحليفك عتبة بن عمرو ، فانك ذو مال » قال : **اني كنت مسلماً ولكن القوم استكرهوني .** قال : « الله أعـــلم بما تقول . ان كنت تقول حقاً فان الله يجزيك ، ولكن ظاهر أمرك انك كنت علينا » (انظر فتح الباري جـ ٨ وجه ٣٢٤) وفي هذا برهان على ايمان ابي طالب (رض) وانه مع الرسول في الجنة ، وعلى ايمان هؤلاء النفر من بني هاشم وأنهم كانوا يكتمون إيمانهم لمصلحة الرسالة. فالنبي ﷺ لا ينهي عن قتل المشركين ولا يحابي أقرباءه وهو ﷺ من « لا ينطق عن الهوى » .

وإذا كان ﷺ صرّح يوم بدر بأنه : « لو كان المطعم بن عدي حياً ثم كلمني في هـــؤلاء النتنى لتركتهم له » أخرجه البخاري (جـ ٨ وجه ٣٢٦) وذلك لأنه كان قد أجار رسول الله ﷺ أياماً حين رجع من الطائف. فكيف بعمه ابي طالب (رض) الذي كفله قبل الرسالة بضعاً وثلاثين عاماً وكفله بعد الرسالة أعواماً عشرة تزيد قليلا ولا تنقص .

ويقول المؤلف في وجه (٧٥ ذاته) [... وبتعبير أصح إن بقاء عقيدة العلويين مكتومة هو من كمال الاسلام واعلانها مضرّ به ...] هذا القول وما بعده هو من تمليلات المؤلف

وأمثاله ممّن يعتبرون طرق التصوف هي العقيدة والدين . في حين أن الطريقة الصوفية ليست غير أسلوب من أساليب الذكر. وقد أساء فهمها كثيرون من مختلف المذاهب الاسلامية ولا ينفرد بعض (العلويين) بالأخـــذ بالطريقة ، بل عند (السنيين) من الطرق الصوفية ما لا ينكره الا كل مكابر . فالنقشبندية والشاذلية والخلوتيه والرفاعية وغيرها كانت ولا تزال تشغل أذهان عدد كبير من السنيين . وهي موضع نقاش حاد ومتطرف وجريء بين مختلف علماء المسلمين من شيعة وسنة . ومن شاء الاطلاع على بعض هـــذا فليراجع الكتب والنشرات والمجلات المتعلقة بذلك مثل الكتاب (كشف الغطاء عن حقـــائق التوحيد وعقائد الموحدين وذكر الأئمة الاشعريين ومن خالفهم من المبتدعين المارقين وذكر حال ابن عربي وجماعته الزنادقة الملحدين) تأليف الحسين بن عبدالرحمن الأهذل اليمني . وهو فقيه أصولي ، متكلم ، محدث ، مؤرخ اليمن في وقته (٧٧٩ — ٨٥٥ هـ) ، وله حاشية على البخاري وله اللمعة المقنعة في ذكر فرق المبتدعة . وله الرسائل المرضيّة في نصر مذهب الأشعريّة وبيان فـاسد مذهب الحشويّة . وكتاب : (كشف الغطاء) نشره حديثاً الدكتور أحمد بكير من تونس وعنوانه (نهج جامع الزيتونه ٥٥) .

وليراجع كتيب (زندقة الجيلي) للاستاذ عبد الرحمن الوكيل الأمين العام لجماعة أنصار السنة النبوية في مصر ومجلة (لواء الاسلام) التي تصدر في مصر . هذا من المطبوع حديثاً

وليراجع كتاب (تلبيس ابليس) لابن الجوزي ، وكتاب (كشف سبل الابتداع) لمحمد سعيد سيد أحمد ، وكتاب (ام القرى) للكواكبي - حلب وهذا من المطبوع قديماً .

وجميع طرق التصوف في الاسلام تقول **بضرورة كتمان بعض المعلومات الدينية عن غير مستحقيها** . وهاك ما أورده في هذا الشأن العلامة الرباني الشيخ عبد الوهاب الشعراني في كتابه (منح المنّة في التمسك بالشريعة والسنة) - المطبعة التجارية الكبرى بمصر ، قال في وجه (٧) ما لفظه : (وقال أبو الحسن الأشعري (رض) قبل موته بساعات : لا أكفر احداً من أهل القبلة بذنب ولا بخطأ في تأويل بعد ما نطقوا بالشهادتين ، وأقول : هم قوم أخطأوا وحسابهم على الله تعالى .

وفي وجه ٨ - ١١ تكلم على الطرق الثلاثة للقسم الثاني من العلم وهي الصديقية والشهادة والولاية وأبان أن **(الصديقية لم تحصل لبشر بعد النبيين الا لأبي بكر الصديق** (رض) **وأن الشهادة ليست لبشر بعد النبيين الا لعمر بن الخطاب** (رض) ، **وان الولاية مواهب مخصوصة للاوتاد والابدال والأئمة وغيرهم من أصحاب الدوائر والاعداد وأصحاب النوب والأفراد .)** « باختصار »

وفي وجه (١٢) قال الشعراني ما لفظه : (وقد اجتمعت هذه المراتب كلها في خاتم الولاية المحمدية وهو المهدي أخو

عيسى عليهما الصلاة والسلام في الختمية لقوله ﷺ في حقه عليه السلام «يقفو اثري ولا يخطيء» كما جمع له مرتبة الدعوة الى الله تعالى بالسيف واقامة الحجة . وهذه هي مرتبة العصمة التي لا يتصف بها إلا نبي أو خليفة الله تعالى . وقد قيل لأبي بكر الصديق (رض) : يا خليفة الله . قال : لست بخليفة الله إنما انا خليفة محمد ﷺ وخليفة الله هو المهدي عليه السلام الآتي خاتماً لهذه الدورة المحمدية. ولذلك لم يأت الا من آل بيت النبوة . وهو الوارث لعلوم جده امير المؤمنين علي بن ابي طالب (ع) كما كان وارثاً لعلوم خاتم الأنبياء محمد ﷺ . فلذلك اثمرت في بنيه ختم الولاية كما اثمرت فيه ﷺ ختم النبوة . وهو أحد من وزن بهذه الامة فرجحها كأبي بكر وعمر (رض) .

ثم اعلم ان العلوم الحاصلة عن طريق الكسب والوهب من علم التوحيد يجب سترها عن الناس لمـــا فيها من الغرابة والتبري من المعقول والمنقول . وقد روى البخاري عن ابي هريرة (رض) انه قال : حملت على رسول الله ﷺ جرابين أما الواحد فبثثته فيكم واما الآخر فلو بثثته فيكم لقطع مني هذا البلعوم وقال ابن عباس (رض) : لو ذكرت لكم تفسير قوله تعالى : «يتنزل الأمر بينهن» لرجمتموني ولقلتم إني كافر . وقال علي بن ابي طالب (رض) : لو جلست أحدثكم ما سمعت من فم أبي القاسم لخرجتم من عندي وأنتم تقولون : إن علياً من أكذب الكاذبين وقد كان الحسن البصري (رض)

يدعو إخوانه ، ويغلق بابه ، ويتحدث مع كل واحد بمواجيده وذوقه ، وما أنتجه له علمه من العلوم والأسرار . فلولا علموا وجوب كتمانه لم يفعلوا ذلك . وقد اقتفت الكمّل من الأولياء هذه الآثار عن الصحابة والتابعين شفقة على ضعفة الناس الجاهلين بهذه الطريق إتباعاً لقوله ﷺ : « حدثوا الناس بما يفهمون أتحبون أن يكذب الله ورسوله ») انتهى ما نقلته بلفظه من كتاب الشعراني .

والخطأ الذي وقع فيه المؤلف الطويل هنا هو انه عد عقيدة (العلويين) أمراً مكتوماً . في حين ان كل (علوي) يحفظ ويعتقد ويشهد مؤمناً بالآية الكريمة : « ان الدين عند الله الاسلام » . وبقوله تعالى : « ومن يبتغ غير الاسلام ديناً فلن يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين » . (راجع الآيتين ١٩ و ٨٥ من سورة آل عمران) فكل من يزعم ان للعلويين عقيدة أو دين غير الاسلام فهو إما جاهل يعلّم، وإما يكون من «الأخسرين أعمالاً الذين ضل سعيهم في الحياة الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعاً » (الكهف ١٠٣ — ١٠٤) .

فالطرق ليست بالأصل إلا أساليب للذكر وشروح تفصيلية او تعليلية لبعض الآيات والأحاديث . ثم تطورت فيما بعد ودخلتها اجتهادات زائدة ، يرفض اكثرها العلماء والأعلام ، ويؤولون منها ما يحتمل التأويل ، ويقرون منها ما ينسجم مع القرآن الكريم والسنة الثابتة، والعقل الراجح والمنطق الصحيح ولا تتسع هذه المقدمة لتفصيل ذلك.

اما تكتم (العلويين) سابقاً ، وتكتم الكثيرين منهم حتى الآن ، فلم يكن الا نتيجة حتمية للحروب الدامية التي شنتها عليهم فيما مضى السياسة الرعناء بسبب تمسكهم بولايـــة أهل البيت الطاهر ، وتشبثهم في العبادات والمعاملات بالسير على مذهبهم في الأصول والفروع . في حين كانت السياسة الحاكمة تعد هذا المذهب بدعة ومروقاً رتجهد في محو آثاره وإطفاء أنواره « ويـــأبى الله إلا أن يتم نوره ولو كره الكافرون » سورة التوبة .

ولم تقتصر تلك السياسة الرعناء الظالمة على محاربة مذهب أهل البيت الطاهر ، بل تعدت ذلك الى ميدان مذاهب الجمهور فيما بين مختلف المذاهب الاسلامية الاخرى ،باسم المذهبية الضيقة عصورا عديدة. فقضى التزمت من قبل الحاكمين على مذاهب كثيرة منها مذهب الامام الأوزاعي (ره) وكان منتشراً في بلاد الشام ، والمذهب الظاهري وكان منتشراً في المغرب ، ومذهب الليث بن سعد المتوفي سنة ١٧٥ بمصر . وكان يقرن بمالك بن أنس صاحب المذهب المالكي . ويقول فيه الامام الشافعي : الليث أفقه من مالك الا أن أصحابه لم يقوموا به. ويقول عنه أحمد أمين : لو تعصب المصريون لمن نبغ منهم لاحتفظوا بمذهبه ولكانوا أتباعه. وغيرهم كثيرون وعدّ منهم اثني عشر اماماً صاحب كتاب (الامام الصادق والمذاهب الأربعة) ج ١ وجه (١٢٩) .

وفي كتاب (الامام الصادق (ع) والمذاهب الأربعة)

لمؤلفه أسد حيدر من النجف البراهين القاطعة والخبر اليقين .
ودفعاً للاطالة أكتفي هنا بنقل حادثتين منه **الأولى** : ما ورد في الصحيفة ١٧٨ من الجزء الأول قال :

(ونضع صوراً بين يدي القارىء الكريم من صور التطاحن والتشاجر بين المذاهب ، مما يدل على كذب دعوى صاحب كتاب التبصير . ليت شعري أخفيت عليه تلك الحوادث التي وقعت بين الحنفية والحنابلة وبين الحنابلة والشافعية يوم قام خطباء الحنفية يلعنون الحنابلة والشوافع على المنابر ، والحنابلة يحرقون مسجداً للشافعية بمرو .وتقع هنالك فتنة هائلة ذهب تحت هياجها خلق كثير ، ويعظم الأمر والخلاف بين الحنفية والشافعية في نيسابور ، وتقع فتنة مبعثها التعصب المذهبي ، فتحرق الأسواق والمدارس ، ويكثر القتل في الشافعية ، فينتصرون بعد ذلك على الحنفية ، ويسرفون في أخذ الثأر منهم ، وذلك في سنة ٥٥٤ هـ ومثلها تقع بين الشافعية والحنابلة، وتضطر السلطة إلى التدخل في حسم النزاع بالقوة ، وذلك في سنة ٧١٦ هـ -- البداية والنهاية لابن كثير جـ ١٤ ص ٧٦ -- وكثرة القتل وحرق المساكن والأسواق في أصبهان منشؤه التعصب -- مرآة الجنان جـ ٣ ص ٢٤٢) .

الثانية : ما ورد في الصحيفة ١٨٨ من الجزء الأول ذاته قال :

(ولعل من أعظم تلك الفتن التي وقعت بين المذاهب هي فتنة ابن القشيري عندما ورد بغداد سنة ٤٦٩ وجلس في النظامية وأخذ يذم الحنابلة وينسبهم الى التجسيم ، وكتب

الى الوزير يشكو الحنابلة ويسأله المعونة . وهجم أصحاب القشيري على زعيم الحنابلة عبد الخالق بن عيسى ووقع قتال بين الطرفين . وأغلق أتباع ابن القشيري وهم الشافعية أبواب سوق مدرسة النظام . وغضب أبو اسحاق الشيرازي . وكاتب فقهاء الشافعية نظام الملك غضباً لتسلط الحنابلة . واتسعت الفتنة وفكر الخليفة في حل هذه المشكلة واهتدى الى سعيه في الصلح ، فجمع القشيري وأصحابه وأبا جعفر الشريف زعيم الحنابلة وأصحابه بحضر الوزير فقام القشيري رئيس الشافعية والتفت الى الوزير عندما طلب منه الصلح وقال : أي صلح يكون بيننا ؟ انما يكون الصلح بين مختصمين على ولاية أو دَيْنٍ أو تنازع في ملك . فأمـــا هؤلاء القوم فيزعمون أننا كفار ، ونحن نزعم أن من لا يعتقد ما نعتقده كان كافراً ، فأي صلح يكون بيننا ؟ - ذيل طبقات الحنابلة لابن رجب جـ ١ ص ٢٢ باختصار) .

فاذا كانت هذه هي الحال بين أبناء المذاهب الأربعة فيما بينهم ، فماذا تكون فيما بينهم مجتمعين وبين المسلمين الجعفريين في مختلف عصور التزمت والارهاب وسفك الدماء البريئة ؟.. ونحمد الله تعالى على ان ذلك كله قد أصبح في مطاوي التاريخ ولا ننقله الا للعبرة والاعتبار فيما يفعله الجهل والتزمت والعداء بين أبناء الدين الواحد والوطن الواحـــد . فليتيقظ العقلاء وليتنبه الغيورون على الوحدة والعزة الدينية والقومية .

وقد ورد في مذكرات الاستاذ محمد كرد علي أنه أبلغه

سرّاً رئيس ديوان الوالي التركي في دمشق بصدور الحكم عليه بالنفي . فما كان منه الا ان سارع في الهرب الى لبنان متخفياً بطريق جبال القلمون الوعرة . وهناك لجأ الى فندق باسم مسيحي مستعار . ثم تبين ان الاسم الذي ادعاه هو اسم صاحب الفندق من القصاع بدمشق ، فترك الفندق ولجأ الى بيت (خوري) باسم مسيحي جديد . ولبث مدة يتظاهر بأنه نصراني . ويقول في مذكراته أن زوجة الخوري كانت تقدم له كأس الخمر فيغافلها ويسقيه للورود في الحديقة . وعندما قرأت هذا في جريدة (الأيام) عرضته على نفر من أصدقائي أهل الفكر في دمشق ، وقلت لهم . أليس هذا من نوع (التقية) التي يـــذم لأجلها الشيعة ؟ وإذا كان بجرد الأمر بالنفي يضطر رجلاً فذاً كبيراً مشهوراً كالأستاذ كرد علي الى كتمان دينه وادعائه ديناً آخر ، فكيف حال من كانوا يعرضون للقتل بأفظع وأقسى ما عرفته الانسانية من أنواع التعذيب حتى الموت ، ثم سبي النساء واسترقاق الابناء وبيعهم في الاسواق بيع العبيد ؟!!

وفي وجه (٨٧) : يقول المؤلف الطويل أن [مبدأ عقيدة العلويـــين في سورية هو من أثر وتعليم أبي ذر الغفاري وصاحبه المقداد بن الأسود الكندي والانصار الذين سكنوا في جبل الحلو] .

وأقول : ان جبل الحلو ، وهو يقع إلى الشمال الغربي من

حمص ، تأخر فتحه من قبل المسلمين عن بلاد عاملة وحوران ودمشق . فمبدأ التشيع كان في هذه البلدان الثلاثة . وقد ذكر التاريخ عدداً كبيراً من رجالات الشيعة في كل منها . بينما لم يذكر لنا أي واحد منهم في (جبل الحلو) . وهذه مع الأسف عادة المرحوم الطويل في تدوينه الحوادث اعتماداً على استنتاجاته أو على شائعة يرددها العوام .

وفي وجه (٨٩) عدّ الأركان . (سلمان ، والمقداد ، وبلال ، وعمار) وقد اعتبر بـــلالاً ثالثهم وهذا وهم منه . والصواب ان الثالث منهم هو أبو ذر جندب بن جنادة . والاختلاف فيهم هو بين عمّـــار بن ياسر وحذيفة بن اليمان والمرجح بل يكاد يكون المقطوع به انه عمار . (راجع تنقيح المقال في علم الرجال للسامقاني .)

وفي وجه (٩٧ ، ٩٨) يعلل تسميته (جبل النصيرة) بتعليل تاريخي لا اريد اطالة البحث في اثباته أو نفيه . وانما اكتفي بالاشارة إلى القاعدة التي اتبعها في تاريخه وهي عدم ذكر المصادر التي استقى منها، وليته لم يفعل .

وفي وجه (٩٩) يذكر ان الستة الذين اختارهم عمر لانتقاء خليفة من بينهم اتفقوا على انابـــة عبد الرحمن بن عوف في اختيار الخليفة . وهذا مخالف للواقع . فالحقيقة المقطوع بها ان وصيّة عمر هي التي عيّنت عبد الرحمن لهذه المهمة (راجع كلام أمير المؤمنين علي عليه السلام في نهج البلاغة حول

تلك البيعة . وراجع النصوص التاريخية عنها) .

وفي وجه (١١٦ ، ١١٧) وَهِمَ في عدّه يزيد بن معاوية أحد الثلاثة . (الراكب والقائد والسائق) بدلاً من يزيد بن أبي سفيان اخي معاوية . (راجع نقله كلام الحسن « ع » في وجه « ١٢٢ » عن الثلاثة وراجع ذكر الحادثة في نهج البلاغة) .

وفي وجه (١٤٣) . اعتبر الاكراد من عنصر عربي دون ان يذكر أي برهان على صحة ذلك ، تمشياً مع عادته في اهمال المصادر . وهو مما يضعف القيمة التاريخية لقوله هذا . والمعروف تاريخياً ان الاكراد من عنصر ايراني لغة ونسبا . وموقع كردستان جغرافياً يؤيد ذلك . ولكن ورد في لسان العرب (مادة كرد) بيت من الشعر هو :

لعمرك ما كرد من ابناء فارس
ولكنه كرد بن عمر بن عامر

فنسبهم الى اليمن .

وفي وجه (١٤٥) .

يقول : [بعد وفاة علي زين العابدين الإمام الخامس ... جمع ابنه زيدٌ كبار العلويين في الكوفة ، وشاورهم في الأمر ، وطلب منهم النصرة للمبايعة بالخلافة ...] وهذا القول يدل بوضوح على عدم التتبع والتدقيق في ذكر الحوادث التاريخية .

فزيد بن زين العابدين (ع) ولد عام (٧٩) للهجرة . فيكون ، عند وفاة ابيه زين العابدين (ع) عام ٩٥ ، عمره (١٦) عاماً وخروجه على الامويين كان عام (١٢١) للهجرة . بينما أخوه الامام محمد الباقر بن زين العابدين (ع) ولد عام (٥٧) للهجرة فيكون عمره عند وفـــاة ابيه السجاد (ع) (٣٨) عاماً .. ويكون عمره عند ولادة اخيه زيد (٣٢) سنة. وتوفي الامام الباقر (ع) عـــام / ١١٤ / أي قبل خروج أخيه زيد بسبع سنوات .

من هذا يتضح ان زيداً لم يعتبر اماماً في عهد اخيه الامام الباقر (ع) . والروايات الثابتة لدينا تصرّح أن زيد (رض) كان يدين بامامة ابن اخيه الامام الصادق (ع) . فهو (رض) لم يدّع الامامة . وانما ادعاهـــا له ناس من الشيعة . وهم ، لا هو ، الذين سمّوا القائلين بامامة جعفر ارفاضاً ، لأنهم رفضوا اعتبار زيد اماماً بدلاً من ابن اخيه الامام الصادق (ع) لا بدلاً من أخيه الامام الباقر (ع) . وذلك لأن الامامة في نظر الشيعة الجعفرية هي بالنص لا بالاختيار .

ووَهِمَ في الصحيفة ذاتهـا بقضية اخرى ، اذ قد اعتبر ان عامة العلويين مالوا الى الامام محمد الباقر (ع) لأن أمّه هاشمية ، وتركوا زيداً لأن امه جارية . وهـــذا القول لا يقرره عـــارف بمبدأ الاعتقاد بأن الامامة نص الهي بلغه الرسول ﷺ عن ربه تبارك اسمه ، وبلغه الامام المعصوم

كما تبلغه ، فليس للناس فيه عمل. والبرهان على وهم المؤلف في قوله هذا وجود عدد من الأئمة (ع) أمهاتهم جـــوار ، ولم يطعن ذلك في إمامتهم. وكون إسماعيل عليه السلام نبياً وهو ابن جارية (هاجر) . وذكر ذلك المؤلف في وجه (١٧٢) عن الامام الرضا (ع) فليراجع .

وفي وجه (١٤٩) يقول المؤلف : [ولقد أوصى جعفر الصادق بالإمامة لولده إسماعيل من بعده . ولما توفي قبل أبيه أوصى بها الى ولده الثاني موسى ...] وهذا مـــا لا يقوله إمامي علوي من الاثني عشرية . وقد أسلفت الحجة في كون الامامة بالنص لا بالاختيار فلا لزوم للاعادة .

ويقول في الصحيفة ذاتها ان العلويين اتخذوا ابناء جعفر الستة أئمة . وهذا ايضاً باطل ولا يقول به العلويون . وإنما هم جميعاً وبدون استثناء يعتقدون بإمامة الاثني عشر إماماً المعصومين دون غيرهم .

وفي وجه ١٧١ يذكر المؤلف ان الشيخ علي الخياط ممن ينتسبون الى البرامكة ، في حين انه ذكر في وجه (٩٨)ان عشيرة الخياطين هي التي ضمت اليها العلويين القدماء ، وهم من الفاتحين الأنصار ومن بني غسان الذين اعتنقوا الاسلام في تلك الايام. وسها عن التناقض الصارخ في ذلك.فاذا كان الخياطون من سلالة البرامكة فهم متأخرون عنهم ، فكيف وجدوا منذ عهد جبلة في صدر الإسلام ،.والبرامكة فرس اسلموا في عهد

العباسيين . فهل يوجد الحفيد قبل الجد ؟.. ان هذا من اعتماده على الشائعات والخرافات دون أدنى تحقيق علمي.

وفي وجه (١٨٠ – ١٨١) ذكر المؤلف تاريخ حياة معروف الكرخي في الصحيفة التي اورد فيها تاريخ الامـــام الحجة (عجل الله فرجه). وفي عمله هذا خطأآن ؛ الاول: ان معروفاً الكرخي وجد على عهد الامام الرضا،عليه السلام، لا على عهد الامام المهدي (ع) . والثاني : ان معروفاً الكرخي هو رجل من الشيعة ، فلماذا اقحم ذكره مع إمام معصوم دون أية مناسبة ؟..

وفي (وجه ١٨٤) يقول المؤلف:[والحاصل انالامام يصح أن يكون من بعض الوجوه أعلى منبعض الأنبياء منزلة] وأقول : ان ما عليه الشيعة الاماميون (العلويون) هو ان الامامة رئاسة عامة في أمور الدين والدنيا نيابة عن النبي ﷺ في حفظ الشريعة والقيام بجميع الأعمال التي كان يتولاها النبي في حياته . وأن يكون الامام أفضل أهل زمانه وأكملهم بعد النبي. وان يكون منصوباً اماماً من قبل الله لا من قبل العباد.

وفي وجه (١٨٩) يرجع المؤلف مذهب الشافعيين في العقيدة لأبي مـــوسى الأشعري الذي اخطأ في امر التحكيم المشهور . وهذه ايضاً من أوهامه ، فقد خلط بين ابي مـوسى الأشعري واسمه عبدالله بن قيس المتوفي عام (٣٦هـ – ٦٥٧م) وبين أبي الحسن علي بن اسماعيل الأشعري المتوفي عام(٣٣٠ هـ

– ٩٣٥ م) وهذا الأخير هو صاحب العقيدة الأشعرية التي يرجع اليها في الاعتقاد اكثر علماء المذاهب الاربعة من السنيين.

وفي وجه (١٩٤) يطلق المؤلف على أبي حنيفة حينما ذكر اسمه عبارة (الامام الاعظم) . وفي هذا دلالة على تأثر المؤلف بالوسط التركي العثماني الذي عاش فيه . ويقول عنه انه لم يثبت لديه سوى سبعة عشر حديثاً . والمأثور عن أبي حنيفة قوله : إذا صح الحديث فهو مذهبي . وقد عد البخاري أبا حنيفة في الضعفاء والمتروكين . وكذلك بقية أصحاب الصحاح والسنن . نعم خرّج له النسائي حديثاً واحـــداً عن ابن عباس هو : (ليس على من أتى بهيمة حدّ) . راجع صحيح النسائي . وقال ابن سعد في طبقاته : (ابو حنيفة النعمان ابن ثابت مولى لبني تيم الله ، وهو صاحب الرأي ، وكان ضعيفاً في الحديث) راجع الطبقات ج ٦ ص ٢٥٦ .

وفي وجه (١٩٥) يقول مـا لفظه : [ويستند العلويون على رواية أم سلمى كما يستند السنيون على رواية عائشة، وهذا مما يدل على التلاعب بالاحاديث] .

عجيب والله هذا الاستدلال في التلاعب بالحديث . انـه يدل على ان المؤلف لا يهمه إلا إبداء رأيه دون الاعتماد على أية حجة او برهان . فمجرد رواية السنة او الشيعة عن احـدى زوجات النبي الأحاديث لا يدل على التلاعب . لأن كلا منهن قد عاشت مع النبي ﷺ زماناً، فمن الطبيعي أن تكون حفظت

عنه احاديثاً . ولكن قصر الاعتماد في رواية اكثر الاحاديث على احداهنّ دون غيرها يمكن ان يكون الدليل على التلاعب. والشيعة لم تعمد إلى ذلك حتى يقرنها بغيرها في هذا الصدد . ولله في خلقه شؤون .

وفي وجه (١٩٨) يقول : [وكان أهل السنة يظنون ان علم الباطن منحصر بين الاسماعلية، والحقيقة ان علم الباطن هو علم مختص بالعلويين] .

لقد سبق في تعليقي على وجه (٧٥) من هذا التاريخ البيان بأن علم الباطن هو عند جميع المسلمين الآخذين بطرق التصوف. وفيما نقلته هناك من كتاب (منح المنة) للشعراني البيان الشافي في أن تخصيص المؤلف (علم الباطن) بالعلويين هو من استنتاجه وآرائه الخاصة . وإذا كان العلويون اضطروا في عصور الجور والارهاب حتى الى التكتم في صـــلواتهم وأحياناً الى اكتفاء بعضهم بالذكر عن الصلاة وأجهدوا أنفسهم في غير طائل لا يراد تفسيرات تبرر تكتمهم في ذلك ، إذا كانوا اضطروا إلى كل هذا فليس معناه انه صار التكتم عقيدة لهم وانهم هم وحدهم أهل الباطن .

وفي وجه (١٩٩) يقول المؤلف عن العلويين : [وهم لا يهتمون بالقواعد اللغوية لأن كلام الأئمة هو فوق كل شيء .

وأقول : وهذا من الوهم الذي تأثر به المؤلف لعدم تضلعه بمعرفة القواعد ، ولأنه عاش في محيط تركي بين قوم لا يحسنون

معرفة قواعد اللغة العربية ، فأخذ من جهله وجهلهم بالقواعد وصفاً وعممه على جميع الآخرين . في حين ان العلويين هم من اشد المسلمين اهتماماً بمعرفة قواعد العربية وعلومها . وعلماؤهم في جميع مراحل التاريخ قديماً وحديثاً هم من كبار أئمة اللغة . وامامهم علي (ع) هو معدن الفصاحة والبلاغة ، وقد قيل في كلامه (نهج البلاغة) بانه دون كلام الخالق وفوق كلام المخلوقين . وهو الذي وضع أسس علم القواعد إملاءً على أبي الاسود الدؤلي في حديث مشهور . وكل من عاش في (بلاد العلويين) وعاشر أدباءهم أو اطلع على أشعارهم وكتاباتهم يتحقق من ذلك . وفي المنشور من دواوينهم الشعرية ، على قلته بالنسبة لانتاجهم الادبي الضخم ، البرهان الكافي « لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد » سورة ق ٣٧ . وفي المجموعة الشعرية والنثرية المسماة (العقد النظيم في مدائح ومراثي الشيخ صالح ناصر الحكيم) المطبوعة حديثاً في دمشق – مطبعة الحفار دليل لطالب الدليل ، فليراجعه من شاء .

وفي وجه (٢٠٠ – ٢١٢) ترك المؤلف البحث في تاريخ من اسماهم هو العلويين بالمعنى العام ، أي الشيعة الامامية الاثني عشرية ، وانتقل الى بحث تاريخ الطريقة الصوفية لدى من اسماهم هو العلويين او النصيرية . وأنا لا أقره في هذا البحث على المزاعم التي يوردها لأنه يحل الطريقة الصوفية ، التي يدعوها هو الجنبلانية ، محل الدين والمعتقد . وقد سبق ان بينت ان كل علوي امامي يشهد امام الله في سره وعلانيته

بأن الدين عند الله الاسلام وان من يبتغ غير الاسلام ديناً فلن يقبل منه . ومن لا يدين بهذا القول فالعلويون يبرؤن منه وهو منهم بريء .

وبما انه يورد في هذا البحث اسماء اشخاص اعلن الائمة المعصومون (ع) تخطئتهم وأجمع علماء الشيعة على رفض آرائهم في الغلو، فلا مجـــال له ولا لغيره في القول بمدحهم. واكتفي بالقول ان هذا البحث هو من خيال المؤلف وسماعياته التي لا تعتبر في التقييم التاريخي. واضيف ما لمحت اليه سابقاً ان طرق التصوف هي أساليب للذكر يطلع عليها بعض الناس دون بعض ، وقد يوجد استاذ يأخذ بطريقة ما من طرق التصوف ويرفضها تلميذه أو انه لم يطلع عليها ، كما قد يوجد ابن يأخذ برأي متصوف في حين أن أباه وأخاه، وهما في مرتبته العلمية، يسفهان ذلك الرأي أو يرفضانه أو لم يطلعا عليه . وهذا عام عند جميع السالكين في طرق التصوّف المتعدّدة، حتى ان ابناء الطريقة الواحدة يختلفون فيما بينهم حول تفسير أو رأي أو أسلوب ، فتنشق الطريقة الى شعب متعددة . وبرغم كل هذا فان السالكين في أية طريقة صوفية هم قلّة بالنسبة الى من لا يهتمون بالطرق من جميع فئات المسلمين على اختلاف مذاهبهم.

وفي وجه (٢١٩) يعلل المؤلف نجاح الفاطميين في مصر بأنه : [متولّد من تأثير اشعة شمس مصر على أدمغة أهلها وتوفير الذكاء وتوليد الدهاء] وهذا يدل على انه يحكّم في

التاريخ والعلم والدين تصوراته وآراءه الشخصية التي لا ضابط لها الا الهوى والاعجاب بالنفس .

وفي وجه (٣٢٥) . ينسب كتاب (معجم البلدان) لأبي الفداء صاحب حماه . في حين انه لياقوت الرومي اما الكتاب الذي لأبي الفداء عماد الدين اسماعيل المؤيد صاحب حماه فهو (تقويم البلدان) ، وله كتاب آخر اسمه (المختصر في تاريخ البشر) .

وفي وجه (٣٣٨ – ٣٣٩) يقول عن تيمورلنك : [ثم سأل أهل الشام عن محي الدين العربي ، فقالوا له انه قال لهم: (يا أهل الشام معبودكم تحت قدمي) وهو فوق مزبلة . وانهم قتلوه جزاءً لكفره . فذهب تيمور للمزبلة وأزالها ورأى تحتها الخزائن المقصودة من كلام حضرة محي الدين فاغتنمها].

وفي وجه (٣٤٣) يذكر ان السلطان سليم التركي [هدم تربة يزيد التي كانت بتلك الأيام مظهراً للتوقير والاحترام . وأخذ عن القبر الشبكة المصنعة ووضعها على قبر العلوي العظيم محي الدين العربي الذي كان قبره مزبلة لذلك الوقت وعمّر تربته وزيّنها ... وأصبح قبره كعبة الاحترام] .

وفي الوجه ذاته يقول عن محي الدين [كانت مقبرته عبارة عن مزبلة الى أيام المرحوم السلطان عبد الحميد الثاني . ولم يهتم بها السلطان سليم في الشام] .

وأقول : ان التناقض في هذه الأقوال يعطي القارىء

فكرة جلية عن مبلغ التحقيق لدى المؤلف فاذا كان تيمورلنك علوياً ، فلماذا ترك قبر محي الدين تحت المزبلة الى عهد السلطان سليم ، وبينهما أكثر من مائة عام . وبماذا يعلل عناية السلطان سليم (بشيخ العلويين) حسب زعمه وهو الذي قتل منهم الآلاف دون رحمة ؟ وكيف يهدم قـــبر يزيد وهو يحمي (السنيين) وينتقم لهم من (العلويين) ؟ وكيف بقي قبر محي الدين عبارة عن مزبلة الى ايام السلطان عبد الحميد الثاني .

ان من يقع في كل هذه التناقضات يصعب على القـــارىء النبيه أن يقيم وزنـــاً لأقواله التاريخية غير المسندة الى مراجع موثوقة . ومن يرتكب مثل هذه الأخطـــاء لا يستغرب منه الزعم بتحقق نبوءة شيخه العظيم : [إذا دخل السين في الشين ظهر قبر محي الدين] ولا القول بأن الجفر حدد بحرفي (كظ) تاريخ زوال ملك العلويين سنة ٩٢٣ ، وهل يا ترى كان يجهل أيضاً ان هـــذين الحرفين لا يساويان غير ٩٢٠ . ولعل ٩٢٣ خطأ مطبعي إذ لو قصد الأرقام الثلاثة لقال (جكظ) .

وفي وجه (٣٤٨) : يورد ان الجراكسة هم علويون . غريب والله أمر هـــذا الرجل وإذا كان يوزع الجنسيات ويصنع الحوادث التاريخية فليس ببدع منه أن يوزع المذاهب فيدخل فيها من يشاء ويخرج منها من يشاء بجرة قـــلم . ولا حول ولا قوة إلا بالله . وإنا لله وإنا اليه راجعون .

وفي وجه (٣٥٤) يقول [ان العلويين انقسموا إلى قبائل وبطون وأفخاذ . لأن هذا التقسيم كان الملجأ الوحيد الذي يساهم في المدافع عن حياتهم . وعلى الخصوص في أخذ الانتقام من ظالميهم] .

وأقول : إن المؤلف في تاريخه هذا يؤكد عروبة العلويين وينسبهم الى قبائلهم في الجاهلية والاسلام . والمقطوع به ان العرب امتـــازوا بالمحافظة على أنسابهم ضمن قبائل وعشائر وبطون وأفخاذ وعائلات وعلى هذا فكيف سها عن تلك الحقيقة ثم جاء هنا يعلل ان هذا التقسيم كان للمدافعة عن حياتهم والانتقام من ظالميهم

وفي الوجه ذاته والأوجه التالية عدّد اسماء العشائر العلوية وانقساماتها ولم يميز احياناً بين البطون والأفخاذ وبين العشائر، بل ذكر أكثرها وكأنها عشائر مختلفة ومتباينة . وقد كان منير الشريف في كتابه (العلويون من هم؟ وأين هم ؟)مصيباً أكثر منه في البيان عن العشائر العلوية . وذلك لأن هذا الأخير كان يستقي هذه المعلومات من ذوي معرفتها، فجاءت موافقة للواقع أكثر من معلومات الطويل اما من الناحية المذهبية فقد خلط (منير الشريف)ما شاء له الهوى،واعتمد فيها مثل (الطويل) على أقوال الجهلة ، والسماع من أعداء أجهل،شأن من يكتب التاريخ لأغراض غير الحقائق التاريخية . فلا حول ولا قوة إلّا بالله .

وفي وجه (٣٥٩) يقول المؤلف : [وبعـــد مصائب الصليبيين ، التي سحقت العلويـــين أي سحقة ، ثم نجوا بهمة السلطان صلاح الدين الأيوبي،فقد باشرت الأكراد المجيء بكثرة وضايقوا العلويين .

وأقول : ان العلويين هم الذين ساهموا أكبر مساهمـــة في الدفاع عن الثغور الاسلامية . فدولة بني حمدان ، منذ عهد سيف الدولة، كانت تحمي الحدود الشمالية والأمراء العلويون في سورية ، وجنودهم من العشائر العربية الصريحـــة الأنساب ، ساهموا جميعاً اكبر مساهمة في قتال الحملات الصليبية الواحدة تـــلو الاخرى ، قبل صلاح الدين وعلى عهده وبعده . وصلاح الدين،بقضائه على قيادات العلويين في مصر كما في سورية، أضعف المسلمين من جهة ، وإن كان سار بهم الى النصر في بعض مواقعه من جهة أخرى .

لقد اشتهر صلاح الدين في التاريخ بحسن معاملته للفرنجة في حروبه معهم ، كما اشتهر بشدته في القضاء على الحكومة العلوية في مصر والقضاء على جماعاتهم في سورية . وهو الذي أبطل عبارة « حي على خير العمل » من الآذان ونشر المذهب الشافعي في مصر وسورية بعـــد أن قضى فيهما على مذهب الفاطميين والمذاهب الاسلامية الاخرى . وكأنّ صلاح الدين ، في تساهله مع الفرنجة وشدته مع العلويين ، كان يطبق عكسياً مدلول الآيـــة الكريمة التي وصف الله سبحانه بها المسلمين : « أشداء على الكفار رحماء بينهم » سورة الفتح

وكما ان الفتوحات الاسلامية ، في عهد الخلفاء الراشدين والعهدين الأموي والعباسي طغت أخبارها في التاريخ، وغطت سيرة القواد فيها على سيرة الأبطــال المؤمنين من السابقين الى الاسلام ، الذين قام الدين على سواعدهم في عهد الرسول (ص)، حتى ان مؤرخاً كالاستاذ (محمد كرد علي) لم يذكر في تاريخه (خطط الشام) أية منقبة بطولية للامام علي بن ابي طالب(ع) وهو من هو ، في حروب الاسلام ضــــد الشرك . فكذلك المؤرخون أهملوا ذكر الأبطال المجاهدين من العلويين الذين تكسرت على صخرة ايمانهم ودفاعهم المجيد الحملات الصليبية طيلة تلك الحروب ، وشغلوا عن ذلك كله ، وغطوا بأحاديث بطولة صلاح الدين الذي اقتطف ثمرة جهاد من سبقه، أحاديث البطولات للشهداء الأبرار بعد ان الهبت تضحياتهم حمـــاس المؤمنين في جميع أقطار العروبة والاسلام ، فاندفعوا متعاونين في عمليات الدفاع والتطهير التي حصلت على عهد صلاح الدين وبعد عهده .

فالحروب الصليبية لم تبدأ ولم تنته في عهد صلاح الدين . وانما سبقه مجاهدون، وواكبه مجاهدون، وجاء بعده مجاهدون والجميع ابلوا احسن البلاء في تلك الحروب.فليس من الانصاف في شيء ان تطغي ذكر بطولته على بطولة غيره ، كما ليس من مصلحة التاريخ الاسلامي ان يطغي تاريخ الفتوحات في عهـــد الدول الاسلامية على تاريخ جهاد المؤمنين الأشداء الذين حاربوا تحت لواء النبي ﷺ وتمركز الاسلام في الجزيرة العربية على

ثباتهم وتضحياتهم وجهادهم ، وخاصة أولهم وأشجعهم دون منازع أمير المؤمنين علي عليه الصلاة والسلام . وهـــنا نحن نجد ، مع الأسف الشديد ، ان التاريخ الموجه الذي يدرس في هذه البلاد يكاد يغفل ذكر امام المجاهدين في أهم الوقائع التى انتصر فيها الاسلام ببطولته على الشرك .

وفي وجه (٣٦٩) يقول : [أما عشيرة المهالبة ، مع انها جزء من عشيرة الحدادين ، أي السنجاريين ، فهي تحافظ على اسم أقدم من مجيء الأمير حسن المكزون . فتكون هي أساس عشائر السنجارية وعشيرة حسن مكزون الاصلية . وهي لب العشائر التي لم يطرأ تغيير على اسمها .]

وفي وجه (٣٧٢) يقول : [ان عشيرة الحدادين هي أصل لعشائر بني علي والمهالبة والمتاورة والدراوسة . وهي تمتاز بالشجاعة والجد والثبات على كل العشائر . وهؤلاء هم الأزد أي الأسد .]

وأقول : إذا كان اسم (المهالبة) هو الأقدم ، كما يذكر المؤلف ، واذا كانت هي (أساس عشائر السنجارية) فكان الأولى به أن يظل يدعوها بانها الاصل بدلا من اسم(الحدادية) المتأخرة ، حسب زعمه . وليت المؤلف ذكر في تاريخه هذا المرجع الذي عرف منه أن المكزون يرجع بنسبه الى المهلب ابن ابي صفره ... وان هذه العشائر هم الأزد ...

وفي وجه (٣٩٦) يقول : [وبعد تسمية العلويـين بهذا

الاسم نالوا في ١٦ ايلول سنة ٩٢٢ حقهم الثاني بتعيين قضاة ومحاكم مذهبية لهم . وأحدث لهم مرجع باسم (قاضي القضاة) وهم يحكمون على المذهب الجعفري مع بعض الفروق .]

وأقول: لقد وقع المؤلف هنا في خطأين، اولها: انه اعتبر الاعتراف بمذهبهم الجعفري هو حقهم الثاني ، بينما هو في كل فصول هذا التاريخ يذكر ان العلويين هم الذين تشكل منهم حزب الامام علي (ع) ، وانهم خليط من مختلف القبائل العربية وحتى من الاكراد والجراكس والألبان والأرناؤوط والأتراك . وإذا كان الأمر كذلك فليست التسمية القومية هي أساس تكونهم لأنهم ليسوا قوماً واحداً وانما التسمية المذهبية (الجعفرية) هي الاساس وهي حقهم الأول . والخطأ الثاني : قوله أنهم [يحكمون على المذهب الجعفري مع بعض الفروق]. وهذا الزعم لا اساس له من الصحة ولا نصيب ، فالمرجع لأحكامهم كان كتاب (الجواهر) وهو من أهم المراجع في الفتوى والأحكام لدى جميع علماء الشيعة الجعفريين من العلويين والمتاولة وغيرهما من مختلف التسميات لمذهب واحد وفرقة واحدة .

وفي وجه (٤٧١) يقول المؤلف : [نعم ان الجهل أعظم سبب للفقر ولكن فقر العلويين هو فوق فقر الجهل . وهو ناشيء عن تقليدهم لأهل البيت وللرجال الأوائل من العلويين ، كأبي ذر الغفارى وسلمان الفارسي وعلي بن أبي طالب ذاته . مع ان فقر هؤلاء لم يكن الا مختص بهم .]

واقول : ان فقر (المسلمين العلويين) لم يكن مطلقاً ناشئاً عن تقليدهم لأهل البيت فأبوا الأئمـــة عليهم السلام يقول : (اعمل لدنياك كأنك تعيش أبداً واعمل لآخرتك كأنك تموت غداً) ويقول لابنه محمد بن الحنفيّة :(يا بنيّ اني أخاف عليك الفقر فاستعذ بالله منه فان الفقر منقصة للدين مدهشة للعقل ، داعية للمقت .) وقد ثبت عنه (ع) انه اعتق الف مملوك من كسب يده فكيف يعدّ فقيراً ؟!!

ولكن فقر الأكثرية من المسلمين العلويين، مثل فقر الاكثرية من أمثالهم المسلمين السنيين في الارياف ، انما هو حاصل من أسباب كثيرة أهمّها تتابع الاعتداءات عليهم خلال مراحل التاريخ ، وخاصة في الحكم العثماني ، من قتل ونهب وسلب وتشريد ، فاصبح من الراسخ لديهم بتأثير ذلك،ان لا فائدة من امتلاك الأراضي وكسب الاموال وتشييد الابنية وجمع الكتب ما دام كل ذلك عرضة للتدمير والسلب ، وطعمة للنيران والاوباش . وساعد على هذه الفكرة تفشي الجهل بينهم بسبب عدم استقرارهم اجتماعياً،وبسبب العزلة التيفرضها عليهمحصارهم في جبالهم التي لم يسلم لهم فيهـا من موارد الرزق الا رعي المواشي . وقريب من هذا حال أكثر سكان الارياف في البلاد التي حكمها العثمانيون ومن ما لأهم وورثهم من الاقطاعيين الظالمين الذين كان همهم الاستئثار بجهد الطبقة العاملة واغتصاب ثمرة أعمالها وتركها تعيش في الفقر والحرمان والهوان كيلا تقوى فتطالب بحقها في الحياة العزيزة . وقد أشار المؤلف إلى

ذلك في وجه (٤٠٦) من هذا الكتاب عندما سجل انتقال أكثر من الف قرية إلى ملكية عائلات في المدن بطريق التزوير والاحتيال والتلاعب . ولا يزال كثيرون من شهود تلك الحوادث المؤسفة أحياء يروونها بالتفصيل والايضاح . وفي نيتي افراد كتاب خاص لتسجيل كثير من هاتيك الفجائع التي أفقرت الكثيرين وأتخمت الاقلين .

وبعد كل هذا أقول : وأي عيب في فقرهم الذي سببه لهم تكالب الظالمين عليهم واستئثارهم بثمراتهم وخيراتهم واتعابهم ؟ وهذا موسى كليم الله ، احد الانبياء أولي العزم ، يذكر عنه الله سبحانه في سورة القصص ؟ قال رب اني لما أنزلت الي من خير فقير ، وروى ابن عباس في تفسيرها . (سأل نبيّ الله غلق خبز يقيم به صلبه) وقال امير المؤمنين علي (ع) ، (والله ما سأله الا خبزاً يأكله لانه كان يأكل بقلة الأرض،لقد كانت خضرة البقلة ترى من شفيف صفاق بطنه لهزاله وتشذب لحمه) وروى الترمذي عن عبد الله بن مغفل (رض) قال : قال رجل للنبي ﷺ : يا رسول الله والله اني لاحبك . فقال : « انظر ما تقول ؟» قال : والله اني لأحبك ثلاث مرات . فقال ﷺ : ان كنت تحبني فأعد للفقر تجفافا فان الفقر اسرع الى من يحبني من السيل الى منتهاه » — عن رياض الصالحين وجه ٢٢٨ باب فضل الزهد في الدنيا . وعن ابن عباس وعمران بن الحصين (رض) عن النبي ﷺ قال : « اطلعت في الجنة فرأيت اكثر اهلها الفقراء » ، متفق عليه

اي رواه مسلم والبخاري–رياض الصالحين وجه ٢٢٩ الباب ذاته.

وفي وجه (٤٧١) يقول المؤلف :

اشرنا قبلا الى افتراق العلويين الى عشائر وعمائر وبطون، وان ذلك بدأ في دور الاتراك ، وحصل اضطراراً ، لأن ضرورة التعاضد للدفاع احدث هذه العشائر لان زمن الاتراك جعل تشكيلات العشائر اهم اسباب حياة الشعب .

واقول : ان المؤلف في تقديراته المتعددة خـــلال بحوث هذا الكتاب يعترف بالحقيقة التاريخية التي لا شك فيها وهي ان العلويين يتحدرون من قبائل عربيـــة صريحة الأنساب . والحياة القبلية هي من ابرز مظاهر المجتمع العربي . والمؤلف يبني على العصبية القبلية الخلافات التي حصلت في الاسلام بين الامويين والهاشميين. فهي في عَزْوه ابتداء افتراق العلويين بحكم الضرورة الى عشائر في عهد الاتراك يناقض ما قرره سابقاً وما يؤكده لاحقاً ، ولعله اراد ان يقول : (ان ايمان العلويين بالرسالة الاسلامية ايمانا عميقاً ، وتمسكهم بولاية امامهم امير المؤمنين علي (ع) جعل منهم وحدة في المبدأ والعقيدة مصداقا لقوله تعالى : « إنما المؤمنون اخوة » – الحجرات . وفي تلك الوحدة الدينية انصهرت القبلية وذابت، ولكن احداث الجور المتتابعة ، وخاصة في العهد التركي ، أعـــادتهم الى شبه الجاهلية الاولى في انقساماتهم العشائرية) اقول : لعـــله أراد هذا المعنى ولكن لم يسعفه البيان .

ودين الاسلام الحنيف انما جاء به النبي العربي الهاشمي ﷺ

لينقذ العرب في جاهليتهم من فوضى العصبيات القبلية ومنازعاتها الحمقاء التي كانت تفرقهم أشتاتا لأتفه الاسباب . فدعاهم ﷺ الى الوحدة تحت لواء الاسلام الحنيف في اعتقادهم بإله واحد بعد أن كانوا يعبدون آلهة شتى ، وفي اجتماعهم على العبادات الخمس وخاصة الصلاة والحج حيث تتجلى أبهى مظاهر الوحدة والنظام والمساواة . وأغناهم الدين الجديد بالزكاة (بيت مال واحد تصرف منه لهم الحقوق) عن الغزو والنهب فيما بينهم، كما أغناهم عن فرديتهم واحتكامهم فيها الى السيف بخضوعهم لإمام واحد (امير المؤمنين . الخليفة) يترافعون اليه في خصوماتهم ، ويرجعون في اختلافاتهم الى حكمه المنبثق من القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة ، وهي الحكمة الوارد ذكرها في الذكر الحكيم .

لكن عنجهية الجاهلية الحمقاء أعمت بصائر قوم وأبصارهم، فلم يستجيبوا لدعوة الاسلام إلا مكرهين بعد أن غلبتهم قدرة الله ونصرته لدينه بسيوف المؤمنين المجاهدين. وما ان مكنتهم الفرص المواتية حتى برز نفاقهم صريحاً في إعادتهم مبـــادىء الجاهلية سيرتها الاولى . فضربوا بالاخوة الاسلاميـــة عرض الحائط ، وقدموا مصلحتهم الخاصة الآنية على المصلحة العامة الخالدة . وشرعوا في هدم صرح الاسلام بمعاول اخلاق الجاهلية فأثاروها فتنة داخلية وحرباً ضارية على المؤمنين بالدين الحنيف الذين ضحوا وجاهدوا لرفع رايته. فصدق في أولئك الهدامين قوله تعالى : « فهل عسيتم إن توليتم ان تفسدوا في الارض وتقطعوا أرحامكم » سورة محمد .

وقد استعمل أولئك القوم في حروبهم الضارية جميع أسلحة الشرك والنفاق وجميع وسائل الغدر والخسة ، من اغتيالهم المؤمنين المجاهدين بالحديد وبالسم ، ومن نفيهم وتفريق جماعاتهم بالرشوة والافتراء والبهتان ، ومن قتلهم افراداً وجماعات على التهمة وبسبب حبهم من أحبه الله ورسوله ، ومن تمثيل بأجسادهم بعد القتل وحمل رؤوسهم من بلد الى بلد ، ومن سبي حرائرهم المؤمنات اللواتي صانهن دين الله . كل ذلك فعلوه تحت ستار الاسلام ، والاسلام يبرأ من هذه الافعال ومن فاعليها ومن الراضين بفعلها كائنين من كانوا . ولله درّ (سيد قطب) فقد عرفهم في كتابه (العدالة الاجتماعية) اصدق تعريف فليراجعه القارىء ليتبين أي قوم كان اولئك الباغون .

وما انفكت اخلاق الجاهلية الجهلاء تنخر في جسم المجتمع الاسلامي العربي حتى زالت دولة التوحيد ، وذهبت عزة الاسلام ، واستُعمِر المسلمون في عقر ديارهم . فمتى يفيقوا من سباتهم ؟ أو يعودوا الى رشدهم وهداهم ؟ . فيعيد الله لهم عز الاخوّة في دين الله ، لا عز سيطرة بعضهم على بعض ، ولا الملك الحاصل من استعانة بعضهم باعداء دين الله ليزيلوا خلافة المؤمن بدين الله ، الذي أبلى في الجهاد بين يدي رسول الله احسن بلا ، يوم كان اولئك يبلون في مقاومة الاسلام أشد بلاء .

وفي وجه (٤٧٢) يقول : [ان اكثر العلويين يظنون ان الرابطة الوحيدة هي الرابطة العشائرية وهذا غلط عظيم .

والحالة الاجتماعية اليوم تحتم علينا الغاء الرابطة العشائرية التي زال سببها وهـــذا اول شرط للدخول في دور الحضارة والتمدن .]

واقول : لقد كان للرابطة العشائرية ، على عهد المؤلف ، فعلها القوي عند اكثر العلويين . ولقد استغلها المستعمرون وأعوانهم من المواطنين العلويين وغير العلويين ، ممن عاشوا على استثمار التفرقة العشائرية أبشع استغلال . لكن العقلاء حاربوا التعصب العشائري الذميم ، هذا الداء المعوق للنهضة ، ولا يزالون يحاربونه بإيمان وتصميم . وهو بحمد الله تعالى في طريق الزوال . ولم يبق له تأثير الا في بعض النفوس المريضة التي تعيش على الدجل والاستغلال والاصطياد في الماء العكر والشرب من الموارد العفنة ، وإلا عند بعض الجاهلين الذين لم تمتد إلى أعماق نفوسهم انوار المعرفة فهم لا يزالون يعيشون في ظلمات الماضي وكهوفهم المظلمة مطية ذلولاً لذوي النفوس المريضة الذين يطلق عليهم بحق : (الطفيليات السامة) .

والمؤلف ، في تقريره هنا أن الحالة الاجتماعية تحتم الغاء الرابطة العشائرية ، انما كان يتكلم بلسان الفئة النيرة ، ويردد أقوالها التي جعلتها شعارها في الجهاد الصامت طيلة نصف قرن للدخول في دور الحضارة والثقافة والاجتماع الصحيح .

وفي وجه (٤٧٦) يقول المؤلف : (ان العلويين ليسوا هم اصحاب مذهب يفترق عن بقية الجعفرية ، لان الفرق بين الجعفري والعلوي عبارة عن انتساب العلوي للطريقة الجنبلانية

والجعفري من لم يكن منتسباً اليها. وهذا ليس هو فرق مذهبي.]

لقد كررت القول بان الطريقة الصوفية ليست ديناً ولا معتقداً ولا هي عامة عند أية فئة من فئات المسلمين. ولكن الدّين والمعتقد هو الاسلام. والطريقة ليست غير اسلوب للذكر لا أكثر. وقلت إن الاب ربما كان منتسباً لطريقة صوفية يرفضها ابنه، وربما لم يكن في العائلة كلها الا واحد ينتمي لطريقة تصوف. فمن الافتئات على الحقيقة والواقع ان يزعم المؤلف بأن [العلوي هو من ينتسب للطريقة الجنبلانية، والجعفري من لم يكن منتسباً اليها] وهو في قوله هذا يخالف ما كرره مراراً في بحوثه (التاريخيـــة) من عدّه أكثر الحكومات على عهد ملوك الطوائف من [العلويين الجعفرية].

ويظهر من خلال الكتاب ان المولف كان ممن يتحمسون لفكرة الطرق، شأن الكثيرين من رجال عصره في حكومات الاتراك العثمانيين، التي ازدهرت كثير من طرق التصوف تحت رعايتها، وأعطتها تلك الحكومات امتيازات مادية واجتماعية، وأوعزت الى موظفيها برعايتها ومساندتها، وترعرعت جميعها تحت سمعها وبصرها. نعم جميعها ما عدا (الطريقة الجنبلانية المزعومة) فكانت تلك الحكومـــات تلاحق (العلويين الجعفريين) منهم بتهمة (النصيرية) و (الغلو) و (الرفض) وترعى (طرق التصوّف السنيّة) في جميع البلاد الاسلامية عامة، وفي كيليكيا والبلاد السورية خاصة. وتغض الطرف عن (طرق التصوّف التركيّة الشيعية) التي كان لها في تركية

أسماء كثيرة أشهرهـــا البكداشية : (الاناضول والاستانه واوروبا العثمانية) . إلى أن قضى عليها جميعهـا في تركيا مصطفى كمال (اتاتورك) وفي سورية اديب الشيشكلي . ولكن مع الاسف الشديد فقد عادت في سورية بعض سيرتها عندما ترك هذا الاخير الحكم

ومن خلال تحمس المؤلف لطريقة التصوّف (الجنبلانية) التي يظهر أنه كان ينتمي اليها ، أراد أن يصبغ العلويين جميعهم بطابع تلك الطريقة المزعومة . وعلى افتراض وجود قلة من أمثاله يأخذون بفكرة تصوف معينة فهذا ليس فرقاً مذهبياً، كما أكد هو اكثر من مرة بكتابه هذا . وفوق ذلك فالطرق الصوفية ليست مذاهب دينية . وهو موضوع نقاش حـاد . وليست عامة ، ولا تشكل اكثرية عند أية فئة من فئات المسلـــين ، كما اسلفت البيان في تعليقي على الوجه (٧٥) من هذا الكتاب فليراجع

ويقول في وجه ٤٧٦ ذاته :[وان من جملة أسباب ضعف العلويين ، لا بل ضعف العالم الاسلامي هو ناشيء ، عن معاداة السنيين والعلويين وجميع الشيعة] ثم يقول : [إن أعظم وسيلة للتحابب هو التفاهم والصراحة . اما إنكار العداوة فلا يفيد الا الاصرار عليها .]

ان أقواله هذه ، مع ما فيها من الاضطراب في الصياغة اللفظية ، هي حقائق ينبغي أن يضمها كل مسلم نصب عينيه . فلم يفتك في جسم المجتمع الاسلامي شيء أكثر مما فتكت هذه

العداوة بين الشيعي والسني في مختلف عصور التاريخ الاسلامي وأي مجتمع كان لا يمكن أن يثبت امام مثل هذه العداوة التي استغلتها الحكومات الجائرة ، ولا تزال تستغلها الحكومات الاستعمارية لمنع عز المسلمين والعرب في وحدتهم أو اتحادهم . والفئات المستغلة من المواطنين لا تزال في مناسبة أو بدونهـا تحاول خلق الفوضى والاصطياد في الماء العكر تحت ستار هذه الخلافات التي من حقها ان تصبح في عبر التاريخ حافزاً للتفاهم لا عاملاً على التخاصم .

وفي وجه ٤٨٠ يقول : [لم يكن للعلويين ديانة خاصة أو مذهب خاص كما يظن البعض . بل ان العلويين مسلمون شيعيون جعفريون . ولم يكن بينهم قيود دينية أو اجتهادات عملية تفرق بينهم وبين بقية الجعفرية] .

هذا قول صحيح مئة بالمئة . فليسمع دعاة التفرقة الآن لما يقوله هذا الشخص منذ نصف قرن . واذا أبى عنادهم الا ان يفترضوا وجود اجتهادات تفرق بين العلويين وبين بقية الجعفرية أخذاً بما يسمعونه او يقرأونه من أقوال من يسمون أنفسهم باحثين ومنقبين ، فانني أردد لهم الآن بعض ما كتبته في رسالة خاصة بالبريد المسجل تاريخها ٩٥٣/٥/٨ الى مطران الروم الكاثوليك في حلب (اسادوروس فتال) بمناسبة من مثل هذه الافتراءات وهاكه بالحرف :(. . وأية صورة بشعة تشمئز منها النفوس المهذبة ، وتترفـع عن تصورها العقول الراجحة ، تلك الصورة التي يمسخ بها تاريخنا فيما اذا لم يسجل

منه عن كل طائفة الا ما افتراه عليها اخصامها وما وصمها به اعداؤها) .

وأكرر لهم ما ذكرته في نهاية تعليقي على مقدمة الكتاب وجه (ز) من أن (العالم المنقب لا يسمح لنفسه بان يعتمد في معرفة قوم ، او في تعريفهم ، على ما يراه من جهلائهم. ولو اعتمد المورخون على ذلك لضاعت قيم الاديان والعلوم والفنون عند جميع الشعوب) .

وفي وجه (١٨١) يقول :

ولا تنفع عند العلوي القواعـــد الصرفية والنحوية في استخراج الاحكام الشرعية . بل كل ذلـــك من جملة حقوق اهل البيت .

وأقول : ان معرفة القواعـــد الصرفية والنحوية ليست سلما لاستخراج الاحكام الشرعية عند احد من المسلمين. فالقرآن الكريم يوضح ان بيان الاحكام من القرآن هو من فعل الرسول ﷺ بقوله تعالى . « ولما جاء عيسى بالبينات قال قد جئتكم بالحكمة لأبين لكم بعض الذي تختلفون فيه فاتقوا الله واطيعون» – الزخرف ٦٣ – . وبقوله تعالى . « وأنزلنا اليك الذكر لتبين للناس ما نزل اليهم ولعلهم يتفكرون » – النحل ٤٤ . وقوله تعالى . (وما أنزلنا عليك الكتاب الا لتبين لهم الذي اختلفوا فيه وهدى ورحمة لقوم يؤمنون)– النحل ٦٤. وأما استنباط الاحكام فهو من فعل الرسول ﷺ وأولي الامر (ع) الذين تلقوا من الرسول ﷺ بيان الاحكام ونقلوا ذلك عنه الى

المؤمنين المصدقين برسالته ﷺ وفي ذلك ورد قوله تعالى : « واذا جاءهم امر من الأمن او الخوف اذاعوا به ولو ردوه الى الرسول والى أولي الامر منهم لعلمه الذين يستنبطونه منهم.. » النساء ٨٣ وقوله تعالى . « وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا ... » الحشر – ٧ فليس من شأن كل من تعلم القواعد الصرفية والنحوية استنباط الاحكام الشرعية . ولكن من لا يحسن معرفة قواعد لغة العرب ومفاهيمهم في وجوه البلاغة فانه لا يستطيع ان يفهم معاني كثير من الآيات في القرآن الكريم ووجوه الاعجاز والاستدلال بالحديث النبوي الشريف. وقد بينت في تعليقي على الوجه عذر المؤلف في عدم تقييمه لمعرفة قواعد اللغةالعربية وبلاغتها فلا حاجة لتكراره.

وفي **الوجه ذاته (٤٨١)** . يقول : [ان العلويين يمتازون على بقية الجعفرية اي الاثني عشرية في انتسابهم في الآداب الدينية للطريقة الجنبلانية ، وهذا الانتساب هو الذي ادى الى افتراقهم عن بقية الاثني عشرية .]

يعود المؤلف الى التخبط والقول برأيه الخاص فيناقض ما ردده كثيراً في هذا الكتاب من ان العلويين هم مسلمون شيعيون جعفريون ولم يكن بينهم قيود دينية أو اجتهادات علمية تفرّق بينهم وبين بقية الجعفرية . وأعود فأكرر القول ان المؤلف بنى أقواله هذه على نفسه لأنه متمسك بطريقه تصوّف معينة وعلى بعض من عاش بينهم او لقيهم من أمثاله الذين يتملقون بالطريقة . اما عندما يتكلم عن العلويين بشكل عام

فلا يستطيع الا أن يقرر الحقيقة المطلقة وهي أن العلويين هم مسلمون شيعة جعفريون لا فرق بينهم وبين غيرهم من الجعفرية الا بالتسمية الحديثة ، وان عدها هو قديمة . ومثلهم في هذا مثل المتاولة في لبنـــان فهم مسلمون شيعة جعفريون كأهل النجف وكربلاء ، وفي كل بلد وفي كل فئة يوجد اكثرية جاهلة وأقلية ذات علم وفقه وليس من الحق ان يؤخذ الجاهلون نموذجاً لفئة من الفئات ، بل المعوّل دائماً على أهل العلم لمعرفة مذهب او معتقد أي جماعة من الناس .

ويقول في الوجه (٤٨٢) : [وأما الدروز فهم عبارة عن فرع كريم في العائلة الامامية وهم اخوة للعلويين حسباً ونسباً ...]

وهذا من عندياته وافتراضاته التي لا تستند إلى أي واقع تاريخي او اجتماعي لدى كل من الدروز والعلويين . فالدروز ، مع احترامنا لكونهم أخوة في الوطن والعروبة ، لا يوجد لديهم أي اثر مادي يدل على انهم امـاميون اثنا عشريون . وان كانوا قد انفصلوا بالفعل عن الفاطميين الشيعه . فالمعوّل على حياتهم الدينية الحاضرة . وأقوال علمائهم ومولفاتهم وكلها لا تشير الى انهم اماميون اثنا عشريون . ولذا قالوا بالامامه ، فالاسماعيليون ايضاً يقولون بالامامة ، والزيديون يقولون بالامامة ، ومن الخوارج من قال بالامامة ، ولكن لا يمكن عد هولاء من الجعفرية الاثني عشريـة لقيام الدليل على بطلان هذا القول .

ويختم المؤلف كتابه بالدعوة الى المساواة بين الشيعي والسني وبالقول بأن الرابطة القومية اكبر وأقوى الروابط . فالعصر الذي عاش فيه المؤلف هو عصر انطلاق القوميات في الشرق الاوسط خاصة كما في العالم عامة . فليس ببدع أن يقرر تقديم الرابطة القومية بعامل الانسياق مع الرأي العام .

وأرجو أن أكون ، في هذا التعليق قد أديت شيئاً من الواجب ؛ نحو القارىء الكريم بجلاء بعض المواقف وبيان كثير من الاخطاء ، ونحو الاخ المؤلف بنُصرتي اياه ظالماً أو مظلوماً . أقول هذا استناداً للحديث الشريف : عن أنس قال : قال رسول الله ﷺ : «أنصر اخاك ظالماً أو مظلوماً» فقال رجل : يا رسول الله أنصره إذا كان مظلوماً . أرأيت إن كان ظالماً كيف أنصره ؟ قال : « تحجزه – او تمنعه – من الظلم فان ذلك نصرُه » – رواه البخاري . (من رياض الصالحين ، وجه / ١٣٠ / باب تعظيم حرمات المسلمين ...)

والله سبحانه وتعالى أسأل التوفيق الى العمل الجدي المثمر في سبيل امتنا المجيدة ووطننا الحبيب ارضاء للضمير وقربة إلى الله تعالى ومنه وحده أستمد العون والفلاح .

دمشق في ١٢ حزيران ١٩٦٦

الحاج

عبد الرحمن الخير

التاريخ العلوي


مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

مُقَدّمَــة

ان الاقوام التي لا تعلم شيئاً عن خطيئات اسلافها ، ولا تعرف اخلاق اولئك الاسلاف وسجاياهم ونواقص حيـــاتهم الاجتماعية والسياسية ، هي كالفرد الذي لم يختصه الله بملكة العقل ، محرومة من حس العزيمة والتجرد ، وهذا الحس هو حجر الزاوية في بناء نهضة الشعوب ؛ فالوسط الذي لا يقتفي أفراده منهاج نوابغهم السالفين وعظمائهم المتقدمين ، لا يتيسر له أن يمشي الى الامام خطوات واسعة في ميدان هذه الحياة المزدحم بالأمم والشعوب . وعلى ذلك كان من المتحتم على كل أمة تريد التقدم حثيثاً ، أن تدرس تاريخها القديم مستفيدة من عظاته وعبره ، مارة على أماكن الضعف والقوة فيه مرور تنقيب وتدقيق وبحث واستنتاج حتى اذا جـاء دور التطبيق أخذت بأسباب القوة وتجنبت مواقع الضعف .

ان الرجل الذي يطالع رواية خيالية للتفكهة والدعابة ، ليحس من نفسه بالانجذاب الى أحد أبطال الرواية والميل الى تقليده في حركاته وسكناته . وهكذا فان مطالعة الانسان لتاريخ قومه السالفين وبالأخص لتراجم احوال الابطال الذين

قاموا فيهم، تولّد فيه شعور الإقدام على معالي الامور ومحاكاة أولئك الذين ماتوا ثم قام التاريخ فأحياهم بين صفحات حياة لا شيخوخة عندها ولا موت ؟

ان الشؤون الكونية ماشية مع التجدد ، فمحافظة الشعب على عوائده القديمة – الحسن منها والقبيح – دون ان يتزحزح عنها قيد شعرة هو مخالف لشريعة الكون المشروعة ولقوانين الخليقة ولدستور الكائنات الذي يقتضي الحركة والتبدل والتجدد بصورة متمادية من غير انقطاع . ومن هذا نستنتج ان الامم التي تتخذ شعارها في الحياة التوكل والبقاء على القديم ، هي شعوب ماشية ضد القوانين الطبيعية والنواميس الكونية ، وهي غير قادرة على الاحتفاظ بكيانها الاجتماعي ، وما هي إلا دورة من دورات الفلك حتى تضمحل هذه الشعوب وتتلاشى مندمجة بغيرها من الامم ذات القوة والايد ، مشياً مع القاعدة الطبيعية بقاء الاصلح فالأصلح .

ان هذه العلة الاجتماعية الكبرى – التوكل والبقاء على القديم – لا تزال ضاربة بجرانها الثقيل على الشعب العلوي، أي جماعة النصيرية من العرب ؛ ومن دواعي الأسف والحزن ، ان هذا القوم الذي تسلسل من نبعة عربية صافية ، ومن أجداد كانوا مثال التضحية والمفاداة والإقدام والمدنية ، أجل من دواعي الحزن والاسف ان يصل الى هذه الحاله من الخمول والجمود والانحطاط والتأخر ، لجريه في حياته الاجتماعية والسياسية على خطة مخالفة للقانون الطبيعي كما بينا آنفاً .

فالشعب العلوي يرى ان المحافظة على القديم هي احـدى مفاخره ومحامده ، وهو يرى ان سياسة التوكل وعدم السعي، هي أفضل سياسة يمكنها ان تصل بالانسان الى أبعد غايات السعادة ، ومن تعمق في درس التاريخ قليلاً وعلم شدة ذلك الجور والارهاق الذي لازم العلويين طيلة أربعة أعصار ونصف، اتضح لديه ان ما وصل اليه العلويون من الانحطاط العقلي وما أشربوه من المبادىء الاجتماعية الفاسدة ، هو نتيجة طبيعية للاستبداد الذي شربوا كأسه حتى الثمالة طيـلة خمسماية سنة ، ولعمري ان الشعب مهما كان قوياً مدنياً لا يمكنه الثبات أمام ما تحمله العلويون، دون أن يصل إلى ما وصلوا اليه من الانحطاط والتأخر ؟!...

لقد بحثت طويلاً في هذا المرض المزمن فرأيت ان علتهم الاجتماعية قديمة متأصلة، ولذلك كان من الأمور العسرة المتأبية إعادة الصحة الى جسمهم الاجتماعي ، والقضاء على تلك العلة المتأصلة منذ مئات السنين ، وإرجـــاعهم الى مستوى الامم الطبيعي . وقد رأيت بعد التنقيب المتواصل ان أنجع دواء يحرك من عواطفهم ويثير من هممهم الكامنة الراقدة ، هو أن يعرض عليهم تاريخ آبائهم ، تاريخ البطولة والعزيمـــة والثبات والارادة ومقاومة الاستبداد . وبعرض هذه الصفحات من التاريخ لا بد من تحرك الروح العلوية الاصيلة الحرة مرة ثانية، لا بد من انتفاضها انتفاضة الطير الجريح الذي استعاد قوته فاستأنف الطيران .

على انني اعترف بعجزي وتقصيري عن البلوغ الى هذه الغاية، وتقديمي لهذه الأمة المريضة كأس الدواء الشافي، ولكنني مع علمي بهذا العجز سأبذل كل ما استطيع من الجهد ، ومن المعروف المتداول ان تشخيص المرض هو نصف التداوي ، فاذا صحت هذه العبارة كانت خطوتي في سبيل هذه الأمة واسعة إلى الأمام ، وكان هذا الأثر رغماً عما فيه من الغوامض مفيداً نافعاً لأنه سيثبت امكان تحرير العلويين من ربقة الحالة السوأى التي يتخبطون بين أشداقها وسيطلع الجمهور على أسرار اجتماعية لم تكن معروفة ، ورجائي من القراء الكرام أن لا يتعجلوا بانتقاد هذا الكتاب وتخطئة واضعه ومحاسبته على النقير والقطمير ، وإنما جملةأملي أن يسبلوا عليه ذيلالعفو وان يضيفوا إليه ما يعرفونه ماشين بـه الى الكمال والتحسين ، اسوة بتواريخ بقية الشعوب والممالك .

فكرت بهذا التأليف منذ عدة سنين وقد جرأني على أن أكون أول جامع لتاريخ العلويين ، معرفتي بكل البلاد العلوية معرفة تامة ، ككيليكيا ، والاسكندرون ، وانطاكية وربوع الحكومة العلوية المستقلة، قرية فقرية وتجولي مدة طويلة في محيط العلويين القديم (أي الجزيرة) وأراضي ربيعةومضر والعراق مع سوريا حتى المدينة .

أما غايتي من هذا الأثر فأمور :

أولاً : التكلم عن أنساب العلويين وعلاقتهم بالانساب مع الأمم المجاورة ، وذلك هو المصباح الوحيد الذي يرشدنا الى سجايا العلويين الفطرية ، وهي الدليل الوحيد لاثبات بطلان التهم التي يوجهها أعداؤهم إليهم .

ثانياً : ذكر ماضي العلويين الذي هو عبارة عن صحيفة وضاءة من تاريخ الاسلام .

فالتكلم عن ماضي العلويين القديم ، وعن مآثرهم الجليلة في الاسلام ينفخ في العلويين تلك الروح العاليـة ، روح التجدد والاصلاح وتقليد أعاظم الأسلاف .

ثالثاً : التكلم عن مواطن العلويين الحاضرة وأمصارهم على وجه التقريب ، فالعلويون بمعرفتهم قوتهم الطائفية يمكنهم السعي لتجديد الروابط فيما بينهم كما كانت في الأعصار السابقة .

رابعاً : التكلم عـــن أسباب انقسام العلويين الى عشائر متعددة مع الاشارة الى أنساب هذه العشائر .

خامساً : وهو الغاية الكبرى – تأييد وجود الرابطة ما بين العلويين وبقية الشيعة وإظهـــار الأسباب التي أدت إلى افتراق العلويين عن بقية مذاهب السنة والشيعة ، وباظهـار هذه الأسباب نكون قـــد اهتدينا الى الدواء الوحيد الشافي الذي لا يبقي أثراً لهذا الافتراق المانع لاتحاد المسلمين والتئام شملهم وتأييد الروابط فيما بينهم .

ان الوصول الى كل هذه الغايات ، يحتـاج الى سنين طوال تقتل بالتنقيب والبحث والاستنتاج ، ويحتاج أيضاً لعلم واسع وقوة حديدية في الارادة للتغلب على الصعاب ، ولست هناك ولا هنالك ، وإنما عزائي الوحيد انني فتحت باباً للبحث في هذه المجاهل التي لا يمكن أن تستقصى في صحائف معدودة ، وحسبي انني نفخت هذه الروح ومشيت على هذه الطريـــق وأضأت المصباح لمن يجيء بعدي من الباحثين وفي هذا كفاية وبالله التوفيق .

« م. ا. غ »

المدخل

ان صحائف التاريخ التي تتكلم عن القرون الوسطى غاصة بالمشاحنات الدينية ، وخلط الدين بالسياسة توصلاً إلى الأغراض الدنيوية ، ولعمري ان سيئات تلك الأيام وما حدث فيها من المآسي المفجعة لم تنصرم بانصرام اوقاتها . بل دامت الى يومنا هذا محدثة في الاسلام خرقاً واسعاً ، ولقد كان ذلك من سيئات تلك القرون وتعصب الحكومات كالاموية والعباسية على العلويين وتشريدهم وتقتيلهم في كل صقع وحدب، حتى لقد بلغ من بعض ملوك العباسيين انه امر بهدم قبر الحسين عليه السلام وحرث ارضه . وأمر بعضهم بقتل من سمى ابنه علياً . الى آخر ما هنالك من فضايح التاريخ . وقد نتج من ذلك ان بعض العلماء كانوا يتقربون الى الولاة والملوك والأمراء والحكام بالطعن على العلويين ، ورواية الأحاديث المختلقة عنهم والصاق التهم والمخازي بهم وتأليف الكتب المطولة في ذلك ومن المحزن أن مؤلفي الغربيين جعلوا مصدر اخذهم عن هذه الكتب السخيفة فنقلوا عنها ما نقلوا بعد ان غيروا وبدلوا وزادوا وكملوا ثم أعادوها للشرق علفاً نفيساً . والغربيون انما يريدون من ذلك ومن غيره في الابحاث، الفت في عضد الأديان وضرب

أصحاب العقائد ببعضهم، فلا غرو اذاً اذا جزم هؤلاء المفترون بكتبهم الخاليـــة من كل تحقيق وتدقيق بخروج العلويين عن الجامعة الاسلامية، واخذهم بعقيدة مركبة من الأحكام الاسلامية والمسيحية والمجوسية .

قلنا ان غرض مؤرخي الغرب من نفث هذه السموم اضعاف الاديان عامة ، وهـذا يتضح من قراءة مباحثهم السخيفة عن بقية الاديان باجمعها . ومن الغرائب ان يسلم قسم من المسلمين بصحة ما يقوله هؤلاء الغرباء عن العلويين ، بينما المسلمون في مشارق الأرض ومغاربهـــا يتألمون مما يلصقه اولئك القوم بصاحب الرساله المصلح الأعظم من التهم . ولقد كان الأولى ، الاعتبار بما يكتبونه عن النبي الهاشمي ﷺ وعلى آله وسلم ، من الأكاذيب ، فـلا يعود لابحاثهم عن الاديان في الشرق قيمة تاريخية في نظر احد .

لقد سكت العلويون مدة طويلة على مجافاة خصومهم لهم وعلى التهم التي كانوا يوجهونها اليهم وكانوا تكلموا أخيراً في زمن بني بويه ، وبني حمدان ، والفاطميين ، وبني الاحمر والدولة البحرية المصريـــة ، فردوا على خصومهم وابطلوا حججهم واظهروا فساد مزاعمهم ثم رجعوا الى السكوت واخلدوا الى السكينة واستمرأوا طعم الخمول حتى زمننا هذا ، اذ أوجدت السياسة لهم نوعاً خاصاً ، وشكلا منفرداً ، وأخذت تسوقهم حثيثاً الى المروق عن الاسلامية والانفلات من جامعتها العتيدة، فلم يكن والحالة هذه من مناص لمفكري العلويين عن التكلم

درءاً للشبهات ، ودفاعاً عن حوزة الدين الاسلامي الذي يتشرفون بالانتماء اليه . ان الأمة العلوية رغماً عن كونها فرقة من فرق الدين الاسلامي فقد صار لها ذاتية مستقلة باوصافها وشرائطها الاجتماعية ، وقد كانت هذه الذاتيـة المكتسبة بالتدريج نتيجة الوقائع العظيمة المذكورة في كل التواريخ التي تتكلم عن العلويين، والاضطهاد الذي ميزهم عن غيرهم وطبعهم بطابع خاص . وسأتكلم باسهـاب في تاريخي هذا عن هذه الوقائع التي حولت الأمة العلوية الى عنصر ذي سجايا منفردة. وليس معنى هذا انني سأقـدم للقراء حوادث تاريخية لم تكن معلومة من ذي قبل . فـان هذا ليس في طاقتي وانما كل ما هنالك انني سأوضح الاسباب التي أوصلت العلويين الى حالتهم الحاضرة ، السياسية والاجتماعية .

• • •

ان نصف أفراد الجامعة الاسلامية ممن يحبون علياً بن أبي طالب صلوات الله عليه ويجنحون الى تفضيلـه ويفتخرون بالانتساب الى اسمه الجليل ، ولكنني في تاريخي هذا لا أطلق لفظة العلويين الا على العلويين العرب نسباً (اي النصيرية) ، أما بقية فرق الشيعة فسأطلق عليها اسماءها المعروفة المتداولة ، كالزيدية والاسماعيلية والدرزية وغير ذلك . وفضلاً عن ذلك فتاريخي هذا لا يتناول البحث عن العلويين المنتمين الى عناصر أخرى غير العناصر العربية ولو كانت متحدة في عقائدها مع

النصيرية كعلويي خراسان وفارس وعلويي الأتراك القاطنين في أذربيجان والاناضول والالبانيين الطوسقة وعلويي البلغـــار والروم ايلي وغيرها .

ان التقسيم الديني الذي استعمله المؤرخون المسلمون وغيرهم هو خطأ محض ، فقد قسموا الأمة الى قسمين : سني وشيعي . وهذا التقسيم يدل ضمناً على أن معنى السنية هو التنكب عن آل البيت صلوات الله عليهم ، وأن معنى الشيعية هو التمسك بآل البيت مع عدم الالتفات الى سنة المصلح الاعظم . على انه من المؤكد المحتوم ان كل سني (ما عدا بعض الفرق المشهورة) هو من محبي آل الرسول ، وان كل شيعي هو من المتبعين لسنة الرسول ولأوامره ونواهيه ؛ فما تقدم نحكم بفساد هذا التقسيم وببطلانه من الوجهة الدينية التي عليها مدار البحث في هــذا الموضوع ، على أننا لو راعينا الحقيقة لاعتضنا عن هذا التقسيم الفاســـد ، سني وشيعي ، بارجاع المسلمين الى ثلاثة فروع : العلويين والامويين والمعتدلين . ولكننا نضرب صفحاً عن كل ذلك ؛ فهذا التاريخ لم يوضع للمجادلة والمناظرة ، بل انمــا وضع لايضاح أسباب الافتراق ولايجاد دواء لهذه العلة القتالة ولعرض البلايا التي سببها هذا التخاذل ، لكي يدرك المسلمون من علويين وغيرهم ضرورة التفاهم والاتفاق . ولا أرى هنا بدأ من الاشارة الى شيء وهو انني حذراً من جرح بعض العواطف وسوف أتحاشى بقدر الامكان استعمال كلمة الامويين معتبراً كلمة السنيين قسيمة لكلمة العلويين .

• • •

لقد افترقت الاسلامية الى فرق متعددة متخالفة في الفروع كبقية الاديان التي تقدمتها . ولقد كان من أسباب هذا الافتراق الفجائع التي حدثت في صدر الاسلام ، تلك الفجائع المؤلمة التي ابقتها الجاهلية ارثا ممقوتاً ؛ فالضغائن التي وجدت في الصدر الاول للاسلام لم تكن غير وليدة لضغائن الجاهلية ، بل هي هي وان اختلفت اساميها ومظاهرها وكناها . وتعصب قوم من المسلمين لعلي وقوم آخر لمعاوية هو قضية الهاشمية والاموية التي لعبت دوراً مهماً في التاريخ العربي قبل الاسلام واستوعبت اغلب صفحات تاريخ الاسلام تحت اسم الشيعة والسنة ، اذاً فمعرفة اسباب هذه التفرقة معرفة تامة هي أساس معرفة تاريخ العلويين وتعيين موقع لهم بين بقية المذاهب الاسلامية المختلفة .

• • •

من المعلوم عند اهل التدقيق ، ان الاديان تنقسم من جهة الى ثلاثة اقسام :

١ً ــ الاديان التي هي عبارة عن عبادات ومناجاة .

٢ً ــ الاديان التي تشتمل على بعض الاحكام وتكون مطابقة كل المطابقة لما تقدمها من الاديان .

٣ً ــ الاديان التي جاء بها الانبياء أُولو العزم وهي الاديان التي تشتمل على العبادات والآداب والاحكام الاجتماعية والسياسية وتثبت بعض احكام الاديان السالفة وتنسخ بعضها .

ان الشريعة الاسلامية السمحـاء هي من القسم الثالث. وكل متعمق في اوامرها ونواهيها، يتضح له اشتمالها على جميع الاحكام السياسية والاجتماعية والمدنية الحقة وما يدخل ضمن ذلـك من بث روح الفضيلة والاقدام وحب التجدد وترك التوكل وغـير ذلك من المعجزات ، ان كل هذه الدساتير والانظمة والقوانين ماثلة في القرآن الشريف لم يغادر منها صغيرة ولا كبيرة، وعلى ذلك تدخل الاحـكام الادارية والاجتماعية والسياسية ، في جملة احكام الدين .

ولكن الاختلاف في هـــذا الموضوع اي مزج الوظائف الدينية بالسياسية اوفصلها عن بعضها حدث بعد وفاة الرسول صلوات الله عليه، فتساءل الناس عن هــذه الوظائف الدينية والسياسية هل هي من حقوق فرد معلوم من المسلمين ، ام هي حق يمكن توجيهه لاي فرد كان من افراد الامة الاسلامية وهل اذا كانت موقوفة على فريق من المسلمين دون فريق ،تكون منحصرة في قريش ام في الهاشميين ام هي مختصة في آل بيت النبي وحدهم وبتعبير آخر هل الخلافة مشتملة على الامامة والحكم الاداري ام هي مقتصرة على المواد الدنيوية وبقاء الامامـــة منفصلة عنها في آل البيت .

ولقد كان الاختلاف في هذا الموضوع اول افتراق حدث في الاسلام . ان الذين يفضلون علياً بن ابي طـــالب على بقية الصحابة ويحصرون الامامة والخلافة فيه يقولون :

ان الولاية والوصاية من الحقوق الثابتة لآل النبي المنحصرين

في صلب علي عليه السلام من السيدة الزهراء بضعة المصلح الاعظم ، مستشهدين على ذلك بوصايا النبي صلى الله عليه وعلى آله في غدير خم ، وفي حجة الوداع وكلها تثبت هذا الحق لعلي واولاده وتنص على ان الاعتراف بهذا الحق هو من احكام الدين الاساسية .

واما الذين يعتبرون خلافة ابي بكر وعمر وعثمان صحيحة جامعة لشروط الامامة الدينية والدنيوية فيقولون :

ان الامامة صفة لا تفارق الخلافة وان الخلافة هي حق من حقوق القريشيين اجمعين ، لا من حق الهاشميين او آل البيت فحسب ، دون ان يتعداهم الى غيرهم ولكن هذه الاختلافات لم تؤد الى الفتنة العامة في زمن الخلفاء الراشدين لأن اميرالمؤمنين علياً بايع ابا بكر بالخلافة بعد تأخره عن ذلك ستة اشهر ولم يطالبه بعد ذلك بحقوقه فيها ، وعلى ذلك فان فتنة انقسام الاسلام لم يندلع لهيبها الا بعد قيام الدولة الاموية على عهد موقدها معاوية بن ابي سفيان . اما مبايعة علي لأبي بكر فالعلويون يعتقدون انها بيعة بالخلافة المنفصلة عن الامامة اي بالحكم الدنيوي وان امير المؤمنين احتفظ بالامامة والوصاية لنفسه ولذريته لانها حق خاص وأمر ديني اساسي .

بعد مرور ثلاثين سنة على مبايعة عليّ لأبي بكر رجعت الخلافه لعليّ عقيب مقتل عثمان وتشتت كلمة المسلمين . فارتاع الامويون لذلك ورأوا ان الرياسة التي طالما حاولوا صرفها عن بني هاشم منذ الجاهلية الى اليوم قد رجعت اليهم . فاتخذ

الأمويون حينئذٍ مقتل عثمان بن عفان وسيلة لاحياء عداوتهم القديمة للهاشميين وبدأوا يناصبون علياً العداء ، ولما كان الدين من اعظم المؤثرات في البشر ، فقد اتخذ الأمويون لعن أمير المؤمنين كرم الله وجهه من العقائد الدينية ، فاصبحوا يسبونه عند كل صلاة ويهيئون القيام ضده باسم الدين ، ثم أضافوا اخيراً الى سبه سبّ ريحانتي الرسول الحسن والحسين رضي الله عنهما ، وبعض كبار الصحابة العلويين معتبرين هذه المسبة من شرائط قبول الصلاة . وقـد دامت هذه الخزية حتى خلافة الاموي المصلح عمر بن عبد العزيز فأزالها . ومقابلةً للأمويين في هذا العمل الفاضح اتخذ العلويون أيضاً مسبة الحزب المعارض لعلي فريضة دينية يحافظ عليها للأبد .

فإذا تمعنا في المسألة نرى هذه البغضاء ترجع الى ايام الجاهلية منذ اختلاف الهاشميين والأمويين على سدانـة الكعبة ونجوم قرن الشقاق بين الاسرتين . على أن هذه البغضاء لم تلبث بعد الاسلام ان لبست ثوباً دينياً محضاً فانقسم من جرائها الى فرقتين علوية وسنية تختبيء وراءهما كلمتا أموي وهاشمي .

ظهر لدينا مما تقدم ان الامامة – وهي حق لعلي وأولاده من اسس الدين المذكورة في القرآن وفي احاديث المصلح الأعظم صلى الله عليه وعلى آله وسلم . ولما انتقلت الامامة الى علي زين العابدين «ع» كانت بعده لولده زيد ولكن زيداً عند خروجه على الامويين ومطالبته بالخلافـة سأله العلويون عن رأيه بحق المخالفين لجده علي والغاصبين حقه . فأظهر عدم بغضه للثلاثة

الأولين من الخلفاء الراشدين ، اظهر ذلك والحزازات بالغة اشدها والحنق في منتهى ثورته والجرح لم يندمل بعد، فاسقطته الشيعة من الامامة وبايعوا فيها الامام محمد الباقر عليه السلام ، وهذه الحادثة كانت اول فرقة نجمت بين الشيعة لان اتباع زيد بن علي وهم قلائل تمسكوا برأيهم ولبثوا يدينون بامامة زيد وقد اطلق التاريخ عليهم اسم الزيديين ومذهبهم أقرب الى مذهب السنة منهُ الى مذهب الشيعة ، ولكنهم يعتقدون ان الخلافة والامامة هي من حقوق أولاد علي ، وقد نما اتباع هذا المذهب واشتدوا ، ولهم اليوم في اليمن حكومة مستقلة على رأسها أمير هاشمي ، أما زيد رضي الله عنهُ فقد قتله الأمويون وصلبوه طيلة أربع سنين .

وعندما انتقلت الامامة لجعفر الصادق بن محمد الباقر اعتبر ولده اسماعيل وليَّ عهدٍ له . ولكن اسماعيل توفي قبل أبيه الصادق فتوجهت ولاية العهد الى موسى الكاظم ابن جعفر ، بيدَ ان فرقة من الشيعة اتبعت – بعد وفاة الصادق – محمد بن اسماعيل غير معترفة بامامة الكاظم محتجة على ذلك بكون الامامة من الامور الدينية ، وبما ان الامام المعصوم جعفر الصادق أوصى بها لولده اسماعيل فقد أصبح من المتحتم كونها من حقوق الاكبر والارشد من أولاده منحصرة فيهم دون ان يجوز الرجوع عن ذلك

وقد افترق القائلون بهذه المقالة اي الاسماعيلية عن بقية الشيعة ثم انقسموا الى فرق متعددة كالباطنية والقرامطة

وغيرها . ويطلق التاريخ عليهم جميعاً اسم الاسماعيليين نسبة إلى اسماعيل ابن جعفر ويسمون ايضاً بالخمسية لحصرهم الامامة في خمسة من الأئمة آخرهم اسماعيل ، وأوصل فريق منهم الامامة إلى محمد بن اسماعيل فسموا السبعية .

وللاسماعيلية صفحات كبيرة في التاريخ ؛ فقد بلغوا أعلى قمة المجد في زمن أميرهم (حسن بن الصباح) الملقب شيخ الجبل . وللاسماعيليين اليوم امام مطاع في الهند يتجاوز عدد اتباعه المئة الف هناك ، أما عددهم في سوريا فيتراوح بين العشرين والثلاثين الفاً وهم متفرقون في مدن سوريا كالسلمية ومصياف والقدموس والخوابي ودمشق .

وقد قال بقية الشيعة بامامة موسى الكاظم وامامة بنيه من بعده حتى الامام الثاني عشر ؛ فسموا بالاثنى عشرية (الجعفرية والعلويين والمتوالة) ثم انفصلت عنهم فرقة اخرى ؟ بزمن الحاكم بأمر الله الخليفة الفاطمي السادس واطلق عليها اسم الدرزية .

وسوف نأتي في تاريخنا هذا على تاريخ هذه المذاهب ومواضع الاختلافات فيما بينها مع الافاضة في ذكر الاسباب التي قسمت العلويين ايضاً الى اسحاقية وهالتية وعلوية محضة .

والعلوية المحضة هي الاثني عشرية التي تمت بنسبها إلى النبعة العربية الصافية وهو موضوع تاريخنا هذا .

ونكرر قولنا ان تاريخنا هذا لا يتناول البحث الا عن العلويين العرب ، فيبقى البكداشيون وعلويو الفرس خارجين عن الموضوع .

نسب العلويين

ان العرب ينقسون تاريخياً الى ثلاثة اقسام :

العرب البائدة—وهم الذين انقرضوا ولا يوجد لهم اليوم أثر.

العرب العاربة – وهم الذين وجدوا من زمن قحطان حتى ظهور صاحب الرسالة الاسلامية صلى الله عليه وسلم .

العرب المستعربة– وهم الذين وجدوا بعد ظهورالاسلامالى هذا اليوم .


مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

القسم الاول
العصور التي قبل التاريخ

يروي التوراة الموجود اليوم ان مبدأ وجود البشر اي هبوط آدم وحواء من الجنة يتقدم عصرنا هـذا بستة او سبعة آلاف سنة وان جدتنا حواء هبطت في (جده) بالحجاز وآدم هبط في جزيرة بالهند تسمى (سيلان — مرنديب) وانهما بعد تكبد مشقات عظيمة اجتمعا وسكنا على ضفة الفرات في محل يدعى (بستان عدن) وهنا يبدو لنا سؤال وهو هل كان هبوط آدم وحواء من السماء أم هما ناشئان بصورة الاستحالة والتكامل من بقية الحيوانات ؟!.

ان علماء الطبيعة يرون ان اقرب جرم سماوي الي الارض واقع على مسافة بعيدة عنها بدرجة لا يسعها تصور البشر وانه ليس في الامكان بقاء الحياة البشرية اثناء اجتيازها المسافة بين احد الاجرام السماوية والارض، ولذلك تصوروا ان آدم وحواء هما ناشئان بطريقة الاستحالة والتكامل من بقية ذوي الارواح وهذه الاستحالة تقتضي مرور عصور طويلة لا تسعهـا اعداد الارقام المستعملة . ولكنهم وقفوا في المدن الاخيرة عند هذا الرأي موقف الحيرة . لأنهم رأوا بالترصدات الفلكية الاخيرة

ان بعض الاجرام السماوية محتوية على العناصر اللازمة للحياة (وهي الماء والهواء والاعتدال) وشعروا ايضاً بتموجات اثيرية اي حادثات كهربائية منتظمة تنبعث عن غير الارض وهي تدل على وجود مخلوقات ارقى درجة من بني البشر بمقدار كبير .

لذلك لا نستبعد ان يأتي يوم يظهر فيه ان هبوط آدم وحواء لم يكن حديث خرافة بل هو من الامور الطبيعية الممكنة الحصول ، على اننا لا يمكن ان نعتقد بان عمر الخليقة عبارة عن سبعة آلاف سنة كما جاء في التوراة لان البقايا والآثار البشرية التي اكتشفت تبرهن على انها كانت موجودة في عالم الأحياء قبل عشرين الف سنة بل مائتي الف سنة ، اما مبدأ وجود الارض وتكونها بصورة جسم ناري وانتشار حرارتها في الفضاء واكتسابها القشرة وسيرها في ادوارها الماضية فلا بد ان يكون قبل ثلاثين مليون سنة على الاقل !..

تقدم ان آدم وحواء سكنا (بستان عدن) على ضفة الفرات وهناك تناسلوا حتى كثر نسلهم وظهر فيه الفساد في الاخلاق والعقائد ، فاقتضت الحكمة الالهية تأديب البشر وكان ما روته الكتب السماوية من الطوفان إذ كان النبي نوح ابو البشر الثاني ساكناً في جهة الكوفة فدعا ربه أن لا يذر على الأرض من الكافرين دياراً فاستجيب دعاؤه وأوحى اليه أن ينشىء سفينة يحمل فيها أهله والمؤمنين الذين كانوا عدداً قليلاً

ومن كل ذي روح زوجين وهكذا كان وأصبحت السفينة الملجأ الوحيد لأجداد المخلوقات الموجودة اليوم .

وقد جاء في التوراة ان الطوفان حدث بعد الخليقة بـ (١٦٥٦) سنة حيث فار التنور وهطلت الامطار متوالية من أول شهر تشرين الاول لأول شهر آذار حتى غمرت المياه وجه الأرض وطافت سفينة نوح بمن فيها من الكوفة حتى استوت على جبل الجودي الذي هو فرع من سلسلة جبال ارارات الكائنة في بلاد الاكراد .

• • •

وان في طوفان نوح أقوالاً ونظريات عديدة :

فبعضهم يقول ان هذه الحادثة نشأت عن المد والجزر الذي حدث اذ ذاك بصورة خارقة للعادة ، والذين يعلمون بالمد والجزر الذي يحدث اليوم في خليج البصرة ويتذكرون ان الكوفة كانت قديماً عند منتهى الخليج حيث امتلأ اليوم ذلك المكان بما رسب فيه مما يجره نهري الفرات والدجلة وما يصب فيها من الانهر والسواقي يجد عذراً للقائلين بهذا الرأي ويعتقد ان للمد والجزر علاقة بالطوفان وان هذه الفكرة لا تنفي وقوع الطوفان بل تثبته ، والمد والجزر من مظاهر القدرة الالهية ، وبقبولنا هذه النظرية نكون قد أثبتنا وقوع الطوفان ، لأن المد والجزر يحدثان بسبب جاذبية الشمس والقمر ولاثبات الطوفان نفترض مرور جرم سماوي بقرب الارض واتحاد جاذبية الشمس والقمر بهذا الجرم وحينئذ ينشأ السبب الطبيعي

للطوفان ، وما هذا الحادث الا مظهر من مظـــاهر القدرة الإلهية الجليلة .

ومهما اختلفت النظريات بهذا الشأن فالأمر القطعي هو ان الطوفان واقع رغماً عن انكار أهل الصين له وقـــولهم انه لم يشمل بلادهم ولقد شمل الطوفان جميع وجه الأرض .

. . .

ان النبي نوحاً هو ابن لمك بن متوشلخ بن اخنوخ بن نون بن مهلائيل بن قنيان بن انوش بن شيث بن آدم، وان ابناء البشر بعد الطوفان ينتسبون الى أولاد نوح الثلاثة وهم: سام وحام ويافث، فأبناء يافث تناسلوا وانتشروا في الشمال والغرب من الارض وهم الاتراك والصقالبة وأهل الصين ، وأبناء حام نزلوا افريقيا الوسطى وهم السودان والبربر والقبط ، أما الساميون الذين هم أجداد العلويين وهم موضوع هذا التاريخ فقد نزلوا في البلاد المتوسطة وهم العرب والفرس والروم .

سكن عيلام أحد أبناء سام جنوبي بلاد فارس ، وسكن أحدهم آثور الجزيرة، وأحدهم أرفخشد ما بين النهرين، والذين ينتسبون لقحطان بن قالع بن شالخ بن عباس بن ارفخشد من العرب يسمون القحطانيين ، والمنتسبون لعابر بن قالع يسمون العبرانيين . وقد ظهر العرب العدنانيون بعد النبي اسماعيل بن ابراهيم الخليل ومن نسبهم سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام ، وهو محمد بن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف ابن قصي بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر

ابن مالك بن النضر بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن الياس
ابن مضر بن نزار بن معد بن عدنان بن ايدة الهميسع بن كلاب
ابن خملا بن قيدار بن اسماعيل بن ابراهيم بن تارخ او أسرع
ابن ارمتى بن قـالع بن شالخ بن عباس بن ارفخشد بن سام
ابن نوح بن لمك بن متوشلخ بن اخنوخ بن نون بن مهـلائيل
ابن قنيان بن آنوش بن شيث بن آدم (صلى الله عليه وعـلى
آلهوسلم) وهو خاتم الانبياء والمرسلين وسيد الاولين والآخرين
وفخر الموجودات أجمعين .

• • •

كانت تسود الاقوام السامية وحدة لسانية عامة تقريباً
بحيث ان كل هؤلاء الاقوام كانوا يفهمون لغات بعضهم ، وقد
ساعدتهم هذه المزية على التمدن والترقي لكثرة اختلاطهم
ببعضهم ومبادلاتهم التجارية ، وان وحدة اللغة لها تأثيرها العظيم
في هذا الشأن .

• • •

ان الاقوام السامية — هم العرب والبابليون والاشوريون
والعبرانيون والفينيقيون والحبش ، وقد كان لكل منهم آداب
ومدنية ولغة ومزايا خاصة ، وقد انقرضت هذه المزايا فيجميعهم
عدا العرب الذين ظلوا محافظين على لغتهم وآدابهم وقوميتهم ،
والفضل في ذلك يرجع الى الدين الاسلامي والقرآن العظيم ،
ولهذا السبب ظل العرب المسيحيون واليهود محافظين على لغتهم
وقوميتهم ايضاً .

لاحقة :

يقول التوراة ان اهل بابل بنوا قلعة بابل بعد الطوفان بمائة سنة وذلك للالتجاء اليهـــا عند وقوع طوفان ثان لانهم بنوها في وسط مستو من الارض ليلجأ اليهـــا أهل المدينة ويأمنوا الغرق .

ولكن المتأمل لا يسعه قبول هذا القول لان ماية سنة ما كانت تكفي لبناء هذه القلعـة العظيمة، لان هذا الأمر يقتضي وجود عدد عظيم من البشر وصنائع راقية ، والقلعة كائنة على مسافة بعيدة جداً عـــن جزيرة بن عمرو التي هي اول مدينة بناها نوح بعد الطوفان وعن جبل الجودي الذي استقرت عليه السفينة ، فلا بد من مرور عصور طويلة حتى يمكن بناء هذه القلعة المسماة اليوم (البساتين المعلقة لبابل)

وعند انشاء هذه القلعة حدث التبلبل في السنة العاملين فيها واصبح كل فريق منهم لا يفهم لغة الآخر، ولذلك يئس اهـل بابل من ابلاغ مرتفع القلعة الى الحد الذي يقيهم خطر الطوفان (وذلك مما يثبت لنا ان مدينة بابل كانت حينئذ تحت خطر المد والجزر)وبسبب خوف البابليين من تكرر الطوفان نزحوا عن بابل وسكن فريق من الساميين جهات حضرموت ، وبهذه الصورة تكونت العرب البائدة .

• • •

لقد كان من عادات العرب ان ينقسموا لانساب، اي شعوب، والشعوب لعشائر والعشائر لقبائل والقبائل لعمائر والعـــمائر لبطون والبطون لافخاذ والافخاذ لعائلات وذلك لتعيين درجة النسب والمناصرة والاتحاد .

العرب البائدة

البائدة – هم العرب الذين وجدوا قبل ان يعرف التاريخ وانقرضوا في ذلك الزمن وهم قسمان :

١ – الآراميون : وهم طسم وجديس، امیم ، جرهم ، عاد . وهم من نسل آرام بن سام

٢ – اللاوزيون : وهم العماليق وهؤلاء من نسل لاوز بن سام ، وقد سكن العماليق العراق ثم الحجاز، واليونان يسمي العماليق (هكسوس) اي الرعاة ولما فتح اليونان مصر كان اسم العماليق (شاسو) اي البدو

• • •

وسكن الآراميون العراق ايضاً ثم رحل جانب منهم الى سوريا ، وقد بدأ تمدنهم في العراق وكانت لهم حضارة في اوج الترقي يرجع تاريخها الى ما قبل خمسة آلاف سنة وقد حكموا البابلية الاولين مدة ثلاثمائة سنة وتعاقب منهم احـــد عشر ملكاً ، وتدرج قسم منهم فساروا على ضفة الدجلة وساحل بحر عمان حتى وصلوا الى حضرموت ثم عاد قسم من هؤلاء الى بابل ونينوا اي الموصل .

وفي سنة ٢٠٠ او ٣٠٠ قبل الميلاد كان للعراقيـين مدنية راقية وتجارة واسعة وقوانين جزائية واجتماعية مدونة ومنظمة ،

وكانوا يلبسون من حرير الصين ويتعطرون بعطر الهند ويحملون عصياً من (آبنوس) افريقيا الجنوبية وقد وجد في الشريعة الموسوية احكام مقتبسة من شرائع حمورابي اي البابليين، وكانت حقوق النساء لديهم محفوظة وهي تقارب ما لهن من الحقوق في الشريعة ألاسلامية . ولهم قوانين زوجية معروفة ومعتبرة وهذه الاصول لم يعرفها اسلافهم ولم تظهر الا بظهور الإسلام .

وبعد زوال حكومة الحورابيين انقسم البابليون الى قبائل وبطون وتشتتوا في انحاء جزيرة العرب .

كان للعماليق حكومتان ولكل واحدة منها تمدن خاص بها وهما النبط وتدمر، فالعماليق الذين سكنوا البطرا والكرك بعد انقراض الحورابيين يسمون النبط، وقد انتشر هؤلاء في ما بين سوريا وخليج العقبة وكانت لهم مدنية عالية وصنائع نفيسة، وعند قيام اسكندر المكدوني اتفق العرب جميعاً مع الفرس وصد الانباط جنود اسكندر واوقفوهم عند مدينة غزة مدة طويلة .

وقد تخلص العرب منه بوفاته وهو في سن الرابعة والثلاثين.

وسبب تسمية الانباط بهذا الاسم هو لأن جدهم نبايوت بن اسماعيل . وفي زمن الاسكندر كان الانباط على جانب عظيم من الثروة والحضارة بحيث فاقوا معاصريهم في الصناعة والتجارة والزراعة وكانوا يحرصون على استقلالهم ووحدتهم القومية ، وحينما كان يتعرض لهم عدو اقوى منهم كانوا يلجأون الى الجبال

ويقتاتون هناك بلحوم الحيوانات ويشربون ماءً محفوظاً في الصهاريج معداً لمثل تلك الايام، ولما تطول المدة على عدوهم وهو في الاراضي الرملية القاحلة يضطر الى الرحيل عنهم .

كانت عاصمة الانباط مدينة (البتراء) وهي التي قاومت الرومانيين مدة طويلة ورغماً عن التحاقها بروما فانها لم تخسر شيئاً من مركزها الادبي ومدنيتها الراقية، حتى ان بعض ملوك روما تولدوا من النبطيين ومن هؤلاء الملك (فيليبس) الذي ولد سنة ٢٤٤م في مدينة بُصرى في حوران وبعد ان ترعرع انتقل الى السراي الامبراطورية في روما ثم صار امبراطوراً للملكة الرومانية وهو عربي نبطي .

ولقد شوهدت آثار الانباط البديعة في موقع وادي موسى بين العقبة وحوران وشوهدت ايضاً خريطة لسوريا مصنوعة من الاحجار الصغيرة (الفسيفساء) وقد كان للانباط خط وارقام واصول زراعية خاصة .

مملكة تدمر — كانت هذه المملكة ممتدة من الفرات الى العاصي، فكانت بذلك واسطة بين تجارة الهند وفارس وفينيقيا التي كانت حلقة الاتصال بين الشعوب العربية والشرقية، ويتصل نسب التدمريين بالعمالقة ولكن مدنيتهم آرامية اي غسانية ولغتهم كذلك آرامية ، ولقد كانت مدنية الفرس مأخوذة من مدينة بابل وآثور ومدنية اليونان مبنية على مدنية مصر وفينيقيا ومدنية الرومان مبنية على مدنية اليونان ، اما اكتساب كل واحدة من هذه المدنيات صفة خاصة فلم يكن الا بعد سير

تدريجي بطيء، امامدنيات العرب اي حضارة بابل وارم والنبط وغسان وتدمر وفنيقية والحيرة ثم حضارة الاسلام الزاهرة فقد كانت تنمو وتكلست صفتها الخاصة بسرعة هائلة هذا مع اعترافنا باقتباس جانب من هذه المدنية عن الامم الاخرى ، وهذه المزية الخاصة في العرب تبرهن على استعدادهم الطبيعي للتمدن خصوصاً القحطانيين منهم .

لنرجع الى تدمر . ان هذه المملكة التي كانت بين العراق والبحر الابيض كانت هي أقصر الطرق التجارية بين الشرق والغرب وقد دلت آثارها الصناعية على انها عديمة الشبه لدى الأقوام الأخرى . وأن كلمة تدمر تعني أرض التمر ، ويستدل من الآثار الصناعية الباقية الى الآن كأحواض المياه ومجاريها على انها بلغت درجة من الرقي الصناعي تكاد تحسب فوق مقدرة البشر ، وانه ليؤسف الناظر الآن ان يرى مكان ذلك التمدن الزاهر برية قاحلة جرداء .

فتح الرومانيون تدمر سنة ٢٧١ للميلاد بعد مقاومة عنيفة وأعملوا فيها التخريب وبذلك تأخرت مدنية تدمر ، ومرجعها مدنية الغسانيين ، قليلاً لأن الرومانيين لم يكونوا يحبون الغسانيين ولا يثقون بهم ولهذا السبب نصبوا التنوخيين ، وهم عرب رحل غير متحضرين ، حكاماً نائبين عنهم على سوريا ولكن لم تمض مدة طويلة حتى اغتنم الغسانيون ضعف الرومانيين فاستولوا على حوران وسوريا بكاملها وامتدت سلطتهم حتى بلاد الروم بالاناضول وازدهت مدنيتهم حتى بلغت أوج عزها ، وكان

العرب قد اسسوا سنة ٢٠٠ للميلاد حكومة لهم في الحيرة والأنبار وفي سنة (٣٠٠ م) أي بعد انقراض تدمر كان للغسانيين في سوريا حكومة متمدنة راقية وقوية وبذلك استحالت مدنيات اليمن والعماليق والنبط وتدمر العربية إلى مدنيات عربية جديدة وهي مدنيات الحيرة وغسان، وقد بلغت مدنية أهل الحيرة درجة لم تصل اليها مدنية الفرس وهي بذلك ضارعت حضارة البابليين الأقدمين في مجدها وعلاها ، وان الخط المسمى اليوم بالخط الكوفي لم يكن الا خط أهل الحيرة . أما حضارة الغسانيين فقد كانت مشتملة على الفن وأهبة الحرب حتى ان عدد حصونهم الحربية بلغ الستين ، وكانت بلادهم تزدان بالقصور الشاهقة والآبار الصناعية ومجاري المياه المنظمة .

• • •

فينيقيا – كانت حدود فينيقيا من جبـــل الاقرع شمالي اللاذقية الى حيفا طولاً وهي عبارة عن ساحل ممتد في منطقة طويلة، ويظن المؤرخون ان الفينيقيين هم من بقية قوم عاد او هم شعب من القحطانيين الذين كانوا في جهات حضرموت والبحرين ثم هاجروا الى الغرب أي الى هذه المنطقة المعروفة وان فينيقيا والقارطاجنة هما من أصل واحد وقد كان بيد اهلها تجارة العالم البحرية بأجمعها وكانت فينيقيا المحور الذي تدور عليه تجارة العالم حتى ان صناعة السفن كانت منحصرة بها وحدها . وزمن مجيء الفينيقيين إلى سوريا يرجع الى ألفي سنة قبل الميلاد وبعد امتداد حضارتهم واستقلالهم نحو الفي سنة اندرسوا وانضمت

بقاياهم إلى الغسانيين والتنوخيين وهم اخوتهم أي ان مرجع الكل القحطانيون .

بنو لخم – اللخميون أيضاً قحطانيون هاجروا من اليمن الى الحيرة بجوار الكوفة التي كانت أول مسكن للبشر ، وقد سمي اللخميون (المناذرة) والذين سكنوا منهم ما بين الفرات والمدينة اطلق عليهم اسم (التنوخيين) وإنما كان المناذرة متحضرين وكان التنوخيون من العرب الرحل وسيأتي القول بان اكثر العلويين القدماء هم من الغسانيين والتنوخيين .

• • •

لنعد إلى العرب البائدة .

لم تصل الينا أخبار هؤلاء العرب البائدين الا قليلاً وهم سبعة أقسام :

١ – قوم عاد. وهؤلاء كانوا يسكنون الأحقاف في جهات حضرموت وهم من ابناء عاد بن عوص بن آرام بن سام بن نوح عليه السلام، وهذا النسب لا يخلو من نقص لاننا اذا نظرنا إلى ضخامة مدنية « أرم » وعمرانها نعتقد ان هذه الحضارة لا تتم إلا بمرور عصور طويلة ومع انهم يبالغون في وصف هذه المدنية العظيمة فان مما لا شك فيه ان حضارة ارم كانت في الأوج الأعلى من العظمة والاتساع واليك نبذة من الأخبار المتواترة عنها :

بنى مدينة ارم شداد بن عاد في حضرموت وكانت مساحتها عشرة فراسخ مربعة أي مائة فرسخ ، وقد بنى فيها

ماية الف قصر وكل قصر مبني على ماية عمود مرصعة بالاحجار الثمينة وجدرانه مزدانة بالفضة المفشاة بالذهب وكان لكل حي من أحيائها مجار للمياه مكشوفة وقعرهـا مزين بالذهب والأحجار الثمينة، وقد غضب الله على قوم عاد الاولين فارسل عليهم العواصف فأبادهم اجمعين ثم قام بعدهم قوم عاد آخرون ، وبلدة ارم موصوفة في القرآن الكريم اذ جاء فيها الآية الآتية: (ارم ذات العماد التي لم يخلق مثلها في البلاد) وهذا الوصف الجليل يدل على عظم حضارتها وعلو مكانتها في العمران .

٢ — **ثمود** كان قوم ثمود يقطنون اليمن وعند ظهور عبد شمس طردهم فهاجروا الى الحجر وهو ما بين الحجاز والشام وقد كانت خرائب مدائن صالح المشاهدة اليوم مقرهم، وبسبب طرد ثمود من اليمن انتشر المثل القـائل « لعبت بهم ايدي سبا » ولما عقر قوم ثمود ناقـة صالح غضب الله عليهم فانقرضوا ولم تكن مدنية عاد وثمود أقل شأناً من مدنية بابل أيام عظمتها .

٣ — **العماليق** . هم ابناء عماليق بن اليفار بن عبسو بن سام ابن نوح ، وقد اشتهروا بالقوة والشجاعة واستولوا على البلاد المجاورة لهم،حتى استولوا على مصر ومكثوا فيها اربعمائة سنة تقريباً ، وكانت لهم مدنية راقية ايضاً كما ذكرنا .

٤ — **طسم** . هم ابناء نون بن آرام بن سام بن نوح .

٥ — **جديس** . هم ابناء جديس بن جاثر بن آرام بن سام ابن نوح .

كان شعبا طسم وجديس يسكنون اليمن وقد حصلت بين الشعبين حروب هائلة انقرضا بسببها ، وكانت احـــدى نساء جديس (عفرة بنت العباس الجديسية) سبباً في هذه الحروب. كان قومها يدعونها (الشموس) وسبب الحرب هو ان عملاق أخ طسم اعتدى عليها فذهبت وقصت الخبر على قومها جديس وحرضتهم على الحرب ولها في ذلك أشعـــار تنشد الى اليوم فكانت النتيجة ان أخاهـــا أسداً قتل عملاقاً وعلى أثر ذلك بدأت الحرب وحمي لظاها حتى لم ينـــج من قوم طسم سوى رجل واحد يدعى رياح بن مرة لأنه احتمى بالملك حسان بن تبع اليماني وهذا غزا قوم جديس فأبادهم جميعاً ..

٦ – جرهم الأولى . وهم ينتسبون إلى جدهم جرهم بن قحطان وقد تولى هذا ملك الحجاز ثم تولاه من بعده ابنه عبد ياليل ثم عبد المدان بن نفيـلة ثم عبد المسيح بن مضاض الذي زوج ابنته رعلة من النبي اسماعيل ومنها بدأ نسب الهاجريين.

كانت إمارة الحجاز بأيدي القحطانيين كما أسلفنا ثم بـدأ النزاع على الرياسة بينهم وبين العدنانيين في مكة ولهذا السبب ظاهر القحطانيون النبي ﷺ على العدنانيين وتسموا الأنصار .

قد كان القدماء من العرب البائـــدين من الأعراب أي الساكنين البوادي وهكذا أكثر المتأخرين منهم ، أما العرب المتحضرون فلم يبدأ تاريخهم إلا من عهد عامر بن قحطان .

العرب العاربة

وهم العرب المعروفون في التاريخ ويستمر تاريخهم الى زمن ظهور الاسلام ، وهما فريقان بنو قحطان وبنو عدنان .

وبنو قحطان ثمانية أقسام وهي : سبا ، حمير ، كهلان ، انباط ، تدمر ، غسان ، المناذرة أو بنو المنذر ، وفينيقيا .

سبا — تولى حكم اليمن بعد قحطان ابنه عامر (أو يعرب) وهو أول من بنى المدائن ونسق لغـــة العرب البائدة وأنشأ العربية التي نتكلم بها اليوم ، وكان من بنائه عدة مدن وقد أقام كلا أخويه حاكما لمقاطعة من المقاطعات العامرة ، وامتد حكمه ٣٣ سنة ، وبعد وفاة يعرب تولى مكانـــه ابنه يشجب ثم عبد شمس بن يشجب وهو الملقب بسبا ويقال ان سبب تسميته بهذا الاسم امتداد سلطانه وسبيه ملك مصر وبابل وما بينهما من البلاد والأمصار ونقله أكثر الأموال المسلوبة منها الى اليمن ، وقد كانت مدة حكمه ٣٥ سنة وهو الذي بنى مدينة مأرب في الجنوب الشرقي من صنعاء اليمن وبنى سد مأرب العظيم الذي كان تجتمع بواسطته مياه الأمطار والوديان ، وكانت مدينة سبا

مبلية فوق هذا السد الذي كان صنعه من الاسفلت أي القير والرمل كما كان يصنع في بابل القديمة وآثاره لا تزال باقيـة الى الآن .

بلغ طول هذا السد ما بين جبال البلقاء والبنوا وعرضـه مسافة خمسةدقائق، وكانت تجتمع فيه مياه سبعين وادياًوتتوزع منه الى الأراضي بأقنية مصنوعة وموضوعة على احسن نظام .

وقد كانت عادة سد الوديان في الشتاء لاستعمال مياهها في الصيف معروفة عنداهل اليمن القدماء ، وأشهر السدود فيها سد مأرب، وكانت مدينة مأرب الواسطة الوحيدة في تجارة الشرق والغرب والجنوب، أي آسيا واوروبا وافريقيا ،ومن هنا نشأت عظمتها في التقدم والعمران .

ولد لسبا عدة اولاد اشهرهم حمير مؤسس الدولة الحميريةوهي احدى الحكومات الثلاث الكبرى التي نشأت في اليمن ، اما الاثنتان الباقيتان فهما السبائية والمعينية .

١ – **السبائية** . كانت حكومة سبا مبدأ العرب العاربة ، ويتعذر معرفة تاريخ تأسيسها لقدمها فهي حلقة الوصل بـين العرب البائدين والعرب العاربين، اما تاريخ حضارتها فهو ممزوج بتاريخ حضارة (حمير)وقد بلغت هذه الحضارة درجة قصوى من العظمة والاتساع اثبت ذلـك المؤرخ اليوناني « هردوت » الذي كان قبل الميلاد باربعمائة سنة وبرهنت عليه الاكتشافات

الاثرية الاخيرة، حتى ان مدينة مأرب عاصمة سبا كانت احدى عجائب الدنيا في زخرفتها وعمرانها، فقد كانت سقوف بيوتها مرصعة بالذهب والاحجار الكريمة والعاج ، وكانت الزراعة فيها على الاصول الفنية التي لم يسبق اليها احد من قبل ولا وصل اليها احد اليوم ..

وقد لحق بناء السد وهن بسبب مرور الزمن وكان ما ورد في القرآن الكريم (وارسلنا عليهم سيل العرم) الخ الآية، فتوالى المطر وارتفعت المياه حتى دخلت بيوت المدينة فهدمتها وهلكت الحيوانات وتلفت المزروعات وعظم السيل حتى تجاوز السد وهدم جانباً منه فاضحت الأراضي عرضة للسيول وهو ما يسمى « سيل العرم» ويرجحون ان تاريخ حدوثه هو في سنة ٣٠٠ قبل الميلاد ، وبعد خراب سبا هاجر أهلها وانقرضوا وقد قامت على أثرهم دولة حمير .

لما بدأت الهجرة في العرب ، هاجرت قبيلة بكر بن وائل وهي من العدنانيين الى ديار بكر وهاجر بنو ربيعة الى نصيبين وبنو مضر الى سروج في جهات حلب والى ضفاف نهر الخابور ، وسنبين كيف ان منشأ معظم العلويين من هذه القبائل .

وهاجر بنو لخم من القحطانيين الى الحيرة في جهات الكوفة، وبنو الازد الى الشام وحوران ومنى، وبنو خزاعة الى مكة ، وبنو اوس الى المدينة .

ولذلك كان سكان مكة من بني عدنان وسكان المدينة من

بني قحطان ، ولما بين الطرفين من المنافسة انتصر اهل المدينة للنبي صلى الله عليه وسلم على اهل مكة .

ان بني الازد(او الاسد)الذين توطنوا حوران اطلق عليهم الغسانيين لأنهم نزلوا على ضفاف نهر غسان هناك .

وأطلق على النازلين في الحيرة اسم « المناذرة » وعلى سكان البادية « التنوخيين » . وبما ان معظم اجداد العلويين القدماء هم من بني غسان ، رأينا ان نتوسع قليلاً في الكلام عنهم :

ان بني الأزد هم أبناء أزد بن غوث بن مالك بن أدد بن زيد بن كهلان بن سبا ، وعند مجيء ازدغان الى حوران كان أميرهم جفنة بن عمران وآخر أمرائهم كان جبلة بن الأيهم .

اعتنق بنو غسان النصرانيـــة أيام الامبراطور الروماني (والانتين) ثم اهتدوا الى الاسلام في السنة الرابعـــة عشر للهجرة في زمن الخليفة الثاني عمر بن الخطاب حينما فتح قائده خالد بن الوليد سوريا فأسلموا جميعهم وعلى رأسهم أميرهم جبلة ، وبعد ذلك أراد جبلة اداء فريضة الحج فسافر مع خمسمائة من رجاله الى مكة وهناك لاقاه عمر باحتفال عظيم وكان هو لما اقترب من المدينة قد زين مايتين من رجاله وجعل لجم خيلهم من الذهب ولبس هو تاجه الذهبي وقابل عمر بهـذه الصورة ، وقد حدث له انه بينما كان يطوف بالكعبة داس أحـــد بني فزارة على طرف ردائه فاستشاط جبلة غضباً ولطم الفزاري على أنفه فأفقده بصر إحدى عينيه فذهب الفزاري وشكاأمره إلى الخليفة وانتصر له بنو فزارة كاانتصر بعض المسلمين إلى جبلة ، ولكن الخليفة عمر حكم على جبلة بأن يسترضي المضروب أو يدعه

يفعل به كما فعل هو به فقال جبـــلة : (انني ملك فكيف يساويني أحد السوقة) وتألم من هذا الحكم الشرعي ولما رأى إصرار عمر على انفاذ القصاص قال اتنصر إذاً ، فأجابه عمر إذا تنصرت اقتلك ، ففر جبلة ليلاً معرجالهالى سوريا وتوطن قصبة جبلة التي هي بقايا قصبة بيلا القديمة .

لم يتنصر جبلة فعلاً وإنما تظاهر بذلك محافظة على حياته وشرفه ، ولكن هراقليوس ملك الروم اعتقد باخلاصه فجعله قائداً لجيشه الذي كان يحارب المسلمين، وقد كان جبلة لا يحارب المسلمين إلا مناوشة وتظاهراً ، ويدل على عدم تنصره الشعر الذي قاله وهو في القسطنطينية وهو :

تنصرت الأشراف من أجل لطمة
وما كان فيها لو صبرت لها ضرر

تكنفني منها لجاج ونخوة فبعت بها العين الصحيحة بالعور
فياليت أمي لم تلدني وليتني رجعت الى الأمر الذي قاله عمر
ويا ليتني أرعى المخاض بقفرة وكنت أسيراً في ربيعة أو مضر
ويا ليت لي بالشام أدنى معيشة
أجالس قومي ذاهب السمع والبصر

وهذا هو السبب في كثرة وجود العلويين في ضواحي قصبة جبلة وقد كان رجال جبلة بن الايهم يكرهون الخليفة الثاني عمر بن الخطاب ويميـــلون الى الحزب المعارض له أي الحزب القائل بحق الخلافة الى علي المغصوبة حقوقه .

وعند استيلاء المسلمين على سوريا هاجر جبلة بن الايهم الى القسطنطينية وهاجر بعض اصحابه الى بلاد الالبان واقام جبلة في القسطنطينية ، ولما ذهب (جثامة بن مساحق الكناني) رسولاً الى ملك الروم فيها التقى بجبلة، ولما ذكر له النبي قال جبلة « صلى الله عليه وسلم » ولكنه لما علم ان عمر لا يزال حياً غاظه ذلك، وقد حاول جثامة ان يقنع جبلة بالعودة ضارباً له الأمثال المرغبة، ولكن جبلة اشترط لذلك ان يزوجه عمر ابنته وان يتولاه بعده ، ولما عاد جثامة وقص الخبر لعمر قبل عمر وارسل جثامة حاملاً خبر القبول ولكنه حينما وصل القسطنطينية وجد القوم هناك يشيعون جنازة جبلة .

* * *

وبسبب حادثة جبلة حين الطواف تولد بغض عمر عند اصحاب جبلة ثم انهم التحقوا بالحزب المعارض لعمر واصبح سكان الجبال المجاورة لجبلة من اتباع علي سياسياً .

* * *

ومما يؤثر ذكره ، هو ان جثامة لما تكلم مع جبلة بالعودة قال «عار ان نعود» وان هذه الكلمة تحرفت فصارت (ارناورط) اي اسم الالبان، على ان الالبان لم يكونوا عرباً وانما نزح بعض حاشية جبلة الى بلادهم واختلطوا بهم وربما كان الالبان المعروفون اليوم بالطوسقة وهم على مذهب العلويين هم من نسل اولئك العرب القدماء .

٢ -الدولة المعينية- هي الدولة الثانية في العظمةو الشهرة بين حكومات اليمن ، والذي يفهم من رواية التوراة ان زمن تأسيسها قديم وحضارتها مأخوذة عن حضارة بابـل وفينيقية لانها تلقت العلوم والصنائع عن بابل والخط عن فينيقية ولكنها فاقتها بمدنيتها ، ويقـال ان اعظم حضارة ظهرت في اليمـــن هي حضارة المعينيين .

وقد اتسع ملكها حتى امتد من خليج فارس وبحر الهند الى البحر الابيض والبحر الأحمر اي شمـــل جميع البلاد العربية تقريباً وكانت سائرة في حضارتها على نسق البابليين اي كانت تقصر عنايتها على اعمار البلاد وترقية الزراعة والتجارة بدون ان تلتفت الى تهيئة اسباب الدفاع ومعدات الحرب، وتعاقب على حكمها ثلاثون ملكاً منها .

٣ - الحميرية - لما بدأت حكومة سبا تتداعى الى السقوط اتحدت مع (حمير) ثم تغلبت هذه على سبا واتحدت الحكومتان فنشأت منهما الحكومة الحميرية، وقد امتد ملكها واتسع في زمان ملكها «شمر يرعش» حتى شمل العراق وفارس وخراسان وبلاد الترك والروم اي الاناضول ، وفي آخر أمرها غزاها الاحباش وامتلكوا اليمن وجعلوها مستعمرة لهم، وحينئذ نهض الملـك سيف بن ذي يزن واستنجد بملك الفرس فـــانجده فحارب الاحباش واجلاهم عن اليمن وأعاد لها استقلالها ولكنه غفـل عن الحكمة السياسية فاستخدم بعض الاحباش في بعض مهامه الخاصة فأغتنم هؤلاء فرصة غفلته يوماً وقتلوه فقضوا بذلك على آخر ملك حميري اذ لم يقم بعده ملك من حمير ولم تنشأ حكومة لها

بنو عدنان – العدنانيون هم ابناء اسماعيل بن ابراهيم الخليل وقد كان اسماعيل عبرانياً ولكنه تعلم العربية من بني جرهم أي من القحطانيين اذ كان هؤلاء يقيمون في مكة وكانوا هم أهلها وذوي الثروة والمكانة فيها، فلما نزلها بنو اسماعيل بدأ النزاع على الرياسة بين الفريقين، ولما ظهر الاسلام كان التفوق لبني عدنان.

ينقسم بنو عدنان كذلك الى قبائل وهي : قضاعة ،مضر، ربيعة ، اياد ، انمار ، وكانت هـــذه القبائل منتشرة في تهـــامة ونجد والحجاز وقـد توسعت قضاعة حتى امتدت الى سوريا والعراق وتحضر بعضها فسكن المدن وظل البعض يسكن البيداء ويرحل من مكان الى آخر، واختلفت مضر والانمـــار اختلافاً أدى الى القتال بينها ثم حملها ذلك على مهاجرة تهامة، وكذلك حاربت مضر وربيعة بني اياد فنزحت هذه عن تهامة ونزلت في جوار الكوفـــة التي كانت اذ ذاك في يد الفرس فهددت بذلك الفرس واعتدت عليهم فحاربها ملكهم كسرى انوشروان وقهرها فرحلت عنهم وانتشرت بين تكريت والجزيرة والموصل ،وانقسمت ربيعة الى قبائل وفروع بسبب الاختلافات بينها .

كانت ربيعة اول قبيـــلة عدنانية حاربت بني قحطان وحاولت الاستقلال وحدها عنهم وقد انتشرت قبيلة مضر بعد كسرتها وانقسامها الى عشائر وبطون في تهامة واليمامة وعمان وشمالي البصرة حيث يوجد المرعى الخصب .

وبسبب مراعي نجد والحجاز الخصيبة حـارب العدنانيون حكومتي العراق ومضر مدة طويلة اذ كانت هاتان الحكومتان القويتان تطمعان بابصارهما اليها وتحاولان امتلاكهـا فيضطر العدنانيون الى المدافعة عن كيانهم .

المدنيات الثلاث

كانت المدنيات القديمة ثلاث مدنيات وهي :

١ – **مدنية الصين** : وهي قديمة وقد كانت بطيئة السير وثمرة عصور عديدة لا يعلم مبدأها التاريخ وشعارها التوقف والمحافظة على العادات والتقاليد .

٢ – **مدنية الهند**: كانت الهند اول البلاد المسكونة اذ هبط فيها آدم، ومع ان مدنيتها كانت مقتصرة على الفلسفة والادبيات فانها كانت كذلك بطيئة السير جداً .

٣ – **مدنية العرب** : كانت مدنية العرب سريعة الانتشار كنور الشمس، ولما كانت تغيب عن مكان كانت تظهر في مكان آخر بشكل جديد وتحت عنوان جديد ، وهي عبارة عن مدنيات : عاد ، ثمود ، مضر ، بابل ، آثور ،مأرب،فينيقيا، النبط ، غسان ، تدمر ، الحيرة، مدنية الاسلام . ولم تكن هذه المدنيات تسير بطيئة كغيرها بل ان قابلية العرب كانت تنتقل من البداوة الى الحضارة بسرعة ثم يظهر تفوقها ونبوغها بوقت قصير ، فكان العرب يقتبسون الحضارة ولكنهم يجعلون بعد ذلك لحضارتهم طرازها الخاص وميزتها المستقلة .

كانت حضارة سبا والكلدان والآشوريين وفينيقيا وبني غسان وتدمر والحيرة، فروعاً لحضارة عاد وحضرموت، وكذلك كانت حضارة النبط والفرس تابعة لحضارة حمورابي، وهكذا كانت الحالة قبل الاسلام اما المدنية الاسلامية في الدور العباسي والأموي والاندلسي فقد كانت أثراً من ذكاء العرب المفرط وان كان بعضها مأخوذاً عن الرومان واليونان، وهذه المدنية الاسلامية هي مرجع واساس المدنيات العصرية الحاضرة، وقد كان للحضارة الاسلامية هذا الشأن لان الاسلام جمع كلمة العرب واوجد لهم عزاً وصولة فتحركت هممهم وظهرت سجاياهم، فامتازت مدنيتهم على المدنيات السابقة بكونها مدنية معنوية ومادية، خلافاً للمدنيات التي تقدمتهم وكانت عبارة عن آثار صناعية وزراعية وتجارية، وكان الاسلام أثّر على أدمغة العرب فضاعف ذكاءها فجمعت بين الحضارة الصناعية وبين الرقي الشعري والادبي.

اولئك هم اجداد العلويين ونعني بهم بني غسان والتنوخيين والفينيقيين من بني قحطان والهارزة والمضرية وبني ربيعة من بني عدنان وقليلاً من الجراكسة والاتراك.

القسم الثاني
زمن السعادة

ذكرنا في القسم الاول من هذا التاريخ ان من جملة اجداد الرسول عليه الصلاة والسلام عبد مناف ، وقد امتاز من بين ابناء عبد مناف ولدان لهما هاشم وعبد شمس، وحينما ادركت عبد مناف الوفاة اوصى بسدانة الكعبة لأبنه هاشم ، وكانت هذه السنة تستوجب الرياسة في قريش ، ولذلك حسد امية بن عبد شمس عمه هاشم على هذه الرياسة ونازعه السدانة، ومع ان هاشماً كان سليم الصدر غير ميال الى النزاع فان الاختلاف عظم بين الرجلين حتى اضطرهما الامر اخيراً الى الرضاء بالتحكيم ، ولما رأى المحكمون ان الحق بجانب هاشم حكموا على امية ان يعطي عمه هاشماً خمسين جملا ويغادر مكة مدة عشرين سنة ، ومن هنا نشأت العداوة بين بني هاشم والامويين .

وفي سنة (٥٧٢) للميلاد اشرقت شمس النبوة وولد النبي صلى الله عليه وسلم ، وحين ولادته كانت قريش اشرف القبائل لامتلاكها سدانة الكعبة ،وكان بنو هاشم اشرف قريش،ولذلك كان صلى الله عليه وسلم من اشرف العرب نسباً ومقاماً لانه ابن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم وامه آمنة ابنة وهب .

واننا لانطيل في تعداد مناقبه صلى الله عليه وسلم والاطناب في سجاياه فقد افاضت الكتب والسير الاسلامية في هذا الشأن بما يغنينا عن هذه الاطالة واذا كان غرضنا هنا سرد تاريخ العلويين فنكتفي بذكر ملخص نشأته الشريفة ونبين كيف نشأت عداوة الامويين للعلويين بسبب بعض الوقائع الاسلامية.

ربي صلى الله عليه وسلم في حجر ابويه ثم في حجر جده عبد المطلب ولما توفي عبد المطلب كفله عمه ابو طالب، ولما سافر الى الشام متاجراً اخذه بصحبته وهو اذ ذاك ابن اثني عشر سنة ، ولما بلغ مدينة بصرى في حوران ولقي هناك الراهب (بحيرا) الذي كان يتنسك في دير هناك وهو على الدين المسيحي الذي انقرضت بعض اصوله الآن ادرك الراهب عظمة الغلام بما قرأه في ملامحه فأشار على عمه ابي طالب ان لا يدخل به الشام حرصاً على فطرته الطاهرة، فعمل ابو طالب بهذا الرأي وأبقى محمداً بقرب الشام في المحل المسمى الان بالقدم الشريف بقرب حي الميدان .

ولما بلغ صلى الله عليه وسلم العشرين وكان قد نال مكانة كبرى من الثقة عند قومه اختارته خديجة الكبرى شريكاً في تجارتها ثم رفيقاً لحياتها ، وقد كانت اول المؤمنات من النساء واعظم الناس تشجيعاً له وغيرة عليه وهي احب زوجاته اليه والواسطة الوحيدة لاتصال نسبه الطاهر وتسلسله اي انها كانت اماً لفاطمة الزهراء ، وقد بلغ من محبته لها انه كان يوماً يذكرها ويكرر ذكرها فقالت له عائشة (قد رزقك الله خيراً منها)، فأجابها

الصادق الامين (لا والله ما رزقني خيراً منها) ، وقد كانت وفاتها قبل الهجرة بثلاث سنين .

لما كان صلى الله عليه وسلم في الخامسة والثلاثين حدثت مسألة تحكيمه في وضع الحجر الاسود في محلها المعروف بالكعبة فتضاعفت بذلك الثقة به عند جميع القبائل وعلت مكانته عند الجميع .

ولما بلغ الاربعين جاهر برسالته الشريفة ، فكان اول من صدقه ولبى دعوته خديجة الكبرى من النساء وابن عمه علي بن أبي طالب من الصبيان وهو اذ ذاك ابن احدى عشر سنة ، وكان هؤلاء اول من صلى وراءه .

قابلت قريش دعوة الرسول الى التوحيد بالاستخفاف والازدراء مدة طويلة ، وكان صناديدها يقولون عن الآيات البليغات من القرآن الكريم انها من السحر ، وتارة يصفونه بأنه من الشعر .

ولما اعجزتهم بلاغة القرآن اضطربوا وعدوا ظهور الاسلام فتنة للعرب ، واول من جاهر بعداوة الرسول ومقاومة دعوته اعداؤه في النسب بنو أمية وعلى رأسهم ابو سفيان وابو جهل ، وقد جلبت اليهم ثروتهم ومكانتهم حزباً قوياً من قريش .

وأخذ الرسول يدعو قومه وكبراء قريش الى الاسلام بأساليب شتى وكان من ذلك ان عمه أبا طالب ، دعا زعماء القوم الى وليمة واراد ان يخطب النبي صلى الله عليه وسلم في هذه الوليمة فعارضه عمه ابو لهب صديق الامويين ، فاختار النبي

السكوت ثم دعاهم ثانية وعند الانتهاء من الطعام خطب فيهم النبي فقال (لقد جئتكم .....)

فسكت كبراء قريش وكانوا يسخرون في انفسهم من هذه الدعوى ، ولكن عليا ابن ابي طالب لم يرض بالسكوت وقال (انا اوازرك .... .) وحينئذ قال النبي الكريم (ان هذا اخي ووصيي وخليفتي فيكم فاسمعوا له وأطيعوه) ، فضحك كبراء قريش وقال بعضهم لأبي طالب « عليك إذن أن تطيع أوامر ابنك » ثم انصرفوا الى شؤونهم .

ومنذ ذلك اليوم سار علي مع النبي في اقتحام مشاكل هذه الدعوة العظيمة التي كانت تزداد المراقيل في سبيلها يوماً بعد يوم.

ولما شعر كبراء قريش بالخطر الذي يتهددهم من دعوة الرسول قرروا اكراهه على تركها بالقوة ولكنهم كانوا يخشون بني هاشم وهم عصبة الرسول ؛ ولذلك لم يجرأوا ان يمدوا يدهم اليه بسوء ، وكان أكبر نصير له عمه ابو طالب اي والد علي، ثم أنهم رأوا ان يكلموا ابا طالب بشأنه فقالوا « اما ان تمنع ابن أخيك عن الطعن في اصنامنا او تدعنا وشأننا معه » فكلمه عمه أبو طالب بهذا الشأن فأجابه النبي بتلك الكلمة التاريخية العظيمة وهي : « والله يا عم لو وضعوا الشمس في يميني والقمر في شمالي على ان اترك هذا الامر مـا تركته او أموت » ثم بكى فقال له ابو طالب حينئذ والنخوة تتجلى عليه « اذهب وتكلم ما تشاء فلا يستطيع احد ان ينالك بسوء وانا في قيد الحياة »

ولما أعيا قريش الأمر ، خصوصاً الأمويين منهم اتفق كبراؤهم

على مقاطعة بني هاشم ما عدا ابي لهب الذي كان من شيمتهم ، وبذلك أصبح بنو هاشم عرضة لعدوان قريش وكان في هذا الأمر بعض النجاح لبني أمية اذ أضطر بنو هاشم ما عدا ابي لهب الى الابتعاد عن مكة ، فسرّ الأمويون بهذه النتيجة لاعتقادهم أنها تؤدي الى امتلاكهم زمام الرياسة في قريش ، ومع ذلك فلم يستطع احد ان يمد يدأ الى النبي بسوء بل كانوا يحقرونه بالألفاظ والشتائم وهكذا كانوا يفعلون مع باقي المؤمنين ، فلحق المسلمين من ذاك جهد عظيم وكان أشدهم عرضة للتعذيب ابوذر الغفاري وعمار بن ياسر وبلال الحبشي . ولا نطيل الكلام بهذا الشأن بل نحيل القارىء الى الكتب المطولة الباحثة فيه ، ونستمر في تاريخنا فنقول انه لما ازداد اعتداء قريش على المسلمين حتى غدا لا يطاق ، امر النبي الضعفاء من المسلمين بالهجرة الى الحبشة فهاجر بعضهم الى بلاد الحبشة ، وكان الاحباش اذ ذاك على الدين المسيحي اي من اهل الكتاب فتلقوا المهاجرين بالاكرام ورغبوا في نفورهم من الوثنيين .

أصيب النبي في تلك الآونة بمصيبتين عظيمتين احداهما وفاة ابي طالب الذي كان أقوى ظهير له والثانية وفاة السيدة خديجة وقد كانت خير منشطة له على دعوته واحسن واقية له من اعتداء قريش ، ولما توفي ابو طالب وتوفيت خديجة كان النبي قد بلغ التاسعة والاربعين من العمر ، وان في وفاة ابي طالب على الاسلام وعدمه اقوالاً مختلفة والاصح منها انه توفي على الاسلام ، لان النبي طلب منه الاقرار برسالته حين الوفاة فأقرّ له بها كما

انــه كان في حياته موحداً حنيفـــاً على دين ابراهيم الخليل وهكذا كان اجداده من قبله وكان ايضاً النبي صلى الله عليه وسلم قبل الرسالة .

ولما بلغ النبي الخمسين تحدثت معجزة الاسراء الى المسجد الاقصى والمعراج ، وفي هذه السنة كان اعتداء قريش خصوصاً الامويين منهم قد تعاظم عليه ، ولما كان اهل المدينة من بني قحطان كما اسلفنا وعداوتهم لبني عدنان سكان مكة معلومـة التمسوا من النبي ان يشرفهم بحضوره اليهم فارسل اولاً المسلمين وبقي هو منتظراً امر ربه بهذا الشأن حتى اذن له بالهجرة الى المدينة وكان ذلك سنة (٦٢٢) للميلاد، واتخذت هجرته مبدأ التاريخ الاسلامي المعروف اليوم بالتاريخ الهجري، وبهجرته الى المدينة اعتبر الامويون انفسهم فائزين على بني هاشم واصبحت الرياسة في مكــة لزعيمهم ابي سفيان ، ومنذ الهجرة تغـيرت الصفة الاسمية لبني امية وبني هاشم اذ اصبح الاولون يدعون بالسفيانيين واصبح بنو هاشم يدعون المحمديين .

ادرك الامويون انه اذا هاجر الرسول فلا بد ان تلاقي دعوته رواجاً في الاماكن الخارجة عن دائرة نفوذهم ودسائسهم فعمدوا الى التشبث بمنع هذه الهجرة ، ولذلك هاجر النبي ليلاً ومعه صاحبه ابو بكر الصديق وبات في فراش النبي تلك الليلة حضرة علي الكرار ليوهم الامويين ان الرسول لم يغادر مكانه.

وان لهذا العمل شأناً كبيراً عندالعلويين، ولذلك همبقدسون مثل تلك الليلة في كل عام ويحتفلون بها وهم يروون ما ورد في

هذا الشأن من ان الملكين جبرائيل وميكائيل جاءا الى علي وقالا له (قد باهى الله بك ملائكته يا علي !)اي بما فعله من فدائه النبي بنفسه ، وهو قول مأثور ومصدق لدى اهل السنة ايضاً .

اما مرافقة ابي بكر للرسول في تلك الليلة ففيهـــا اقوال مختلفة ومناقضة لبعضها ، فالسنيون يعظمون امرها ويثنون على ابي بكر لاجلها ، والعلويين يصفونها بالخيانة للرسول ويقولون ان لسع الحية لأبي بكر في الغار كان مجازاة له على ضربـه برجله للقرشيين .

ومهما يكن من شأن هذه الحادثة وامر موافقة ابي بكر للرسول فانها مما يجب ان تذكر وان لا يهـتم به ازاء وجوب الاتحاد الاسلامي في الآونة الحاضرة وازالة الاختلاف بـــين الطوائف الاسلامية .

بعد ان وصل النبي الى الأماكن التي أمن فيها أذى قريش التحق به علي ، ولهذا الالتحاق شأن كبير ايضاً لدى العلويين.

التقى علي الكرار بالنبي في « قبا » يوم الاثنين وبنى هناك المسجد المؤسس من التقوى ، والعلويون لا يجدون ايمان من آمن بعد ذلك من قريش كاملاً . لانه من قبيل ايمان اليأس حتى ولو كان فيهم امثال العباس عم الرسول !!!..

فانهم يعتبرون العباس نفسه غير كامل الايمان لانه اسلم بعد التحاق علي بالرسول ويسردون على ذلك دليلاً الآيات الآتية :

« ان الذين آمنوا وهاجروا وجـــاهدوا باموالهم وانفسهم في

سبيل الله والذين آووا ونصروا اولئك بعضهم اوليـاء بعض والذين آمنوا ولم يهاجروا ما لكم من ولايتهم من شيء »

« والذين كفروا بعضهم اولياء بعض الا تفعلوه تكن فتنة في الارض وفساد كبير » « والذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا في سبيل الله والذين آووا ونصروا اولئك هم المؤمنون حقاًلهم مغفرة ورزق كريم » فكلمة « حقاً » معناها كال الايمان .

والعباس والباقون من قريش خصوصاً الامويون فـانهم لم يهاجروا ولم يؤمنوا حقاً الا بعد حين، والعباس ايضاً لم يؤمن الا بعد أن اسره المسلمون وهو الذي انقذ ابا سفيان من الامر والوقوع في ايدي المسلمين وظل صديقا له حتى الموت .

وفي هذا الاعتقاد خلاف جوهري بين العلويين والسنيين لان العلويين لا يعتبرون الذين آمنوا بعد التحاق على كاملي الايمان ، امـــا اهل السنة فيعتبرون جميع المسلمين متساوين واسباب تفاوت الاعتبار الآيات المذكورات .

نشأ الاسلام في المدينة بصورة مرضية لان الانصار اي أهل المدينة كانوا من بني قحطان وعداوة هؤلاء لبني عدنان معلومة ولذلك كانوا خير ظهير للرسول، ولم تكن الهجرة مانعة لامتداد العداوة بين الرسول وابي سفيان بل ظل الفريقان يغزوان بعضهما كلما سنحت لهما الفرص، وكانت اول غزوة لهما « غزوة بدر الاولى » التي كسر فيها ابو سفيان واصحابه شر كسرة . وعـادوا الى ديارهم مكتفين بأموالهم التي تمكنوا من المحافظة عليها من المسلمين ، وبعد عودتهم رصدوا هذه الاموال للاستعانة

بها على حرب المحمديين وكانت تبلغ خمسين الف دينارمع ربحها.

فجهزوا مائتي فارس والفي رجل وستمائة مدرع وخرجوا بها لمحاربة المسلمين ، فنشبت الحرب بين الفريقين وكان المسلمون المنتصرين في بادىء الامر ولكنهم حينما خالفوا اوامر الرسول انكسروا وغلبهم حزب ابي سفيان وقتل في هذه المعركة ابو جابر احد كبار اجداد العلويين فطلبت روحه من ربها اعادتها الى الجسم للتمكن من الحرب ثانية ، فابلغت استحالة ذلك لمخالفته لسنة الله في خلقه ، وحينئذ أنزلت الآية الشريفة :

« ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله امواتاً بل احياء عند ربهم يرزقون »

وقد سر العلويين بنزول هذه الآية ولذلك هم يزورون القبور بكثرة ويعتقدون ان للاموات حياة باقية وان الارواح تظل حية ترزق !!..

كان ابو سفيان يسمي ذلك اليوم « يوم الموعد » وكانت زوجته هند أم معاوية في المعركة وهي التي رمت النبي بحجر فكسرت سنه وشقت صدر عمه الشريف الشهيد حمزة ابن عبد المطلب وانتزعت قلبه ووضعته في فمها ومضغته ، ولذلك ينقم اتراك الاناضول على هذه المرأة عملها ويدعونها « هند جكر خوار (ومعناها) هند آكلة القلب » ، وقد كانت هند هذه احدى النساء الاربعة اللاتي ابيح دمهن عند فتح مكة ولكنها التحقت بمن عفي عنهم وانقذت بذلك حياتها .

كان عدد المسلمين يزداد يوماً بعد يوم وسلطتهم تزداد

انتشاراً وبعد عدة غزوت أسر المسلمون العباس ،وحينئذٍ اعتنق الاسلام ، ولما اصبح انكسار قريش واقعاً حمل العباس أبا سفيان على اقتفاء أثره في اعتناق الاسلام .

فتحت مكة في السنة السابعة للهجرة واستحالت عداوة بني أمية لبني عدنان إلى عداوة علي وحزبه لأن علياً كان الركن الأقوى للمسلمين ،خصوصاً بعد قتل الشهيدين حمزة وجعفر الطيار ، إذا أصبح علي العامل الوحيد لسحق مقاومة بني أمية وقريش ، وقد كان ينجح نجاحاً باهراً تساعده عليه قوته الخارقة وشجاعته العظيمة .

يقول العلويون أن الاسلام لم تقوَ شوكته إلا بعزم وشجاعة علي بن أبي طالب . ولما كان يوجد إذ ذاك في المسلمين منافقون يُظهرون غير ما يضمرون ، بل كان فيهم من ظل يعبد الأصنام سراً ويتظاهر بالاسلام خشية من سطوة علي ، فإن هؤلاء كانوا يكرهون علياً ويبغضونه ومن جملتهم أبو سفيان وابنه معاوية الذين أسلموا قبل فتح مكة بقليل ، وكان النبي يسميهم « المؤلفة قلوبهم » ولذلك كان يعمل على استمالتهم إلى الاسلام .

ولم يكن بغض علي مقتصراً على الأمويين بل كان كل معادٍ للاسلام عدواً لعلي ، لأنه قتل وحده من المشركين في وقعة بدر واحداً وعشرين رجلاً ، وكان عدد قتلى المشركين في هذه الوقعة سبعين ، وفي السنة الثامنة للهجرة كانت انتصارات المسلمين من وراء حسام علي .

ولهذه الأسباب أيضاً كان بعض الذين يدخلون في الاسلام يكرهونه لأنه ربما يكون قاتل أحد آبائهم أو أقربائهم أو كبرائهم ، وفي الحقيقة ان الاسلام لم يشتد ساعده إلا بقوة ساعدي أسد الله صاحب ذي الفقار ووصي ووزير وخليفة سيد الكونين علي بن ابي طالب .

ان العلويين لا يصدقون إلى اليوم اسلام أبي سفيان وابنه معاوية وزوجته هند ، ولما كنا لا نريد إلا بيان أسباب تكوّن العلويين فنكتفي بهذا المقدار ونحيل محبي الاطلاع على الوقائع الاسلامية مفصلاً ان يرجعوا الى كتب التاريخ الاسلامية .

في السنة العاشرة للهجرة كانت (حجة الوداع) المشهورة عند أهل السنة والتي هي أكثر شهرة عند العلويين لأنها كانت مبدأ تشكل حزب علي ، وقد كان في هذا الحج مائة وعشرين الفاً من المسلمين وفي عامها توفي ابراهيم بن النبي ﷺ .

بيعة غدير خم

كانت حجة الوداع ختاماً لدعوة النبي وعندما رجع عليه السلام من مكة للمدينة في حجة الوداع وبلـغ مكاناً يقال له « خم » حيث يوجد غدير ماء يطلق عليه « غدير خم » بايـع علياً امتثالاً لأمر ربه بذلك .

ولم تكن مبايعته هذه لعلي هي الأولى بل كانت الرابعة ، اذ بايعه ثلاثاً غيرها في الخفاء ، وقبل بيعة غدير خم نزلت الآية الشريفة :

« يا أيها الرسول بلغ ما أنزل اليك من ربك وان لم تفعل فما بلغت رسالته والله يعصمك من الناس » .

وقد قال ﷺ « ان هذه الآية لاتمام البيعة إلى علي »

ولما نزلت هذه الآية شرع بلال يكبر جهاراً ، فعلم المسلمون ان هناك أمراً يبلغ اليهم .فاجتمعوا الى النبي ﷺ ، ولما اجتمعوا امر بوضع اقتاب الجمال فوق بعضها ثم صعد اليهـا آخذاً بيد علي وقال مخاطباً المسلمين :

(ألست أولى بكم من انفسكم) فقالوا بلي !

ثم كرر قوله : (ألست اولى بالمؤمنين من انفسهم) فأجابوه

ثانية بلى ! وهو يقصد بذلك تذكيرهم بالآية الشريفة من سورة الأحزاب وهي :

(النبي اولى بالمؤمنين من أنفسهم) وبعد أن أجابوه كذلك قال :

« من كنت انا مولاه فعلي مولاه، اللهم وال من والاه وعاد من عاداه وانصر من نصره وأخذل من خذله وادر الحق معه كيفما دار » .

وكرر كلامه هذا ثلاثاً وأمر اصحابه بمبايعة علي فبادروا اليه وبايعوه وكان المبايعون لعلي في هذا الموقف من الصحابة باخلاصهم ورضاهم اصل العلويين ، ومن هنا بدأت « العلوية » .

ينظر العلويون الى بيعة غدير خم كاعظم حادثة تاريخية . ويومها لديهم اعظم الأيام . وبعد ان تمت هذه البيعة نادى النبي اصحابه وتلا عليهم هذه الآيه :

(اليوم اكملت لكم دينكم واتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الاسلام دينـــاً) والآية بسورة المائدة ، ثم تلا عليهم الحديث الآتي :

« الحمد لله على كمال الدين وتمــام النعمة ورضى الله برسالتي وبولاية علي بعدي » .

ثم بارك الحاضرون علياً وهنأوه وكان بينهم حسـان بن ثابت فاستأذن النبي بالإنشاد فأذن له بقوله : « قل يا حسان على اسم الله وبركاته » فأنشد حسان ابياته المشهوره وهي :

وناداهم يوم الغدير نبيهم بخم واسمع بالرسول مناديا
وقد خص من دون البرية كلها علياً وسماه هناك مواخيا
وقال فمن مولاكم ووليكم فقالوا ولم يبدوا هناك تعاديا
إلهك مولانا وأنت ولينا وما لك منا في المقالة عاصيا
فقال له قم يا علي فانني رضيتك من بعدي إماماً وهاديا
هناك تلا اللهم وال وليه وكن للذي عادى علياً معاديا

فأجابه الرسول :

« لا تزال مؤيداً بروح القدس ما نصرتنا بلسانك باحسان، ولا تزال مؤيداً ما نافحت وخاصمت عنا وأثبت فضائلنا لدى المنكر والمكابر »..

• • •

كانت بيعة غدير خم في السنة العاشرة للهجرة وفي الثامن عشر من ذي الحجة وهذا اليوم هو أعظم يوم لدى العلويين .

أنزلت قبل هذه البيعة الآية الآتية من سورة البقرة: (ومن يكتمها فإنه آثم قلبه والله بما تعملون عليم وهو خير الشاهدين).

وكان النبي اشار الى ان المقصود من ذلك هو بيعة غدير خم ، ثم انزلت الآية مشيرة الى النعمة الحاصلة في بيعة غدير خم ، وهي : (يعرفون نعمة الله ثم ينكرونها) وبعد نزولها سئل النبي عن معناها فقال :

« يعرفونها يوم الغدير وينكرونها يوم السقيفة » .

• • •

ان بيعة غدير خم أثبتت لعلي مكانة مقدسة وعلوية هي فوق مكانة أي واحد من المسلمين .

ولما تمت هذه البيعة أتى الى النبي الحرث بن نعمان الفهري وقال له :

« يا محمد أمرتنا بالايمان فقلنا: نشهد أن لا إله إلا الله ونشهد أن محمداً رسول الله ، وأمرتنا بالصوم فصمنا وفرضت علينا الزكاة فأديناها، ثم أمرتنا بالصلوات الخمس فأطعناك وأمرتنا بالحج فأجبناك واليوم تجعل ابن عمك علياً وصياً ووليناً علينا، هذا منك أم من الله ؟ »

فلما سمع النبي منه ذلك احمرت عيناه وقال (وهو الذي لا ينطق عن الهوى، إن هو إلا وحي يوحى) .

والله الذي لا إله إلا هو انه من الله وليس مني .

فنهض الحرث ومشى وجعل يقول وهو ماش « اللهم ان كان هذا هو الحق من عندك فامطر علينا حجارة من السماء أو آتنا بعذاب أليم)

فسقطت عليه للفور حجرة من فوقه فسقط ميتاً، وعلى أثر ذلك نزلت الآية بسورة المعارج :

(سأل سائل بعذاب واقع) .

• • •

لما علت كلمة الاسلام وكان قد دخل السواد الأعظم من العرب في الاسلام ، ذهب أثر الاختلاف من بين المحمديين والسفيانيين وهو الذي كان موروثاً عن الهاشميين والامويين .

ولم يظهر في حياة النبي بعدذلك شيء من هذا الاختلاف ولكن الامويين ظلوا محافظين علىدعواهم الباطلة في الخفاء ، وكانت لا تزال اثار العقائد الاولية كامنة في ادمغة المخالفين .

والذي يقوله العلويون هو انه بعد ظهور بيعة غدير خم اتفق الامويون المعروفون بعداوتهم لعلي مع اكابر قريش وحرروا بينهم ميثاقاً تعهدوا به على العمل لابطال حكم بيعة غدير خم ، وانهم اودعوا هذا الميثاق عند عروة بن مسعود وهذا اودعه عند ابي عبيدة ابن الجراح، ولذلك دعي ابو عبيدة امين الامة، ويقول العلويون انه بسبب هذا الايداع كان ابو بكر يداري ابا عبيدة طول حياته .

* * *

قلنا ان النبي بايع علياً علانية في غدير خدير خم ، والمقصود من كلمة العلانية ان هناك بيعات ثلاثـاً خفية كما اسلفنا وهذه الثلاث هي :

(١) بيعة الدار (٢) بيعة الخيزرانة (٣) بيعة ام سلمى .

وقد كانت جميعها في بيت ام سلمى وكلها يعرفونها بالاسماء لزيادة التعريف .

واننا نرى ان نزيد هذه المسألة اي مسألة البيعات السرية الثلاث تفصيلا وايضاحاً فنقول :

ان العلويين يقولون ان الاسلامية لم تقرر على شكلها المعروف دفعة واحدة وانما كانت ترتب تدريجاً ، فان النبي ابتدأ ببيان دعوته تحت طي الكتمان ولم يبح بها في اول الامر الا الى أهل

بيته أي الى خديجة ثم تدرج الى بعض الافراد ، ولم تعلن كلمة الشهادة الا بعد ان بلغ عدد المسلمين اربعين واقتصر في اول الامر على اعلان الشهادة ثم بعض الاحكام من القرآن وبقيت البقية مخفية فلم تعلن الا تدريجاً وبانتظام تام .

ولم يرَ الرسول ان يكلف المسلمين القيام بالواجبات الاسلامية على السواء لانه كانت هناك فروق اساسية بين العرب من جهة الاخلاق والآداب . فانه لم يدع المؤلفة قلوبهم والفساق الى القيام بوظائف المؤمنين الصادقين، ولم ينه عن الخمر الا تدريجاً . وكذلك الفرائض والواجبات الدينية ولذلك لم تكمل الاحكام الاسلامية الا بعد مضي ثلاثة وعشرين عاماً على الدعوة . وفي هذا العام انزل الله عليه قوله: (اليوم أكملت لكم دينكم) وكمال الدين هو ولاية علي ، وهذه هي الحكمة المقصودة من نزول القرآن بالتدريج .

ويقول العلويون أيضاً أنه لما أعلن كمال الاسلام كان لا يزال بعض العقائد مكتوماً وخفياً . ولذلك بقي إلى هذا اليوم مكتوماً لخصوصيته . وبتعبير أصح ان بقاء عقيدة العلويين مكتومة هو من كمال الاسلام واعلانها مضرٌ به ، لأن الرسول ﷺ بشر المؤمنين بولاية علي وبذلك كمل الاسلام ولكنه بقي حريصاً على كتمان البقية ، ولذلك كان كتمان البقية من كمال الاسلام أيضاً !! . .

وهذا هو تعليل تكتم العلويين في عقيدتهم ، وهم يقولون أيضاً أن بني هاشم كانوا يعرفون في زمن النبي احكاماً ما كان

يعرفها الأمويون، وان أهل البيت تعلموا علوماً لم يسمعها غيرهم وهنا مبدأ أسرار العلويين .

ومن جملة أسباب تكتم العلويين ، ان بيعةغدير خم لم تكن إلا افشاء لبعض حقوق أهل البيت والأمر باتباعهاواحترامها . وقد بقي بعض هذه الحقوق مكتوماً الى ان دعي الرسول إلى ملاقاة ربه أي قبل أن تحضره الوفاة بقليل وكان إذ ذاك يريد أن يكشف الغطاء عن أسرار أخرى . فقال لمن حوله (ائتوني بدواة وقرطاس فاكتب لكم كتاباً لن تضلوا بعده ابداً) !!...

ففهم المخالفون القصد وعرفوا بان ذلك سيكون اتماماً لبيعة غدير خم . فلذلك أحبوا ملافاة الأمر وجعل بعضهم يقول : ان القرآن أي كلام الله يكفينا .

والبعض الآخر كان يقول : ان النبي يهذي من شدة الحمى. وحدثت إذ ذاك ضجة كان المراد منها الحيلولة دون كتابة النبي لوصيته ، ولما علت الضجة اخرج الموجودين من عنده . فيقول العلويون : ان المخالفين ادركوا المقصد من هذه الوصية وحالوا دون اتمامها . وانه لو لم يكن الامر كذلك لما كانوا يمتنعون عن استماع وصية من يعتقدون انه :

(لا ينطق عن الهوى ان هو إلا وحي يوحى) ومع علمهم بقوله : « انما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق » فكيف يصح لهم ان يمتنعوا عن استماع وصيته ويزعجوه باصواتهم وضجيجهم . وهم يعلمون ان الآية الشريفة : (ما كان لكم أن تؤذوا رسول الله). فلو لم يكونوا عارفين المقصد من الوصية لما كانوا

يمتنعون عن استماعها في أحرج الأوقات ، اي عند وداع الرسول لأمته الوداع الأخير ؟!

ان بني امية لم يستطيعوا التغلب على بني هاشم قبل البعثة ولما كمل الاسلام كان النبي وهو سيد بني هاشم أصبح قدوة لأمة عظيمة ؛ فكيف جاز للأمويين أو مشايعيهم ان يحولوا دون تلك الوصية التي وصفها الرسول بقوله (لن تضلوا من بعدها ابداً) ؟!!!

والنتيجة التي يستخرجها العلويون من ذلك هي :

ان النبي ﷺ القى وصيته على أهــــل بيته وكل واحد من هؤلاء القاها على من يليه من آلالـــه المعصومين اذ كان الأئمة المرجع الوحيد لخواص المسلمين . وبعد الأئمة الاثني عشر اودعت دساتير هـــذه الوصية للخواص من أصحاب المذاهب العلوية والمنسوبون الى المذاهب العلوية هم خواص المسلمين .

وبما ان البحث التاريخي لا يحتمل أكثر من هذا التفصيل فندع الافاضة في هذ الشأن الى من يكتبون « التاريخ الديني للعلويين » ونكتفي بهذا المقدار لأن مرادنا من هذا التاريخ هو بيان أسباب الافتراق وصورة جريان الوقائع وحصرها ونحن نتمنى ان تتفاهم الطوائف الاسلامية ناظرة الى حاجة الاسلام العظيمة لهذا التفاهم ، وان يسير الجميع في سبيل الأخوة الدينية التي تقتضي الوفاق والاتحاد .

وقد مضى على العلويين الف وثلاثمائة سنة وهم ملازمون

الصمت والتكتم . واخوانهم السنيون يتهمونهم . وهذه الحالة ظاهر ضررها، وطالما جلبت للفريقين عظيم المصائب والويلات. ورغماً عن مرور هذه المدة الطويلة على الاختلاف فانه لا يزال عاملاً مؤثراً في التباعد والافتراق .

قرب الله زمن الاتفاق وسهل للفريقين سبيل السير اليه .

• • •

قلنا ان بيعة غدير خم كانت مبدأ عقيدة العلويين، ونريد ان نتدرج في اكمال الموضوع فنبحث في نسب « علي » على وجه الاختصار :

ان ابا طالب والد علي الذي يقول الأمويون عنه انهُ توفي على غير الاسلام . هو الذي آوى النبي اليتيم في بيته ورباه في حجره وحماه في دعوته وأيده في دينه، ولذلك كان احترام العلويين له عظيماً وهم يعتقدون انه آمن قبل وفاته امتثالاً لأمر النبي له ، وانهُ كان قبل ذلك مؤمناً لكنهُ كان يخفي ايمانهُ ليتمكن من المحافظة على النبي ، وانهُ كان قبل اسلامه حنيفاً على ملة إبراهيم كما كان أجداده من قبله ولم يكن مشركاً قط .

وام علي هي فاطمة بنت الأسد. تشرفت بالاسلام وهاجرت إلى المدينة مع النبي . ولما كانت حاملة بعليّ لم تكن تتمكن من السجود للاصنام لانها عندما كانت تهم بذلك كان الجنين الكريم في بطنها يتمطى ويمنعهـا عن السجود . وهذا السر المقصود من ذكر كلمة (كرم الله وجهه زيادة على كلمة رضي

الله عنه) عند ما يرد ذكره وهي كلمة يقولها جميع المسلمين ، والسبب كما ذكرنا لمنعه أمه عن السجود لغير الله .

ولما توفيت فاطمة أم علي ، كفنها النبي بقميصه اذ كان يحبها ويحترمها احترامه لأمه . وعندما كان يحفر قبرها في البقيع نزل بنفسه اليه وساعد في إتمام حفره واخرج منه التراب بيده الشريفة ونام في القبر قبلها ومددها بيديه ودعا لها بهذه الكلمات : (اللهم اغفر لأمي فاطمة بنت الأسد ولقنها حجتها ووسع عليها مدخلها بحق نبيك محمد والأنبياء الذين من قبلي فانك ارحم الراحمين) .

ولما شاهد الحاضرون ذلك سألوه عن الامر قائلين اننا رأينا منك لفاطمة ما لم نرَه من قبل لغيرها ، فقال ﷺ (كفنتها بقميصي حتى تلبس لباس الجنة من الآن . ونمت في قبرها حتى تتخلص من عذاب القبر ، لأن فاطمة بنت الاسد كانت أحسن الناس اليّ بعد أبي طالب) .

وقد حدث في حياة أبي طالب أن أصيبت مكة في احدى السنين بقحط وغلاء وكان أبو طالب كثير العائلة ، فأحب النبي ان يخفف عنه فأخذ علياً الى بيته كما ان العباس أخذ جعفر الطيار إلى عنده . وهكذا لم يفترق علي عن النبي فقد كان معه في بيت أبيه ثم لما خرج منه النبي أخذ علياً معه ، فعليّ من ولادته الى النهاية ملازم له فقد كان حضيناً له ثم ربيباً ثم وزيراً ووصياً وإذ لم يكن للنبي ولد ذكر ليعلمه ويربيه استعاض عن ذلك بتعليم وتربية علي .

علي بن ابي طالب

يذكر المؤرخون ان علياً بن أبي طالب كان اصلع ، اجلح انزع ، بطيناً ، غليظ الأدمة ، حاد العينين ، وجهه مدور كالقمر ، كثير شعر الجسد ، ذا لحية طويلة وعريضة ، أبيض الشعر ، نوراني المنظر ، عظيم الهامة ، عريض المنكبين ، اوسط القامة .

كان علي اول المسلمين ايماناً وأجودهم عطاء وأكثرهم تقوى ، وأشد الناس قوة وشجاعة حتى انه لم يغلبه أحد ولم يتمكن أحد من مصارعته ثم لا يكون مغلوباً .

ولم يضع علي في حياته حجراً على حجر ولا لبنة فوق لبنة ولا خشبة فوق خشبة للبناء ، ولم يكن يملك في حياته شيئاً يذكر وكان يقول : « الفقر فخري » .

ولما تزوج علي بفاطمة لم يكن عنده من مقتنيات البيت سوى جلد غنم . كان ينام عليه مع سيدة النساء . وقد اشتهر عند جميع المسلمين ان علياً مطلق الدنيا ثلاثاً ، ولذلك يتمسك العلويون بمبدأ الزهد في الدنيا .

ومع ان مزايا علي واوصافه التي لا ينكرها احد ، كافية

لترجيحه على كافة أصحاب رسول الله . فاننا لا نرى بأساً من إيراد بعض الأحاديث النبوية التي تؤيد ذلك :

١ – حديث الثقلين . قال الرسول لأصحابه « اني اوشك أن أدعى فأجيب واني تارك فيكم الثقلين ، كتاب الله ربنا وعترتي أهل بيتي فانظروا كيف تحفظوني فيهما ! » .

وأجاب النبي أحد الصحابة المهاجرين على سؤاله فقال : « الأكبر منهما كتاب الله سبب طرفهُ بيدالله وطرفهُ بأيديكم، والأصغر عترتي فتمسكوا بها » الحديث

٢ – « علي مني وأنا منهُ وهو وليّ كل مؤمن » . الحديث

٣ – « يا علي ! أنت أخي وأنا أخوك . فان ناكرك أحد فقل أنا عبد الله اخو رسول الله لا يدعيها بعدك الا كذاب » . الحديث .

٤ – لما جلس علي بين عائشة والرسول قالت عائشة لعلي « ما كان لك مجلس غير فخذي » فأيقظها الرسول بضربة على رجلها قائلاً « صه ! لا تؤذيني في أخي ! فانه أمير المؤمنين وسيد المسلمين يوم القيامة يقعد على الصراط فيدخل أولياءه الجنة وأعداءه النار » الحديث .

٥ – « كفي وكف علي في العدل سواء ». الحديث

٦ – حق علي بن أبي طالب على هذه الأمة كحق الوالد على ولده !». الحديث .

٧ — « لكــل نبي صاحب سر ، وصــاحب سري علي ! » . الحديث .

٨ — « أعلم أمتي علي بن أبي طالب » . الحديث .

٩ — « علي بن أبي طالب باب الدين ، من دخله كان مؤمناً ومن خرج منه كان كافراً » . الحديث .

١٠ — « لو لم يخلق علي ما كان لفاطمة كفؤ » . الحديث .

١١ — « القرآن مع علي وعلي مع القرآن لا يفترقان » . الحديث .

١٢ — « من سب علياً فقد سبني ومن سبـني فقد سب الله » . الحديث .

١٣ — « من آذى علياً فقد آذاني » الحديث .

١٤ — « علي مني بمنزلة رأسي من بدني » . الحديث .

١٥ — « علي مني بمنزلة هرون من موسى » . الحديث .

١٦ — « يا علي حبك ايمان وبغضك نفاق » . الحديث .

١٧ — « يا علي من أحبك فقد أحبني ومن ابغضك فقد ابغضني وبغيضك بغيض الله » . الحديث .

١٨ — « يا علي أنت أخي في الدنيا والآخرة » . الحديث .

١٩ — « يا علي لولا اني خاتم الانبياء لكنت شريكاً في النبوة ، فان لم تكن نبياً فانت وصي نبي ووارثه بل أنت سيد الأوصياء » . الحديث .

٢٠ – « كنت انا وعلي نوراً عن يمين العرش بين يدي الله عز وجل يسبح الله ذلك النور ويقدسه قبل ان يخلق آدم ، فلم نزل أنا وعلي شيئاً واحداً حتى افترقنا في صلب عبد المطلب فجزء انا وجزء علي » . الحديث .

٢١ – «علي مني وأنا منه ،لحمُه لحمي ودمه دمي». الحديث.

٢٢ – قال الرسول لعلي ولفاطمة والحسن والحسين : « انا حرب لمن حاربتم وسلم لمن سالمتم » الحديث .

٢٣ – جاء يوماً لمسجد النبي في وقت صلاة الظهر سائل وطلب صدقة لوجه الله فلم يجبه أحد ؛ فعند ذلك رفع السائل يديه للسماء وقال (يا رب ! اشهد . أتيت لمسجد رسولك وسألت الصدقة فلم يعطني أحد شيئاً) . وكان علي راكعاً في الصلاة وفي خنصر يده اليمنى خاتم ، فمد يده للسائل وأشار اليه أن يأخذ الخاتم ، ثم أخذه وكان الرسول شاهدا لذلك العطاء فعند ذلك وجه الرسول وجهه للسماء وقال :

« اللهم ! ان أخي موسى سألك فقال : رب اشرح لي صدري ويسر لي أمري وأحلل عقدة من لساني يفقهوا قولي واجعل لي وزيراً من أهلي هرون اخي اشدد به ازري واشركه في أمري – فأنزلت عليه قرآناً . (سنشد عضدك بأخيك ونجعل لكما سلطاناً) ، اللهم ! واني محمد ، نبيك وصفيك ، «اللهم فاشرح لي صدري ويسر لي أمري واجعل لي وزيراً من أهلي علياً أشدد به ظهري ... »

فنزلت الآية فوراً في المسجد : (انما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم راكعون) الآية .

٢٤ – عند تفاخر نصارى « نجران » بالمسيح وأمه مريم نزلت الآية :

(فمن حاجك فيه من بعد ما جاءك من العلم . فقل تعالوا ندع ابنائنا وأبنائكم ونسائنا ونسائكم وأنفسنا وأنفسكم ثم نبتهل فنجعل لعنة الله على الكاذبين) . وابرز لهم علياً والفاطمة والحسنين .

٢٥ – (يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين) الآية ؛ وهي في الخلافة ولم يدع الخلافة سوى علي .

٢٦ – (وكل شيء أحصيناه في امام مبين) الآية . وهي بحق الأئمة الموصوفين .

٢٧ – (وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ﴿ ليستخلفنهم في الأرض كما استخلف الذين من قبلهم) الآية . وهي في الخلافة في سورة التوبة .

٢٨ – (وأولو الارحام بعضهم أولى ببعض) الآية في سورة الانفال .

٢٩ – (قل لا أسألكم عليه أجراً إلا المودة في القربى) الآية .

٣٠ – (وانذر عشيرتك الأقربين) الآية .

٣١ – الاكمل والأحسن بيعة غدير خم المذكورة آنفاً .

فهذه الدلائل القاطعة تثبت أن علياً أمير المؤمنين بالحق وهو الولي والوصي بعد النبي .

• • •

ولما كتموا حقه ومنعوه ارثه وانكروا فضله حدث الاختلاف الديني بين المسلمين .

وان من الواجب ذكر « أم سلمى » بين أعاظم العلويين ، فهي من جملة زوجات النبي الطاهرات ، وكاان عائشة بنت أبي بكر هي أم السنيين فأم سلمى هي أم العلويين .

وقد كانت الثلاث بيعات الخفية في بيت أم سلمى ولم يعلم هذه البيعات السرية الثلاث إلا أعاظم العلويين وأم سلمى معهم .

وكما يتخذ السنيون أقوال عائشة أدلة دينية ، كذلك أهم مستندات العلويين هي روايات أم سلمى .

طلب زواج أم سلمى أولاً أبو بكر وبعده عمر فلم تجبهم ، وعندما طلبها النبي قالت « مرحباً برسول الله »

لما ظهرت الدعوى بأن علياً قتل عثمان وأحبت عائشة الذهاب للبصرة منعتها أم سلمى وأصرت عليها لتمنعها عن الذهاب ، ولما لم تفلح قالت لها « يا عائشة لو تعلمين ما قال الرسول عنك لأجل هذه الوقعة لكنت تعضين اجنابك كالحية الرقطاء ! » .

• • •

أبو الذر – هو من أعظم الرجال المؤسسين للعلوية ، وهو صاحب الشجاعة الأدبية وأول ضحاياها .

والعلويون يقدسون ويبجلون بقيـــة زوجات النبي الطاهرات

أبو الذر أتقى العلويين لا بل أتقى المسلمين من بعد أهـل البيت والأئمة المعصومين .

عند مشاهدته عمل بني أميـة وزعيمهم معاوية في الشام بدأ يرجمهم بأقواله ويمشي في أسواق الشام ويقرأ الآية (الذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونهـــا في سبيل الله فبشرهم بعذاب أليم) ويوجه مدلولها لمعاوية وبني أمية علناً .

وكان يقبح أفعالهم واتخذ هـــذا الأمر ديدناً له . فعند ذلك بدأ معاوية بمجاملة أبي الذر وصرف ما عنده من الدهاء لاسكاته بالحسنى ، فلم يقبل ولم تؤثر عليه الحيـــل وأسباب الاسترضاء والتهديد والاخافة. بل زادته عزماً، وعجز معاوية عن اسكات أبي الذر وكان كأنه آية سماوية تسلطت عليه من قبل الرحمن .

فكتب معاوية شكايته للخليفة عمر وقال (انك افسدت الشام على نفسك بأبي ذر)

فجاءه الجواب (احمله إلي على قتب بغير وطاء) أي أمر بارساله للمدينة معذباً .

فأرسل كذلك، مع انه لم يكن عليه تهمة سوى تقواه !..

وعند وصوله للمدينة سأله الخليفة عن حالته فأجاب أبو ذر فوراً بهذا الحديث الذي سمعه عن النبي ﷺ : « إذا بلغ بنو العاص ثلاثين شخصاً اتخذوا مـــال الله خولاً ودين الله دخلاً وعباد الله دولاً » أي خدماً، وكلمته هذه كانت سبباً لنفيه من قبل الخليفة عثمان للربذة أي للمحل الذي نفى النبي اليه مروان ابن الحكم عند تحريف القرآن .

وتوفى ابو الذر هناك ولم يكن عنده سوى ابنته .

ومبدأ عقيدة العلويين في سوريا هو من أثر وتعليم أبي الذر الغفاري وصاحبه المقداد ابن الأسود الكندي . والانصار الذين سكنوا في جبل الحلو .

واليوم يقدس العلويون أبا الذر ويبجلونه، وان ذكر مناقبه مما يزهد العلويين في الدنيا .

لم يتمكن معاوية بن أبي سفيان من إسناد نقيصة إلى أبي الذر .

عندما وصل أبو الذر معذباً، رآه علي فتبسم في وجهه فكان كأنه نال مكافأة كافية لكل عذابه .

• • •

ومن جملة مؤسسي آداب العلوية ومن أصحاب الشجـــاعة الأدبية (حجر بن عدي الكندي) فانه عند صفو الحال لمعاوية وتربعه على كرسي الخلافة أرسل المغيرة والياً على الكوفة ، واتخذ المغيرة المذكور مهنـة له أن يستغفر فوق المنبر لعثمان

ويلعن علياً. وكان أهل الكوفة يتأثرون من هذا الكلام ولكن لم يكن يفه أحد منهم بكلمة سوى حجر المشار اليه ، فكان حجر يجاوب المغيرة على مقاله بهذا الكلام :

(وأنا أشهد أن من تذمون احق بالفضل ومن تزكون أولى بالذم) .

ولم تكن النصائح والتهديدات تفيد شيئاً في إسكاته . حتى أنه بلغ الأمر إلى تعذيبه فلم يسكت . وقد كان هذا التعذيب سبباً في ثورة أهل الكوفة على المغيرة .

ولما نصب زياد بن أبيه والياً على الكوفة طلب من حجر وجماعته ان يلعنوا علياً . ولما امتنعوا جعل يسومهم أنواع العذاب ويطلب منهم اللعن وهم على هذه الحالة ، ولما عجز عن اكراههم على ذلك أرسلهم إلى معاوية بالشام متهماً إياهم بارتكاب ذنوب توجب القصاص .

وقد تفنن معاوية في إرهابهم وتعذيبهم ، فكان يأمر بحفر قبورهم وهم ناظرون اليها ، ويستحضر أكفانهم فيريهم إياها .

ولكن حجراً وجماعته ظلوا على ثباتهم وما برحوا يعبدون الله الى آخر تلك الليلة ، ويرفضون الموافقة على لعن علي بشمم واباء حتى قتلوا ظلماً .

• •

وقد سمي زياد بن أبيه ، لأنه كان مجهول النسب وغير معروف الأب . وقد عاشرت أمه عدة رجال في وقت واحد .

وحملت به في هذا الوقت فلم يعرف ابوه حقاً ولا سفاحاً.

ولما ظهر اعتداؤه على أهل البيت وفرط خدمته للامويين، سماه معاوية (زياد بن ابي سفيان) مكافأة له ، ولأن أبا سفيان كان من جملة الزانين بأمه .

ولقد كان أعاظم الصحابة وأجل المسلمين من العلويين وأركان هؤلاء ، سلمان الفارسي ومقداد بن الأسود الكندي وبلال الحبشي وعمار بن ياسر .

أما المعارضون فلا نحب التصريح بأسمائهم بل نترك ذلك للتاريخ، وإذا نظرنا إلى الاختلاف الذي كان بين أمية بن عبد شمس وبين هاشم ، وإلى الاختلاف بين محمد وأبي سفيان ثم بين ابي بكر وعمر وعثمان وبين علي، ثم بين بني أمية وبين بني هاشم على زمن معاوية وعائشة ويزيد ، ومعاداة هؤلاء لعلي وأولاده يتضح لنا ان المداوة بين الفريقين هي قومية ونسبية ، ولكنها بعد وفاة النبي اكتسبت صبغة دينية وسنأتي على تفصيل ذلك .


مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

الدور الأول

(من بيعة غدير خم ، إلى فاجعة كربلاء)

كانت بيعة غدير خم غاية لدعوة الرسول ﷺ كما أسلفنا ، وفيها ثبتت الولاية لعلي كما استدللنا بالآيات القرآنية التي جاء فيها ، ان ذلك من نعم الله على المسلمين .

وقد كانت عداوة بني أمية لبني هاشم منتهية لذلك العهد بحسب الظاهر . ولكن الحقيقة ان الحزازات كانت لا تزال كامنة في النفوس ، ولما كان الظفر معقود اللواء لعلي في جميع المحاربات الاسلامية وكان هو يحضرها جميعها ، فقد كثر عدد أعدائه بسبب نقمة ذرية المقتولين من المشركين عليه .

وكان من جملة وصايا النبي لعلي قوله له : « يا علي انت مثال الكعبة إذا اتوك القوم فاقبل منهم وان لم يأتوك فلا تأتهم » وذلك رمز لقبوله الخلافة الدنيوية .

ولذلك لم يطلب علي الخلافة وكان يعلق ذلك على دعوة

المسلمين عموماً له وعرضهم الخلافة عليه، وقد كان هذا مستحيلاً كما أسلفنا لوجود اعداء كثيرين له خصوصاً وقد كان بنو امية المعارضون منتبهين لهذا الامر منذ كان النبي حياً .

وكان ايضاً من جملة وصايا النبي لعلي ان لا يسل سيفه الا بعد ثلاثين سنة . ومن الثابت ان قسماً عظيماً من المسلمين لم يكن ايمانهم كاملاً . لانهم بعد وفاة النبي ﷺ جاهروا بالارتداد . فلو سلمنا بمناصرة المؤمنين جميعاً لعلي لم يكن كذلك من الممكن ان يستهين بشأن المعارضين والمؤلفة قلوبهم في مسألة حفظ الدين والتغلب على العراقيل التي قامت في سبيله .

ولو ان علياً طالب بالخلافة لانشطر المسلمون الى شقين، ولما كان يمكن التغلب على أهل الردة الذين خرجوا على المسلمين في خلافة أبي بكر .

ولذلك أمره النبي بان لا يطالب بالخلافة وان لا يسل سيفه لأجلها . فامتثل علي وظل ساكناً حرصاً على المصلحة الاسلامية .

كانت وفاة النبي حادثاً عظيماً لدى المسلمين . وكان علي والعباس ملازمين خدمته بعد وفاته، ولما توفي بدأ الخلاف على الرياسة فطالب بها الانصار لان النبي توفي في بلدهم وقد كان نازلاً بينهم وهم أنصاره، فلم يرض القرشيون بذلك وطلبوها لهم .

ولما استفحل الخلاف وعلت الضجة حول هذا الأمر قال العباس لعلي: (يا ابن أخي هلم ابايعك فلا يختلف عليك اثنان)

ولكن علياً لم يكن يهتم الا بالمحافظة على وصية النبي، وكان يرى ان من الواجب تضحية كل شيء في سبيل حفظ الاسلام فلم يوفق الى ذلك، وهكذا كان شأن ابنه الحسن فيهذا الامر.

اجتمع جمهور المسلمين لاجل النظر في امر الخلافة في بيت سقيفة بنساعدة، ولما اختلفوا وعظم شأن الخلاف نهض عمر بن الخطاب وبايع ابا بكر وحمل شيعته على مبايعته ، فجعل الحاضرين بذلك أمام امر واقع .

وكان ابو بكر يمتنع عن القبول قائلا : « لست انا الاحق بها » ولكن اصرار عمر عليه ، حمله على القبول وتمت البيعة لأبي بكر .

ولما كان الحاضرون يحاذرون حدوث الفتنة بين المسلمين ، انقادوا ظاهراً وبايعوا جميعاً ابا بكر ، عدا عن اعاظم العلويين المعروفين وبعض الخاصة من المسلمين وكبراء بني هاشم، فانهم امتنعوا عن مبايعته وفي مقدمة هؤلاء الزبير وعتبة بن عم الرسول وخالد بن سعيد ومقداد بن عمر بن ثعلبة بن اسود الكندي وسلمان الفارسي وابو ذر الغفاري وعمار بن ياسر والبراة بن عازب وابي بن كعب وغيرهم، وكانوا يقولون ان علياً صاحب هذا الحق وقد انشد عتبة هذه الابيات :

ما كنت أحسب ان الأمر منصرف
عن هاشم ثم منهم عن أبي حسن
عن أول الناس إيماناً وسابقه واعلم الناس بالقرآن والسنن

وآخر الناس عهداً بالنبي ومن جبريل عون له في الغسل والكفن
من فيه ما فيهم لا يمترون به وليس في القوم ما فيه من الحسن

وامتنع أيضاً الوحيد في عدائه للرسول أبو سفيان زعيم الأمويين، وجعل يصرخ في أسواق المدينة ان علياً أحق بالخلافة فلم يلتفت اليه أحد !

ثم كلم علياً وكلفه قبول بيعته ، فقال له علي (يا منافق ! ما قصدك إلا إحداث الفتنة في الاسلام !) .

كان أبو سفيان عاملاً لجمع الزكاة وكان قد جبى عدة جمال فتركت له اسكاتاً لصوته .

تمت البيعة لأبي بكر في الخارج ، وفي ذلك الوقت كان علي صاحب الحق محافظاً على سكوته والناس ينتظرون ما سيكون .

والظاهر ان سكوت علي وعدم مبايعته لأبي بكر لم يرض عمر بن الخطاب ، فاستل سيفه وقصد علياً لحمله على مبايعة أبي بكر ، فعارضته فاطمة في البـــاب ومنعته من الدخول ، فأراد أن يدخل عنوةً فقالت له ألم تسمع ان رسول الله قال: « فاطمة بضعة مني من أغضبها فقد أغضبني ومن أغضبني فقد أغضب الله » فتركها عند ذلك عمر وانصرف .

جرى كل ذلك والأسد الكرار علي واقف داخل البيت لم ينبس ببنت شفة ولم يسل سيفه إلا لنصفه محافظـــة على وصية الرسول .

ويقول العلويون انه عندمـــا أراد عمر الدخول ومنعته فاطمة ، لطمها فكسر سوارها وجرحت أذنها وانها كانت حامل فولدت بسبب هذه الحادثة جنيناً لم يكمل مدة الحمل وسمي « المحسن » ولكنه توفي بسبب هذه الحادثة . وكان مع عمر خالد بن الوليد وسعد وسعيد ، ولهذا كان العلويون يكرهونهم .

كانت فاطمة الواسطة الوحيدة لبقاء نسل النبي الشريف، وهي ذات مزايا وأوصاف حسنة تفوق بها سائر النساء ، ولم يعرف عنها الحيض ولا ظهرت عليها آثار حالة النفاس، ولذلك لم تترك صلاتها ولا صيامها أبداً .

وكان والدها الرسول يحبها أكثر من كل أحد سواهــا . وقبيل وفاته دعاها إليه وأسرّ إليها في أذنها كلمات أخبرها فيها بقرب رحيله فبكت ، ثم كلمها كلاماً آخر فضحكت . ولما سئلت عن ذلك قالت انها بكت لقرب وفاته وضحكت لأنه أخبرها بأنها أول من يلحق به من أهلها . وهكذا كان !

فقد توفيت بعد ستة أشهر مرت على وفاة الرسول ، وقد كانت تسكن في هذه المدة بيت الأحزان نادبةً أباهـــا ومتحملة ما أصابها بعده من الآلام .

ولما توفيت جهزها علي بيده ، ولما رأى ذلك منه عمر قال له من خارج البيت :

(يا علي ! عند الوفاة ينفسخ النكاح بين الزوجين ويرتفع

حل النظر) ، فقال له كرم الله وجهه : (أما سمعت رسول الله قال لي هي لك في الدنيا والآخرة ؟) .

وبعد ان تم تجهيزها صبر إلى الليل فحملها وحده ودفنها عند رجلي ابيها وهناك روايات بأنها دفنت في مكانها أي في بيت الأحزان ، والأغلب انها دفنت عند أبيها .

بعد ان تمت البيعة لأبي بكر بقي علي ملازماً سكوته . فراب المعارضين امر هذا السكوت لأن حزبه كان أقوى من غيره وشجاعته ومقدرته معروفة ، وهو الذي أوصى له النبي وولاه عند رجوعه من حجة الوداع .

ولما طال هذا السكوت أرسل ابو بكر وعمر أبا عبيدة بن الجراح إلى علي لينصحه عنهما بالاذعـــان إلى بيعة ابي بكر ، فأجابهما علي بأنه لم يزل حزيناً لفقد رسول الله وان لهما ان يصنعا ما يريدان . ويقول العلويون أن أبا بكر وعمر صافحا علياً عند قبر الرسول وقالوا : تمت البيعة . وخرج عمر من المسجد ينادي بوقوع بيعة علي لأبي بكر في الأسواق، وأبو الذر يتبعه وينادي بعدم وقوع البيعة من علي .

ثم لم يمض زمن قليل حتى بدأت الفتنة تظهر بين المسلمين ، إذ ارتد كثير من القبائل فجهز ابو بكر حينئذ جيشه وحاربهم وأظهر من الحزم والغيرة ما تمكن به من قهرهم وانقاذ الاسلام من شر هذا الأمر .

بقي علينا ان نشير إلى حادث له علاقة بتاريخ العلويين ، وهو مطالبة فاطمة قبل وفاتها بارث أبيها . إذ كان النبي

يملك الأراضي المسماة بالفدك وهي التي تملكها بالآية الشريفة الآتية : (ما أفاءَ الله – فيء غنيمة – على رسوله من أهل القرى فلله وللرسول ولذي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل كي لا يكون دولة – فقراً – بين الاغنياء منكم وما آتيكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا واتقوا لله إن الله شديد العقاب) .

ان أراضي فدك بالعوالي وجانب من خيبر كانت ملكاً خاصاً للرسول وذوي قرابته كما مر بالآية . فأجابها ابو بكر على طلبها بقوله : (الانبياء لا يورثون) فقالت له ان أباها أوصى لها بأراضي الفدك، فسألها عن من يشهد لها؟ فأجابته : «علي وأم سلمى» فقال كلمته المشهورة « ثعالة أشهدت ذنبه ».

فاغتاظت فاطمة وقالت له ولعمر (ألم تسنمعا بأن أبي قال لي من أغضبك فقد أغضبني ومن أغضبني فقد أغضب الله) . فقالا : نعم ! فقالت لهما (والله لقد غضبت عليكم واسخطتكم والله لا أكلمكم ابداً !) ثم لازمت بيت الاحزان حتى وفاتها (اقرأ خطبة علي) .

بعد وفاة فاطمة انضم علي الى ابي بكر وعمر حرصاً على مصلحة الاسلام .

وبعد ان دامت خلافة أبي بكر سنتين وثلاثة أشهر وثمانية أيام توفي بعد ان أوصى بالخلافة الى عمر، ودفن في جانب النبي في الروضة المطهرة .

استلم عمر الخلافة حسب وصية ابي بكر واستعاض عن اسم الخليفة بلقب (أمير المؤمنين)وذلك سنة (١٣) للهجرة .

بعد ان قضى ابو بكر على أهل الردة ، جيش جيشاً لفتح سوريا، وبعد وفاته ارسل عمر هذا الجيش فسار يفتح الآمصار والبلاد حتى لم تمض ايام قليلة الا وقد فتح المسلمون سوريا ومصر ، والعراق وجعلت سلطة الاسلام تنتشر بسرعه البرق ففي خلال ستة أشهر أخضع المسلمون سلطنة الفرس العظيمة ، وفي خلال سبع سنوات امتلكوا سوريا جميعها (ديار بني غسان)،وقد اضطر (هرقل) ملك الروم ، الذي كان يظن ان المسلمين عبارة عن جماعة من المتسولين ، الى ان يفر من انطاكية الى القسطنطينية وكانت هذه النتائج تقع موقع السرور لدى وصي الرسول والمجاهد الاعظم في سبيل الاسلام علي بن أبي طالب .

لما فتحت جهات بعلبك وحمص ، استمد ابو عبيدة نجدة فاتاه من العراق خالد بن الوليد ومن مصر عمرو بن العاص واتاه من المدينة جماعة من العلويين ، وهم ممن حضروا بيعة غدير خم وهم من الانصار وعددهم يزيد عن اربعمائة وخمسين مجاهداً ، ولما وصلت هذه النجدة والتحقت بالجيش نجح نجاحاً جزئياً فسميت هذه القوة الصغيرة « نصيرة »، واذ كان من قواعد الجهاد تمليك الاراضي التي يفتحها الجيش الى ذلك الجيش

نفسه، فقد سميت الأراضي التي امتلكها جماعة النصيرة « جبل النصيرة » وهو عبارة عن جهات « جبل الحلو وبعض قضاء العمرانية المعروف الآن » ثم اصبح هذا الاسم علماً خاصاً لكل جبال العلويين من جبل لبنان الى انطاكية . والانصار هم قحطانيون واولهم ابو ايوب الانصاري الذي ناخت ناقة النبي امام بيته .

ويمكننا القول ان العلويين الذين سكنوا هذه المنطقة كانوا هم اجداد العلويين في هذه الديار، وكان ذلك في سنة (١٤) للهجرة حيث بني جبلة بن الايهم مدينة جبلة ثم غادرها، والذين بقوا فيها وفي جبالها من حزبه اعتنقوا الاسلام واتحدوا مع الانصار الذين سكنوا في جبل الحلو وهم قحطانيون أي من نسب أهل البلاد الاصليين ، وأصبح الكل علويين لانهم كانوا ينفرون من المعارضين لعلي بسبب حادثة جبلة بن الايهم المعروفة ، وهكذا بدأ منشأ العلويين في هذه المنطقة، والراجح ان « عشيرة الخياطين » الموجودة اليوم هي التي ضمت اليها العلويين القدماء ، وهم من الفاتحين الانصار ومن بني غسان الذين اعتنقوا الاسلام في تلك الايام .

خدم امير المؤمنين عمر بن الخطاب مصلحة الاسلام أيام خلافته خدمة جليلة ودامت خلافته عشر سنين ، وقد كان يستشير علياً في شؤون الخلافة دائماً ، ومن كلامه بذلك « لو لا علي لهلك عمر ؟ »

ولما توفي عمر دفن بجانب ابي بكر في الروضة المطهرة ، وقبل وفاته أوصى بالخلافة إلى ستة رجال وهم : (طلحة والزبير وعبد الرحمن بن عوف وعثمان وسعد وعلي) .

وقد اتفق هؤلاء الستة على إنابة عبد الرحمن في اختيار الخليفة ، لان كل واحد منهم كان يحب انتخاب صاحبه أو قريبه . وقد كان الهاشميون يريدونها لعلي والأمويون لعثمان ، فاختار عبد الرحمن عثمان للخلافة . وكان هذا الأمر متصور ومصمم عليه .

استلم عثمان مقاليد الخلافة سنة (٢٣) للهجرة وقد ظل الاسلام في زمانه يزداد توسعاً وانتشاراً . وكان عثمان حليماً أكثر مما يقتضيه الحلم ولم يكن كاسلافه مقتصراً على محبة بني أمية ، بل أنه كان أموياً محضاً ، فجعل يستخدمهم في شؤونه وأعماله ، ونفى أبا ذر الغفاري الى الربذة وأغضى على ضرب عمار بن ياسر داخل المسجد ، وناهيك بمكانة هذين الرجلين في الاسلام .

وكان تعيينه لأقربائه من بني أمية في المناصب والولايات – وفيهم الفاسق والفاجر – باعثاً على الاستياء العام خصوصاً عندما كان يتجاوز بعض رجال بني أمية على بني هاشم ومن هو من حزبهم .

توفي ابو ذر منفياً في الربذة وهو الذي قال عنه الرسول (ما أقلت الغبراء وأظلت الخضراء أصدق لهجة من أبي ذر) .

فكان ذلك باعثاً على استياء المسلمين ، خصوصاً العلويين منهم ؟ وهم لا يزالون الى الآن يبجلونه ويحترمونه . وهو من أعاظم مؤسسي العلوية .

وكان أعظم خطأ لعثمان ادنائه « مروان بن الحكم » اليه وهو الذي كان طرده النبي من المدينة وقال عنه (مروان هو الوزغ بن الوزغ والملعون بن الملعون) .

ولما كانت خلافة أبي بكر ، تشفّع به بعضهم ، فاجابهم أبو بكر : (كيف اعفو عنه وقد طرده الرسول ثم أمر بابعاده إلى خارج بلاد الحجاز) . وكذلك لما كانت خلافة عمر تشفّع به هذا البعض ، فلم يرض عنه عمر وأمر بابعاده إلى الكوفة .

ولكن عثمان أحضره وأكرمه وجعله كاتباً له واميناً ، ومنحه أراضي الفدك التي حرمت منها فاطمة الزهراء ؛ وبقيت أراضي الفدك في العلا مع المروانيين حتى أيام عمر بن عبد العزيز .

تربع مروان في دار الخلافة فأخذ يأمر وينهي كيفما شاء ، فكان كما قال عنه الرسول سبباً في الفتنة الكبرى بين المسلمين ، وبالوقعة المعروفة باسم (فاقتلوه ، فاقبلوه) .

* * *

كان العلويون لذلك اليوم لم يظهروا بمظهر المعارض ، ولكن كثرة فسق الولاة أدى إلى تظاهرهم بالمعارضة كما أدى إلى تظاهر جميع المسلمين بذلك عدا بني أمية .

وقد كان من استسلام عثمان إلى مروان اعطاؤه له الخمس من غنائم افريقيا، وذلك ما دعا عبد الرحمن الكندى إلى انشاد هذه الأبيات :

سأحلف بالله جهد اليمين ما ترك الله أمراً سدى
ولكن خلقت لنا فتنة لكي نبتلي بك أو تبتلى
دعوت اللعين فادنيته خلافاً لسنة من قد مضى
وأعطيت لمروان خمس العباد ظلماً لهم وحميت الحمى

وقد أعطى أيضاً موضع سوق بالمدينة يسمى البهرزى إلى أخ مروان حارث بن الحكم ، وكان صدقة رسول الله .

ونصب وليداً الذي هو من الفسقة والياً على الكوفة ، وأصبح عثمان نفسهُ من أغنياء ذلك الوقت فكان له أموال عظيمة ، منها الف رقيق فساءت سمعته بين الناس وجعلوا يقولون انهُ لا يصلح ان يكون خليفة الرسول .

وعند ذلك دعا عثمان ذويه واستشارهم ، ومن جملتهم معاوية ابن أبي سفيان وعمرو بن العاص وسعيد بن العاص وابن أبي سرح وعبدالله بن عامر ، فارتأى كل واحد حسب هواه واقترح بعضهم قتل المخالفين واقترح بعضهم رشوهم بالمال ، وافترقوا بدون اتخاذ تدبير ما .

فعظمت المسألة وجاءت من مصر طائفة بينهم محمد بن أبي حذيفة مع عدد من الجند ، وطائفة من البصرة ومعهم حكيم بن

جبلة العبدي وسدوس بن عبيس مع عدد من الجند ، وطائفة من الكوفة ومعهم الأشتر بن الحارث النخعي مع عسكره .

وكان ميل أهل مصر إلى علي وأهل الكوفة للزبير واهل البصرة لطلحة ، واجتمعوا خارج المدينة واتفقوا على خلع عثمان !!...

ولما بلغ عثمان ذلك ، أرسل المغيرة وعمرو بن العاص اليهم ، ولكنهم أرجعوهما خائبين .

ثم أرسل علياً للمفاوضة فذهب وخابر القوم واسترضاهم بان تجري الأمور كما أمر الله في كتابه الكريم وكما جاءت به الأحاديث النبوية، فقبل عثمان تلك الشروط وكفله علي على ذلك أمام الجمهور .

ولما ألح المصريون بطلب عزل واليهم عبد الله بن سرح عزله عثمان وعين محمد بن أبي بكر والياً على مصر ، وافترق الجمع ورحل كل منهم إلى بلده .

وعند وصول المصريين إلى بلدهم رأوا أحد خدمة عثمان فاشتبهوا به ، وعند تفتيشه وجدوا معه كتاباً مختوماً بختم الخليفة ، يأمر به الوالي بقتل ذلك الجمع وقتل محمد بن أبي بكر معهم . ففتح محمد بن أبي بكر تحرير الخليفة فرأى فيه :
(إذا جاءكم الأمير فاقتلوه !)

فعند ذلك رجعت جموع المصريين وسمعت بالقصة جموع

الكوفة والبصرة فرجعوا عن طريقهم أيضاً .

ولما وصلوا سأل محمد بن أبي بكر عثمان بقوله : (ما جزاء الذي يأمر بالقتل ظلماً وبلا وجه شرعي ؟) فأجابهُ عثمان (جزاؤه القتل) ووافق الحاضرون على ذلك .

ثم قرأ محمد تحرير عثمان المرسل سراً لعامله بمصر فانكر عثمان الأمر وقال انه لا يعلم به . وأقسم عثمان على ذلك وقال انه لم يأمر أحداً بكتابة مثل هذا الكتاب .

وكان الخط خط مروان والختم ختم عثمان . فقال الناقمون (هذه الصورة أشنع من الاولى) لان الخلافة أصبحت ملعبة ، فعليك أن تعتزل الخلافة او تسلمنا مروان .

وكان مروان في بيت عثمان .

فامتنع عثمان عن قبول أحد الشقين . فحاصرته الجموع في بيته ومعه نحو ستمائة شخص من ذويه واقاربه وبينهم مروان!

ومنع الجمع ادخال الماء الى دار عثمان فارسل له علي ثلاث قربات من الماء .

ولما علم علي بان الجمع يقصد قتل عثمان امر ولديه الحسن والحسين ان يحرسا عثمان بسيوفهم ولا يمكنوا أحداً من الدخول ، وكذلك فعل الزبير وطلحة وبعض الصحابة فارسلوا اولادهم لهذا القصد .

وقد سئل عثمان ان يسلم مروان مرات عديدة وبعد أن تعهد بتسليمه عاد فأبى تسليمه .

ولم يكتف مروان بهذه الفتنة . بل أظهر نفسه امام الجمع المحاصر ، فعند ذلك رماه المحاصرون بالنبال . وأصيب الحسن ابن علي وقنبر بن كادان مولى علي ومحمد بن طلحة وتخضبوا بالدماء . وأصيب مروان كذلك بسهم داخل البيت .

فعند ذلك خافت الجموع المحاصرة وقالوا (اذا شاهد بنو هاشم الحسن يستحيل علينا الحصول على مطلوبنا . فالأولى ، ان ندخل على عثمان من جهة اخرى ثم نقتله قبل ان يرانا أحد ، فانه لا يوجد عنده سوى زوجته . امـا بقية الناس فهم في الطبقة الفوقية) .

وهكذا كان . فقد دخل محمد بن ابي بكر مع بعض الناس لبيت بني الحزم الانصاري . ثم منه لبيت عثمان . وأخذ محمد ابن أبي بكر بلحية عثمان ، وقال له:لاينفعك معاوية وابن ابي سرح وعبدالله ابن عامر اليوم . فأجابه عثمان ! (يا أبن أخي لو رآك ابوك لما هان عليه فعلك !) فتأثر محمد أبن ابي بكر وترك عثمان وتأخر . ثم تقرب من عثمان رجل من أهـل اليمامة واسمه (سرحان) فذبحه . وبعضهم يقول ان القاتـل رجل مصري اسمه اسود البخيتي والبعض يقولون انه رومان المرادي . والبعض يجمعون بينهم ويقولون انهم اشتركوا بضربه حتى قتلوه . وقطعوا اصابع زوجته عند مدافعتها عنه .

وعند ذلك صرخت زوجة عثمان ، فدخل على صراخهـــا الامامان الحسنان ومن كانوا معها . ولكن القاتلين هربوا من حيث جاؤوا ، فلم يشاهد سوى عثمان مذبوحاً ، فرمى الامامان انفسهم على المقتول باكين. وسمع بالأمر علي وطلحة والزبير وسعد فجاؤوا مدهوشين . وضرب علي الحسن بكفه ولطم الحسين على صدره وشتم محمد ابن طلحة وعبد الله ابن الزبير . وعند خروجه غضبان لقي في طريقه طلحة ، فقال له طلحة : مـــا الذي جرى يا أبا الحسن حتى تضرب الحسنين ، فلو ان عثمان سلم مروان ، لما حدث هذا الأمر فقال عـــلي (لو سلمكم مروان لكانوا قتلوه بلا اقامة البينة عليه) .

ثم رجع علي الى بيته وأغلق بابه .

ومع كل ما جرى لم تتوفق الجمـــوع للقبض على مروان وأولاده الذين كانوا معه وأولاد بن أبي معيط . وبقي جسد عثمان ثلاثة أيام مطروحاً .

ثم اتسعت فتنة قتـــــل عثمان وتموجت كالبحر حتى كانت سبباً في قتل تسعين ألفاً من المسلمين .

وكانت مدة خلافة عثمان (١٢) سنة .

بعد مقتل عثمان اجتمع المهاجرون والأنصار وفي مقدمتهم طلحة والزبير عند علي وقالوا له « لا بد لنا من إمام وأنت الأحق بالإمامة » فلم يقبل ، وقال لهم لكم الحرية التامـــة في انتخاب من تشاؤون . ثم اتفق المسلمون الموجودون في المدينة

وقالوا لعلي قد انتخبناك . ولما كثر إلحاحهم عليه أتى المسجد الشريف وقبل منهم البيعة . وأول من بايعه طلحة ومن بعده الزبير ثم بقية المسلمين . وبعد إتمام البيعة نقل مركزه للكوفة وباشر في إعداد القوى الاسلامية وكان قصده تجهيز أعظم جيش ليغزو به الشرق حتى الصين ويعلي كلمة الله في كل الأقطار .

وحينئذ كانت الثلاثون سنة التي أوصى بها النبي علياً أن لا يسل سيفه فيها قد انتهت . فأحب بعد ذلك تجريده لاعلاء الاسلام ، ولكن خذله الحزب المعارض وخرج عليه .

أخذ نعمان ابن بشير قميص عثمان الملطخ بالدم مع أصابع زوجته الى الشام ، وكان معاوية يعلق ذلك القميص على المنبر . ولما رأى الأمويون ان الرياسة انتقلت لأصحابها وعلى الأقل لبني هاشم ، اهتموا باحداث الفتن ورحل بعض الناس الى مكة .

ثم ان علياً بدل الولاة ولكن لم يتمكن بعضهم من الوصول الى مكانه ، وطالب البعض بدم عثمان وطلبوا عقاب قاتليه . وكان أغلب الولاة من الأمويين فلم يرضوا بالخلافة لعلي . أي برياسة الهاشميين ، واتخذوا مقتل عثمان وسيلة فالتحقوا بعائشة التي كانت ذهبت لمكة وسمعت بقتل عثمان فلم ترجع للمدينة . وكان عند الأمويين ميثاق ضد بيعة غدير خم .

فاجتمعت عند عائشة قوى عظيمة واتفقوا على التوجه الى

البصرة وترك تنظيم الفتنــة في الشام الى معاوية . وأركبوا عائشة على جمل ومشوا معها لجهة البصرة .

لما وصل موكب عائشة الى قرية تدعى « الحواب » جعلت كلاب القرية تنبـــح حول الجمل على عائشة بصورة تستلفت النظر . وعند ذلك سألت عائشة من حولها عن اسم هذا المحل ولما علمت أن اسمه « الحواب » دهشت واناخت جملها وقالت (انا لله وانا اليـــه راجعون . سمعت رسول الله ﷺ يقول وعنده نساءه: « ليت شعري ايتكنّ ينبحها كلاب حواب»)

ثم بدأت تقول : (ارجعوني !) ومكث الجمع في ذلك المحل لامتناع عائشة عن متـــابعة السفر . ثم جعل يقول لها الأمويون واصحاب فكرة المعارضة انه لا يسمى الحوءب .

ولكنها كانت تصر على الرجوع !! .

واثناء هذا التردد قال بعض الناس (اتى علي وجمعه) فرحل أصحاب عائشة فوراً لجهة البصرة وحاربوا هناك عامل البصرة المنصوب من قبل علي وهو عثمان بن حنيف وقتلوا من اتباعه اربعين شخصاً . واخذوا عثمان المذكور ونتفوا لحيته وحواجبه ثم حبسوه عدة أيام وتركوه .

ولما وصل الخبر الى علي أتاهم ومعه أربعة آلاف من الجنود ، منهم أربعمائة من أصحاب بيعة الشجرة وثمانمائة من الأنصار وابنه محمد بن الحنفية قـائد الجيش والامام الحسن ، على الميمنة والحسين على الميسرة ، وقائد الفرسان عمار بن ياسر وقائد المشاة محمد بن أبي بكر وفي المقدمة عبد الله بن عباس .

وجاء عامله في البصرة ابن حنيف المذكور وقال لعلي : يا امير المؤمنين ، ارسلتني ذا لحية واتيتك بلا ذقن، فاجابه علي (اصبت اجراً وخيراً) .

وقد انقسم أهل الكوفـــة ، فالتحق بعضهم بجيش علي والتحق البعض بجيش عائشة .

والتقى الجيشان في منتصف شهر جمادى الآخر لسنة ٣٦ للهجرة في محل يدعى « الحريبه » فترك عــلي جيشه وقصد ملاقاة الزبير . فقال له رجاله يا علي ان الزبير رجل شجاع لا يجوز الدنو منه بدون عدة حربية . فقال ليس قصدي أن أحاربه . ونادى الزبير اليه وقال له :

يا زبير ! ألم تذكر عند مروري بجانب بني غنم وقد نظر الرسول لوجهي اذ كنت اضحك ، فضحك النبي فقلت أنت للنبي ان علياً لمزه . فقال لك عليه الصلاة والسلام: (انه ليس بمزه ولتقاتلنه وانت ظالم له) ثم تكلم عمار بن ياسر وقال : (يا زبير أتريد ان تقتلني؟) ويعتقد جميع المسلمين ان الرسول قال لعمار بن ياسر « ستقتلك الفئة الباغية » .

فقال الزبير مجيباً : (اللهم نعم !) ولو تذكرت قبلاً كلامه عليه السلام لما كنت اتيت لحربك يا علي .

وترك الزبير جمع عائشة وسافر قاصداً المدينة . وعند وصوله لأراضي بني تميم، وكان الاحنف بن قيس معتزلاً الحرب ونازلاً في ذلك المحل . قال الأحنف : أليس الزبير هو الذي

أوقد نار الحرب ورجع ؟! ثم تعقب الزبير عمر بن جرموز وقتله غدراً بمحل يدعى وادي السباع وقطع رأسه وحمله إلى علي .

فقال له علي (ابشرك بالنار لأن الرسول قال بشروا قاتل الزبير بالنار) .

فعند ذلك أنشد عمر بن جرموز المذكور :

أتيت علياً برأس الزبير وقد كنت احسبها زلفه
فبشروا بالنار قبل العباد فبئس البشارة والتحفه
وسيان عندي قتل الزبير وضرطة عير بذي الجحفه

كان علي يحب الزبير محبة شديدة ، ولما سمع أنه في صف الاعداء لم يتكدر من عمله .

كان افتراق الزبير عن الجمع مؤثراً على طلحة ؛ فبدأ يفكر في كراهة العمل وندم على وجوده بين المعادين لعلي . ثم أراد الامتناع عن الحرب . فعند ذلك اغتنم الفرصة صاحب الفتنة مروان بن الحكم ورمى طلحة بسهم فجرحه ؛ فذهب طلحة إلى البصرة مجروحاً ، وقبل وفاته لقي احد أصحاب علي فأدى البيعة له وأنشد هذه الأبيات :

فان تكن الحوادث اقصدتني واخطأهن سهمي حين أرمي
فقد ضيعت حين تبعت سهماً سفاهة ما سفهت وضلّ حلمي
ندمت ندامة الكسعيّ لما شريت رضا بني سهم برغمي
أطعتهم لفرقة آل لأي فالقوا للسباع دمي ولحمي

وبعد انتهاء الحرب جاء علي لقرب جسد طلحة وقال : (لهفي عليك يا أبا محمد ! انا لله وانا اليه راجعون . والله لقد كنت أكره أن أرى قريشاً صرعى !) .

• •

وكان من مقاصد علي حقن الدماء بين المسلمين . فلذلك وضع كل عشيرة من حزبه تجاه افرادها الذين هم في صفوف الأعداء . فجعل بني ربيعة في مقابلة بني ربيعة ، وهكذا بني مضر وبني الازد وبقية القبائل، وهو يريد من هذا الترتيب ان لا تحارب القبيلة بعضها . وعند أول حملة فرّ الاعداء وبقيت عائشة وحدها وهي تصرخ (يا بني ناجية !) وتحرض حزبها على الهجوم وتنادي (العنوا قتلة عثمان !) فسمع علي كلامها ونادى (اللهم العن قتلة عثمان !) فانتبه الجمان لذلك ولم يشتبه أحد بكلام علي وأعرضوا جميعاً عن الحرب. ولم يبق من قصد المخالفين سوى المحافظة على عائشة التي كانت تحرض اتباعها وتصرخ وهي عمياء . وكان بنو الأزد وآل غسان يحافظون عليها ، وقد تساقطت السهام على هودجها حتى صار كالقنفذ من كثرة النبال المشكوكة فيه . واتباعها يمـدون ايديهم للهودج حتى امتلأت الأرض حوله بالأيادي والرؤوس المتقطعة . ثم أمر علي بقتل الجمل الذي تركبه عائشة فضرب أتباعه الجمل وجرحوه فجعل يعر ويصرخ من ألمه فازداد المنظر فجاعة . واخيراً قتل الجمل. وبقيت عائشه في هودجها لا ترى ما يجري حولها . وحينئذ دنا منها أخوها محمد ابن أبي بكر بعد ان استأذن علياً وأدخل رأسه إلى الهودج ، فصرخت عائشة :

(من أنت ؟) فقال لها محمد : (أحد أقاربك الذي هو اعدا الناس اليك) وعندمـــا سمعت صوته عرفته فهدأ بالها . ثم دنا منها عمار بن ياسر وقال لها : (كيف رأيت اليوم حرب بنيك يا اماه ؟) فاجابته : (لست بأمك !) فقال لهـا : (انت امي رضيت أم لم ترض !)

ثم أن علياً سأل عائشة بقوله : (كيف صحتك يا أماه؟) فاجابته انها جيدة فذكرها بالواقعة التي جرت بينها وبين النبي ﷺ حينما كانت عائشة تمدح علياً وتثني على خدماته للإسلام وللرسول وتدعو له، وقد اجابها النبي حينئذ بقوله : (ياعائشة! تمدحين علياً ولكن سيأتي يوم تخرجين فيه لحربه وتكونـــين انت الظالمـة له) فاجابته عائشة مدهوشة (ليتني أعمى ولا اخرج عليه).ثم قال علي « ليغفر الله لك » فأجابته «ولك» . وكان عدد القتلى في تلك الواقعة المسماة « بواقعة الجمـل » نحو عشرة آلاف ، فأمر عـــلي بجمعهم وصـــلى عليهم بذاته ثم دفنهم بدون تفريق .

وعند انتهاء الحرب وفرار الأعداء أمر عـــلي بعدم مطاردة الفارين ومنع قتل النفوس والدخول الى المساكن . ثم ارسلت عائشة بصحبة اخيها محمد بن أبي بكر الى المدينة وعند سفرها شيعها علي بذاته . وعندئذ قالت عائشة لمن كانوا حاضرين : (ان العداوة الـــتي بيني وبين عـــلي ليست الا كعداوة الحماة والكنة !) .

وارسل علي اولاده معها الى مسافة يوم . ومنذ ذلك الحين

لم تترك عائشة الاستغفار لمحاربتها لعلي . ويقول أهل السنة ان علماء عائشة بعدتلك الواقعة لم يكن الا من كثرة بكائها وندمها على عملهـــا . ولكن العلويين يقولون ، انه حصل من قبل كما سبق البيان . واسباب العداوة هي ان علياً أشار على النـبي بتركها فـسخطت عائشة عليه وكرهته من ذلك الحين . ويقول العلويين ايضاً ان عداوة عائشة لعلي كانت بـسبب حادثة جرت في زمن النبي . ويشبه العلويين خروج عائشة على علي بدعوى المطالبة بدم عثمان ، كخروج صفراء بنت شعيب على يوشع بن نون في دعوى دم موسى عليه السلام . ولم يعد على المسلمين من وقعةالجمل إلا الضرر ، وتأخر بسببها الغزو الذي كان ينويه علي .

وقعة صفين

بعد وقعة الجمل نصب علي « عبد الله بن العباس » عاملاً على البصرة ورجع الى الكوفة ، وكان قد اطاعه العراق واليمن والحرمان وبلاد فارس وخراسان . امـــا اهل الشام فبقوا منقادين إلى معاوية ، ولذلك أرسل علي جرير بن عبد الله البجلي لأخذ البيعة من معاوية . فجعل معاوية يحاول حتى رجع عمرو ابن العاص من فلسطين . وعند رجوعه اتفقا على دوام المطالبة بدم عثمان على أن يكون عمرو بن العاص والياً على مصر . فرجع جرير بن عبد الله البجلي إلى الكوفـــة وأخبر علياً بالأمر . فقصد علي مع جنوده الشام والتحق به عبد الله بن عباس مع عساكر البصرة . وكذلـك خرجت عساكر الشام

نحو علي . والتقى الجمعان في محل على ضفة الفرات يدعى « صفين » ومكث الفريقان هناك ماية وعشرة أيام حدثت بينهم في خلالها تسعون معركة ، قتل من أهل الشام فيها خمسة وأربعون الفاً ، ومن العراقيين خمسة وعشرون الفاً . وقد كان بين العراقيين ستة وعشرون رجلاً ممن شهدوا غزوة بدر . وكان علي قد أوصى جنده أن لا يباشروا الحرب إلا بعد مباشرة العدو لها وأن لا يعقبوا الفارين ولا يأخذوا أموال أعدائهم ، ورتب صفوفه أيضاً كما رتبها في وقعة الجمل .

كان بين جنود علي عمار بن ياسر وعمره إذ ذاك تسعون سنة وكانت ترتجف يداه من الشيخوخة ، وهو الذي ورد فيه الحديث المشهور لدى المسلمين وهو قول الرسول له :

« ستقتلك الفئة الباغية » ، واثناء الحرب طلب شربة ماء فاعطته احدى النساء شيئاً من الحليب فقال (صدق رسول الله . اني الاقي النبي وحزبه في هذا اليوم . لانه قال لي يكون آخر رزقي في الدنيا ضيحة لبن) والضيح من اللبن الممزوج بالماء . ثم أنشد :

نحن قتلناكم على تأويله كما قتلناكم على تنزيله
ضرباً يزيل الهام عن مقيله ويذهل الخليل عن خليله

ثم حارب حتى استشهد ، ويقال انهُ قتله رجل يدعى أبو فاريه بالرمح ، ثم قطع رأسه رجل آخر يدعى ابن حوني

السكسكي ، فتشاجر الاثنان وأدعى كل واحد منهما قتله ، ثم قصدا معاوية وعمرو بن العاص ، فقال لهم عمرو : كلاكما من أهل النار . فقال معاوية لعمرو : لماذا تقول لمن يفدينا بحياته هكذا ؟ فقال عمرو (والله انت أيضاً تعلم هذا الحكم !)
وقد أحدثت شهادة عمار تأثيراً عظيماً على الفريقين . لأنهم عرفوا بعد قتله من الباغي ومن المظلوم . وقد اجتمع حول علي عشرون الفاً من الرجال المتازين وهجموا على الأمويين فلم يبق لهم صف الا تضعضع ، ودامت الحرب طول الليل.وكانت ليلة الجمعة ، وفيها كبر علي اربعماية مرة وكان من عادته أن يكبر كلما قتل رجلا . ثم استمرت الحرب إلى ظهر اليوم الثاني ، وكان الأشتر يوالي حملاته وعلي يمده بنجداته ، فوقع اليأس حينئذ في موكب الأمويين . فدبر عمرو مكيدته المعروفة في رفع المصاحف على الرماح والدعوة إلى الرضاء بحكم القرآن بقولهم : « هذا بيننا وبينكم » ، وعند ذلك طلب أهل العراق من علي الموافقة والرضاء بحكم القرآن فقال لهم علي (ابقوا ، أنتم على الحق وداوموا الحرب واعلموا أن عمرو ابن العاص ومعاوية بن أبي سفيان وابن أبي معيط وابن أبي سرح والضحاك بن قيس ليسوا من أهل القرآن ! والله لم يرفعوا المصاحف إلا لخدعة ومكيدة) ولكنهم خالفوه بقولهم (لا نستطيع الاباء والمخالفة لدعوتهم إلى كتاب الله !) ولم يصغوا لقوله . وكان الأشتر النخعي لا يزال يوالي صولاته فاستدعي ليرجع فأجاب : « لا يجوز الافتراق من هنا الآن »

وكثر الصياح وعلا الغبار من جهة الأشتر وأصرّ الناس على ارجاعه فأعيد رغماً عنه . ولما سئل معاوية عن قصده من رفع المصاحف قال : (كل منا ينصب حكماً وليحكم الحكمان بموجب كتاب الله) فوافق الفريقان على ذلك ونصب معاوية عمرو بن العاص حكماً . وكان قصد علي أن ينتخب ابن العباس أو الأشتر ، ولكن بعض رجاله خالفوه وأشاروا بنصب أبي موسى الأشعري وهكذا كان . ثم تأجل حكم الحكمين لمدة طويلة ورجع علي للكوفة ، وهنا افترق عنه بعض معارضيه فسموا الخوارج .

وعند حلول الميعاد اجتمع الحكمان في محل يدعى (الأدرج) وحكما بعزل علي ومعاوية على أن يكون نصب الخليفة شورى بين المسلمين . وصعد أبو موسى الأشعري المنبر وبعد أن حمد الله بلغ الناس القرار .

ثم صعد بعده عمرو بن العاص . وقال :

« سمعتم ما قاله أبو موسى الأشعري وانه خلع موكله علياً ، فأنا أيضاً اخلع علياً وأبقي معاوية لأنه وليّ عثمان وصاحب دعوى دمه . فيكون أحق بالخلافة من غيره !!! ... » ثم عاد الفريقان كل إلى مكانه ، ونجا معاوية من انكساره الحربي .

ثم أن معاوية أرسل عساكر من الشام مع عمرو بن العاص إلى مصر فكتب محمد بن أبي بكر عامل مصر بذلك إلى علي .

فأرسل علي الأشتر لنصرته ، ولكنه لما وصل لقرب بحر القلزم اطعمه بعض بني أمية عسلا مسموماً فاستشهد على أثره وعند سماع معاوية الخبر قال « ان لله جنداً من العسل ! » .

• • •

ثم دخل عمرو بن العاص بعسكره مصر منتصراً على محمد ابن أبي بكر الذي وضعه جند عمر في جوف جيفة حمار وهو حي وحرقوه حرقاً، ولما بلغ علي الخبر تكدر وقال « نحتسبه عند الله » ثم عاد الفريقان إلى الاقتتال .

• • •

لاحقة :

بعد انتهاء وقعة صفين اتخذ علي عادة بأن يلعن معاوية وعمرو بن العاص بعد صلاة كل ظهر ، وكذلك جعل معاوية شتم علي وولديه الحسن والحسين والأشتر وابن العباس من الفرائض ، وقد ظل الامويون يشتمون علياً على المنابر حتى خلافة عمر بن عبد العزيز الذي نهى عن ذلك ، ولذلك اعتبر العلويون شتم المخالفين والغاصبين في نظرهم لحقوق أهل البيت من القرائض الدينية

• • •

واتماماً للبحث نرى ان نبين شخصية بعض رجال الحزبين في نظر العلويين فنقول :

يرى العلويون ان ابا سفيان ومعاوية ويزيد هم كرجل واحد وان النبي لعنهم جميعاً ، إذ كان ابو سفيان راكبا حماراً

ومعاوية يسوقه من ورائه ويزيد يقوده من أمامه ، فقال النبي لما رآهم (لعن الله الراكب والقائد والسائق !) .

وان ما حدث اخيراً في الاسلام بسبب هؤلاء جاء مصدقاً لقول الرسول عنهم .

وان النبي نادى يوماً معاوية فأجيب بأنه مشغول بطعام ، وتكررت هذه الحالة ثلاث مرات ، فقال النبي : (لا أشبع الله له بطناً) ولذلك قال علي عنه عندما أشار برفع المصاحف على الرماح : (انه ليس من أهل القرآن) اي انه باق على الشرك . أما يزيد فان فسقه وخبثه معلومان لدى المسلمين عموماً ، اي انه باق على الشرك ، ولا نحسب احداً يتردد في لعنه من المسلمين .

• • •

أما عمار بن ياسر فمعروف بصلابته الدينية وبأنه من أول المسلمين ايماناً ، وقد كان في بدء الاسلام عرضة لأذى المشركين من قريش إذ ألقوه هو وأباه وأمه وأخته على الأرض ووضعوا الحجارة فوق صدورهم حتى ماتت أمه وأخته ومات أبوه على اثر ذلك وبقي وحده حياً ، ومع ذلك لم تهن صلابته الدينية .

• • •

لما بنى النبي مسجده كان المسلمون يحملون له اللبن للبنـــاء واحدة واحدة ، وكان عمار بن ياسر أو عمار بن سميا ـ وسميا هذه هي أول شهيدة في الاسلام قتلها أبو جهل ظلماً ـ يحمل لبنتين في كل مرة ، ولما شاهد النبي قال له : (أتصنع ذلك

لاكتساب الثواب ؟ ولكن مع صلابة دينك وتقواك ستقتلك الفئة الباغية) .

أما عمرو بن العاص . فكان احد الثلاثة الذين اعتادو هجو الرسول وهم :(عمرو بن العاص وسفيان بن حرب وعبد الله بن الزبعري .) وكان ثلاثة اشخاص يحاوبون أولئك الثلاثة وهم (حسان بن ثابت وعبد الله بن رواحة وكعب بن مالك) .

• • •

وعند التقاء الحزبين في صفين رأى عمار بن ياسر عمرو بن العاص بين صفوف الاعداء فقال له : (يا عمرو ! بدلت دينك بمصر ؟) فأجاب عمرو (لا ، بل ادعي بدم عثمان) فقال عمار (أنا عالم بأنك كذاب لم تحارب من أجل هذا الأمر) .

ولما كانت الخلافة من اهم اسباب الخلاف فلنسمع دعوى علي فيها ونورد هنا خطبته المسماة (الشقشقية) المندرجة في «نهج البلاغة» اذ نعلم منها ان انتخاب الخليفة لم يكن باجماع الامة كما يقول السنيون واننا لا نعتقد ان احداً منهم يشك في صدق كلام علي والخطبة هي :

(أما والله لقد تقمصها « الخلافة » فلان « ابو بكر » وانهُ ليعلم ان محلي منها محل القطب من الرحى . ينحدر عني السيل ولا يرقى اليّ الطير . فسدلت دونها ثوباً وطويت عنها كشحاً. وطفقت ارتأي بين ان اصول بيدٍ جذّاء او اصبر على طخية عمياءَ . يهرم فيها الكبير ويشيب فيها الصغير ،ويكدح فيهـــا مؤمن يلقى ربه . فرأيت ان الصبر على هاتا احجى ،

فصبرت وفي العين قذىً وفي الحلق شجاً، ارى تراثي «ميراثي» نهباً، حتى مضى الاول لسبيله، فأدلى بها الى فلان «عمر» بعده.

ثم تمثل بقول الأعشى :

شتان ما يومي على كورها   ويوم حيان اخي جابر

فيا عجبا ! بينا هو يستقبلها في حياته ! اذ عقدها لآخر بعد وفاته ! ... لشد ما تشطر ضرعيها ، فسيرها في حوزةٍ خشناء يغلظ كلامها ويخشن مسها ويكثر العثار فيها والاعتذار منها ، فصاحبها كراكب الصعبة ، ان اشنق لها خرم وان اسلس لها تقحم ، فمنى الناس لعمر الله بخبط وشماس ، وتلون واعتراض . فصبرت على طول المدة ، وشدة المحنة . حتى اذا مضى لسبيله « عمر » جعلها في جماعة (عثمان ، طلحة ، الزبير عبد الرحمن ، سعد ، عــلي) زعم اني احدهم ! فيا لله ويا للشورى ! متى اعترض الريب فيّ مع الاول منهم حتى صرت أقرن الى هذه النظائر !؟ لكني اسففت اذ اسفّوا . وطرت اذ طاروا . فصغى رجل منهم لضغينه ، ومال الآخر لصهره مع هنٍ وهن الى ان قام ثالث القوم (عثمان) نافجاً حضنيه بين نثيله ومعتلفه. وقام معه بنو ابيه يخضمون مال الله خضم الابل نبتة الربيع.الى ان انتكث عليه فتله واجهز عليه عمله وكبت به بطنته . فما راعني الا والناس كعرف الضبع اليّ ينثالون علي من كل جانب . حتى وطيء الحسنان . ! وشق عطفايَ مجتمعين حولي كربيضة الغنم . فلمــا نهضت بالامر ، نكثت طائفة ومرقت اخرى ، وقســط آخرون ، كأنهم لم يسمعوا الله

سبحانه يقول : (تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علواً في الارض ولا فساداً والعاقبة للمتقين) .

بلى! والله لقد سمعوها ووعوها ، ولكنهم حليت الدنيا في اعينهم وراقهم زبرجها .

أما والذي فلق الحبة وبرأ النسمة . لولا حضور الحاضر وقيام الحجة بوجود الناصر . ومـا اخذ الله على العلماء ان لا يقارّوا على كظّة ظالم ولا سغب مظلوم ! لألقيت حبلها على غارِ بها . ولسقيت آخرها بكأس اولها . ولألفيتم دنياكم هذه ازهد عندي من عفطة عنز) .

وبعد كلام علي ، لنسمع كلام ريحـــانة الرسول ، حسن المجتبى :

اجتمع يوماً عند معاوية عمرو بن العاص والوليد بن عقبة وعتبة بن أبي سفيان والمغيرة بن شعبة . فقالوا لمعاوية أن يحضر لديهم الحسن بن علي بن أبي طالب لكي يوبخوه ويعرفوه بأن أباه قتل عثمان .

فقال لهم معاوية : انكم لن تطيقوه ، ولن تنصفوا منه ، ولا تقولون له شيئاً الا كذبـــكم . ولا يقول لـكم شيئاً إلا صدقه الناس !

فقالوا له ، فانا نكفيه .

فأرسل معاوية . فلما حضر ، قال يا حسن ! اني لم ارسل اليك ، ولكن هؤلاء ارسلوا اليك ، فاسمع مقالتهم .

فقال الحسن : فليتكلموا ونحن نسمع .

فقام عمرو بن العاص وقال :

يا حسن ! هل تعلم أن أباك أول من أثار الفتنة وطلب الملك ؟ فكيف صنع الله تعالى به ؟

ثم قام الوليد بن عقبة وقال :

يا بني هاشم ! كنتم أصهار عثمان بن عفان فنعم الصهر كان لكم لقربه من رسول الله ﷺ وهو يفضلكم ، ثم بغيتم عليه وقتلتموه وقد أردنا قتل ابيك فأنقذنا الله منه ولو قتلناه ما كان علينا ذنب .

ثم قام عتبة بن أبي سفيان فقال :

يا حسن ! ان أباك قد تعدى على عثمان فقتله حسداً على الملك والدنيا فسلبها الله منه . ولقد أردنا قتل أبيك حتى قتله الله تعالى .

ثم قام مغيرة بن شعبة وسب علياً وأثنى على عثمان !

فقام الحسن فحمد الله وأثنى عليه وقال :

بك أبدأ يا معاوية ! لم يشتمني هؤلاء ولكن أنت شتمتني بغضاً وعداوة وخلافاً لجدي رسول الله ﷺ .

ثم التفت إلى الناس وقال :

انشدكم الله، ان الذي شتمه هؤلاء، أما كان ابي وهو أول

من آمن بالله وصلى إلى القبلتين ؟ وأنت يا معاوية اذ ذاك كافراً تشرك بالله ، وكان مع ابي لواء النبي ﷺ يوم بدر . ولواء المشركين مع معاوية .

ثم قال :

انشدكم الله تعالى ! اما كان معاوية يكتب لجدي ﷺ فأرسل اليه يوماً فرجع الرسول وقال — هو يأكل — فرد اليه الرسول ثلاث مرات وفي كل مرة يقول هو يأكل ؛ فقال النبي ﷺ « لا أشبع الله له بطناً » يا معاوية ! اما تعرف ذلك من بطنك ؟

ثم قال :

وانشدكم الله ! أما تعلمون ان معاوية كان يقود بأبيه وهو على جمل واخوه هذا يسوقهُ . فقال رسول الله ﷺ : « لعن الله الراكب والقائد والسائق » وانت تعلم ذلك .

هذا كلهُ لك يا معاوية .

واما انت يا عمرو افقد تنازعك خمسة من قريش . فغلبت عليك الاشبه بهم وهو اقلهم حسباً واسوأهم منصباً . ثم قمت وسط قريش فقلت : اني شانيء محمداً ثلاثين بيتاً من الشعر . فقال النبي ﷺ : اللهم اني لا احسن الشعر ، اللهم العن عمرو ابن العاص بكل بيت لعنة . فانت عدو بني هاشم في الجاهلية والاسلام فلا نلومك على بغضك الآن .

واما انت يا ابن أبي معيط ! فكيف نلومك على سبك لأبي؟ وقد جلدك ابي في الخمر ثمانين جلدة وقتل أباك صبراً بأمر جدي وقتله جدي بأمر ربي . ولما قدمه للقتل قـــال : من للصبية بعدي يا محمد؟ فقال جدي لهم النار . فلم يكن لهم عند جدي غير النار ، ولم يكن عند ابي غير السوط والسيف .

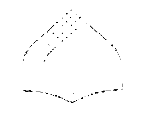
اما انت يا عتبة ، فكيف تعيب احداً بالقتل ولا تعتب على نفسك، فلمَ لا قتلت الذي وجدته على فراشك مضاجعاً. . ثم امسكها .

اما انت يا اعور ثقيف ! ففي أي شيء تسب علياً ؟!. أفي بعده من رسول الله ؟ أم لحكم جائر في رغبته في الدنيا ؟ فان قلت في شيء من ذلك كذبت وكذبك الناس، وان زعمت ان علياً قتل عثمان فقد كذبت وكذبك الناس . وان مثلك كمثل بعوضة وقعت على نخلة فقالت لها : استمسكي افاني اريد ان اطير . فقالت لها النخلة : ما علمت بوقوعك فكيف يشق عليّ طيرانك . فكيف يا أعور ثقيف يشق علينا سبك ؟!.

ثم نفض ثيابه وقام .

فقال لهم معاوية ، ألم اقل لكم لا تنصفون منه . فوالله ! لقد أظلم عليّ البيت حتى قام .
وهذا هو اعتقاد العلويين بأمر الخلافة والأحق بها .

في السنة الاربعين للهجرة كان علي يصلي في المحراب بالنجف، فضربه ابن ملجم على رأسه بالسيف، وبعد ثلاثة أيام توفي . وكان آخر كلامه للعلويين بعد وصيته (أقرأ عليكم السلام ورحمة الله) .



الامام الثاني حسن المجتبى

بعد وفاة علي اتفق أهل العراق وانتخبوا نجـله الكريم حسن المجتبى للخلافة وكان عدد الذين بايعوه اربعين ألفاً، وقد تعلق المسلمون بمحبته اكثر من أبيه ثم بدأوا يحرضونه على أخذ الشام من معاوية ، وكان حزبه أقوى من حزب معاوية والخوارج .

فلما سمع القصة معاوية احب أن يغدر بالحسن، فجمع جيشه من الشام وسار به نحو الحسن ، والتقى الجيشان بقرب الانبار في محل يدعى (مسكن) وهناك فكر الحسن في الأمر فقال في نفسه : لا يمكن انكسار أحد الفريقين إلا بعد هلاك القسم الأعظم من الفريق الثاني الغالب ، ورأى ان هـــذه الحروب الداخلية تؤدي لتوقيف انتشار الاسلام واعلاء كلمـــة الله ، ففضل ان يكون المسلمون متحدين ليسعوا في اعلائها . وذلك كان قصد جده عند وصيته لأبيه بأن لا يسل سيفه إلا بعد الثلاثين من السنين . ولم يتحمل أبوه من قبل ما تحمله ويصبر عليه إلا لغاية وحيدة ، وهي الامتناع عـــن إحداث سبب يوقف انتشار الإسلام .

رأى الحسن ان الاتحاد للمسلمين اولى من الافتراق ، فوعد معاوية بترك الخلافة له على شرط أن يعفو عن أهل المدينة وعامة أهل الحجاز والعراق ، وان تكون الخلافة للحسن بعد معاوية واشترط أيضاً شرطاً ثانياً ، وهو ان تترك المسبة على المنابر لعلي . فقبل معاوية تلك الشروط مرتاحاً إليها وتعهد بانفاذها . فعند ذلك بايع الحسن معاوية بالسلطـــة الدنيوية وابقى لنفسه الكريمة الإمامة أي الرياسة الدينية ، وذلــك بعد ستة أشهر من خلافته ثم اعتزل الحسن في المدينة .

***

والعلويون يقولون : ان هذا الصلح لم يكن إلا من قبيل التوكيل ، وان الخلافة الباطنة كانت مع الحسن. ومـــع كل ذلك نكث معاوية العهد ولم ينفذ الشروط بل واظب على لعن علي على المنابر . وقد كان الحسن يرسل له الرسائـــل ويطلب منه انفاذ الشروط ، ولكنه لم يفلح في ذلك .

وعندئذٍ أخذ بعض المسلمين يقولون للحسن « يا عـــار المؤمنين » والحسن يجاوبهم « العار خير من النار » وعنـــد مجيئه للكوفة قال له بعضهم : (يا مذل المؤمنين) وكان الجميع يحرضونه على طلب الخلافة .

كان مروان والياً على المدينة من قبل معاوية وكان في كل جمعة يصعد المنبر ويلعن علياً جهراً . والحسن يسمعه ولا يقول له شيئاً .

ويقال انه أرسل يوماً يقول للحسن : (اشبهك بالبغل ، متى سألوك مَن أبوك ؟ تجيب ان أمك الفرس) .

كان العلويون ينتظرون انتقال الخلافة لأهل البيت بعد موت معاوية . وذلك ما كان يجعل الأمويين لشعورهم بامكان زوال الخلافـــة عنها . ولذلك أغوى يزيد زوجة الحسن « جعدة بنت الأشعث » ووعدها بزواجه منها . فدست السم في طعام الحسن . وبعد مرضه أربعين يوماً توفى .

• • •

كانت ولادة الحسن سنة (٣) للهجرة ووفاتهُ سنة (٤١) وقبل وفاته سأل عائشة أن يدفن عند جده فوعدته . ولكنهُ أوصى الحسين بأنها إذا مانعتهُ في ذلك فلا يجعل هذا الأمر سبباً للفتنة بين المسلمين بل ليدفن حينئذ في البقيع .

وبعد وفاته أراد المسلمون دفنه عند جده حسب وصيته ، ولكن مروان بن الحكم الوالي من قبـــل معاوية على المدينة منعهم عن ذلك وكاد يقع القتال بين الأمويين والهاشميين في المدينة ، وكانت عائشة تعارض في ذلك بقولها : (البيت بيتي ولاآذن أن يدفن فيــه) ثم دفنه الحسين في البقيع خشيه من وقوع الفتنة .

• • •

بعد وفاة الحسن لم يتزوج يزيد بجعدة هذه وغدت خاسرة الدنيا والآخره .

ولما بلغ معاوية وفاة الحسن خرّ ساجـداً من فرحه وقد قال بعض الشعراء في ذلك :

اصبح اليوم ابن هند شامتاً ظاهر النخوة إذ مات الحسن
يا ابن هند ان تذق كأس الردى تلك في الدهر كشيء لم يكن
لست بالباقي فلا تشمت به كل حي للمنـــايا مرتهن

وبعد الحسن اتخذ الأمويون مسبة علي على المنابر واجباً دينياً ، ودام هذا الأمر حتى سنة ٩٩ للهجرة . ولما منعت المسبة بقي بعض الأمويين ومنهم أهل بلدة « حران » مصرين عليها، وحجتهم هي أن لا تقبل الصلاة الا بأداء هذه اللعنة . ومع أنهم متكتمون أكثر من العلويين في هذه العقيدة فانها لا تزال موجودة الى هذا اليوم . وهكذا اتخذ العلويون المسبة لمن خالفوا الرسول وأهل البيت فريضة إلى يوم الدين . وهم يشملون بالمسبة كل من عادى الرسول ولو اسلم بعد ذلك . وكل من عادى علياً ولو كان من أصحاب الرسول . وكل من عادى فاطمة ولو كان صاحب علياً . وكل من عادى الحسنين ولو صاحب آباءهم . وكل من عادى بقية الأئمة الأثنى عشر .

وسبب ذلك اعتقاد العلويين ان الأئمة الاثني عشر وآباءهم معصومون . فالمخالفة لإحدهم تكون مخالفة للعصمة ، ومعاداة احدهم لمن هو صاحب الحق . ويقول العلويون أن من اسلم من أسلم من قريش بعد التحاق علي بالنبي لم يكن كامل الإيمان ، ولو كان ممن لم يعادوا أهل البيت .

بعد الحسن اعتبر معاوية خليفة . ودامت خلافته ١٩ سنة و ٣ أشهر . وكان في أيام عمر وعثمان حاكما على الشام ودامت ولايته ٢٠ سنة . ولما عزله علي بقي في ولاية الشام تغلبـاً . فتكون مدة مكثه في الشام تزيد عن أربعـــين سنة . وقد توسل بأنواع الخداع لتبقى الخلافة لابنه يزيد من بعده الذي اتفق على لعنه جميع المسلمين . وأولهم سيد الكونين وفخر المرسلين .

* * *

بعد وفاة معاوية استلم الحكم يزيد في الشام، فجعل يتفنن في المظالم باسم الخلافة . وقد كان الحسن اوصى قبل وفاته الحسين بأن لا يصغي إلى أهل الكوفة والعراق ، لأنهم اهل كذب ونفاق ، وكان مما قاله له : (نحن اهل البيت ، لن يجمع الله فينا النبوة والخلافة) .

الامام الثالث الحسين الشهيد

بعد وفاة معاوية امتنع الحسين بن علي بن ابي طالب وابن الزبير عن مبايعة يزيد ، ورحل الاثنان الى مكة . ولما شاهد المسلمون رذائل الأمويين أرسلوا إلى الحسين الرسائل المتتابعة عارضين فيها عليه البيعة . فأرسل الحسين بن عمه مسلماً بن عقيل الى أهل الكوفة فبايعه ثلاثة آلاف نفس هناك ثم انهم عزلوا عامل الكوفة نعمان بن بشير . ولما وصل الخبر إلى يزيد أرسل عامله في البصرة ابن زياد فقدم هذا الكوفة وصرف أهلها عن الحسين بأنواع المكر والحيل فلم يبق مع مسلم بن عقيل سوى ثلاثين شخصاً سراً . ثم ان زياداً أعلن بأنه يهب لمن يأتي بمسلم بن عقيل ديته، فجاءه به بعض أهل الكوفة فقتله وألقى جسمه من عالي القصر وأرسل رأسه مع رأس صاحبه عروة بن هاني الى يزيد .

ولما وصل الخبر الى الحسين وهو على الطريق قال لجمعه: انكم أحراراً في الرجوع والافتراق عني، وكان الامر كذلك فافترقوا عنه ولم يبق معه سوى اقاربه الذين كانوا عبارة عن اثر النبي ﷺ وعددهم سبعون .

• • •

استشهد الحسين في محل يدعى « كربلاء » هو ومن معه . ولم يبق من نسبه سوى ولده الصغير علي زين العـــابدين . وكانت شهادته في ١٠ محرم سنة ٦١ للهجرة ، يوم عاشوراء ، وقد كان ذلك اعظم مصيبة نزلت في الاسلام .

نعم ! انه قتل من قبـــل عمر وعثمان وعلي . وقتل في وقعات الجمل وصفين جموع غفيرة من المسلمين . ولكن ذلك لم يؤثر على المسلمين مثل ما اثرت شهادة الحسين الذي كان رئيس اسرة محترمة يبلغ عددها سبعين نفساً يدعونهم خارجين على السلطان الأموي يزيد بن معاوية ، فهذه المحنة اثرت في المسلمين وأدت الى تفرقتهم ولا يزالون الى هذا اليوم متفرقين وقد انقرضت دولة الأمويين باسم الانتقام لهذا الحادث .

ثم انقرض العباسيون باسم إعادة الحقوق المغتصبة في الحادث نفسه. لان انقراض دولة العباسيين كان سبب الثورات الداخلية التي اوقدها العلويون ، وكان سبب هلاك أهل بغداد، عاصمة العباسيين، انتقاماً منهم وكان عدد أهـــل بغداد ستة ملايين، وقد سالت في أرض الجزيرة دماء ثلاثين مليوناً لأجل بعض قطرات من دم الحسين.

قتل تيمورلنك اهل الشام أيضاً انتقاماً لدم الحسين .

انقرضت الاندلس وقتل فيها خمسة ملايين بقية الامويين ولم ينجدها المسلمون . وهكذا كانت نتائج شهادة الحسين في كربلاء .

بعد حادثة كربلاء انقسم المسلمون الى علويين وسليين ، وجعل الفريقان ينظران الى بعضهما نظر العدو الى العدو ، فأباح كل فريق دماء الفريق الثاني وأصبح امر الشتم مسألة دينية أكثر مما هو مسألة سياسية .

نقول :

ان الحسين رضي الله عنه لم يقتل الا ليفوز بالشهادة .

اخـــذ قتلة الحسين رأسه وأرسلوه الى يزيد في الشام ، وارسلوا معه نساء اهل البيت عاريات ، وبعد وصولهن اليه ارسلهن يزيد الى المدينة . فكان دخول اهل البيت الى المدينة بهذا المنظر من احزن المناظر ، وهناك استقبلهم بنو هاشم بصورة لا ينساها المسلمون والعلويون ، وقد أنشدت بنت عقيل ابن أبي طالب هذه الأبيات تصف بها الحالة :

« ماذا تقولون ؟ ان قال النبي لكم
ماذا فعلتم وأنتم آخر الأمم »
« بعشرتي وبأهلي بعد مفتقدي
منهم اسارى وصرعي ضرجوا بدم »
« ما كان هذا جزائي إذ نصحت لكم
ان تخلفوني بسوء ذوي رحمي »

• • •

عاش يزيد بعد الحسين سنتين كانتا مملوءتين بالظلم والاعتداء

على الاسلام والمسلمين . وجلس من بعده على كرسي الخلافة معاوية بن يزيد (سنة ٦٤ هجرية) .

وبعد مرور اربعين يوماً على جلوسه خلع نفسه واعتزل .

وبعد ذلك اعلن عبد الله بن الزبير نفسه خليفة في مكة . فأطاعه كافة المسلمين سوى مروان بن الحكم الذي كان في الشام وكان قد سافر إلى مصر فاغتصبها ثم أقام ابنه والياً عليها ورجع إلى الشام وكرر البيعة في الشام لنفسه ، وذلك (سنة ٦٤ هجرية) . ومن هذا التاريخ بدأت حكومة بني مروان والعلويون يسمونهم (الشجرة الملعونة) .

وبعد مرور سنة توفي مروان . فخلفه عبد الملك بن مروان. وهو الذي أرسل نائبه الظالم المشهور الحجاج بن يوسف الثقفي إلى ابن الزبير في مكة

حاصر المروانيون مكة ورموا الكعبة بالمنجنيق ، ولما فتحوا مكة التجأ ابن الزبير إلى الحرم الشريف فتعقبه الحجاج وقتله في داخل الحرم . وبذلك انتهت خلافة الزبير بعد أن دامت ٩ سنين وشهرين .

وبعد مقتل ابن الزبير انحصرت الخلافة بعبد الملك بن مروان إلى سنة ٩٦ هجرية . وبعدها خلفه أخوه سليمان بن عبد الملك ثم خلفه ابن عمه ابو حفص عمر بن عبد العزيز بن مروان سنة ٩٩ هجرية . وتوفي عمر بن عبد العزيز بعد أن دامت خلافته سنتين و ٥ أشهر وعمره إذ ذاك ٢٩ عاماً . وقبره في قرية دير سمعان بقرب حمص .

وعمر بن عبد العزيز هو الذي منع المسبة لعلي فوق المنابر وان في ذلك روايات متباينة : فأهل السنة يقولون ان عمر بن عبد العزيز فعل ذلك بقصد اسكات علماء أهل السنة الذين كانوا يعترضون على دوام المسبة لعلي . والعلويون يدعون بأن المسئلة ليست كذلك . بل انها حصلت بشكل بسيط ، وهو انه حينما كانت المسبة تقال ، أتى للجامع رجل يهودي وطلب من عمر أن يزوجه ابنته لابنه وان يقبل الذهب مهراً لابنته . فسأل عمر اليهودي عن اسباب جرأته على ذلك ؟ فأجابه بأن غناه هو الذي جرأه . فازداد عمر تحـيراً وقال له : كيف يكون ذلك ؟ فقال اليهودي : فهل أنت أكبر من رسول الله يا عمر ؟ فأجابه : كـــلا . فقال اليهودي : ألم يزوج الرسول بنته لعلي ؟ ألم يكن ابني أشرف من علي ؟ . فاستغرب عمر الأمر وعلت حينئذ الضجة بين العلمــاء الذين كانوا حوله وقالوا : كيف يكون ابنه أشرف من علي ؟ وعلي أول المسلمين وحامي الدين وأشرف قريش حسباً ونسباً . فقـال اليهودي : سمعت الخطيب يلعنه فحسبته انه أردأ خلق الله ! فتأثر عمر بن عبد العزيز ومن حوله من علماء أهل السنة واتفقوا على منع المسبة لعلي . وأبدلوا المسبة بقوله تعالى :

(ان الله يأمر بالعدل والاحسان وايتاء ذي القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغي يعظكم لعلكم تذكرون) .

وكيفما كان السبب فان عمر بن عبد العزيز لم يشابه أسلافه الذين هم من الشجرة الملعونة ، بل كان رجلا تقيـــا وأخلاقه

محمودة وحلمه وعدله معروفان لا يجادل فيهما أحد .

وبعد وفاة عمر بن عبد العزيز خلفه يزيد بن عبد الملك بن مروان، وهو المعروف لدى العلويين بقتله آل المهلب من العلويين. وقد دامت خلافته سنة وشهراً . وخلف يزيد هشام (في سنة ١٠٥) ثم خلف هذا الوليد بن يزيد بن عبد الملك (في سنة ١٢٥ هجرية) وبعده إبراهيم بن الوليد . وبعـــد مضي ثلاثة اشهر خلع ونصب مكانه مروان بن محمد سنة (١٢٧)هجرية.

وعند قيام العباسيين فر مروان المذكور لمصر ثم اخذوه في « أبو صير » وقتلوه وبقتله انقرض بنو امية .

وكانت مدة حكم الامويين ٨٣ سنة أي الف شهر وهي المذكورة في القرآن الكريم بأن ليلة القدر خير من الف شهر .

الدور الثاني

من سنة ٦١ — ١٤٨

من شهادة الحسين الى وفاة جعفر الصادق

الامام الرابع علي زين العابدين

ذكرنا انه لم ينج في فاجعة كربلاء من ذكور أهل البيت سوى علي زين العابدين ابن الحسين ، وانه جيء به الى الشام.

قال النبي ﷺ يوماً للحسين بأنه هو أب الاوصيــــاء من بعده ، وانه سيظهر من أولاده المهدي المنتظر ويكون اسمه « محمد » لذلك وبما ان علياً زين العابدين كان الرجل الوحيد الباقي من صلبه، كان عامة الأتقياء من المسلمين يحبونه ويقدمونه على أنفسهم .

ان والدة علي زين العابدين تسمى (سلافه او سلامة) وهي بنت يزدجرد آخر ملوك الفرس واسمها الحقيقي « شهربانو » .

فقد كان ليزد جرد ثلاث بنات . وقد سباهن المسلمون في خلافة عمر بن الخطاب . واحب عمر بيعهن كبقية السبايا فعارضه علي بقوله: ان بنات الملوك لا تباع كغيرهن بل الأولى

تمليكهن لخواص المسلمين ، وقد كان كذلك .وأخذ علي سلافة لابنه الحسين فولدت علياً زين العابدين . وأخذ الثانية عمــــر لابنه عبد الله فولدت منه سالماً .وأخذ الثالثة محمد بن أبي بكر لنفسه فولدت منه القاسم . فلذلـــك كانوا يسمون علياً زين العابدين باسم (ابن الخيرتين)

دامت مدة امامة علي زين العابدين ٣٣ سنة . وقد قبر في المدينة في روضة البقيع بجوار قبر عمه الحسن . وكانت ولادته سنة ٣٦ ووفـــاته سنة ٩٤ هجرية فكان عمره (٥٤) سنة ، وسبب وفاته ان الوليد بن عبد الملك بن مروان توسل الى سمه فمات مسموماً .

ان الامام علياً زين العابدين لم يدّع الخلافة لانها صارت الى شكل السلطنة وقد رضي بالامامة اي الرياسة المعنوية، وجعل يحث العلويين على التقوى حتى سمي (الساجد) ولذلك كان الامويون ينحطون في التقوى والعبادة والعلويون يتقدمون فيها

وقد سار الامــام علي زين العابدين في تدينه متكتماً في بعض الشؤون وملتزماً آداباً خاصة . وهذا الشعر منهُ يدل على مذهبه في التكتم :

اني لأكتم من علمي جواهره كي لا يرى الحق ذو جهل فيفتتنا
وقد تقدم في هذا ابو حسن الى الحسين واوصى قبله الحسنا
ورب جوهر علم لو ابوح به لقيل لي انت ممن يعبد الوثنا
ولاستحل رجال مسلمون دمي يرون اقبح مـــا يأتونه حسنا

وكتمان السر كما ذكرنا تأسس في الثلاث بيعات الحادثة قبل بيعة غدير خم . وان الرسول ﷺ التزم كتمان السر من قبل ولم يجهر الا في الاحكام العمومية . لان عقول وقابليات البشر تتفاوت وان الحقائق من العقائد الدينية لا يعلمها الا المستعدون لقبولها على احسن وجه .

على اننا لا ننكر ان الكتمان عرضة لسوء الاستعمال اكثر من العلانية وفيه مجال للتغيير والتبديل . ولكن يظهر ان هذا الامر هو من شأن الخواص فليس لنا اذاً الا التسليم .

لما انتهت مشاكل المسلمين كان اعظم رجال العلويين يعملون تحت اعلام الامويين ويجاهدون في اعلاء كلمة الله . وكان منهم في ذلك الدور المجاهد المشهور موسى بن نصير .

كان موسى بن نصير قائداً في جيش معاوية ، ولما خرج معاوية لقتال علي تخلف عن اللحاق به فغاظ ذلك معاوية . فجعل يؤنبه ويذكر فضله عليه فاجابه موسى : (لا أختار الكفر بربي لأشكر عطاياك)

وكان موسى قائد جيش المسلمين المرسل لفتح افريقيا فجاهد حتى افتتح جميع بلاد افريقيا الشمالية ثم بقي عاملاً على المغرب الاقصى وأرسل أولاده لمتابعة الجهاد . وقد غنم في حربه غنائم عظيمة وأسر من الأعداء عدداً لم يسبق لقائد من قواد المسلمين أسره من قبل !

كان البربر يحكمون بلاد افريقيا بادارة سيئة ، فتشتت شمل أهلها بسبب هذه الادارة وعم الغلاء والقحط ، ولما

فتحها موسى احسن ادارتها وحث المسلمين على الصلاة والصوم وخفت وطأة المجاعة وحسنت الأحوال .

ولم يكن موسى يدعو للخليفة الأموي في صلاته كغيره من القواد ، فكلمه بعض رجاله في ذلك فقال : (لا أذكر في هذا المقام سوى الله) . وفي زمنه أسلم أكثر البربر ورسخت عقيدة الاسلام فيهم . وقد كان موسى يهتم بنشر الاسلام هناك ، بينما كان بنو أمية في الشام منصرفين عن مثل هذه الأمور .

لما استتب الأمر لموسى ، نصب طارقاً بن زياد الفاتح المشهور عاملاً على مدينة طنجة ، وأقام بعض القراء من المسلمين لتعليم البربر القرآن . ثم عاد الى الشام بعد ان أمر طارقاً بغزو بلاد الاسبان التي كان يسكنها قوم اسمهم (واندال) ولهذا السبب سميت واندالوسيا أو اندلس .

وقد ركب طارق مع اثني عشر ألفاً من المسلمين المراكب الشراعية ، ولما بلغوا جبل طارق نزلوا هناك فوجدوا أمامهم سبعين ألفاً من الاسبان ، فأمر طارق حينئذ بحرق السفن وقال لأصحابه : (العدو من أمامكم والبحر من ورائكم فليس لكم إلا الثبات في الجهاد) .

جرت الحرب فكان النصر فيها حليف المسلمين . ولما احتاج طارق الى النجدة التحق به موسى بن نصير بجيشه ثم فتح اسبانيا بكاملها،وغنم المسلمون في طليطلة مائدة النبي سليمان

عليه السلام المصنوعة من الفضة والذهب ولها ثلاثة أطواق أحدها من الدر والثاني من الياقوت والثالث من الزمرد وهي من ثقلها لا يستطيع حملها إلا بغل قوي .

وبعد ذلك رجع موسى بن نصير الى الشأم بأموال وغنائم لا تحصى . ولما وصل الى الخليفة الأموي أمر بوقوفه تحت شمس شهر تموز من الصبح الى المساء وهو قائم على قدميه . فلم يستطع هذا الرجل العظيم تحمل ذلك وخرّ مغشياً عليه . ويقول بعض مؤرخي أهل السنة ان الوليد لم يجاز موسى إلا جزاءً على حسده طارقاً على فوزه .

ثم ان سليماناً بن عبد الملك هدد موسى بن نصير بالحبس ان لم يفدِ نفسه بدية خمسين رجلاً ، ولما عجز موسى عن ذلك حبسه وطلب منه دية ماية رجل !

ولما وصل هذا الخبر الى العلوي الثاني ، الرجل العظيم يزيد بن المهلب أعطى سليمان مطلبه وأنقذ موسى بن نصير . وابلغ موسى انه لم يؤد عنه المبلغ قرضاً منه بل شكراً لجميله السابق . لان بشراً بن مروان كان نسب الى المهلب جريمة قاصداً اعدامه ،وكان موسى بن نصير عالماً بالقصد فاخبر المهلب بذلك فتمارض هذا ونجا من الموت بتخلفه عن الحضور الى بشر.

ويمكننا القول بان موسى بن نصير كان مؤسس العلوية في افريقيا .

ان جد عشيرة المهالبة المعروف هو (ابو سعيد المهلب بن ابي صفرة البصري)والمهلب بن ابي صفرة هو بن ظالم بن سراق

ابن صبح بن كندي بن عمر بن عدي بن وائل بن الحرث بن التبك ابن الازد « او الأسد » بن عمران بن عمر مزيقياء (من ملوك اليمن) بن عامر بن ماء السماء بن حارثة بن امريء القيس بن تغلبة بن مازد بن ازد الأزدي .

وقد نشأ المهلب في جهة الدبا . وهو من الرجال الشجعان المشهورين في التاريخ وكان مرافقاً لعلي في حرب صفين وقد دافع عن البصرة مدة طويلة ازاء الخوارج . ولما كان يحتال على الخوارج في حربه لهم سموه (الكذاب) فكان يجيبهم على طعنهم هذا بالحديث المشهور عن النبي (كل كذب يكتب الا ثلاثة : الكذب في الصلح بين رجلين وكذب الرجل لأمرأته وكذب الرجل في الحرب) . وقد غزا المهلب بلاد السند سنة ٤٤ للهجرة ووصل في غزوه الى ما بين ملتان وكابل في بلاد الافغان . وغزا ايضاً بلاد القيقان ، واثنى على الاتراك اذ كانوا يدافعون عن وطنهم احسن مدافعة ويذودون عنه بالشجاعة ، وللمهلب غزوات عديدة مذكورة في التواريخ العمومية .

والمهلب اول من صنع الركاب من حديد.اذ كان قبله يصنع من خشب . وعندما كان الحجاج والياً على العراقين أقام المهلب والياً على خراسان وزوج المهلب احدى بناته للحجاج ، وبقي والياً على خراسان الى سنة ٧٩ هجرية . وعند وفاته اوصى بالولاية لأبنه اليزيد .

وقبر المهلب في خراسان في قرية تسمى « راغول »

ويوجد اليوم في خراسان عشيرة من احفاد المهلب تدعى (المهالبة) وهم علويون، كما ان المهالبة الساكنين في جبل النصيرة

اليوم هم من جملة احفاده ويدعون (المهالبة) وهم علويون (ومحرر هذا التاريخ يفتخر بانتسابه لهذا النسب الشريف) .

قامت في الماضي اسرتان كريمتان بنصرة أهل البيت، الاولى في زمن الامويين وهي آل المهلب والثانية في زمن العباسيين وهي آل برمك، وقد ذهبت كلتاهما ضحية في سبيل هذا المبدأ، واننا نــــترك الآن البحث عن البرامكة الى فصله المناسب له ونبحث عن آل المهلب :

للمهلب جمل حكميات يتناقلها الناس الى هذا اليوم ومنها:

١ – الحياة خير من الممات .

٢ – ذكر الخير بعد الوفاة ، اولى من الحياة .

٣ – لو كلفت نعمة لم ينلها احد لطلبت اذناً اسمع بها ما يقال عني بعدي .

٤ – افخر لباس الرجل ، ما يلبسه لغيره .

٥ – أخذ يوماً رزمة من العصي وقال لأولاده (أنــــتم كهؤلاء مع اتحادكم لا يستطيع أحد التسلط عليكم ومتى افترقتم استطاع كسركم اي واحد كان) .

ولد من صلب المهلب ٣٠٠ ولد ، أشهرهم وأشجعهم يزيد .
وان مزيقياء الذي هو احد اجداده هو عمر، أحد ملوك اليمن الذي هاجر الى الشام وسبب تسميته مزيقياء ، انه كان كل يوم يغير لباسه ويمزق ما كان عليه منها حتى لا يلبسه لا هو ولا غيره .

وقبائل أوس وخزرج الذين ساعدوا النبي ﷺ الذين تسموا الأنصار هم من أحفاد مزيقياء المذكور .

والأكراد أيضاً من نسب عمر المذكور . وقد رحلوا الى جهة بلاد الفرس بعد سيل العرم. وأب عمر مزيقياء كان يلقب (ماء السماء) لأنه بسبب جوده وإحسانه ونفعه للناس كانوا يشبهونه بالمطر اي بماء السماء .

والغسانيون هم من جملة الأزديين . والأزد عند جلائهم عن اليمن تسموا بأسماء الأماكن التي سكنوا بها ، فمنهم ازد دبا وأزد شنو وأزد عمان وأزد غسان .

ولذلك نرى في أنساب العلويين المهالبة ، كلمات الغساني والتنوخي والأزدي .

تولى بعد المهلب منصب الولاية في خراسان ابنـــه يزيد وعمره إذ ذاك ٣٠ سنة .

ولما كانت اخته هند زوجة الحجاج امير العراقيين اشتهر اليزيد شهرة عظيمة .

كان الحجاج يصغي كثيرا إلى كلام المنجمين ، وكانوا كلما سألهم عن اسم الرجل الذي يخلفه كانوا يقولون له ان اسمه يزيد ، فلم يكن يخطر على بال الحجاج سوى يزيد بن المهلب ، ولذلك عزله من ولاية البصرة بعد ستة سنين على ولايته .

وكان العلويون يحبونه كثيراً وهو ذو مكانة لديهم فلذلك لم يمتثل لكلام الحجاج وجاهر بعصيانه ، واتفق إذ ذاك زمن تولي الخليفة يزيد بن عبد الملك،فأرسل الخليفة الى يزيد المهلب

جيشاً قوياً بقيادة اخيه مسلمة بن عبد الملك . ولما تقابل الفريقان ثبت العلويون ولكن قتل يزيد فافترق جيشه ،وأصبح بنو المهلب طعمة لسيوف الأمويين . ثم تحصن بالنجدات ابن يزيد المسمى مفضل في بلدة (قندابيل) وكان العراقيون يمدونه كما أمدوا اباه ،ولكنه قتل أخيراً وقتل أيضا من اولاده خمسة ظلماً ، قتلهم هلال بن الأحوز وأسر الأمويون آل المهلب وهم ما بين نساء وأطفال وأرسلوهم إلى يزيد بن عبد الملك ، وكان إذ ذاك في الشام العلوي الكبير كثير بن حماد المعروف (بكثير عزة) فأحب حماية آل مهلب وطلب من اليزيد الأموي العفو عنهم ، ولكن يزيداً أبى ذلك وأسلمهم للقتل .

وكان جوابه لكثير عزة انه اعلن ان كل من له حق أو طلب على آل المهلب فله ان يناله منهم . وهكذا جعلهم عرضة للمنتقمين حتى قتل معظم رجالهم ولم يبق منهم غير القليل ، وكانت نكبتهم شبيهة بنكبة البرامكة في زمن العباسيين ولم يكن لهم ذنب سوى انهم علويون .

وكان آل المهلب مثل البرامكة في السخاء والجود وكانوا فوق ذلك من أشجع الناس وأشدهم مراساً .

كان اليزيد المهلب في الحج فأعطى للمزين (الحلاق) اجرة حلاقة ألف دينار . فقال الحلاق متعجباً (ان هذا المبلغ يكفيني ان أشتري أمي بصفتها جارية) فأعطاه اليزيد ألف دينار أخرى . فقال الحلاق (إذا حلقت بعد اليوم لغيرك تكون زوجتي طالقاً ثلاثاً) فأعطاه ألفي دينار أخرى .

أتي الى يزيد المهلب يوماً بأربعين إلف درهم قيل له انها غلة بستان . فاغتاظ وقال لوكيله : جعلتموني كبياع خضر . ألم يوجد فقراء يأكلون ما نتج في البستان. وقد فتح اليزيد المهلبي في أيام ولايته على خراسان الطبرستان والجرجان وألحقها بالممالك الاسلامية وله غزوات كثيرة .

* * *

بعد وفاة علي زين العابدين الامام الخامس ، حيث كانت المظالم نازلة بالعلويين بدرجة لا تطاق ، جمع ابنه زيد كبار العلويين في الكوفة وشاورهم في الامر وطلب منهم النصرة للمطالبة بالخلافة ، فسأله كبارهم عن عقيدته الدينية .

ولما رأوا انه لا يبغض أبا بكر وعمر وعثمان لأن أهل البيت لم يظلموا في نظره في أيامهم فهو لا يوافق على الطعن بهم، اجابه حينئذ اكثر العلويين بقولهم : (اذاً ! لا نرضاك لنا إماماً بل نرفضك) فقال لهم هو (أنتم الرافضون !)ومنذلك اليوم سمي العلويون الذين يكرهون الشيخين « بالأرفاض » .

اتبعت فئة قليلة اي نحو اربعمائة نفس من العلويين (زيد بن علي) فحارب الأمويين ولكنه كسر وقتل، ثم صلبه الأمويون مدة اربعة سنين ثم حرقوا عظامه .

وكانت ام زيد بن علي جارية تسمى « جيدا » . اما ام محمد الباقر اي الامام الخامس فهي (ام عبد الله فاطمة بنت الحسن بن علي) ولذلك مال عامة العلويين الى محمد الباقر ، وهو الامام بالحق .

الامام الخامس محمد الباقر

التبقر ، معناه التوسع. وقد سمي هذا الامام باقراً لتوسعه في العلوم . ولد سنة ٥٩ وتوفي سنة ١١٧ للهجرة مسموماً في الحميمة ونقل جسده المبارك الى المدينة ودفن في روضة البقيع اذ توسل اليه بعض الأمويين بالسم .

* * *

والذين اتبعوا زيد بن علي سموهم الزيدية . وافترق هؤلاء عن بقية العلويين في العقيدة. فهم لا يشتمون الشيخين ويقولون ان الأمامة منحصرة في أولاد علي . ولا تجوز الصلاة إلا اذا كان المقتدى به مأذوناً من الامام . والزيدية اليوم يسكنون بعض بلاد اليمن . وهم محافظون على عقيدتهم .

ونذكر من قبيل الاستطراد ان دعوى الامامة لم تنحصر بمحمد الباقر وأخيه زيد . بل ان قسمـــاً من العلويين قالوا بأمامة أبي الحسن الحسين محمد بن الحنفيسة . ومن بعده قالوا بأمامة أبي هشام عبد الله . وسبب تكوّن هذه الفرقة هو كيسان خادم محمد بن الحنفية ، ولذلك تسمى هذه الفرقة من الشيعية بالكيسانية .

وبعض العلويين يقولون ان الخلافة حق من حقوق العباس عم الرسول،ويسمى هؤلاء (الراوندية) وهم يشتمون أبا بكر وعمر وعثمان . ويقولون ان خلافتهم غير مشروعة بل الخلافة لعلي لان العباس صاحب هـــذا الحق بايع علياً بها وهم يستندون على الآية القائلة : « واولو الأرحام بعضهم أولى ببعض » . ويقولون أن الأقرب هو العم أي العباس وعلي هو ابن العم .

على ان العباسيين انفسهم لم يقولوا بذلك ولم يدعوا بالخلافة للعباس . ولكنهم يقولون ان ابا هشام عبـد الله بن محمد بن الحنفية أوصى من بعده بالخلافة لمحمد بن علي بن عبدالله ابن العباس . ومنه لابراهيم بن محمد . ومنه لأخيه أبي العباس السفاح أي لعبد الله بن الحـــارث . وكان السفاح يقول انه يحافظ هو وأولاده على الخلافة ويقبلونهـا وديعة حتى يظهر المهدي .

ثم تبدل الزمان وانتشر فساد الأخلاق وتوسعت الفتن حتى أصبحت الامامة والدين آلة للسياسة .

الامـــام السادس جعفر الصادق

•

أشهر الأئمة الاثنى عشر هو جعفر الصادق بن محمد الباقر بن علي بن زين العابدين بن الحسين بن علي بن أبي طـــالب ، ولاشتهاره بالصدق سمي الصادق . وكان يعرف من العلوم عدا عن الاصول والفروع ، الفقه والكيميا والفلك والعلوم الظاهرة والباطنة . وقد صدق من قال عنه انه كان أعلم أهل عصره .

كان علي بن أبي طالب وضع علماً غامضاً سماه الجفر . وكذلك وضع جعفر جفراً آخر مستقلاً وسماه جفر جعفر . فأصبح احد الجفرين يسمى الجفر الابيض ، والثـــاني الجفر الأحمر ، ومعنى الجفر الجلد .

ولد جعفر في المدينة سنة ٨٠ هجرية وتوفي مسموماً في سنة ١٤٨ هجرية ، وقبره في روضة البقيع تحت قبة العباس . ومدة اقامته ٣٤ سنة .

يستند العلويون في معاملاتهم على أقوال الأئمة الاثنى عشر ، ولكنهم يعتمدون في الاكثر على أقوال ومؤلفـــات جعفر الصادق . وكل الشيعة يعتمدون على الفقه الجعفري مع وجود فروق طفيفة في بعض الفروع .

ان أم جعفر الصادق هي (أم فروة) بنت قاسم بن محمد ابن ابي بكر الصديق .

كان جعفر الصادق معاصراً للامام الأعظم أبي حنيفة ، وقد استدعاه يوماً ولامه لابتداعه اصول القياس في الدين .

وقد سئل الامام الاعظم مرة ، إذا قيل عن البعض انه وقف ماله للامام فمن يكون المستحق ؟ فقال الامام الاعظم ابو حنيفة : يكون المستحق جعفر الصادق ، لأنه هو الامام بالحق ! وكانت هذه الفتوى منه سبباً لنقمة العباسيين عليه وانزالهم به بعض المظالم .

وقد جمع جميع مؤلفات جعفر الصادق العلوي ابو موسى جابر بن حيان الصوفي الطرطوسي . والجفر وحده يدل على علو منزلته العلمية واقتداره

كان لجعفر الصادق ستة أولاد ذكور . وهم : محمد وإسحق وعبد الله وموسى وإسماعيل وعلي. وكان كل واحد منهم لائقاً بالإمامة ، ولذلك اتخذهم العلويون جميعاً أئمة ، ولكن اختصت كل فرقة من العلويين بواحد منهم . وقد أوصى جعفر الصادق بالامامة لولده اسماعيل من بعده ، ولما توفي اسماعيل قبل أبيه أوصى بهـــا إلى ولده الثاني موسى ، ولكن الاسماعيليين لا يوافقون على هذه الرواية .

والاسمـــاعيليون يقولون : ان جعفراً الصادق معصوم ، كبقية الأئمة . وانهُ اتخذ ابنـــه اسماعيل ولياً بعده . وهو الأكبر من اولاده فلا يجوز رجوعـه بعد ذلك ، بل الامامة

هي في نسب اسماعيل. ولذلك تكون بعد جعفر الصادق لمحمد المكتوم بن إسماعيل بن جعفر الصادق ومن بعده لابنه جعفر المصدق ثم لابنه محمد الحبيب .

وقد اشتد ساعد الاسماعيليين في زمن محمد الحبيب وكان يتوطن محمد هذا في جهات الشام في السليمية ويدير شؤون حزبه ويعمل على نشر دعوته بهمة وعزم . وكان نائبه في العراق المنجم (عبد الله بن ميمون القداح) .

ثم نشأ رجل من اهل الكوفة يدعى الحسين بن حمدان بن قرمط وسعى في نشر عقيدة الاسماعيلية . فانتمى اليه حزب خاص يدعى الباطنية أو القرامطة .

وظل الاسماعيليون يسعون في نشر عقيدتهم حتى مجيء هولاكو التركي سنة ٦٥٤،فعند ذلك انقرضت سلطنتهم وافل نجمها . ولم يبق منهم في البلاد العربية سوى الفين في قلعة مصياف ونحو ثلاثة آلاف في قلعة القدموس وجهات الخوابي ونحو عشرين الفاً في السليمية عاصمة امامهم محمد الحبيب وعدد قليل في الشام . ومنهم نحو خمسين الفاً في الهند، وأما الباقون فقد تمذهبوا بمذهب أهل السنة

وأكثر الشيعية الباقين اعترفوا بأمامة موسى الكاظم بن جعفر الصادق . ومن جملتهم العلويون الذين هم موضوع هذا التاريخ . وللعلويين والاسماعيليين مباحث مخصوصة سنأتي على ذكرها .

ولنرجع إلى بحثنا فنقول :

كان المؤرخون من ملوك الأمويين منصرفين الى الفسق واللهو . وكانوا يضغطون على العلويين في كل الجهات ، ولكن المظالم المتتابعة لم تغير عزم العلويين بل كانت تحملهم على شدة التمسك بالتقوى . وفي هذه المدة ظهر المجاهد المشهور (ابو مسلم عبد الرحمن بن عثمان الخراساني) وان في اصله أقوالاً : وبعضهم يقول انه عربي الأصل والبعض ينسبونه الى الفرس أو الأكراد . وعلى كل حال فهو رجل عظيم ذو مواهب عالية . وقد قلب دولة عظيمة وانشأ دولة أعظم منها .

وكان من جملة مساعي العلويين في استرداد الخلافة إلى أصحابها اهل البيت ، ان اخذ جماعة منهم أبا مسلم الخراساني الى الامام ابراهيم الذي يعتمده الشيعة الكيسانيون أماماً . وكان في مكة حيث توجد كتلة علوية قوية باقية من أيام آل المهلب .

وفي سنة ١٢٩ للهجرة بدأ أبو مسلم في مدينة مرو بمطالبته بحقوق أهل البيت بالخلافة ، ولم يكن حوله اذ ذاك سوى خمسين رجلا .

كان ابن سيار عامل الخليفة مروان بن محمد الأموي على خراسان في ذلك الحين فادرك ما ترمي اليه هذه الحركة ، وكتب الى مروان ان ابا مسلم يشبه الحبة الصغيرة التي تنقلب الى دمل .

وانه يجب القضاء على هذه الحركة قبل استفحالها. ولكن مروانا كان منهمكاً باخماد العصيان الذي كان في الجزيرة فلم يهتم بمجاوبة نصر . وكان يتوالى نجاح ابي مسلم وقتئذ وتتزايد قواته . فكرر نصر كتاباته لمروان ولكنه لم يتلق جواباً . ثم بلغ الامر إلى درجة اصبح فيها ابو مسلم يقود جيشاً . وادرك نصر بن سيار حينئذ انه عـــاجز عن التغلب عليه فهرب من خراسان وتوفي في العراق وهو سائر في طريقه الى الشام .

وقد فتح ابو مسلم اولاً نيسابور . ولما كان الامام ابراهيم صاحب الدعوة قد توفي في تلك المدة، وكان عبد الله السفــاح يدعي بان الامام ابراهيم اوصى له بالامامة فعند ذلـــك قرأ الخطبة ابو مسلم في نيسابور باسم عبد الله السفاح .

وثابر ابو مسلم على جهاده حتى استولى على جميع خراسان ثم جمع قوة عظيمة لكي يضرب بها الامويــين في عقر دارهم وسار بها الى الشام .

وفي تلك المدة اعلن عبد الله السفــاح خلافته في الكوفة وذلك سنة ١٣٢ هجرية .

التقت جنود الامويين والعلويين على ضفة نهر زاب.فوقعت بينهم واقعة كبرى غلب فيهــا الامويون وهرب مروان الى الشام،ولكن لم يهمل عبد الله الاستفادة من هذا الظفر بل بقي مطارداً مرواناً حتى وصل الى مصر وهناك قبض عليــه في ابو صير ثم قتل .

كان عامة الشيعة متحدين في الحركة ضد الامويين . ولكن

العلويين لم يتركوا دعواهم بالخلافة لاولاد الرسول الذين هم من صلب علي .

ولذلك سلك عبد الله السفاح سبيل الحيلة واظهر نفسه بانه يتولى الخلافة موقتاً على ان يسلمها لمستحقيها من اهل البيت ، ثم قال ان الخلافة تبقى في يده ويد اولاده امانة حتى يظهر المهدي ، واعلن ذلك على المنابر .

اما العلويون الحقيقيون فلم يتركوا دعواهم بل داوموا على عقيدتهم متخذين الأئمة الاثنى عشر مرجعاً دينياً .

وكانت الامامة تنتقل على سلسلة عمودية ، اي تنتقل بعد الامام لولده الاكبر ، وكان الأئمة يعتبرون اولادهم الاكبرين اولياء عهد . وقد حدثت من ذلك الترتيب العمودي دعوى الاسماعيلية كما اسلفنا ،ووقع الخلاف بين العلويين .فالاسماعيلون لم يقبلوا من الأئمة الاثنى عشر سوى الخمسة بعد علي ، ولذلك سموهم الخمسية . واعتبر قسم منهم اسماعيل وابنه محمد المكتوم اماماً فسموهم السبعية . واصحاب الحسين بن حمدان القرمطي مع كونهم اسماعيلية تسموا القرامطة ، قالوا ان للقرآن معانٍ ظاهرة وباطنة سموهم الباطنية . وسنشرح هذه التفاصيل في الآتي :

واعتبر اكثر العلويين موسى الكاظم اماماً وهؤلاء الاثنى عشرية ، وبحث تاريخنا على هؤلاء .

وقد رأينا ان نكتب جدولاً باسماء الخلفاء وزمن توليهم

الخلافة لكي يسهل علينا معرفة زمن الوقائع وفي عصر أي خليفة كانت .

الخلفاء الراشدون

	سنة هجرية
ابو بكر	١١
عمر بن الخطاب	١٣
عثمان بن عفان	٢٣
علي بن ابي طالب	٣٥
حسن المجتبى	٤٠

• • •

الامويون

معاوية بن ابي سفيان	٤١
يزيد بن معاوية	٦٠
معاوية بن يزيد	٦٤
عبد الله	٦٤
مروان بن الحكم	٦٤
عبد الملك بن مروان	٦٥
الوليد بن مروان	٨٦
سليمان	٩٦
عمر بن عبد العزيز	٩٩
يزيد بن عبد العزيز	١٠١
هشام	١٠٥

	سنة هجرية
وليـــد	١٢٥
يزيـد	١٢٦
ابراهيم	١٢٦
مروان بن محمد	١٢٧
انقراض الامويين	١٣٢

• • •

العباسيون

عبد الله السفاح	١٣٢
ابو جعفر المنصور	١٣٧
المهدي	١٥٨
موسى الهادي	١٦٩
هارون الرشيد	١٧٠
الأمين	١٩٣
المأمون	١٩٨
المعتصم	٢١٨
هارون الواثق	٢٢٧
المتوكل	٢٣٢
المستنصر	٢٤٧
المستعين	٢٤٨
المعـــتز	٢٥٦
المعتضد	٢٩٥

	سنة هجرية
الظاهر بالله	٣٢٠
الراضي بالله	٣٢٢
المقتفي بالله	٣٢٩
المستكفي بالله	٣٣٣

• • •

آل بويه العلويون

معز الدولة	٣٣٤
احمد بختيار الموفق	٣٥٥
عضد الدولة	٣٦٧
صمصام الدولة	٣٧٢
شرف الدولة	٣٧٦
بهاء الدولة	٣٧٩
سلطان الدولة	٤٠٣
مشرف الدولة	٤١٣
جلال الدولة	٤١٨
محيي الدولة	٤٣٥
الرحيم أبو النصر	٤٤٠
انقراض البويهيين	٤٥٠

• • •

عودة السلطنة والخلافة الى العباسيين

	سنة هجرية
القائم بامر الله	٤٥٠
المقتدي بالله	٤٦٧
المستظهر بالله	٤٨٧
المسترشد بالله	٥١٢
الراشد	٥٢٩
المقتضي بامر الله	٥٣٠
المستنجد بالله	٥٥٥
المستضي بالله	٥٦٦
الناصر	٥٧٥
الظاهر بالله	٦٢٢
المستنصر	٦٢٣
المعتصم بالله عبد الله	٦٤٠
سقوط بغداد وانتقال الخلافة لمصر	٦٥٦
عدد الخلفاء العباسيين في مصر	١٩

* * *

الخلفاء الفاطميون العلويون

عبد الله المهدي	٢٩٧
القائم بامر الله	٣٢٢
اسماعيل المنصور	٣٢٤
المعز لدين الله	٣٤١

	سنة هجرية
العزيز بالله	٣٦٥
الحاكم بامر الله	٣٨٦
الظاهر	٤١١
المستنصر	٤٢٧
المستعلي بالله	٤٨٧
الآمر باحكام الله	٥٢٤
الحافظ لدين الله	٥٢٤
الظافر	٥٤٤
الفائز	٥٤٩
العاضد	٥٥٥
انقراض دولة الفاطميين	٥٦٧

* * *

سلاطين بني أيوب

صلاح الدين الأيوبي	٥٦٧
العزيز عثمان	٥٨٩
المنصور محمد	٥٩٥
العادل	٥٩٩
الكامل محمد	٦١٥
العادل	٦٣٥
الملك الصالح أيوب نجم الدين توران شاه	٦٣٧
الملك الاشرف موسى بن يوسف شجرة الدر	٦٤٨

* * *

السلاطين الأتراك المصريون

	سنة هجرية
الملك المعز عز الدين ايبك التركماني الصالحي	٦٥٢
الملك المنصور علي	٦٥٥
الملك المظفر قطز (قودوز)	٦٥٧

السلاطين الجراكسة العلويون

الملك الظاهر ، ركن الدين والدنيا بيبرس	
العلائي البندقداري	٦٥٨
الملك السعيد	٦٧٦
الملك العادل بدر الدين سلامش « سو سلنمش »	

• • •

المماليك المصريون العلويون

الملك المنصور ابو المعالي قلاوون الصالحي الالفي	
الملك الأشرف خليل	
الملك الظاهر بيدر « كانت سلطنته يوماً واحداً »	٦٩٣
الملك الناصر محمد بن قلاوون	٦٩٣
الملك المنصور حسام الدين	٦٩٤
محمد بن قلاوون	٧٠٠
السلطان بيبرس جاشنكير	٧٠٧
محمد بن قلاوون	٧٠٩

	سنة هجرية
الملك المنصور أبو بكر	٧٤٠
السلطان كوجك	٧٤٢
السلطان احمد (كانت سلطنته اربعين يوماً)	
الملك الصالح عماد الدين اسماعيل	٧٤٥
الملك الأشرف شعبان	٧٤٨
السلطان حاجي	٧٤٩
السلطان حسن بن محمد بن قلاوون	٧٤٩
السلطان صالح بن قلاوون	٧٥٢
السلطان حسن	٧٥٥
المنصور محمد الحاج	٨٥٨
الملك الأشرف شعبان	٧٧٣
علي بن شعبان (ووليه برقوق)	
السلطان صقر خان حسين بن السلطان حسن (ووليه برقوق)	
السلطان برقوق الملك الظاهر	٧٨٤
السلطان الناصر فرج بن برقوق	٨٠٢
السلطان عبد العزيز	٨٠٨
السلطان فرج الثاني	٨٠٩
الملك المؤيد ابو النصر الشيخ المحمودي	٨١٦
ابو السعادات احمد	٨٢٤
ططر	٨٢٤

	سنة هجرية
محمد بن ططر	٨٢٥
الملك الأشرف ابو النصر تراق برسباي الدقاقي	٨٢٥
عبد العزيز ابو المحاسن يوسف	٨٤١
الملك الظاهر ابو سعيد جقمق	٨٤٢
عثمان بن جقمق (كانت سلطنته اربعين يوماً)	٨٥٦
ابو النصر اينال العلائي	٨٥٦
ابو الفتح احمد	٨٦٥
الملك الظاهر خوشقدم الناصري	٨٦٦
الملك الظاهر ابو سعيد بلباي	٨٧٢
الملك الظاهر تمربغا « كانت سلطنته ٥٨ يوماً »	٨٧٢
الملك الاشرف ابوالنصر قايتباي الظاهري المحمودي	٨٧٢
تمربغا « الثاني »	٨٧٢
محمد ابو السعادات بن تمربغا	٩٠١
الملك الأشرف قانصو « كانت سلطنته ١١ يوماً)	٩٠١
السلطان محمد بن قايتباي	٩٠٢
قانصو الأشرفي القايتبائي	٩٠٤
الملك الأشرف جانبولاد	٩٠٥
الملك العادل طومانباي (كانت سلطنته ١٤ شهر ونصف)	٩٠٥
السلطان محمد قانصو غوري	٩٠٦

	سنة هجرية
طومانباي الثاني	٩٢٢
انقراض حكومة الجراكسة المماليك وخاتمة	
دولة العلويين	٩٢٣

ملوك آل عثمان الأولون

السلطان عثمان	٦٩٩
السلطان اورخان	
السلطان مراد	
يلديرم بايزيد	
فاصلة السلطنة	
جلبي سلطان محمد	
السلطان بايزيد ولي	
السلطان محمد الفاتح	
ياوز سلطان سليم	
السلطان سليمان القانوني	
السلطان احمد	

• • •

افترق الشيعيون الى إسماعيلية واثني عشرية كما قدمنا . وقد كان هذا الافتراق سبباً للضعف ثم الى الاقتتال . واشتد العداء بين الفريقين إلى أن زاد على ما هو بينهما وبين أهل

السنة ، وكان الافتراق أيضاً في انتهاج كل فريق منها منهجاً خاصاً في حياته الاجتماعية ، إذ انصرف الاسماعيليون إلى الحروب واتخذوا القتال مبدأ لهم ، وانصرف حزب الاثني عشرية إلى التعبد مقتفين في ذلك اثر اهل البيت في الزهد والتقوى ، ولم يعبأوا بالسعي إلى نيل الخلافة ، وهكذا كان دأب الأئمة الاثني عشر إذ كانوا يحصرون همهم في التقوى ويقودون حزبهم اليها ويحثونه على التمسك بمحاسن الاخلاق .

* * *

انقرضت دولة الأمويين في انتهاء الدور الثاني كما قدمنا وقامت دولة العباسيين مستندة على سيف أبي مسلم الخراساني .

ان أبا مسلم الخراساني من أعظم رجال التاريخ ، وقد كانت معاركه مع الأمويين هائلة جداً حتى قدّر عدد القتلى منهم في هذه المعارك بستماية ألف ، وهو عدد عظيم في حروب ذلك الزمن ، وهذه الأبيات تمثل رجولية أبي مسلم اذ يقول فيها :

ادركت بالحزم والكتمان ما عجزت
عنه ملوك بني مروان إذ حشدوا
ما زلت أسعى بجهدي في دمارهم
والقوم في غفلة بالشام قد رقدوا
حتى طرقتهم بالسيف فانتبهوا
من نومة لم ينمها قبلهم أحد

ومن رعى غنماً في أرض مسبعة
ونام عنها تولى رعيها الأسد

* * *

كان أبو مسلم ذا مواهب فطرية ممتازة على مواهب البشر ولم يكن أحد يعلم نواياه سواه، وكان يضحي كل شيء في سبيل غايته وكان لا يأتي النساء إلا مرة واحدة في السنة، وكان يقول ان الجماع ضرب من الجنون ويكفي المرء أن يجن مرة في السنة .

وان من عبر التاريخ ان يكافيء العباسيون أبا مسلم بالقتل، إذ قتله المنصور أخو عبد الله السفاح سنة ١٣٧ هجرية ، وهو الذي قضى على دولة بني أمية وأسس على أنقاضها للعباسيين دولة وطيدة الأركان .

بعد مقتل مروان هرب ولداه عبد الله وعبيد الله الى بلاد الحبشة فقاتلهم الأحباش وقتل عبيد الله ونجا عبد الله وبقي لأيام المهدي ثم قتل .

وبعد مقتله أولم عبد الله السفاح وليمة كبيرة دعا اليها بقية الأمويين متظاهراً بالتودد إليهم والميل الى الصلح فأجابوا الدعوة ، وحينئذٍ قتل كل من حضر الضيافة منهم وكانوا ثمانين ، ثم مدّ مائدة الطعام فوق أجسامهم وجعل يقول : (لم آكل في حياتي ألذّ من هذا الطعام !) ، وكان بعض الامويين لا يزال في النزع وعبد الله يسمع أنينهم . ولم ينج

من الأمويين سوى عبد الرحمن الذي أسس دولة الامويين في الأندلس .

وبعد أربع سنوات توفي عبد الله السفاح في « الانبار » بمرض الجدري وخلفه أخوه الاكبر (المنصور) فنقل مركز الخلافة من الكوفة الى بغداد، ثم أخذ بالتشديد على أهل الشام وكان يطارد العلويين المنسوبين للعقيدة الامامية حتى يأس من صلاحه جميع المسلمين .

زالت حكومة بني مروان التي يسميها بعضهم (الشجرة الملعونة) وقامت على أثرها حكومه العباسيين ، ولما علم عبد الله السفاح ان العلويين لا يرضون الا بخلافة أهل البيت وانهم لا يزالون يؤيدون دعواهم هذه ، جعل يقول ان حق الخلافة هو لأهل البيت وانه سيتنازل عنها إلى المهدي ، وقد جاهر بذلك في خطبته على المنابر ، ولكن أكثر العلويين لم ينخدعوا بهذه الاقوال بل ظلوا مثابرين على دعواهم ، وكانت الدعوى في مصر في زمن السفاح باسم محمد بن عبد الله بن الحسن ابن الحسين بن علي بن ابي طالب ، وكان يزداد خطر الامامية على العباسيين يوماً بعد يوم . ولتمادي الايام على هذه الحالة أصبح العلويون كارهين للعباسيين اكثر من كرههم للامويين . وهكذا كان العباسيون يضطهدون أهل البيت أكثر من اضطهاد الأمويين لهم .

* * *

كان بغض الأمويين للعلويين شخصياً وتاريخياً ، لأن أمية

عادى هاشماً كما أسلفنا ، وعداوة أبي سفيان للنبي معلومة ، وهو الذي لم يسلم إلا بعد أن قويت شوكة الاسلام ولم يبقَ سبيل لمقاومته وذلك في السنة الثامنة للهجرة ، وبعد فتح مكة وحينئذ كان النبي يتألفهم بالعطاء فهم المؤلفة قلوبهم ، وقد اثبت التاريخ ان الامويين ظلوا على هذا العدوان لبني هاشم ولم يتبعوا نهج الخلفاء الراشدين وقد دام ملكهم مدة الف شهر ، والعلويون يقولون انها المقصودة من الآية القرآنية وهي (ليلة القدر خير من ألف شهر) .

هذه هي عداوة الأمويين ، أما العباسيون فلا توجد أسباب لمعاداتهم للعلويين ، على ان هؤلاء لا يفرقون بين سائر المسلمين الذين اسلموا بعد ملافاة علي للنبي بعدم اعتبار إسلامهم كاملاً ، ومن جملتهم « العباس » الذي كان أقرب صديق لأبي سفيان .


مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

الدور الثالث

من إمامة موسى الكاظم الى غيبوبة الامام محمد المهدي

اشتد في هذا الدور الضغط على العلويين وكان العباسيون يزدادون شدة عليهم كلما ازداد الخطر من دعوتهم ، حتى ان المستنصر العباسي كتب الى عامله في مصر بان يشدد في معاملته للعلويين ويحكم في الحاكم عليهم بلا اقامة بينة . وكان بمجرد ذكر الحسن والحسين يكفي لانزال العقاب بالذاكر ، ولذلك هاجر العلويون الى محيط اسلامي بعيد وهو بلاد خراسان وبلاد الأكراد ، كما هاجروا الى كيليكيا والمغرب الأقصى .

ولما كانت كثرة الاضطهاد تزيد في تمسك المضطهدين بمبدأهم ، فقد ازدادت محبة أهل البيت ، وزاد التمسك بدعوى الامامة .

وكان العلويون يقتدون بالرجل العظيم الامام موسى الكاظم المشهور بالتقوى وكثرة العبادة ، حتى سماه المسلمون (العبد الصالح) وكان يلقب أيضاً (بالرجل الصالح) تشبيهاً له بصاحب موسى بن عمران المذكور في القرآن !

وكان الامام الكاظم كريماً وسخياً . وقد سكن المدينة ، ثم استدعاه الخليفة العباسي إلى بغداد وسجنه ، وبعد سجنه له رأى الخليفة في منامه علياً بن أبي طالب فقال له علي (يا محمد ! لما ملكتم مـا كان منكم الا ان تفسدوا في الأرض وتقطعوا أرحامكم !) فانتبه من منامه وأمر حينئذ باخراج الكاظم من سجنه ودعاه اليه وأجلسهُ بجانبه ، وبعد ان اخذ عليه العهد بان لا يخرج عليـه ولا على اولاده ، أعاده إلى أهله في المدينة .

لقب الامام موسى « بالكاظم » لوفرة حلمه ، وقد ولد سنة ١٢٨ هجرية وتوفي وهو في سن (٥٥) ومدة امامته ٣٥ سنة وكان له ٣٧ ولداً ذكوراً واناثاً .

واسباب وفاته مسموماً هي :

ان هارون الرشيد كان يزور الحرم الشريف ، فقال اثناء ذلك مفتخراً ، عندما بلغ قبر الرسول ﷺ : (السلام عليك يا رسول الله . يا ابن العم !) فقـال موسى الكاظم اذ كان حاضراً اذ ذاك : (السلام عليـك يا ابت !) فاسخط هذا القول هارون اذ شعر بصغر قدره أزاء الكاظم ، فأمر حينئذ بنقله الى بغداد ، وهناك أمر بعض رجاله بوضع السم له في التمر واطعامه له .

• • •

ثم كانت ضربة هارون الرشيد الثانية للعلويين بقتل البرامكة . والبرامكة هم من بـلدة بلخ في خراسان ، وجدهم

برمك كان كاهناً في بيت النار المتخذ للعبادة ، وبعد اسلامه نصبه الخليفة عاملاً على بلخ، فهدم بيت النار وبنى في محله مسجداً.

اما يحيى بن برمك المشهور فكان أباً للرشيد من الرضاع ، والرشيد لم يكن يناديه الا بكلمة « يا ابت ! » وهذا هو السبب في نصب الرشيد ولده الفضل بن برمك، اي أخاه رضاعاً، وزيراً له . ولما رأى رجحان اقتدار جعفر على أخيه توسل بأبيه يحيى لتبديله فقال (يا أبت ! احب ان اعطي ختمي الذي مع اخي فضل الى جعفر) فأخبر ابوهم يحيى ولديه الخبر واعطى الختم الى جعفر . ثم سلم هارون الرشيد ابنه الامين للفضل وابنه المأمون لجعفر . وكان جعفر يحب اهل البيت حباً شديداً فنشأ ربيبه المأمون محباً لأهل البيت ومعترفاً بحقوقهم .

ثم تعين الفضل حاكماً لخراسان فاشتغل هناك عن اعمال الحكومة بالصيد والملاهي، وكان الاهلون يشكونه الى الرشيد، والرشيد يحيل الشكايات الى ابيه يحيى فيكتفي هذا بنصحه .

وفي تلك المدة انقسمت المملكة العباسية الى شطرين: فكانت الجهات الشرقية تحت حكم الفضل ، والغربية مع بلاد افريقيا تحت حكم جعفر ، وبذلك استقل آل برمك بتلك المملكة الواسعة ولم يبق لهارون الرشيد سوى الاسم .

ولهذه الأسباب حاز البرامكة ثروتهم العظيمة التي كانوا ينفقون منها بسخاء عظيم حتى زادت عطاياهم على عطايا الخلفاء، فحسدهم الناس على ذلك وعادوهم، وكان اعظم عدو لهم (ابو

العباس فضل بن ربيع بن يونس بن محمد بن عبد الله بن ابي فروة كيسان ، مولى عثمان بن عفان) وذلك لان جعفراً ناداه يوماً بقوله (يا لقيط !) وكان فضل هذا يبغض البرامكة كما كان يبغض أهل البيت . فوضـــع كتاباً مصنعاً على لسان جعفر البرمكي الى الامام (عـــلي الرضا) وبحث فيه عن استرداد الخلافة لاهل البيت، واخبر بذلك هارون الرشيد، فبحث عن الكتاب حتى ظفر به ، ولمـــا كلم بشأنه جعفراً انكره هذا وبرهن على براءته ، فتظاهر الرشيد بالاقتناع ولكنهُ امر بعد ذلك بقليل باعدام البرامكة وضبط أموالهم، فبدأ عمال الرشيد بقتل البرامكة واتباعهم حتى بلغ عدد القتلى منهم في بغداد وحدها ثمانية آلاف وفي الشام اربعة آلاف، ولم يستبق الرشيد منهم سوى يحيى والده في الرضاع واخاه الفضل فسجنهما ، ثم طلبت من الفضل ان يبوح بما لدى البرامكة من الاموال الخفية وهدده بالقتل ان لم يقل له عن ذلك . فقال الفضل: ارضى ان افدي ملك الدنيا ولا ارضى ان احتمل جلدة واحدة، ولكن لم يكن عندي شيء من المال . فامر الرشيد حينئذ بجلده فجلده مسرور خادمه مائتي جلدة، واشترك غير مسرور من الخدم بجلده . ثم جلبوا له طبيباً ليداويه فحضر ورفسه برجليه عـــلى صدره . وكان الفضل يستجير فلا يجار ثم ما زالوا يضربونه حـــتى التصق جلده بالتراب ، وبعد ذلك عالجه الطبيب .

توفي الفضل الذي فاق أخاه جعفراً بالجود والسخاء مسجوناً سنة ١٩٣ ، وكانت ولادته سنة ١٤٧ هجرية .

• • •

وما قصدنا من هذا التطويل إلا بيان نصيب العلويين من العذاب في ذلك الوقت ، لأن محبة هارون ليحيي والفضل كانت شديدة ، وكان انتسابهم للعلويين سبباً ألحق بهم تلك المظالم . ولم يرحم هارون الرشيد سوى يحيى اذ عرض عليه العفو، ولكن يحيى أحب ان يبقى مع ابنه في الحبس فأبقاه. وقد كان آل برمك وآل المهلب اسخى العلويين بل أسخى المسلمين !

• • •

وبعد وفاة هارون الرشيد ، سعى الفضل بن الربيع فألقى العداوة بين الأمين والمأمون ، اذ كان المأمون علوياً ، وكان الفضل من حزب الأمين ، وعندما غلب الأمين في الحرب اختفى الفضل .

ولما أراد المأمون ترك الخلافة لمستحقيها من اهل البيت وتآمر عليه بعض المعارضين ، كان الفضل من جملة من انضم إلى إبراهيم المهدي المدعي بالخلافة والخارج على المأمون .ولما غلب إبراهيم اختفى الفضل ودام مختفياً حتى مات في سنة ٢٠٨ هجرية .

والعلويون الذين نجوا في نكبة البرامكة هاجروا الى بلاد المغرب الأقصى وتونس، ثم تفرقوا بعد ذلك الى جزيرة قبرص ثم إلى جبل النصيرة والتحقوا بعشيرة الخياطين الموجودة اليوم. وقد كان الشيخ علي الخياط الذي التجأ للأمير حسن بن مكزون السنجاري وحمله على السير إلى الجبل ممن ينتسبون الى البرامكة .

الامـــام الثامن علي الرضا

ولد علي الرضا في سنة ١٥٣ هجرية بعد وفاة جده الصادق بخمس سنين وتوفي سنة ٢٠٨ هجرية . وهو علي الرضا ابن موسى الكاظم بن جعفر الصـــادق بن علي زين العابدين بن الحسين الشهيد بن علي بن ابي طالب . وامه الجارية المسماة (سمانة) ، وهي جارية نوبية كانت عند السيدة حميدة أم موسى الكاظم .ورأت حميدة في منامها الرسول ﷺ يأمرها أن تهب سمانة لموسى ويبشرها بانها ستلد من هو خير أهـل الأرض ، وكانت مدة امامته عشرين سنة .

• • •

لما أصبحت الامامة اعظم هم للعباسيين، وأيقن بعضهم انه لا يمكن اجتناب مسألة الامامة ، وكان المأمون العباسي راضياً بعقيدة العلويين ، اعلن حينئذ الامام علي الرضا ولي عهد له من بعـده ، وزوج بنته ام الفضل لابنه محمـد التقي او محمد الجواد سنة ٢٠١ هجرية . وعند ما حسدت أم الفضل بقية زوجات محمد التقي راجعت اباها وشكت له الأمر ، فوبخها

قائلاً لها انه باعطائه بنته لمحمد لا يجوز ان يحرمه ما أحل الله لـه

• • •

كان علـَم الأمويين ابيض ، وكانوا يقولون (ان أحسن الالوان البياض)، ثم اتخذ العباسيون السواد شعاراً لهم مخالفة للامويين وكانوا يقولون (ان أحسن الألوان ما يكتب به القرآن) .

أما المأمون فانه ابطل لون السواد احتراماً لأهل البيت ، واتخذ اللون الاخضر (وهو علامة اهل البيت) شعاره الرسمي. وقد جمع مقدار ٣٣ شخصاً ومن كان من آل البيت وأبلغهم ان علي الرضا احق بالخلافة وانه اتخذه ولي عهد له .

ولما علم العباسيون عظم الخطر الذي يتهددهم بزوال الخلافة عنهم، اتفقوا على ابطال هذه التولية وعلى خلع المأمون ونصب عمه المهدي بدلاً منه .

فأدرك المأمون الامر وسعى لاطفاء تلك الفتنة ، فأمر بالقاء السم في العنب في الطوس وأطعم الامام علي الرضا منه، فأزال بذلك الخطر الذي كان يتهدده ، ثم منع اللـون الأخضر وأعاد السواد .

الامام التاسع

محمد التقي أو الجواد

ولد الإمام محمد الجواد سنة ١٩٥ وتوفي سنة ٢٢٢ هجرية ، وكانت مدة إمامته ١٧ سنة . وتزوج أم الفضل بنت المأمون وذهبت معه للمدينة . وبعد وفاته دخلت لقصر الخليفة ، أي المعتصم الذي ألقى السم في طعام الإمام ، وعاشت فيه بقية حياتها .

الامام العاشر علي الهادي

ويلقب بالنقي والزكي . وأمه أم الفضل بنت المأمون . ولد سنة ٢١٤ في المدينة وتوفي سنة ٢٥٤ في سر من رأى أو « سامراء » .

لما كان الإمام في المدينة وظهرت عنه الأقاويل المختلفة ، استدعاه الخليفة العباسي المتوكل من المدينة سنة ٢٤٣ لسامرا ، وبعد سنة ألقى السم في طعامه . كانت مدة إمامته ٣٤ سنة وعمره ٤٠ .

كان حسن الخلق حتى لم يكن أحـــد يشك في عصمته ، ولكن خطر الإمامة أوهم الخليفة المتوكل بالخطر ، وقد وشي به إليه أنه جمع في بيته معدات وأسلحة استعداداً للخروج عليه والادعاء بالخلافة . فأرسل الخليفة حينئذٍ عساكره التركية إليه فهجموا ليلاً على بيته ، وقـــد اختار الخليفة العساكر التركية لسوء ظنه بالعرب المسلمين ، لأنهم يعرفون من الاحق بالخلافة . أما الأتراك فـكانوا حديثي عهد بالاسلامية ، وكانوا لا يعرفون غوامضها بـــل كانوا يناصرون العباسيين الذين اعتادوا التزوج من بنات الاتراك .

ذهبت العساكر التركية ليلاً الى بيت الامــام ورأوه جالساً على التراب ملتفاً برداء صوف وهو يقرأ القرآن . وبعد تفتيش جميع زوايا بيته احضروه الى الخليفة وأخبروه بالقصة، وكيف أنهم رأوا الامــام زاهداً وانهم لم يجدوا عنده شيئاً من العدة .

وحينئذ كان الخليفــة المتوكل مشغولاً بملذاته ، فادرك الخطأ الذي وقع فيه . ورأى من الواجب احــترام الامام ، فاجلسه ثم أكرمــه بكأس من الخمر . فاعتذر الامام وطلب عفوه من شرب الخمر فعفاه الخليفة، ولكن طلب منه ان يغني له شعراً فانشد حينئذ الامام علي الهادي شعره المشهور :

باتوا على قلل الاجبال تحرسهم
غلب الرجال فمــا اغنتهم القلل

واستنزلوا بعد عز عن معاقلهم
فاودعوا حفراً يا بئس مــا نزلوا

ناداهم صارخ من بعد مــا قبروا
أين الأسرة والتيجان والحلل ؟

أين الوجوه التي كــانت منعمة
من دونها تضرب الأستار والكلل

فافصح القــبر عنهم حين سائلهم
تلك الوجوه عليهــا الدود يقتتل

قد طال ما أكلوا دهراً وما شربوا
فاصبحوا بعد طول الأكل قد أكلوا
وطال ما كثروا الأموال وأدخروا
فخلفوها على الأقـــذار وارتحلوا
اضحت منـــازلهم وحشاً معطلة
وساكنوها الى الأجداث قد رحلوا
سل الخليفة ! اذ وافت منيتهُ
أين الجنود وأين الخيل والخول ؟
أين الكماة أما حاموا أما أختضبوا
أين الحماة التي تحمي بها الدول ؟
أين الرماة أمـــا تحمى باسهمهم !
لمـــا اتتك سهام الموت تنتقل
هيهات ! ما منعوا ضيماً ولا دفعوا
عنك المنية اذ وافى بها الأجل
ما ساعدوك ولا واساك اقـــربهم
بل اسلموك لها يا بئس ما فعلوا
ما بال قبرك لا ينتابـــهُ احد !
ولا يطوف بـــه من بينهم رجل
ما بال ذكرك منسياً ومطرحـــاً
وكلهم باقتسام المـــال قد شغلوا

ما بال قصرك وحشاً لا انيس به
يغشاك من كنفيه الروع والوهل
لا تنكرون ا فما دامت على ملك
الا اناخ عليه الموت والوجل
وكيف يرجو دوام العيش متصل
وروحه بحبال الموت تتصل
وجسمهُ لموافاة الردى عرض
وملكه زائل عنه ومنتقل

• • •

وكان الحاضرون ينتظرون ان يغضب الخليفة ،ولكن الخليفة تأثر تأثراً عظيماً ،وجعل ينوح ويبكي بأعلى صوته حتى غسلت دموعه لحيته، فشاركه الحاضرون فيهذا التأثر والبكاء القدسي.

• • •

وفي تلك الليلة اعاد الخليفة العباسي الامام علي الهادي الى موطنه الاول ، ولكنه عاد فنقله اخيراً الى سامرا وهناك توفي مسموماً. والسبب في ارساله الى سامرا هو وجود الاتراك فيها، وقد كان العباسيون لا يعتمدون الا عليهم ، وكانت سامرا تسمى (العسكر) .

الامام الحادي عشر الحسن العسكري

ويسمى الحسن الزكي والخالص والسراج الاخير . توطن بلدة سر من رأى (أي سامراء) المسماة العسكر ، ولذلك سمي العسكري .

اشتد في زمن هذا الامام خوف العباسيين من خطر الامامة، فجعلوا يوقعون بالعلويين ويزدادون في اضطهادهم لهم . وقد بلغ بالخليفة المتوكل الامر الى هدم قبر ريحانة النبي الحسين الشهيد وتحويل المياه الى ارضه وحراثتها ، وقتل من كانوا مجاورين لمرقده الشريف .

ولد الامام العسكري سنة ٢٣٠، وقد سجنه الخليفة المعتمد ابن المتوكل ، ولماظهرت كراماته اطلق سراحه ثم عاد وامر بالقاء السم في طعامه ، وتوفي وعمره (٢٨) سنة وذلك في سنة ٢٦٠ هجرية .

كان الامام يقول في حياته لاصحابه ان ابنه الصغير اي « محمد » هو المهدي المنتظر .

الامام الثاني عشر محمد المهدي

ولد سنة ٢٥٥ هجرية . وقد كان شديد الذكاء حتى احاط في صغره بشتى العلوم . وكان أبوه يبشر العلويين بأنه هو المهدي المنتظر ، والعلويون يسمونه الحجة ،والمهدي، والمنتظر، وصاحب الزمان . وهو خاتم الأئمة والأوصياء . توجهت عليه الامامة وهو ابن خمس سنين . وفي سنة ٢٦٦ دخل السرداب في سامراء وأمه تنظر اليه ثم احتجب عن الأعين . ويعتقد العلويون الاثنى عشرية ببقائه حياً . وانه هو المهدي صاحب الزمـان الذي اخبر عنه أصدق القائلين وفخر الانبياء والمرسلين .

وبعض السنيين يقولون ان محمد المهدي هذا هو قطب الأقطاب .

ولكن العلويين يعتقدون بأنه فوق ذلك كثيراً ، وانه هو صاحب الزمان وانه حيّ . وسيظهر أخيراً بلا ريب !!...

* * *

ويجدر بنا ان نذكر في هذا الدور بعد الأئمة، اسم العلوي الكبير معروف الكرخي الذي ولد من ابوين مسيحيين . ولما

كان صبياً في المدرسة ، اراد معلمه ان يلقنه العقيدة العيسوية. فكان كلما قال له (ثالث ثلاثة) كان معروف يقول له (لا ! بل الله واحد !) وكلما كان يقول ذلك كان معلمه يضربه حتى هجر المدرسة اخيراً وهجر كذلك بيت ابيه . ولما علم أبواه بالقصة حزنوا لفقده ونذروا على أنفسهم انه متى جاءهم ولدهم معروف ، فانهم يلاقونه أحسن ملاقاة كيفما كان ايمانه ويتبعونه .

ذهب الصبي معروف إلى الامـام علي الرضا واهتدى على يديه للاسلام . ثم رجع الى اهله فطرق الباب وقال لهم : (انا معروف ! فسألوه : (على أي دين انت ؟) فقال : (على دين الاسلام) ، فاهتدوا جميعاً للإسلام .

بقي معروف الكرخي في خدمة الامام وتلقى على يديه العلوم، حتى تقدم في العلوم العالية وتعالى في التقوى الى درجة لا تقدر ، واعتبر المسلمون انه احد (الاقطاب الاربعة) .

خدم معروف الكرخي العلوية والاسلام خدمات جديرة بالتقدير ، وقد توفى في الكرخ ببغداد ودفن فيها .

الامـــام

– عند العلويين –

ان أهم مباحث تاريخ العلويين ، هو ما يتعلق منه بصفات وقدسية الأئمة الاثني عشر .

ولما كان معنى كلمة « الامام » عند العلويين هو أخص واضيق مما يفهم من معناها اللغوي الظاهر . وكانت هـذه المسئلة سبباً في اتهام العلويين والطعن في عقيدتهم ، اذ يتلقاها المنتقدون على غير المقصود منها . ويظنون ان « الامام » عند العلويين هو الاله ، فقد رأينا ان نتناول هذا البحث بشيء من الايضاح :

ان العلويين يخصصون كلمة الامـام ، بالأئمة الاثني عشر فقط . وللأئمة عند العلويين مـــيزات خصوصية بمعنى انهم يمتازون على بقية البشر من حيث مزاياهم الروحية ، وادلتهم على ذلك قوله عليه الصلاة والسلام : « علماء امتي كأنبياء بني اسرائيل » والعلويون يخصصون كلمة العلم الكاملة المعنى في علوم اهل البيت .

وقوله لعلي: (يا علي ! انت وليي ووصيي بل انت سيد

الأوصياء) ، وأوصياء الرسول هم الأئمة الاثنى عشر .

وانه لما باهى عليه السلام أهل نجران المسيحيين ، وضع رداءه فوق علي وفاطمة والحسنين وطلب من ربه ما طلب . وحينئذ نزلت الآية المعروفة عن اهل البيت وهي :

(ليذهب عنكم الرجس اهل البيت ويطهركم تطهيرا) .

لما كان القرآن الكريم ممتازاً بالايجاز في التعبير ، فما جاء فيه من قول الله عن اهل البيت (ويطهركم تطهيرا) يدل على تمـام الطهارة لهم . لأن باب الاطـّهار يدل على المبـالغة . وجاءت كلمة المصدر بعد الفعل وهي كلمة (تطهير) مؤكدة للفعل السابق تأكيداً يتضمن اقصى المبالغة فيه . لذلك كان اعتقاد العلويين بطهارة اهل البيت ، وهم علي وفاطمة وبقية الأئمة الاثني عشر وسلمان الفارسي (الذي اخبر النبي عنه انه من اهل البيت) طهـــارة كاملة . فتكون حينئذ افعالهم واقوالهم منطبقة على الارادة الالهـية انطباقاً تاماً .

وهم معصومون لأن الخطايا رجس ، وقد قال تعالى عنهم : (ليذهب عنكم الرجس) فهم بهذه الصورة مصدر الارادة الالهـية في اقوالهم وافعالهم ونوايا قلوبهم .

ومما تقدم يتضح الفرق بين النبوة والامامة .

ان الانبياء يوحى اليهم بواسطة الامين جبريل . وبعضهم كان يكلم الله سبحانه وتعالى بغير واسطة . ويأتيهم الالهام باني الرصحاب ا شراوهم . ثم مستقلة ومعينة .

اما الأئمة المعصومون والمطهرون ، فهم مصدر الارادة الالهية بدون وحي ولا واسطة . لانهم تحت تـأثير الارادة الالهية ، فتكون جميع أعمالهم وأقوالهم ونواياهم ، اي أعمالهم القلبية موافقة للارادة الالهية المؤثرة . ولم يرد في القرآن الكريم ان الانبياء منزهون عن الخطأ . بخلاف الذين وردت الآيات بعصمتهم وطهارتهم . والحاصل ان الامام يصح ان يكون من بعض الوجوه اعلى من بعض الانبياء منزلة .

والعلويون يعتقدون ان الاصابة في تفسير القرآن منحصرة بالائمة دون سواهم . لان تفاسير بقية العلماء تحت احتمال الغلط وعدم الاصابة ، خصوصاً الآيات المتشابهـات منه . لان الأئمة معصومون عن الخطأ كما أسلفنا .

وقد جاء في القرآن الكريم :

« وكل شيء أحصيناه في امام مبين » فيكون الامام عارفاً بعلوم الاولين والآخرين. وهذا التوسع في الاعتقاد بمزايا الأئمة ، هو الذي جعل الطاعنين بالعلويين يعتقدون انالعلويين يعتقدون بالوهية علي ، لانه سيد الأوصياء . وذلك ما حمل الامويـين وغيرهم على بغضهم والطعن بهم .

ومن هنا يتضح ان الامامة هي غـير الخلافة وان مطالبة علي وابنه الحسن بالخلافة لم تكن لطلب دنيا ، بل لأجل الدين. وهو الذي اشتهر بالزهد وطلق الدنيا ثلاثاً .

ومراد العلويين من اثبات المزايا الخاصة لعلي والأئمة ، هي المزايا الروحية لا المادية . وهم اذا ذكروهم، فانما يريدون ذلك

ولا يريدون الأجسام ولا المواد الطبيعية منهم . ولم يكونوا يقصدون تأليه احدهم . او الشرك بالله ، « والعياذ بالله ! » .

ولنا ان نقول : ان محبة أهل البيت ، لا يختص بها العلويون . بل بقية الشيعة ، وجميع السنيين يشاركونهم فيها ايضاً . وهم يصلون على محمد وآله عقيب الصلوات الخمس المفروضة . ويعتقد السنيون ان الصلاة على النبي بدون ذكر « آله » تكون بتراء . وفي ذلك قال عليه الصلاة والسلام : (لا تصلوا عليّ صلاة بتراء !)

العلويون في زمن العباسيين

قلنا ان العلويين لم يتخلوا عن دعواهم بان الامامة والخلافة حق من حقوق أهل البيت . وانهم ينكرون على العباس وآله كال الايمان ، ولذلك كان العباسيون يضطهدون العلويين اسكاتاً لدعوتهم ، وقد تمادوا على هذا الاضطهاد زمناً طويلاً ، حتى كاد العلويون ينسون أعمال الامويين لكثرة مـــا اصابهم من مظالم العباسيين. وحتى اضطر العلويون ان يهاجروا الى البقاع البعيدة ، فكان منهم فيخراسان ومصر وكيليكيا ، وقد سكن العلويون في كيليكيا جهات طرسوس وآدنة ومصيص وهرونية وآياس. وكانوا يسمون هذه المدن العواصم . وهاجر ايضاً قسم منهم الى المغرب الاقصى . وحينما نقض المنصور بيعته لمحمد بن عبدالله ، هاجر اخو عبد الله ادريس الى المغرب الاقصى ، وفي زمن خلافة هارون الرشيد اجتمع العلويون هناك وعقدوا البيعة لأدريس هذا . وفي ذلك التاريخ تأسست في مراكش دولة الادارسة ، وقد دامت من سنة ١٧٢ الى سنة ٥٧٣ ه . غير ان دولة الادارسة لم تتخذ الخلافة عنواناً لملوكها ، لان اصحاب الحق كانوا لا يزالون موجودين وهم بقية الأئمة الاثني عشر . وقـــد

كان العلويون الذين نزلوا كيليكيـــا وغربي سوريا عرضة لنكبات الحروب الصليبية .

وكانت مصر في صدر الاسلام علوية، اي عند مقتل عثمان، ولكنها لم تعمل في سبيل الامامة شيئاً بل بقيت العلوية هناك عبارة عن رابطة دينية محضة لا تعلق لها بالسياسة . ولكنها عادت اخيراً فاصبحت بفضل تقدمهـــا وعمرانها مركزاً سياسياً كبيراً للعلويين .

وقد كان من جملة تضييق العباسيين على العلويين قتلهم محمد بن عبدالله الحسيني واقاربه، اذ كان التجأ الى مصر فقبضوا عليه هناك ثم ساقوه الى المنصور فقتله في بغداد . وكان المصريون يخفون عقيدتهـــم تارة ويجاهرون بهـــا تارة اخرى مجاراة لمقتضيات الزمن . اي كانوا يخفونها حينما يشتد ضغط العباسيين ويظهرونها حينما يخف هذا الضغط .

وفي زمن المتوكل العباسي اشتد هذا الضغط، وكان من اعماله ان امر بنقل كل من كان من سلالة علي الى العراق . وهكذا كان . ثم ارسل هؤلاء الى المدينة . وفي ذلك الزمن الـــتزم العلويون التكتم التام وكان ذلك سنة ٢٣٦ هـ .

اتفق ان احد الجنود العلويين اقترف ذنبـــاً يستوجب عقاب الجلد، فامر حاكم مصر اذ ذاك يزيد بن عبدالله بجلد هذا الجندي، ولما استغاث بالحسن والحسين ، زادوا في جلده ثلاثين جلدة . ولما سمع المتوكل في بغداد بذلك ، امر بجلده مائة جلدة اخرى مجازاة له على ذكر هذين الاسمين .

وبلغ من تشديده ، ان كتب الى عامله في مصر سنة ٢٤٧ بان لا يؤجر أحد الى العلويين شيئاً من الأطيان والقرى ، وان يحكم الحكام على العلويين بمجرد الادعاء .

ولمـــا وصلت المظالم بالعلويين الى هذا الحد ، ثارت الحمية فيهم . فنهضوا نهضتهم المعروفة وظهر فيهم ذلك الرجل العظيم حسين بن حمدان الخصيبي المصري، فنفخ فيهم روحاً جديدة . وبذلك تخلصوا من حياة الهون واصبحوا هم الحاكمين .

السنيون والعلويون

ان أكثر المسلمين من أهل السنة ،بل كلهم هم اليوم معتدلون، ولا يوجد من أئمتهم من يبغض أهل البيت . وقصة الامام ابي حنيفة مع المنصور مشهورة . اذ افتى الامـام بان الخلافة هي حق لجعفر الصادق . فعاداه المنصور لأجل ذلـك ثم حبسه محتجـاً انهُ لم يقبل منصب القضاء . والسنيون الأحناف يعتقدون ان ثابت والد الامام ابي حنيفة تلقى دعاء الخير عن علي.وان أبا حنيفة لم ينل منزلته المعروفة الا بفضل هذا الدعاء.

طلب المنصور من الامام ابي حنيفة ان يكون قاضياً عنده، فاعتذر بعدم معرفته أمور القضاء .فقال له المنصور انه يكذب في انكاره . فاجابه الامام : اذاً لا يجوز قضاؤه وهو كذاب. وكان البغض متحكماً في قلبه من افتائه بان جعفر الصادق هو الامام الحق . فأمر بحبسه ويجلده كل يوم عشر جلدات على ان تضاعف في اليوم الثاني . فظل يرفض القضاء . ولما وصل عدد الجلدات الى المائة تأثر الامام فبكى وتوفي .

اما الشافعيون فمذهبهم في العقيدة يرجع لأبي موسى الاشعري الذي اخطأ في امر التحكيم المشهور ، وامام هذا المذهب في العمل هو الامـام الشافعي وقد كان شديد الحب لعلي . وكان

بعض السنيين يعيرونه بتشيعه لآل البيت ، بقولهم له (يارافضي!)
فكان يجيبهم على ذلك بهذا البيت :

« ان كان رفضاً حب آل محمد   فليشهد الثقلان اني رافضي »

وللامام الشافعي ابيات شعر عديدة في جوابه على ذلك
منها قوله :

اذا في مجلس ذكروا علياً   وسبطيه وفاطمة الزكية
فاجرى بعضهم ذكراً سواه   فايقن انه (سلقلقية)
اذا ذكروا علياً أو بنيه   تشاغل بالروايات العلية
وقال تجاوزوا يا قوم هذا   فهذا من حديث الرافضية
برئت الى المهيمن من اناس   يرون الرفض حب الفاطمية
على آل الرسول صلاة ربي   ولعنته لتلك الجاهلية

وهكذا جميع الشافعيين فانهم يحبون علياً حباً شديداً ، حتى كان بعض العلويين يتستر تحت اسم الشافعيين . لان الشافعيين معروفون بحب آل البيت بافراط ، وبذلك كانوا يتخلصون من المصائب التي كانت تهدد العلويين .

سلك الخلفاء العباسيون مذهب المعتزلة . وهو خلاف مذهب أهل السنة . فادى ذلك الى قتال ومشاحنات بينهم وبين أهل السنة ، حتى أباح كلا الفريقين دم الآخر اثناء تلك الاختلافات الدينية .

وقد ابتدع المعتزلة فكرة خلق القرآن ، أي انهم قالوا انه مخلوق، وبتعبير آخر أنه كلام الرسول . وعلماء أهل السنة

يعتقدون انه قديم وانه كـــلام الله ، ولذلك كانوا عرضة لأشد التعذيب .

وقد انقرضت اليوم الجماعات التي كانت تبغض آل البيت من اهل السنة واصبح الجميع معتدلين ، ما عدا فئة قليلة جداً، وهؤلاء متكتمون في مذهبهم اكثر من تكتم العلويين، وانهم لا يكادون يذكرون لقلة عددهم .



أسباب الفتن الدينية في الاسلام

ان اعظم فتنة دينية ظهرت في الاسلام هي ، جرأة الحكم ابن العاص ابو مروان على تحريف القرآن ؛ معلوم ان القرآن لم ينزل دفعة واحدة . انما تكامل نزوله في مدة ثلاث وعشرين سنة . وكان كتبة الوحي يكتبون القرآن على الجلود والعظام والحجارة . وكان أكثر الناس عناية في تدوينه : علي بن أبي طالب وسعد بن أبي عبيد وأبو الدرداء ومعاذ بن جبل وثابت ابن زيد ومقداد بن الأسود . واعظم حملة القرآن ، القراء وهم معرضون للموت . فلما اتسع الفتح الاسلامي وتوفى من كان في صدورهم القرآن محفوظاً ، جمع القرآن في ايام خلافة عثمان ، اذ دعا عثمان ، زيد بن ثابت وعبد الله بن الزبير وسعيد بن العاص وعبد الرحمن بن الحارث . وأمرهم في جمع القرآن فجمعوه.ثم امر بجمع كل ما كان قبل ذلك من المصاحف وامر باحراقها. ومع كل التشدد في المنع بأن لا يبقى سوى مصحف عثمان ، ظل عند بعض الصحابة مصاحف اخرى واشهرها مصحف علي . ومنها مصحف عبد الله بن مسعود وابي بن كعب . ومصحف علي يوجد في بلاد فارس . اما المصاحف الموجودة في اراضي دولة العلويين اليوم فهي من نسخة

مصحف عثمان .

وعلى كل حال بقي القرآن سالماً من التحريف بخلاف الأحاديث اذ لعبت بها الأيدي . وقد كانت هي الدليل في الاحـــكام الشرعية بعد القرآن ، ولم تكن مجموعة ومحصورة كالقرآن . فكان الفقيه او من كان همه ان يتخذ دليلاً شرعياً، يضع الحديث الذي يوافقه . ومن هنا وضعت مئات الألوف من الاحاديث .

ولا نقول ان وضع الاحاديث انحصر بأهل السنة فقط ، بل ان علماء العلويين ايضاً وضعوا أحاديث مثل علماء أهـــل السنة . وقد كان العجز يسوق صاحبه الى التوسل بكل وسيلة تفيده عند ما يحتاج الى اثبات دعواه ، فوضع كل من السنيين والعلويين الاحاديث التي تثبت مدعاهم وتبطل دعوى معارضيه، وكل حزب وضع أحاديث تنزه رجاله وترفع درجاتهم .

وأشهر من وضعوا الاحاديث تحت ستار العلم والتقوى اربعة وهم :

١ – ابن ابي يحيى في المدينة
٢ – الواقـــدي في بغداد
٣ – مقاتل بن سليمان في خراسان
٤ – محمد بن سعيد في الشام

وقد كان بعضهم يعترف بوضع الاحاديث ، ومن هؤلاء ابن ابي العوجاء الذي حكم عليه بالقتل في الكوفة سنة ١٥٣ .

فقد قال (والله ! لقد وضعت اربعة آلاف حديث حللت بها الحرام وحرمت بها الحلال. والله! لقد فطّرتكم يوم صومكم وصومتكم يوم فطركم) .

ومنهم احمد الجويباري وابن عكاشة الكرماني وابن تميم الفريقاني ، فقد ذكر سهل بن السري انهم وضعوا نحو أربعة آلاف حديث .

وكان من العلويين المهلب بن أبي صفرة ، إذ كان يضع الاحاديث للخدعة في الحرب. وتكاثرت الاحاديث الموضوعة ، فاشتغل الفقهاء في التفريق ما بين الصحيح والموضوع . وألفوا كتباً في الحديث فجعلوا يصفونه بالصحيح والحسن والضعيف والمرسل والمنقطع والمعضل والشاذ والغريب والموضوع . وقد استعانوا علىتفريق الاحاديث بمعرفة الرواة ومكانتهم من الثقة، ولكنمعرفة الرواة لم تجد نفعاً، لأن العلويين يطعنون بأعاظم رجال أهل السنة ، وهكذا أهل السنة يطعنون بالعلويين . فنشأت عن ذلك الاختلافات العظيمة في الاحاديث ما بين اهل السنة والعلويين . ولم يكن اسناد الحديث يفيد شيئاً ، لأن الذي يصنع الحديث من تلقاء نفسه لا يصعب عليه أن يسنده لاحد الثقاة من الرواة .

فازدادت الاحاديث بذلك ازدياداً عظيما ، حتى ان الامام أحمد بن حنبل جمع منها الف الف حديث . كان منها مابة

وخمسون الفاً باسناد . وقد كتب يحيى بن معين فجمع ستماية الف حديث .

وكتب صاحب المسند الصحيح انه جمع كتابه من بين ثلاثماية الف حديث .

وكتب الامام البخاري فجمع ستماية الف حديث .

على ان الامام الاعظم لم يثبت لديه سوى ١٧ (سبعة عشر) حديثاً صحيحاً !!... فتكون بقية الاحاديث في نظره تحت احتمال الوضع . وكذلك الامام مالك الذي يستند في مذهبه على الحديث فانه لم يصح عنده سوى ثلاثماية حديث . والبقية مشكوك فيها . مع ان الامـــام مالكاً كان قاطناً في المدينة المنورة . وأهــل المدينة يعرفون بسجية المحافظة على العوائد ، ومن جملة عوائدهم محافظة سنن الرسول الفعلية .

ومن هنا نعلم بان بعض الرجال من الفريقين اي من السنيين والعلويين تمادوا في تصنيـع الاحاديث ووضعها ، حتى اصبحت الفروق بينهم تعد فروقاً دينية مع انها مذهبية ، وان الفريقين اخوة في الدين . ومـع حدوث مثل هذه الفتن فان بعض العباسيين سعوا في تأييد مذهب المعتزلة كما سبق في أيام المأمون وارادوا تعديل العقيدة الاسلامية بالقوة ، اي بان يقال ان القرآن ليس كلام الله بل هو كلام الرسول . وهم بذلك يهدمون اعظم واول ركن في الاسلام .

وقد حدثت في زمن العباسيين مسألة حديثة ، وهي جلب الكتب القديمة من الهند والروم واليونان والاهــتمام بترجمتها ،

واصبح هذا الامر من اهم مشاغل الخلفاء .

كانت الاقوام القديمة المجاورة لبلاد المسلمين ذات علوم وصنائع ومدنيات ، وكان القصد من ترجمة كتبهم الاستفادة والاحاطة بالعلوم .

• • •

والسنيون يعتمدون كثيراً على رواية عائشة وهي تعد عندهم من اعاظم رواة الحديث ، اذ يسند اليها الوف من الاحاديث ، بينما العلويون لا يرون هذا الرأي وهم يقولون انها لم تشارك النبي في حياته كما شاركته فاطمة التي هي بضعة منه . على ان أهل السنة لا يسندون الى فاطمة سوى ستة احاديث .ويستند العلويون في الحديث على رواية ام سلمى كما يستند السنيون على رواية عائشة ، وهذا مما يدل على التلاعب بالاحاديث . وفوق ذلك الابحاث المنطقية واقوال الحكماء المتقدمين من الهنود واليونان ، فانها كانت تؤثر في زعزعة العقيدة الاسلامية .

علم الباطن

أهم مباحث هذا الدور تكوّن العلم الباطن بين الشيعة، وكان أهل السنة يظنون ان علم الباطن منحصر بين الاسماعيلية ، والحقيقة ان علم الباطن هو علم مختص بالعلويين .

تقدم القول ان الاحكام الاسلامية لم تكن كلها ظاهرة كما يظن البعض . وقلنا ايضاً ان الامام الرابع ، علياً زين العابدين ، قال :

« ورب جوهر علم لوابوح به لقيل لي انت ممن يعبد الوثنا»

فهذا القول يدل على ان علوم أهل البيت كانت غير معلومة عند عوام المسلمين ، وان بعض الاحكام لم يعلمها الا الخواص ، وهذه هي التقية في الاسلام .

فتمهيداً لهذا البحث نقول بالتفصيل :

يعلم ارباب الأصول أن القرآن الكريم له معان ظاهرة ومعان خفية . كما قال الله في كتابه الكريم :(فيه آيات محكمات هنّ ام الكتاب . واخر متشابهات)فيظهر من هذه الآية الجليلة، انه يوجد في القرآن آيات محكمات وآيات متشابهات. اي معان ظاهرة ومعان خفية . والمعاني الظاهرة تنقسم الى اربعة اقسام

اي من جهة الوضوح ، فاما ان تكون المعاني ظاهرة او منصوصة او مفسرة او محكمة .

ومن جهة الخفاء ، اما ان تكون خفية او مشكلة او مجملة او متشابهة. والالفاظ المتشابهة ، اما ان تكون متشابهة اللفظ او متشابهة المعنى .

ومتشابهات اللفظ هي : مثال (كهيعص ، الر ، حمعسق)

والاختلاف بين السنيين والعلويين هو في الالفاظ المتشابهات المعنى . أي في الآيات الواردة بقوله تعالى (واخر متشابهات) فما هي يا ترى هذه المتشابهات ؟!...

وبتعبير آخر ، ما هي القاعدة لمعرفة الآيات المتشابهات ؟

توجد قاعدة بسيطة وهي : ان كل آية لم يمكن اعطائها المعاني الحقيقية او لم يمكن اعطاء معناها مجازياً فهي متشابهة المعنى . مثل ذلك قوله تعالى (يد الله فوق أيديهم) اذ لا يمكن التصور بان تكون لله يد كالبشر ، فيكون هذا اللفظ الكريم (متشابه المعنى) .

كذلك قوله تعالى (الرحمن على العرش استوى) فلا يمكن القول بالمعنى الظاهر بل المعنى خفي متشابه .

ولا اختلاف بين العلويين والسنيين في معاني تلك الآيات التي اوردناها ، وانما جئنا بها على سبيل التمثيل .

وقصدنا من ذلك ان نثبت وجود آيات متشابهات المعنى .

ولكن يوجد في القرآن بعض آيات يظنها السنيون محكمات أو

هي ظـاهرة المعنى . ويعتبرها العلويون متشابهات ، أي خفية المعنى .

ومع اننا لا نجد في نفسنا الكفاءة للبحث فيهذا الموضوع، فاننا نجد من واجبنا الاسلامي البحث فيه سعياً وراء التفاهم بين الفريقين ، فنقول :

إذا نظرنا الى هذه الآية من القرآن : (وزينا السماء الدنيا بمصابيح وجعلناها رجوماً للشياطين)، نرى السنيين يعتبرونها ظاهرة المعنى . أما العلويون فيفسرونها بمعان خفية ويعتبرونها (متشابهة المعنى) .

وإذا رجعنا إلى حكم من غير المسلمين ، نجده يحكم بخطأ السنيين في هذا الاعتبار . ويرى توجيه العلويين اكثر موافقة للعقل . لان اهل العلم والفن يهزأون اليوم بالذين يظنون ان السماء كالقبة وان النجوم كالقناديل المعلقة فيها وان الشياطين يرجمون بها .

كذلك اذا نظرنا إلى الآية القرآنية :(سبع سموات طباقاً) واردنا ان نفهمها على معناها الظاهر لهزأ بنا أهل العلم والفن . والعلويون يفهمونها على غير معناها الظاهر . وذلك حسب ما تلقوه عن الأئمة واهل البيت .

وهكذا الآية التي في سورة (يس) وهي : (وكل شيء أحصيناه في امام مبين) فالعلويون يفسرونها بأن المراد من الامام هو احد الأئمة الاثني عشرالمعصومون ، وان هؤلاء كانوا يعلمون علوم الاولين والاخرين لأن الامام احصى كل شيء

بوجه الاطلاق . ومثل ذلك الآيات الواردة بغير معـــانيها الظاهرة، فان العلويين يفسرونها كما فسرها أهل البيت والأئمة . وهم لا يهتمون بالقواعد اللغوية ، لأن كلام الأئمة هو فوق كل شيء ، وهم وحدهم الذين يحق لهم تفسير القرآن .

هذا هو علم الباطن !

* * *

وأهل السنة يطعنون بالعلويين بانهم يفسرون المعـــاني القرآنية على مطلوبهم ، مع ان العلويين يتحاشون ذلك بتاتاً . وان حق تفسير القرآن منحصر بأهل البيت الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا .

وكذلك يوجد بين العلويين علوم خفية اخرى . كالجفر وهو تأليف علي وجعفر . والجفر غير معتبر عند بعض أهل السنة ، مع أنه من جملة علوم اهل البيت ، الذين باهى بهـــم الرسول ، وهم مظهر قول النبي العظيم (علماء امتي كأنبياء بني اسرائيل !) وليس لمسلم ان يشك في صدق اهل البيت الذين طهرهم الله تطهيرا .

الدور الرابع

من سنة ٢٦٥ - ٦٣٠

من غيبوبة الامام محمد المهدي
الى وفاة الأمير حسن المكزون السنجاري

كانت أيام هذا الدور ، أيام عز وإقبال للعلويين . لم يروا مثلها بعد ذلك أبداً .

يعتقد الاثنى عشرية من الامامية انه (بعد غيبوبة محمد المهدي انقطعت الامامة ، وان المهدي حي ، وهو صاحب الزمان والمنتظر .)

فالى زمن غيبوبة المهدي كانت الأئمة مرجع ومقتدى العلويين والشيعة جميعاً ، إذ كانوا هم أصحاب الحق ، فلا يستطيع أحد ان يخرج على السلطان ولا يجسر على الادعاء بغير دعواه .

ولكن غيبوبة المهدي وانقطاع الامامة بدلت سكون وتوكل العلويين . وان من الامور الطبيعة ان لا يبقى العلويون بدون مرجع يقتدون به . إذ مهما تعالى البشر وتمسكوا بالمعنويات لا غنى لهم عن الأخذ بالماديات

بعد غيبوبة المهدي اختل نظام العلويين من حيث اجماعهم على إمام واحد . وبياناً لذلك نقول :

كان الرسول صلى الله عليه وسلم يقول : « أنا مدينة العلم وعليّ بابها » . وقد قال : « من طلب العلم فعليه بالباب » . وقد كان الأئمة يحصون علوم الأولين والآخرين كما قدمنا ، وهم لا بد لهم من باب يؤخذ فيه عنهم .

حتى يكون ذلك مصداقاً للقول الوارد : من طلب العلم فعليه بالباب !

ولذلك تمثل هذا الدستور لدى الأئمة الاثنى عشر ، وكان لكل واحد منهم باب . وقد قال عليه السلام لعلي : (أنت وليّ ووصيي بل أنت سيد الأوصياء) .

والاثنى عشرية يرون الأئمة هم أوصيـاء الرسول ، ولذلك اتبعوا الأمر باتخاذ كل منهم باباً . والأبواب هم :

الامام علي بن أبي طالب وبابه سلمان الفارسي
« حسن المجتبى « قيس بن ورقة المعروف بالسفينة
« حسين الشهيد « رشيد الهجري
« علي زين العابدين « عبد الله الغالب الكابلي وكنيته كنكر
« محمد الباقر « يحيى بن معمر بن ام الطويل الثمالي
« جعفر الصادق « جابر بن يزيد الجعفي
« موسى الكاظم « محمد بن ابي زينب الكاهلي
« علي الرضا « المفضل بن عمر

الإمام محمد الجواد وبابه محمد بن مفضل بن عمر
« علي الهادي « عمر بن الفرات المشهور بالكاتب
« حسن العسكري « ابو شعيب محمد بن نصير البصري النميري

اما الامام محمد المهدي ، فلم يكن له باب ،بل بقيت صفة الباب مع السيد محمد أبي شعيب البصري ، وعند تغيب المهدي كان الباب موجوداً . والباب من جملة التشكيلات الدينية الأساسية .

قلنا : بعد المهدي بقيت الاثنى عشرية بحالة غير منتظمة . وكان إخوانهم الزيديون متخذين من نسب زيد بن علي زين العابدين أئمة لهم، والاسماعيلية يفترقون بالإمامة لأولاد اسماعيل بن جعفر الصادق . وبعض الشيعة المنقرضة في يومنا هذا كان بعضها يتبع نسب محمد بن الحنفية. والبعض انساب بقية أولاد جعفر الصادق . ولم تنقطع الامامة الا عند الاثنى عشرية . وبتعبير آخر ان إمام الاثنى عشرية احتجب عن أنظار البشر لمدة مؤجلة ، ولكن بابه موجود .

ولما كان الأئمة الاثنى عشر من أهل البيت كانوا يحتمون بحماية الاسلام المعنوية . ولكن الابواب لم تكن لهم هذه المزية ولا لمن خلفهم في الدين، ولذلك اضطروا الى التكتم والاستتار على قدر الامكان .

أما في العلم والتقوى فقد كان الباب وأخلافه أي الرؤساء الدينيون ورثة الاوصياء بتمام المعنى .

بعد الامام حسن العسكري سكن بابه السيد ابو شعيب محمد في سامراء، وسعى في اداء وظيفته على ما يرام. ومن بعده خلفه محمد بن جندب ثم محمد الجنان الجنبلاني الذي وفى وظيفة الرياسة الدينية طبق المطلوب . وقد كانت مدة رياسة هؤلاء الثلاثة أيام محن ونكبات للعلويين وللعالم الإسلامي كله، اذ ازداد الفساد وكثرت الفتن باسم الدين ، حتى نسي المسلمون قوله تعالى : (وما أرسلناك الا رحمة للعالمين) وأصبحوا بحالة شبيهة بالفوضى الدينية . حتى كان أتباع احد المذاهب يستبيحون دماء أهل المذاهب الأخرى ، على ان رسالة محمد رحمة وهذه الرحمة تشمل كل المسلمين حتى أهل الكتاب بل العالمين . ا أي لم تكن تختص ببني البشر أو في ذوي الأرواح بل تشمل الكائنات ، فكان الواجب على المسلمين ان يثبتوا بعملهم بتلك الرحمة الشاملة، ولكنهم وآ اسفاه كانوا على العكس من ذلك . كان السنيون منقسمين الى مذاهب تمادي بعضها وتسند الى بعضها المروق من الدين .

لما غدا العلويون بغير رياسة أحد الأئمة المعصومين وذلك في سنة ٣٠٠ للهجرة ، كانوا يسعون لإزالة الاضطرابات الاسلامية .

وفي تلك الايام كان بعض أهل السنة يطعن ببقية المذاهب ويسمي اهلها – اهل ضلال – وكان بعضهم يفتي بقتلهم ، واتخذ ملوك الطوائف ، الدين آلة لأغراضهم السياسية . وبعد مدة يسيرة جاء الصليبيون فكانوا كالطوفان وجعلوا يخربون

باسم الدين البلدان التي كانت مهد الأديان .

وكان العباسيون يسعون في ادخال العلوم والفنون القديمة على المسلمين ، واتخذوا تعميم النظريات الفلسفية وسيلة لاعدام أهل الدين . وكانوا يغرون النصارى على الاندلسيين . وكان المعتزلة يقاتلون اهل السنة وأهل السنة يبحثون في تكفير المعتزلة وتعريفهم بالملحدين . وقد كان العلويون اثناء ذلك يدعون الى تعاون المسلمين واتحادهم .

* * *

ظهر في تلك الأيام الرجل العظيم العلوي المصري السيد الحسين بن حمدان الخصيبي ونفخ في العلويين تلك الروح العالية ، فرفعتهم من حضيض الاسر والهوان الى الاستقلال والحاكمية .

وقبل الحسين بن حمدان الخصيبي المصري ، ظهر الرجل العلوي المعروف (ابو القاسم جنيد بن محمد بن جنيد الخزار القواريري) واشتهر بالزهد والعبادة والتقوى ، ومنشأه من بلاد الفرس من نهاوند ، ولكنه ولد في بغداد فصار يسمى البغدادي .

تلقى الجنيد العلوم عن ابي الثور المصاحب للامام الشافعي . وتوفي في سنة ٢٩٧ في بغداد ودفن بجانب خاله السر السقطي ، وكان معاصراً للسيد محمد الجنبلاني المذكور قبلاً . والجنبلانيون والهالتيون فرعان من أصل واحد .

* * *

قلنا : بعد الأئمة كان الباب الاخير السيد ابو شعيب محمد بن نصير البصري النميري مرجعاً للعلويين ، وبعده كان السيد

ابو محمد عبد الله بن محمد الحنان الجنبلاني رئيساً للعلويين ، وكان أعلم أهل عصره، وكنيته العابد والزاهد والفارسي. وكان يقيم في العراق العجمي في بلدة جنبلا فلذلك اشتهر (الفارسي) ، وقد احدث بين العلويين طريقة تعرف (بالطريقة الجنبلانية) وقد سافر الجنبلاني الى مصر ، وهناك أدخل العلوي العظيم السيد الحسين بن حمدان الخصيبي في طريقته، وبعد رجوعه إلى بلده اتبعه تلميذه الخصيبي لقصبة جنبلا وأخذ عنه الأحكام الشرعية والفلسفة وعلم النجوم والهيئة وبقية العلوم العصرية . ثم خلفه بعد وفاته وأصبح رئيساً دينياً للعلويين .

كان الجنبلاني فريد العصر الثالث للهجرة في الفلسفة والفقه والعلوم العصرية ، وأشهر معاصريه في عبادته وزهده وتقواه . تولد في سنة ٢٣٥ وتوفي في سنة ٢٨٧ هجرية .

بعد وفاة الجنبلاني اجتهد بعض العلويين في توحيد الاسماعيلية والعلوية، وعقدوا لذلك اجتماعاً دينياً عظيماً حضره اعاظم العلماء وجاء اليه من كل مدينة من مدن بغداد وعانه وحلب واللاذقية وجبل النصيرة ، رجلان بصفة ممثلين واجتمعوا في عانة ، ولم تكن نتيجة هذا الاجتماع الا ازدياد التفرق والخلاف .

• • •

بعد وفـــاة الجنبلاني ترك الخصيبي مدينة جنبلا الفارسية وقصد العراق ، وكانت أعظم أعماله الدينية في بغداد . وهو الذي رفض الاسماعيلية، وقد ساح في كل بلاد العلويين ، ومنها بلاد خراسان والديلم ورجـع لبني ربيعة وتغلب ، ثم توطن في

حلب عند سيف الدولة، وهو يدير الشؤون الدينية بين العلويين

• • •

سكن الخصيبي حلباً وهو يدير شؤون حزبه . واستقلت حكومات العلويين في ايامه وكانت كلها تحت امره الديني . كانت ولادته سنة وفاة حسن العسكري اي ٢٦٠ هجرية، وتوفي وعمره ٨٦ في سنة ٣٤٦ هجرية في حلب . وقبره في شمالي حلب وهو معروف باسم (الشيخ يابراق) وهو يزار الى الآن .

كان للخصيبي وكلاء في العراق والشام، وكان له تلاميذ من الملوك والامراء وهم بنو بويه وبنو حمدان والفاطميون . وكلهم اكتسبوا العلوم الدينية والعقائد من شيخهم الاعظم المشار اليه، وكانوا يسمونه (شيخ الدين) .

بعد الخصيبي نشأ للدين مركزان بين العلويين : الاول والاعظم كان في حلب ويرأسه (السيد محمد بن علي الجلي) وكان خليفة للسيد الحسين بن حمدان المصري . والثاني في بغداد يرأسه (السيد علي الجسري ناظر جسورة بغداد .

وقد انقرض مركز بغداد في وقعة هلاكو المشهورة .وبعد السيد الجلي انتقل مركز حلب الى اللاذقية وكان يرأسه(السيد ابو سعيد الميمون سرور بن قاسم الطبراني)

• • •

كان للخصيبي وكلاء من ارباب السياسة ، عدا عن وكلاء الأمور الدينية ، وارباب السياسة هم : ناصح الدولة ، صفي

الدولة ، معز الدولة ، ناصر الدولة ، مجـــد الدولة ، هلال الدولة ، عضد الدولة ، كريم الدولة ، راشد الدولة ، سيف الدولة ، ناهض الدولة ، عصمة الدولة ، امين الدولة ، سعد الدولة ، صلاح الدولة ، ذخـــر الدولة ، كنز الدولة ، وعلاء الدين صاحب تكريتا .

وعندما كان عند بني بويه، الف كتاباً واهداه لتلميذه عضد الدولة وسماه (راست باش) اي بمعنى (كن مستقيما) ، فلذلك كان العلويون يسمون عضد الدولة بهذا الاسم :اي (راست باش الديلمي) اي الذي دعاه الخصيبي للاستقامة .

وعندمـا كان في حلب ، الف كتاب « الهداية الكبرى » وأهداه لسيف الدوله بن حمدان حاكم حلب . وله مؤلفات لو لم تلعب بها أيدي الجهل لكانت من اعظم أمهـــات الكتب الدينيه والاخلاقية؛ وكتابه « الهداية الكبرى » يثبت ذلك .

• • •

وكان السيد علي الجسري في بغداد وكيل السيد الخصيبي في الرياسة الدينية . وقد حـج هذا السيد عشرين مرة ، وهو ناظر الجسور في بغداد وممثل مركز العلويين في الكرخ . كما كان (السيد محمد بن علي الجـــلي وكيلاً في حلب)، وقد حج السيد محمد مرتين قبل بلوغه، وبعد بلوغه كان يحج كل عام حتى وفاته . واشترك في الجهاد مع حزبه ووقع أسيراً ، ثم بيع لاحد المسيحيين في عكا وفيهـا اهتدى المسيحي المذكور على يديه إلى دين الاسلام .

ومنهم أبو حسن الطوسي الصغير الذي كان منكباً على العبادة والرياضة، وكان يجاهد نفسه بالصوم المتواصل، حتى انه كان لا يأكل الا في كل أربعين يوم مرة .

ومنهم أبو حسن الطرسوسي الكبير، وهو من اعاظم علويي كيليكيا التي كانت من العواصم في ذلك الدور .

كان دأب السيد حسين بن حمدان الخصيبي ووكلاؤه في الدين، ارشاد بعض افراد بقية الأديان إلى دين الاسلام، وهؤلاء يبقون بصفة افراد مسلمين شيعيــة . أي جعفرية . والذين يشاهد فيهم الكفاءة يدخلهم في طريقة الجنبلانية التي استحالت افرادها في يومنا هذا للشعب (العلوي) .

فلذلك ابتدأت العلوية تتشكل من كل الأقوام الاسلامية او ممن اهتدوا للاسلام ودخلوا طريقة الجنبلانية ، حتى أصبح اليوم الشعب العلوي يملك سجايا وميزات بنيوية تقارب جميع بقية الطوائف العربية والتركية ، من مسيحية ويهودية ورومية وغير ذلك .

• • •

قلنا ان العلويين بعد الأئمــة اتخذوا الباب مرجعاً لهم ، ولكنهم لم يكونوا متحدين في ذلك . لذلك انقسموا الى ثلاثة أقسام أساسية وهي :

١ – العلويون الذين هم موضوع هذا التاريخ، فهؤلاء بقوا تابعين للباب اي للسيد أبي شعيب عمر البصري النميري .

٢ – الذين اتبعوا (ابا يعقوب اسحق النخعي) الملقب بالأحمر، وقد كان من اصحاب الحسن العسكري . ثم ادعى انه هو الباب فاتبعه بعض العلويين ، ومع قلتهم ظلوا إلى زمن اسماعيل بن خلاد. وسنأتي على ذكره، وهؤلاء هم(الاسحاقية).

٣ – الذين لم يتبعوا الباب ولم يتبعوا اسحق الأحمر بل بقوا على ما جاء في كتب جعفر الصادق بدون ان يكون لهم رئيس ديني وكيلاً للباب ، وقد سموهم (الجعفرية) ثم تفرعت هذه الأقسام إلى فروع أخرى .

ان الجعفرية لا علاقة لهم بمباحث هذا التاريخ . أما الاسحاقية فهم من العلويين. وبعد هلاك أبي ذهيبة، أي اسماعيل بن خلاد في اللاذقية بقيت عقيدته حتى مجيء الأمير حسن المكزون السنجاري الى جهات اللاذقية، اذ جمع كتب الاسحاقية وحرقها وقضى على عقيدتهم قضاءً تاماً في منطقة دولة العلويين .

كان اسحق الاحمر زاد بعض العقائد في المذهب وذلك في أيام الحسن العسكري . ثم خلف هذا همام الأعسر ثم اللقيني ثم الحقيني ثم ابو ذهيبة المذكور وهو اسماعيل بن خلاد البعلبكي وكان مركز الاسحاقية بلدة حلب . وبعد السيد الحلبي جاء السيد ابو سعيد الميمون سرور بن القاسم الطبراني شيخ الديانة العلوية ورئيس الطريقة الجنبلانية واتخذ اللاذقية مركزاً له . ثم جاء ذهيبة المذكور واتخذ بلدة جبلة مركزاً له . ولم يكن بينهما خلاف ديني فعلي الى ذلك الزمن ، وكانت صفة الواحد

تختلف عن صفة الآخر، اذ كان السيد ابو سعيد الميمون معروفاً بالفقر والتقوى . وكان اسماعيل بن خلاد معروفاً بالثروة ، ولما كان السيد الخصيبي متخذاً حلباً مسكناً له وكان السيد الحلبي خلفاً له . والسيد ابو سعيد خلفاً للسيد الحلبي . اصبح السيد ابو سعيد اعظم مرجع للعلويين التابعين للباب ابي شعيب محمد.

ولد السيد ابو سعيد، واسمه سرور ولقبه الميمون، في بلدة طبرية سنة ٣٥٨ هجرية وهو معروف باسم الطبراني . ثم سافر لحلب وسكن فيها عند سيده الحلبي الكبير . وصنف هناك كتباً عديدة .

وقد اجبرت الحروب المتوالية حول حلب ابا سعيدة على مغادرة البلد والهجرة الى اللاذقية للسكن بها وذلك في سنة ٤٢٣ ه وقد كان مركز الاسحاقية ايضاً في حلب . ثم نقل هؤلاء مركزهم الى جبلة ثم الى اللاذقية، وذلك لما ملك اسماعيل بن خلاد اللاذقية وجعل يضغط على العلويين الجنبلانيين ، ولولا مجيء بني هلال لكان قضى عليهم في منطقة دولة العلويين

ولكن مجيء بني هلال ونزولهم على ضفة العاصي وهم علويون تابعون للباب السيد ابي شعيب محمد ، القى الرعب في قلب اسماعيل بن خلاد الاسحاقي . وقد أحب ان يحفر ترعة عظيمة من الشمال إلى الجنوب امام اللاذقية ويجعل القلعة والبلد جزيرة، وقصده بذلك التخلص من سطوة بني هلال العلويين ، وهذا مما يدل على عظمة ثروته التي تسببت في تسميته بأبي الذهب .

اتى جميع مشايخ ورؤساء بني هلال إلى اللاذقية لزيارة سيدهم الجليل أبي سعيد . وادرك اسمـــاعيل بن خلاد عظم الخطر فهرب نحو انطاكية العلوية ، ولكن دياب بن غانم امير بني زغبة تبعهُ اليها ومعه ثمانون فارساً . ثم هرب ابو ذهيبة اي اسماعيل بن خلاد ثانياً الى اللاذقية . فتبعهُ الامير حتى فاجأه بجانب التلة المدفون فيها ورفسه بركابه الحديدي فقتله أحقر قتلة . وقبر اسماعيل بن خلاد يعرف اليوم بين أهـل اللاذقية باسم (قبر الشيخ قرعوش !) وهو ما بين الفاروس والبحر ، وامامه مساكن العرب الفنيقيين تحت الأرض . والعلويون يكرهونه اكثر مما يكرهه السنيون !

وفي سنة ٤٢٦ توفى السيـد ابو سعيد الميمون سرور بن قاسم الطبراني في اللاذقية ، وقبره كائن بين المرفأ وتربة العلوي المشهور بأبي علي الشيخ محمد البطرني، أي على ضفة البحر داخل المسجد المسمى اليوم مسجد الشعراني ، والمسلمون السنيون يزورونه والعلويون يقدسونه .

كان السيد ابو سعيد سرور أكبر مؤلف بين العلويين ، وهو آخر شيخ منفرد بالطريقة الجنبلانية التي استحالت بعد ذلك وتشكل منها شعب العلويين الذين هم موضوع هذا التاريخ .

وبعـد السيد أبي سعيد ميمون بن قاسم الطبراني لم يرأس أحد الطريقة بل استقل كل شيخ في جهة . لان العلويين كانوا تحت حماية بني حمدان التغلبيين في حلب . وبعد بني حمدان احتل الروم بلاد العلويين حتى حمص . ولم يبق للعلويين سلطة

الا في مصر ، وكان رؤساؤهم الدينيون من اسرة (البلقيني) المشهورة ورئيس اسرة البلقيني في مصر كان الرئيس الديني الوحيد للعلويين . وكان أيضاً شيخ الاسلام لحكومة المماليك المصرية العلوية . والرياسة بين عائلة البلقيني تنتقل من الأب إلى الولد .

ولد السيد أبو سعيد في بلدة طبرية كما اسلفنا سنة ٣٥٨ ، وحفظ القرآن وهو ابن سبع سنين ثم سافر الى حلب عند السيد الحلبي العظيم سنة ٣٧٦ وحضر الى اللاذقية عن طريق انطاكية وتوفى سنة ٤٢٦ ، ولم تكن في ايامه حكومة قوية منتظمة في جبال النصيرة بل كان في الجبل امارات عديدة ، وكان لكل واحدة قلعة تحميها من جيرانها . ولم يكن بين هذه الامارات عشائر واختلاف مذهبي ، بل كان السيد أبو سعيد رئيساً دينياً للجميع . على انه كان ازهد واتقى الجميع وأقلهم مالاً ، وكان مجاهداً دينياً بين العلويين

وقد بعث جهاد هؤلاء الأعاظم وارشادهم روحاً قوية في العلويين دفعتهم الى اعلان استقلالهم واظهار مجدهم المعروف.

دولة الفاطميين العلوية

قلنا ان غيبوبة الامام الثاني عشر والمهدي المنتظر محمد المهدي في السرداب أحدثت خللاً في الجامعة العلوية . ولهذا السبب حدثت فيهم قابلية الادعاء الشخصي .

سافر أحد اولاد الرسول في أيام العباسي المكتفي بالله لافريقيا، ثم أخذ ينشر هناك دعوته سراً وذلك في ٢٨٨ هجرية، وقد كثر اتباعه في المغرب . ولما توفي محمد هذا أوصى بأمر الخلافة لابنه عبيد الله المهدي . وهو في السايمية بجوار حماه ، وأخبره بأن له شيعة عظيمة في المغرب .

فسمع المكتفي بالأمر وأمر بالقبض على عبيد الله وحينئذ هرب عبيد الله الى مصر ، وكان عامل مصر قد تلقى أمر الخليفة بالقبض عليه فقبض عليه ، ثم أخلي سبيله ولم يعلم السبب ويقال انه فر من السجن .

ذهب عبيد الله المهدي وابنه الى مدينة سجلماسة بصفة تاجر فعرفه واليها اليسع وزجه في السجن هو وابنه محمداً .

كان من شيعة عبيد الله المذكور رجل من أهل اليمن يدعى أبا عبد الله الشيعي وهو من الدعاة . ومع انه أتى من صنعاء اليمن وهو بلا نقود ولا معين فقد عظم نفوذه بين العلويين

وتبعه عدد عظيم ، ثم انه استولى على ولايات المغرب الأقصى ، وجاء سجلماسة وفتحها وأخرج المهدي من الحبس وأركبه على جواد ثم مشى بركابه وهو يبكي ويقول مشيرا إليه انه هو المهدي الذي كان يدعوهم الى مبايعته بالخلافة . ثم سار به بموكب حافل حتى وصل ال المستقر المعدّ له . وقد قبض أتباعه على اليسع الحاكم وقتلوه ونادى المهدي باستقلاله سنة ٢٩٧ هـ .

وكان عبد الله الشيعي قبل اتحاده مع المهدي قهر بني الأغلب وبني مدرا وملك أراضيهم ، وكان هؤلاء وكلاء العباسيين في افريقيا .

وكان حبس المهدي احسن فرصة لهذا الداعية للمناداة به خصوصاً وان عبيد الله هو من أولاد علي . وبعد مناداة المهدي باستقلاله جعل العباسيون واتباعهم يدعون أنه ليس من نسل الرسول .

وجعل الاسماعيليون يدعون انه من أولاد أحد أئمتهم المكتومين وينسبونه لاسماعيل بن جعفر الصادق . أما نسبه الأشهر فهو : (أبو محمد عبيد الله بن محمد بن الحسن بن علي بن محمد بن علي بن موسى الكاظم بن جعفر الصادق) وبعضهم يصحح هذا النسب بأنه (عبيد الله بن محمد بن الحسن بن علي بن الحسين بن احمد بن عبد الله بن الحسين بن محمد بن علي بن الحسين ابن علي بن أبي طالب) ولا يستطيع أحد أن ينكر ان المهدي هذا كان علوياً محضاً ولم يكن اسماعيلياً . أما

قوله انــه المهدي فليس الا احتيــالاً سياسياً ترتب من عبد الله الشيعي ، ولو كان المهدي هذا اسماعيلياً او هو من اولاد الأئمة المكتومين لكان ادعى الامامــة ، ولكن ادعاءه الخلافــة اثبت انه اثني عشري ، إذ كانت الامامة منقطعة في عقيدته فلم يدع بها .

ولا شك بان عبيد الله المهدي احرز السلطة بعمل غــيره وهو عبيد الله الشيعي الذي لم يكتف بتدريجــــه من السجن والمناداة به، بل انه سلمه جميعما اغتنمه من البلدان التي غلبها بعد جهاد طويل . وقد كان من الاتفاقات السيئة مجيء رجل من اليمن وهو احمد ابو العباس أخ عبد الله الشيعي،ولومه أخاه عبد الله لتركه السلطة وتسليمها للمهدي، الذي اصبح المحكوم له ، وما زال به حتى اقنعه . فندم عبد الله على ما فعله واتفق مع أخيهوبعض العشائرعلى قتلالمهدي واسترداد المملكة منه .

ولما وصل الخبر الى المهدي منعهم من المداخلة في الشؤون الرسمية ، ولما تحقق من سوء قصدهم قتلهم . ولكن لم يتوفق لاظهار ما ادخروه من الأموال العظيمة لانفاذ مقصدهم وكان ذلك سنة ٢٩٨ هجرية

وكان قد استأصل المهدي بني رستم وبــني ادريس وأخذ بلادهم ، واتخذ مدينة الرقادة الكائنة بالقرب من القيروان عاصمة له .

وكان المهدي يعرف الجفر وبعض العلوم الغريبة ويستعين بحركاته في تلك العلوم . ثم انـــه بنى في سنة ٣٠٣ هجرية

مدينة المهدية على ساحل البحر وهي شبه جزيرة ، وأحاطها بسور عظيم وخندق وذلك لتأمين سلامته وسلامة أولاده .

وقد أرسل المهدي عسكره الى مصر في سنة ٣٠١ فلم يفلح ، ثم أرسلهم ثانياً في سنة ٣٠٦ هجرية وبعد استيلائه على جانب من البلاد غلبت عساكره أمام عساكر المقتدر العباسي التي كان يقودها مؤنس الخادم .

وتوفي المهدي في سنة ٣٢٢ في المهدية وهو في سن ٦٣ بعد ان دامت سلطنته ٢٤ سنة .

بعد وفاة المهدي جلس مكانه ابنه (محمد القائم بأمر الله) وأخفى وفاة أبيه مدة سنة وبعد ان ضمن مكانته جهر بالأمر .

أرسل القائم بأمر الله جانباً من عساكره الى المغرب وجانباً الى الجهات الشمالية ، أي لوراء البحر لجزيرة صقالية وساردينا وجنوبي ايتاليا ، واستولى على الحصون وكسب غنائم لا تحصى . وقد أرسل عساكره أيضاً في سنة ٣٣٣ هجرية لفتح مصر ولكنه لم يفلح . وفي ذلك الوقت ظهر رجل يدعى أبو يزيد وهو من قبيلة الزناتة ، فخرج على العلويين وحارب القائم وكسره وحاصره في المهدية . وقد توفي القائم في المهدية وهو محصور سنة ٣٣٤ هجرية .

جلس المنصور بالله اسماعيل مكان أبيه محمد القائم ، وهو متصف بالشجاعة والبطولة فحارب أبا يزيد وقهره ، وبعد

معارك متوالية حاصره في قلعة كتامة وانتزع القلعة منه عنوة ثم قبض عليه وأمر بوضعه في قفص من حديد مع قردين ليعذباه ، وظل كذلك حتى مات . وكان المنصور يكتم وفاة أبيه الى ذلك اليوم وأخذ . المنصور البيعة لنفسه سنة ٣٣٦ هجرية، وبنى في مكان انتصاره مدينة سماها المنصورية . وقد توفي في سنة ٣٤١ وجلس مكانه ابنه (المعز لدين الله أبو تميم) . وكانت له وقائع حربية عظيمة عديدة ، فقد وصلت جيوشه الى البحر المحيط ولم يبق عليه سوى الاستيلاء على مصر .

كان له غلام نشأ على يديه وقد كان ذا شجاعة وتدبير وذكاء ، وكانت الحكومة التي في مصر الاخشيدية التركية .

فسمع المعز بأمور هذه الحكومة المضطربة ، فأرسل قائده أبو الحسن جوهر الرومي أو (الصقلي) للاستيلاء عليها ، وهو الذي كان غلاماً ونشأ على يديه

وكانت الحكومة الاخشيدية التركية حليفة طبيعية للعباسيين،لأن العباسيين جعلوا دأبهم التزوج بالنساء التركيات ، وكانت عساكرهم المحافظة من الأتراك . وإذ كان أعظم عدو للعباسيين هم العلويين ، كان الأخشيديون يعادون العلويين وينكلون بهم مسايرة للعباسيين .

كانت بلاد مصر من أيام قتل عثمان ، علوية كما تقدم ، ثم كانت ملجأ العلويين . وقد كان ضغط الاخشيديين عليهم سبباً في التحاقهم بجيش جوهر الصقلي .

قدم جوهر الى مصر ومعه مائة ألف جندي ، وقد تلقاه

العلويون في مصر كنعمة سماوية . وقبل قدومه اتفقوا على استقباله استقبالاً حسناً وهكذا كان . وقد فرّ كافور الاخشيدي ثم قتل . ولم يقاوم الاخشيديون إلا قليلاً . والحقيقة هي ان مصراً امتلكها الفاطميون سنة ٣٥٨ هجرية صلحاً . وقد نكل جعفر بن فلاح العلوي بالبقية التي بقيت من الاخشيديين . وكانت اسرة فلاح مرجع العلويين في مصر ، ثم خلفتها اسرة البلقيني .

رأى العباسيون خطر الفاطميين ، وعلموا ان الطعن في نسبهم لم يفدهم شيئاً فنحوا ولاتهم الاستقلال التام حتى لا يتحدوا مع الفاطميين ، وحينئذٍ استقلت القرامطة أي الفرقة الاسماعيلية في البحرين . وبنو بويه العلويون في اصفهان. وبنو حمدان في الموصل وحلب . ولم يبق للعباسيين سوى بغداد وما يليها ، وإنما كانت تذكر أسماء خلفائهم على المنابر .

وكان ظهور تلك الحكومات العلوية خصوصاً بني بويه والديلم سبباً قوياً في نجاح الفاطميين في مصر .

دخل جوهر الصقلي ظافراً الى مصر ، ومكث فيها عاملاً باسم المعز لدين الله . ولم يقدم اليها المعز إلا بعد أربع سنوات وعشرين يوماً من فتحها .

منع جوهر ذكر اسم العباسيين في الخطب وأمر بذكر اسم المعز الفاطمي ، ومنع الخطباء من لبس السواد وألبسهم البياض ، وأضاف على الدعاء في الخطبة هذا القول : « اللهم صلّ على محمد المصطفى وعلي المرتضى وعلى فاطمة البتول وعلى الحسن

والحسين سبطي الرسول، الذين اذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً . اللهم صلّ على الأئمة الطاهرين آباء امير المؤمنين » وزاد في الأذان كلمة « حي على خير العمل » وهكذا فعل البويهيون في أصفهان أيضاً .

وبنى جوهر مدينة القاهرة، ونقل مركز الحكومة المصرية من بلدة الفسطاط اليها في سنة ٣٦٢ هجرية

ويعد المعز لدين الله من أعاظم العلويين، كما انه كان داهية في السياسة، اذ استمال الاسماعيليين اليه ووحد بين العلويين والشيعة، اي بين جميع من يعتقدون بالامامة . ولا يزال العلويون والاسماعيليون الى هذا اليوم يذكرون اعاظم علماء مصر بين رجال شيعتهم ، وهذا أعظم دليل على كياسة ودهاء الفاطميين في السياسة .

اتسعت سلطة الحكومة الفاطمية بسهولة ، وكانت تتلى الخطبة باسمهم في الحرمين الشريفين سنة ٣٨١ هجرية بدل اسم العباسيين . ومع ان الفاطميين علويون فانهم لم يظلموا أهل السنة بل جعلوا المسلمين كتلة واحدة في ملكهم، وهذا النجاح متولد من تأثير شمس مصر على ادمغة أهلها وتوفير الذكاء وتوليد الدهاء .

توفي المعز لدين الله سنة ٣٤١ فخلفه ابنه العزيز بالله

• • •

ونرى ان نذكر هنا نبذة عن احوال العباسيين في تلك الأيام :

قلنا انه بعد الأئمة المعصومين سرت في العلويـــين روح جديدة ، وقبل سريان هذه الروح كان الاسماعيليون وحدهم المهتمين بالمسائل السياسية .

كان المستعين الخليفة العباسي الذي تولى الملـك سنة ٢٤٨ خائفاً من العلويين، فاهتم باستمالة الاتراك اليه ، ولذلك جاء الى بغداد اتراك كثيرون وتدينوا بالاسلام ولكن على مذهب أهل السنة . وكانت في تلك الايام مدينة بغدادعلى ضفتي نهر الدجلة وهي تمتد طولاً عليها، وكانت كل قرية او بلدة صغيرة كائنة على الدجلة تمتد كذلك طولاً ، حتى اصبحت ضفتا النهر كانها بلدة واحدة تمتد من البصرة حتى بغداد ، وكانت سامرا على ضفة الدجلة ، وهكذا تمتد المدن من البصرة حتى الكوفة على ضفة الفرات . ولما كان عدد أهل بغداد فيذلك الوقت ستة ملايين ، وكان مركز الاتراك مدينة سامرا ثم بغداد، ولما كان الخلفاء يعتمدون عليهم، عظمت نفوسهم وتسلطوا على العرب الوطنيين ووقعت بينهم مقاتلات دموية عديدة .

استقل احمد بن طولون التركي فيسنة ٢٥٤ ،وألفالقرامطة الاسماعيلية حزباً سياسياً في البحرين وابتدأوا يهاجمون بغداد من الجهة الشرقية ، وفي سنة ٣٠٠ ظفر القرامطة بالعباسيين وحملوا بينهم عهداً بان يؤدي العباسيون الخراج للقرامطة اي الاسماعيلية في البحرين .

عندمـا استقلت بقية الولاة في سنة ٣٣٠ في ايام المقتفي ، لم يبق نفوذ سياسي للخليفة إلا في نفس بغداد وما حولها ،

وأخيراً في سنة ٣٣٤ هجرية فتح معز الدولة العلوي البويهي بغداد وجعل الخلفاء تحت سلطته ، ولقب نفسه (بسلطان العراق)

ومن هذا التاريخ كان سلاطين بني بويه يخلعون الخليفة متى شاءوا ويسملون عيونه وينتخبون من يشاؤون ويجلسونه مكانه . وقد دامت هذه الحالة حتى ايام القائم بأمر الله العباسي .

وفي أيام المقتدي بالله العباسي في سنة ٤٦٧ هجرية قويت شوكة الاسماعيلية الباطنية ، وسفك هــؤلاء دماء كثيرة حتى سخط عليهم المسلمون أجمعين .

وفي ايام المستظهر العباسي ابتدأت الحروب الصليبية .

• • •

وإذ لم يكن قصدنا تحرير تاريخ عمومي للمسلمين ، بل قصدنا الوحيد استعراض أحوال العلويين التي أكسبتهم سجايا خصوصية حتى صاروا شعباً مستقلاً ، لذلك التزمنا ان نجتنب متابعة سياق الوقائع التاريخية .

• • •

بعد المعز لدين الله الفاطمي جلس مــكانه ابنه العزيز بالله وكتم وفاة ابيه حتى عيد الاضحى ، وبعد صلاة العيد جاهر بذلك واخذ البيعة لنفسه .وقد قضى في ايامه على قطاع الطرق الذين كانوا حول بيت الله . واستقل في زمانه بعض الاعيان بدمشق ، ولما عجزوا عن رد اعتداء أهل البادية عنهم عادوا اليه . واخيراً قام بكجور في سنة ٣٧٣ .

ثم توفي العزيز بالله سنة ٣٨٦ وجلس مكانه الحاكم بأمر الله وعمره ١١ سنة . وكان العزيز اوصى بان يكون وصياً على ابنه رجل يدعى « برجوان »، ثم استولى على الامور شيخ من قبيلة الكتامة يدعى حسن ابن عمار . وقد أغرى بعض الناس ابن العمار بان يقتل الحاكم ويستقل بالامر، ولكنه قال «مالي ولهذا الصغير الذي لا يضرني »، ولم يكن لبرجوان سوى حراسة الحاكم داخل قصر الامارة

كثرت الفوضى وثار الجنود على ابن عمار فاختفى خوفاً منهم، ثم اجلس الحاكم محله ثانية وبايعه الناس

وفي تلك الايام شق اهالي مدينة صور عصا الطاعة ونصبوا عليهم رجلاً اسمه « علاقة » واستولى الروم على كيليكيا والسواحل من اللاذقية حتى قرب الشام . وثار العربان . ونشبت الحرب بين عساكر الفاطميين وقائدهم اذ ذاك حسين بن حمدان التغلبي وبين أهل الشام قرب الرملة، وقائد أهل الشام ابو تميم. فظفر الحسين بن حمدان التغلبي ووصل لقرب مدينة صور . وكان « علاقة » المذكور استمد من ملك الروم فانجده ببعض السفائن واتحدت عساكر الفاطميين وهم تحت قيادة الحسين بن حمدان وجيش بن صمصام، فاغتنموا السفائن وحرقوا بعضها وكسروا العساكر الصورية شر كسرة، واسروا علاقة وارسلوه الى مصر وصلب فيها . وبعد ان مكث الحسين في صور حاكماً مدة ، كرّ جيش ابن صمصام على شيخ العربان فكسره ودخل الشام ظافراً .

ثم سافر جيش ابن صمصام لمحاربة الروم، فحاربهم وكسرهم وقتل قائدهم ، فصفا الجو للحاكم بأمر الله وكان كلما نصب وزيراً يقتله بعد مدة .

كان الناس قد ملوا مظالم الحاكم بأمر الله ، وقد كان خرج عليه أحد الأمويين واسمه « أبو ركوة »وادعى الخلافة ، فتبعه بعض الناس واستولى على برقة، فاضطرب الحاكم ، وكان كلما جند عليه جيشاً ينتصر أبو ركوة عليه . ثم استمد الحاكم بعساكر من الشام، وبعد حروب عديدة أسر أبو ركوة وقاده لمصر أسيراً وأمر ان يطاف به في الشوارع ثم صلبه. ودامت سلطنة الحاكم الى سنة ٤١١ .

كان الحاكم بأمر الله من الدهاة، وهو بريء من أكثر المسائل المنسوبة اليه والمخالفة للشرع . وقد أصاب العلويين أعظم ضربة تاريخية بسببه ، اذ ظهرت عقيدة الدروز (وهم قسم من الامامية) .

كان الحاكم تقيا وعالماً ، وقد أسس مكتبة تحتوي جميع الكتب العصرية .

يروى عن الحاكم بأمر الله روايات غريبة واليك بعضها :

كان الحاكم يوماً ماراً في الطريق فسمع ضوضاء في حمام فيه نساء فأمر بسد بابه ، فسد الباب ومات جميع النساء والصبيان الذين كانوا داخل الحمام .

منع بيع العنب والزبيب وأمر بقطع الكروم جميعها .

منع أكل الملوخية وقرع الكوسا لأن معاوية بن أبي سفيان كان يحب أكل الملوخيـة . ولأن عائشة بنت أبي بكر تحب أكل الكوسا .

أمر بقتل الكلاب وقتل منها ثلاثين ألفاً بيوم واحد .

أمر بأن تقوم الجماعة عند ذكر اسمه على المنبر ، وقـد شملت هذه العادة جميع البلاد حتى نفس مكة والمدينة .

كان يرسل النساء جواسيس تتخلل البيوت وكان يلتـذ بأن يقول الناس عنه انه « عالم الغيب ! »

كان الحاكم بأمر الله معروفاً بالسخاء ، وكان يحب إراقـة الدم كثيراً .

أمر الحاكم أن يكتب على الجدران وعلى بعض القبـــور ، اللعنة على من خالف علياً بن أبي طالب ، مع ذكر أسمـــاء أصحابها . واصدر أمره في سنة ٣٩٥ بتعميم المسبة للمخالفين في كل البلاد . وأمر في سنة ٣٩٧ بمحو تلك الكتابات وترك المسبة . وبعد مرور سنة ،أي عند معاداة أهل السنة له ، أمر بأن يؤدبوا ويضربوا . وان تشهر أسماء من يشتمون الصحابة الذين هو أعظم عدو لهم .

أمر بمنع بيع السمك ، وانه كان يدع باعة السلور والملوخية ويقتل بعضهم .

أمر في سنة ٤٠٢ بمنع ادخال العنب الى مصر ، وجمع كمية كبيرة من الزبيب وحرقهـا ، وكانت مصارف الحرق خمسمائة ذهباً جمع خمسة آلاف دبليز مملوءة من العسل وكسرها على

ضفة النيل ورمى بالعسل في النهر . أمر في سنة ٤٠٤ بطرد جميع المنجمين من البلد ، وبعد ذلك عفى عنهم امـام القاضي بعد تحليفهم على ان لا يعودوا الى التنجيم

امر بمنع خدمة المسلمين للعيسويين وللموسويين ، وان لا يكون لهم حق الركوب في سفن المسلمين . وجعل للمسلمين ولغيرهم حمامات خاصة معينة

امر سنة٤٠٨ بان لا يخرج النساء للأزقة ، فبقي النساء مدة سبع سنوات في البيوت

كان يحب الانفراد والركوب على الحمار . وكانت له أخت تسمى « سيدة الملك » تعشق احد الرجال ، وكانت على اتصال خفي معه . ولما علمت ان الحاكم شعر بأمرهـا اسرعت بقتل أخيها الحاكم . وذلك انه سنة ٤١١ في ٢٧ شوال ركب الحاكم حماره «القمر» وذهب وحده ثم لم يعد سوى القمر ، ولما اتبع بعضهم أثر الحمار وصلوا الى بئر في شرقي حلوان فـنزلوا اليه ووجدوا فيه لباس الحاكم بأمر الله ، وازاره غير مفكوكة ، ولم يجدوا اثراً له ، ووجدوا على لباسه آثار آلة جارحة فعلموا بانه قتل ، ولكنهم قالوا بانه تغيب ستراً للحقيقة . ثم سلك أصحاب مذهبه على هذا الاعتقاد .

كان الحاكم بامر الله غير مقتنع بالخلافة وحدها . ولـما لم يستطع الادعاء بالامامة ، لان العلويين هم من جملة الشيعة الاثنى عشرية وعندهم الامامـة منقطعة . وكذلك لم يسلك مذهب الاسماعيلية ، لذلك ابتدع مذهباً خاصاً . ويقال انـه ادعى

الالوهية زاعماً حلول القدرة الالهية فيه .

أما شيعته الخصوصية من العلويين فقد جاؤا الى جبل لبنان وسكنوا فيه ، وادخلوا قسماً من العلويين التنوخيين في هـذا المذهب . وهذا آخر افتراق مذهبي بين العلويين . ومن هنـا نعلم ان الدروز هم اخوة العلويين من جهة النسب لأن جانباً منهم من التنوخيين . ولذلك اخترنا ذلك التطويل .

• • •

كان الفاطميون في ذلـك الوقت جنوباً ، والعلويون البويهيون شرقاً ، والعلويون التغلبيون شمـالاً . وكلهم كانوا يستردون السلطنة من السنيين . فلم تثبت حكومة الاخشيدية التركية المتوسطة بعد ذلك طويلاً بل ضعفت ثم انقرضت .

بعد غياب الحاكم بأمر الله تولى مكانه ابنه « الظاهر لاعزاز دين الله »، وفي أيامه ضمت حكومة الفاطميين إليها كل المحيط العلوي الغربي ، إذ كانت انقرضت حكومة بني حمدان الحلبية العلوية ، فأصبحت سوريا بأجمعها مع مصر وافريقيا الشمالية تحت حكم الظاهر لاعزاز دين الله .

وكان عامله على حلب، التي هي أعظم مركز ديني للعلويين، « مرتضى الدولة بن لؤلؤ » أي عتيق أبو الفضائل بن شريف ابن سيف الدولة الحمداني التغلبي .

ولكن علويي حلب لم يرضوا عن حـكم الفاطميين ، لأنهم مرقوا من العقيدة الأصلية ، وهذا أول سبب أدى الى افتراق العلويين سياسياً. ولهذا السبب هاجم صالح بن مرداش الكلابي

حلباً ، وبعد محاصرته لها فتحها وتملكها مع مـــا حواليها ، وبذلك يكون العلويون في الشمال قد افـترقوا عن العلويين في الجنوب ، وهكذا فعل حسان بن مفرج العامل في الرملة ، اذ استولى على القسم الأعظم من سوريا واستقل به فضعفت سلطة الفاطميين ، وحينئذٍ نقل المركز الديني للعلويـين من حلب إلى اللاذقية ، وكان يمثله السيد أبو سعيد الطبراني .

ولد الظاهر لاعزاز دين الله في سنة ٣٩٥ وتوفي سنة٤٣٦ .

ولا شك بان العلويين في أيام الأئمة الاثنى عشر لم يكونوا يهتمون بغير التقوى والعبادة، ولكن بعد الأئمة طرأ الخلل على هذه المزية فيهم وظهرت بينهم محبة الدنيا والسيادة فيها .

استولى الاسمـاعيليون الشرقيون على خورستان والبصرة والاحساء وعلى الكوفة سنة ٣٧٢ .

لما قتل ذكرويه بن مهرويه، اي مؤسس حكومة القرامطة، في سنة ٢٩٤ كانت قد انكسرت شوكة الاسماعيليين . ولكن بعد ان اخذ الفاطميون عظمتهم الأخـــيرة قويت شوكة الاسماعيلية ، وجنحوا الى معاداة العباسيين في العراق . لأنهم العدو المشترك لهم وللعلويين ، والفريقان من الشيعة الإمامية . وقد استولى احد رؤساء الاسماعيليين ، ابو طاهر سعيد الجنابي على الحجاز، وأخذ الحجر الأسود وجاء به إلى جهات البصرة. ولم يستطع أهل السنـــة معاداة الاسماعيليين في العراق ، بل صبروا حتى جاء العلويون التغلبيون بنو حمدان ثم العلويون الديالمة، اي بني بويه، فامتنع حينئذ اعتداء الاسماعيليين عليهم.

والفاطميون ارجعت الروم عن البلاد الاسلامية .

توفي الظاهر لاعزاز دين الله في سنة ٤٣٦ وجلس مكانه ابنهُ المستنصر وكان عمره سبع سنين ، وكان وصيه وزير أبيه علي أبو القاسم ، وقد كان هذا مقطوع اليدين اذ قطعها الحاكم بامر الله وبقي وصياً للخليفة حتى وفاته في سنة ٤٣٦ .

وظهر في تلك الأيام اضطراب في بغداد ، اذ ارغمت حكومتها اشراف العلويين على أن يطعنوا في نسب الفاطميين، وقد كان الأمر كذلك حتى كان بعضهم ينسب الفاطميين إلى اليهود او المجوس . وكانت الأسباب :

ان احد العلويين يدعى شباشيري ، اراد تلاوة الخطبة في أحد جوامع بغداد باسم العلويين ، مع حضور آلاف من أهل السنة في بغداد ، وذكر اسم الفاطميين في بغداد واضيف كلمة « حي على خير العمل » في الأذان سنة ٤٥٠ .

وهكذا ظهر في مصر ايضاً مثل هذا الاضطراب واسبابه هي :

ان الاتراك كانوا قد نزحوا الى مصر بكثرة ، فارادت « ام المستنصر » اخراجهم واقامة العبيد بدلاً منهم . فابتدأت الحروب الداخلية . وكان ناصر الدولة بن حمدان يرأس عساكر الأتراك،فانتصر على المستنصر وحاصره في مصر. وقد أراد ناصر الدولة أن يتلو الخطبة باسم العباسيين كما كان الأمر عند العلويين البويهيين ، فقتله العلويون وامتدت الفتنة الى سنة ٤٧٦ ﻫ . وحينئذ استنجد المستنصر بحاكم الشام « بدر

جمالي ، فأنجده وأنقذه من أعدائه . ثم ان العباسيين ساقوا جندهم الى الشام وفتحوها وذلك في سنة ٤٦٨ ، وكانت تتلى الخطبة في الشام باسم المقتدر العباسي ، وامتنع ذكر العلويين في الحرمين وعاد الذكر الى العباسيين وذلك في سنة ٤٧٩

توفي المستنصر في سنة ٤٨٧ فخلفه ابنه « نزار » ، ولكن لم يستقر له الامر اذ خلع وحل مكانه اخوه المستعلي وعمره ٢٨ سنة .

وقد فر نزار الى الاسكندرية وأخذ البيعة هناك لنفسه وسمي « المصطفى لدين الله » ، ولكن لم تطل كذلك ايامه بل حورب وقتل . ثم انقرضت مملكة الفاطميين واستولى الأتراك على جانب منها كما استولى اهل الصليب على جانب آخر ، وسقطت القدس في يد الصليبيين ، وبعد مدة انتزعت سوريا وفلسطين من يد الفاطميين ولم يبق بيدهم سوى مصر .

توفي المستعلي في سنة ٤٩٥ ، وجلس مكانه ابنه « الآمر بأحكام الله » وعمره خمس سنين ، ولكن بعد بلوغه ظهرت منه الشجاعة والدهاء ، وقد مرت ايامه في الحروب الصليبية .

في سنة ٥٢٤ قتل بعض الاسماعيليين الآمر بأحكام الله وهو ذاهب الى بستانه ، فاضطربت بذلك المملكة ، وأخيراً حل محله ابن عمه « الحافظ لدين الله ابو الميمون عبد المجيد » ، على شرط انه اذا ولد للآمر ولد من جواريه فالخلافة للولد .

ثم لم يظهر بين الجواري حامل وبقيت الخلافة بيده ، ثم بعد ذلك كثرت الفتن وظهر الضعف في مصر . وفي سنة

٥٤٤ توفي الحافظ وجلس مكانه ابنه « الظافر بالله ابو منصور اسماعيل » .

وقد اتخذ الخلفاء الفاطميون المتأخرون الخلوة والاحتجاب عادة لهم . فاستبد الوزراء بالأمر وعمت الفتن وقتل الخليفة ، فحل مكانه ابنه « الفائز بنصر الله ابو القاسم عيسى » وعمره خمس سنين ، ثم انتشر الاضطراب ؛ وبعد وفاة الفائز خلفه العاضد لدين الله، وكانت الحالة لا تزال سيئة، فارسل نورالدين الايوبي عساكره بقيادة أسد الدين الى مصر ، وكان من جملة من اتى من الشام مع الجند الرجل العظيم (صلاح الدين الايوبي)، وفي تلك الايام كانت الحروب الصليبية اعظم هم للمسلمين .

وأخيراً دعا العاضد ، صلاح الدين الايوبي ونصبه وزيراً ، ولما كان صلاح الدين ابن اخ نور الدين ، اي ملك الشام قويت شوكته واستقل بالأمر ، فعزل القضاة العلويين ونصب عوضاً عنهم من الشافعيين ، وفي سنة ٥٦٧ هجرية منع ذكر اسم العاضد من الخطبة، وأمر بأن تتلى باسم المستضيء بالله العباسي، ولم يكن ذلك الا بامر وطلب نورالدين .

ثم انقرضت دولة الفاطميين العلوية بمصر . .

• • •

قبل انقراض دولة الفاطميين كان ظهر منها فرع في جزيرة سجيليا، وهي (امارة الكلبيين العلويين). استولى العلويون على سجيليا بزعامة حسن بن أحمد الذي كان واليا عليها، وذلك في سنة ٢٩٧،وظهرت حكومتهم هناك في سنة ٣٣٦، ثم انقرضوا

في سنة ٤٤٤ هجرية . وقد بلـــغ عدد امرائهم هناك تسعة ؛ واسباب انقراضهم انتشار النفاق بين العاملين فيها . ولا يوجد اليوم في سجيليا اي (صقلية) احـــد من العرب الذين كانوا يهددون رومية العظمى ، اي الأمراء الـكلبيون من العلويــين ، واصبح العرب هناك نسياً منسياً . فيا للعبرة ؟! ...

قام في أيام العزيز بالله الفاطمي بعض أفخاذ من قبيلة بـني مضر ، وكانوا قد اعتمدوا الطريقة الجنبلانية العلوية واتحـدوا تحت اسم (بني هلال)، وكان مبدأ هذه الحركة في اليمن . ثم رحل من هناك بنودريد قاصدين اخوتهم بني رياح في جهات نجد، وقد اجلوا عن نجد كل من كان غير علوي . ثم جاء بنو قائد وبنو زحلان وقائد قيس وبعض العلويـــين من جهات الطائف والمدينة، فأصبح جمعهم هناك عظيماً، وكان بينهم من الأثني عشرية الجعفرية ولكن كـان اكثرهم من الاثني عشرية العلوية، وقد انتخبوا منهم سلطاناً عليهم وهو حسن بن سرحان الدريدي اليمني . وكان ابو زيد العلوي رئيساً للعلماء . ثـم انهم ساروا الى الشام فامتلكوها ولكنهم لم يسكنوا فيها، بل نصبوا خيامهم على ضفة العاصي من جبل الحلو الى آخر جهات حماه ، وكانوا يأخذون الجزية من الشام ، ويغيرون على البلاد المجاورة حسب عادات البدو . فجاء أهل الشام الى المعـــتز وطلبوا منه انقاذهم من اولئك البدو ، فارسل المعـتز جيشه واستولى على الشام وجعـــل الملك (ابن فلاح) والياً عليها ، وهذا قطع الجزية المختصة ببني هلال . فأبتدأت الحروب بين

الفريقين ، وساعد بني هلال البويهيون من بغداد فاستولوا على الشام ثانية وامتلكوا يافا، ثم والوا السير حتى مصر فحاصروا القاهرة، وكان المعز في القيروان، فارسل اليهم الجنود ولكنها ارتدت عنهم، وبعد معارك عديدة والام ، لان الفريقين كانوا من الاثني عشرية العلوية .

وبعد الصلح دخلت الشام في حوزة الفاطميين كما كانت من قبل ، ولكن لم تهدأ الأحوال في الشام وأسباب ذلك ان أهل الشام السنيين لم يرضوا بتلاوة الخطبة في الجوامع باسم العلويين الفاطميين، ولما لم تكن لديهم قوة يستطيعون المقاومة بها التجأوا الى بني بويه العلويين الذين كانوا يتلون الخطبة باسم العباسيين . ثم اتحدت جيوش البويهيين وبنو هلال والجنود الشامية واخرجوا المصريين من الشام .

ثم نشبت المعركة بين الفريقين في جوار الرملة فانتصر فيها المصريون عن البويهيين ، وكان من أسباب الحرب استيلاء عضد الدولة البويهي على الموصل ، والتجأ أمير الموصل (أبو تغلب بن حمدان) العلوي الى مصر سنة ٣٥٩ هجرية .

وأخيراً سارت العساكر المصرية تحت قيادة سليمان بن جعفر بن فلاح في سنة ٣٧٠ لنحو الشام، وبعد حروب عديدة دخل ابن فلاح الشام وذلك سنة ٢٧٥. وفي هذه السنة جاءت عشائر الطائية البغدادية الى جبل النصيرة وسكنت فيه كما سيأتي ذكره في دور العشائر .

ومن أسباب التنافر بين الفاطميين والبويهيين مسألة الخلافة .

طلب بعض العلويين من معز الدولة البويهي ان ينتزع الخلافة من العباسيين ويجعلها في الفاطميين ، فاستشار معز الدولة بعض السياسيين فقالوا له : (ليس هذا برأي ! فانك اليوم مع خليفة عباسي تعتقد أنت وأصحابك انه ليس من أهل الخلافة . ولو أمرتهم بقتله لقتلوه مستحلين دمه . ومتى جعلت من بعض العلويين خليفة كان معك من تعتقد أنت وأصحابك صحة خلافته ، فلو أمرهم بقتلك لقتلوك !) ولذلك ضرب صفحاً عن اجابة هذا الطلب وأبقى الخلافة في العباسيين الذين لم تكن لهم سلطة دنيوية .

وداوم العلويون التغلبيون في مصافاتهم للعباسيين . وكانت أسباب نجاح الفاطميين راجعة في أكثرها لوجود البويهيين والديالمة في العراق ولهم الشوكة والعظمة . ومما يساعد على معرفة أحوال العلويين في تلك الأيام وأحوال جبل النصيرة ، أي مركز العلويين ، ذكر الأخبار التالية :

كان من أعاظم أتقياء العلويين في ذلك الدور الزاهد المعروف السلطان ابراهيم بن أدهم الذي كان أبوه ملكاً على مدينة « بلخ » ، فقد كان هذا الزاهد يوماً يطارد صيداً وهو منفرد فنودي من ورائه ثلاث مرات .. (يا ابراهيم ! ألهذا خلقك ربك ؟) ثم رأى بعد ذلك في منامه رؤيا حملته على ترك الدنيا والمغالاة في الزهد والتقوى .

وقد كانت مدينة بلخ وسائر بلاد خراسان علوية محضة ، ومع ذلك لم يصبر ابراهيم الأدهم على المكث فيها بل غادرها ملتحقاً بالعلويين المشتهرين بالعلم والتقوى الذين كانوا في حلب وانطاكية وجبل النصيرة .

اطلع ابراهيم زوجته التي كانت حامل إذ ذاك على نيته ، ولما عجزت عن اقناعه بالبقاء ، طلبت منه إشاعة خبر حملها، فأشاعه وأعطاها حلقة وأوصاها أنه إذا ولد له ذكر تعلقها في أذنه .

ترك ابراهيم الأدهم قصر الامارة لأبيه ليلاً وسار فوصل إلى حلب وانطاكية،ومكث مدة طويلة في طرسوس التي كان معظم أهلها علويين ويهود . وقد أسلم على يده العدد الأغلب من اليهود . وبعد اقامته مدة عشر سنين بين العلويين رحل الى مكة لمجاورة بيت الله .

بعد مفارقة ابراهيم لزوجته ولدت ولداً ذكراً وسمته محموداً ووضعت حلقة ابيه في أذنه .

وعند ما كبر الولد وسمع من أمه خبر أبيه مال إلى الالتحاق بوالده وهكذا كان . وقد اجتمع الولد وأبوه في الحجاز ، وعرف ابراهيم ولده من مشابهته له وانجذاب قلبه اليه ومن وجود الحلقة في أذنه ، وتفارقا هناك وشغف ابراهيم بحب ولده حتى ألهاه ذلك عن العبادة والتقوى ، وحينئذ دعا ابراهيم ربه بان يحول قلبه عن ذلك ، ثم توفي ابنه فدفنه أبوه بيده .

ثم رحل إلى الشام ومنها لانطاكية واللاذقية حتى جبلة ، وكان ابوه قد توفي في تلك المدة في بلدة بلخ . وإذ كان ابراهيم ولي العهد لأبيه جاءت أمـه ومعها الوزير الاعظم والحواشي للتحري عن ابنها . وكانت تعلم انه لا بد ان يكون في بلاد العلويين؛ فجاءت لانطاكية ووقفت على اثره،ثم جاءت الى جبلة ولاقته وألحت عليه بان يريدي لباس السلطنة، فلم يرض وظل على لباسه المعتاد اي لباس الفقر والتقوى .

دعا ابراهيم ربه ان ينقذه من الدنيا فانتقل على أثر ذلك إلى العالم الباقي ، وقد ندبته أمه وندمت على الحاحها عليه ، ثم بنت على قبره الجامع الموجود الآن في جبلة وبنت بجانبه بناية لإطعام الفقراء ، وبنت أيضاً طاحوناً لطحن القمح الذي يؤكل في تلك البـنـاية وأوقفت له ضياعاً كثيرة ، ثم توفيت في اللاذقية .

ان الاملاك والاراضي التي أوقفتها أم ابراهيم الأدهم متفرقة ما بين جبل لبنان وانطاكية .

وان كلمة (بطل شجاع) هي تاريخ لوفاته ، اي انها في سنة ٤١٥ هجرية ، فيكون معاصراً للسيد ابي سعيد الطبراني الرئيس الديني للعلويين .

لابراهيم الأدهم منزلة مقدسة ورفيعة بـــين العلويين ، وهم يزورونه ويحتفلون بهذه الزيارة ويحلفون باسم السلطان ابراهيم (الذي قناديل تربته من الذهب !) ولكن يا للاسف لم يبق في يومنا هذا اثر لهذه القناديل، وغلة أوقافه العظيمة ضائعه..

وهذه القصة وامثالها تثبت ان اللاذقية وأراضي العلويين كانت أعظم مركز للعلويين مما هي عليه الآن .

دولة بني بويه الديلمية العلوية

قلنا انهُ بعد الأئمة الاثنى عشر اصبح العلويون بلا رئيس ، وان بعضهم لم يتبع الباب واسمهم الجعفرية . وأما الذين اتبعوا اسحق الأحمر أبا يعقوب بصفته باباً لحسن العسكري فتسموا الاسحاقية . وأما من اتبعوا محمد أبا شعيب البصري بصفته باباً فتسموا العلوية . ولكن اضطروا لكتم عقيدتهم أكثر مما كانوا يكتمونها في الأول . ولذلك خالفوا مبدأهم الأول اذ تركوا التقوى وعكفوا على الاشتغال بالسياسة ، ولما نفخ بتلك الروح العالية بين العلويين السيد الحسين بن حمدان الخصيبي المصري ، اصبح الذين ينسبون للطريقة الجنبلانية أخوة يفدون أرواحهم ازاء بعضهم ، وفي تلك الأيام استقل بنو بويه في جهات بحر الخزر ، وكان معظمهم يقتدي بالسيد حسين المصري الخصيبي .

في تلك الآونة أحدث الراضي بالله الخليفة العباسي منصب (أمير الامراء) وقصده من ذلك ان يتخلص من الفوضى العامة في المملكة ، فاصبح امير الأمراء صاحب السلطة المطلقة ، حتى لم يبق للخلفاء نفوذ حتى في القصر نفسه ، وكان أمير الأمراء ومن معهُ يظلمون الناس ولا رادع لهم ، فيئس الناس ولم

يكن لهم مرجع يشكون اليـه . ثم انهم اجمعوا الى الالتجاء لآل بويه الذين كانوا اشتهروا بالعدل والتقوى . وكان سيد البويهيين معز الدولة الذي تربى على يد السيد الخصيبي . وقد جاء معز الدولة لبغداد ملبياً الدعوة، واخذ منصب أمير الامراء جبراً في سنة ٣٣٤، وبقي هو واخلافه مدة ماية سنة يحكمون في بغداد تحت اسم امير الامراء، ولهم الحكم المطلق اذ كان الخلفاء العباسيون ليس لهم الا الذكر على المنابر .

ومعز الدولة : هو أحمد أبو الحسين بن أبي شجاع بويه بن فناخسرو بن تمـام بن كوهي بن شيرزيل الاصفر بن شيركوه ابن شيرزيل الاكبر بن شيرانشاه بن شيرفنه بن شسنان شاه ابن شسن فرو بن شيروزيل بن سسناد بن بهرام جور الملك بن يزدجر بن هرمز بن كرمانشاه بن سابور الملك بن سابور ذي الاكتاف المنسوب لسلالة الملوك الساسانيين .

ومعز الدولة هو عم عضد الدولة الرجل العظيم المشهور ، وقد كانت يده اليسرى مع بعض اصابع يده اليمنى مقطوعة. وركن الدولة وعماد الدولة همـا أخواه . وقد استولى معز الدولة اولاً على العراق والأهواز ثم الكرمان بدون حرب ، وحارب الأكراد وغلبهم . وذلك النجاح العظيم لم يكن إلا بتأثير الروح التي بثها فيه الحسين بن حمدان الخصيبي ، وكان نجاح معز الدولة مسبباً لنجاح العلويين وحريتهم . وقد اتخذ المعز الحسن المهلبي وزيراً له، وكان اسم المهالبة مهملاً الى تلك الأيام ، وحسن هذا هو : (أبو محمد بن هروة بن ابراهيم بن

عبد الله بن يزيد بن حـــاتم بن قبصة بن المهلب بن ابي صفرة الازدي) وقد أعاد الحسن ذكرى أجداده في السخاء والدهاء السيامي وعمل الخير، وقبل أن يستوزره المعز كان فقيراً، وقد توفي في بغداد سنة ٣٥٢ هجرية .

• • •

وكان احد ملوك الديالمة أي البويهيين يدعى أبا شجاع ، وهو من قرية كياكيس في ديار الديلم، وقد حملت الاقدار حسين ابن حمدان الخصيبي فجعله وكيله في دياره ، ولمـــا ظهر أحد رؤساء الديلم المسمى (ما كان) ذهب أولاد ابو شجاع الثلاثة اليه ، ولما طرأ الخلل على أمور (ما كان) استأذنوه فذهبـوا ودخلوا في جيش صاحب الدعوة الثانية (مرداويج الديلمي) فساعدوه أعظم مساعدة ، ونصب كل واحد منهم حاكماً على احدى بلاد الديلم ، ثم عظمت شوكتهم فاصبح كل واحد منهم ملكاً على بقعة مستقلة ، ولم تكن اسباب النجاح الا بتأثير الحسين بن حمدان الخصيبي ، إذ كان والدهم وكيله ؛ ونرى أن نذكر كل واحد منهم على حدة .

عماد الدولة الديلمي

واسمه ابو الحسن علي وهو اكبر من أخويه ، كان سخياً وشجاعاً وصاحب عزم ، نصبه مرداويج حاكماً على بعض جبال الديلم في ناحية (كرج) ، فاستولى على بعض القلاع المجاورة له ، وغنم غنائم ووزعها على الناس ، وأرضى الجميع بتصرفه الحسن وامتزجت محبته في عروق الشعب ، والتحق به شيرزاد أحد أعيان الديلم ، وقويت جيوش الحسن فهاجم أصفهان .

كانت عساكر عماد الدولة عبارة عن تسعماية رجل علوي ، وكان عدد حامية اصفهان عشرة آلاف ، ولكن كان اكثر المدافعين علويين ومرتبطين ديانةً بأبيه ، فلذلك دخل اصفهان ظافراً وتبعته جيوشها .

وحينئذٍ ندم مرداويج على ترقيته عماد الدولة ، ولكن عماد الدولة لم يقنع بذلك النجاح ، بل جمع جيوشاً وأموالاً من اصفهان العلوية ، واستولى على الجهات المجاورة لها ، وكان كلما توفق يعامل الاعداء بالحسنى بل ينعم عليهم ، ثم استولى على شيراز .

كثرت جيوش عماد الدولة فلم يبق معه ما ينفقه عليهم لكثرة ما أنفق في الحروب ؛ فاضطرب في امره ثم انعم عليه ربه بنعمة كبيرة .

وذلك أن حية ظهرت أمام عماد الدولة بينما كان يفتكر في أمره وهمَّ بقتلها ولكنه لم ينوفق الى ذلك لانهـــا هربت ودخلت في وكر كان هناك فأمر بفتحه وتعقبها فظهر له باب وفيه حجرة تحتوي على عشرة صناديق من المال ؛ فأخذها وأنفقها على جيشه .

طلب عماد الدولة مرة الطرّاز الذي كان يخيط لملك شـــيراز السابق (ياقوت) لكي يخيط له بعض الألبسة ، وكان هذا أصم ، فلما مثل بين يديه ، اجابه على كلامه الذي لم يسمعه : انه يكون مطلقاً زوجته ثلاثاً إذا وضع يده على اقفال صناديق « ياقوت » التي عنده أمانة ، فأدرك عماد الدولة الامر وأحضر من عنده ثمانية صناديق مملوءة بالأموال .

ثم ان عماد الدولة أرسل رسائل الى الخليفـــة العباسي الراضي بالله وطلب منه ان يسلمه الأراضي التي هي تحت يده المكتسبة بعـــد حروب هائلة ، فأرسل له الخليفة الخلعة والمنشور ، فاكتسبت سلطنته صفة مشروعة حسب عـــادة تلك الأيام وذلك في سنة ٣٢٣ هجرية ، ومقر سلطنته بلدة شيراز المشهورة .

كان عماد الدولة يدير امـــور أخويه بفكره الثاقب في مقره ، وكانت محاكاته مطابقة للصواب، وكان ينظر بعواقب الأحوال بفكر ثاقب ، وقد توفي بلا ولد وعمره ٥٧ سنة .

وإذ لم يكن له ولد ذكر طلب من أخيه ركن الدولة ان يرسل له ابنه عضدالدولة، وعند وصوله لشيراز استقبله وأجلسه مكانه على كرسي السلطنة ، وأمر جميع الرؤساء بالطاعـــة والانقياد لأوامر عضد الدولة ؛ وحينئذ انتهت اول دولة بويهية .

معز الدولة الديلمي

واسمه ابو الحسين أحمد ، امتدت حكومته وكثر عدد أولاده ، وكان حكمهم في العراق ومقرهم بغداد .

معز الدولة هو أصغر أخويه سناً ، وكان تحت قيادة اخيه الاكبر عماد الدولة ، وظهرت منه في حروب اخيه مزايا محمودة وشجاعة عظيمة ، فأرسله أخوه لكرمان ثم للأهواز ، فاستولى عليها بعد حروب هائلة ، وفي سنة ٣٣١ استولى على البصرة ، وفي سنة ٣٣٢ على واسط ، ثم دعاه علويو بغداد فنشبت الحرب بينه وبين امير امراء بغداد المسمى (توزون). وبعد وفاة توزون دخل معز الدولة بغداد واستولى على المملكة العباسية وخلع المستكفي وأجلس مكانه «المطيع لله» ، وأراد أن ينقل الخلافة من السنيين الى العلويين كما ذكرنا قبلاً ولكن اصدقاءه منعوه عن ذلك كما بيّنا ، وقد استوزر ابا محمد المهلبي سنة ٣٣٩ وهذا أعلى شأن البويهيين .

استولى المعزّ على الموصل التي كانت حكومتها علوية وذلك في سنة ٣٤٧ .

أمر المعز أن يكتب على المساجد والمعابد تلك العبارات :

(لعن الله معاوية بن ابي سفيان و. . من غصب من فاطمة فدكاً ومنعها ارث ابيها ، و ... من منع ان يدفن الحسن عند قبر جده . ولعن من نفى ابا ذر الغفاري للربذة . ولعن الله من أخرج العباس بن عبد المطلب عن الشورى) . وقد حاول الخليفة العباسي منع كتابة تلك العبارات ولكن لم يفلح بذلك .

ذهب بعض اهل السنة ليلا ومحوا تلك الكتابات من الجدران ، وحينئذ أشار الوزير المهلبي بترك كتابة اللعن على البقية واكتفى بلعن معاوية وأضاف عليها اللعنة على ظالمي اهل الرسول ، فاستحالت لهذه الصورة : (لعن الله الظالمين لآل رسول الله ﷺ ولعن الله معاويه) .

وأمر المعزّ أن يتخذ عشر المحرم مأتماً عمومياً وأن يكون عيد الغدير عيداً كبقية الأعياد ، وهو عيد العلويين ليومنا هذا .

بعد وفاة معز الدولة في بغداد سنة ٣٦٥ جلس ابنه عز الدولة « بختيار » مكانه حسب وصية ابيه ، وقبل وفاته اعتق جميع الأرقاء وتصدق بجميع ما يملك .

والمعز عند العلويين من اعاظم رجال الدين وكلمة (كظ)

٩٢٠

هي للمعز . وهو الذى قال ان حاكمية العلويين ستنتهي في (كظ) وهذا تاريخ لاستيلاء السلطان سليم التركي على بلاد

العلويين وانقراض الحكومة المصرية العلوية . والعلويون اليوم يغلطون في اسم المعزّ ولا يفرقون بين معز الدولة البـــويهي والمعزّ لدين‌الله الفاطمي ويظنون انهما شخص واحد، لان‌الاثنين من اعاظم العلويين وهما معاصران بعضهما .

كان اوصى معز الدولة لابنه بطاعة عمه ركن الدولة وابن عمـه عضد الدولة ، وأن يبقي الكاتب ابو الفضل وأبو الفرج والحاجب سبكتكين في مناصبهم ، مع انهم سنيون ، ولكن ابنه بختيار خالف كلام ابيه ولم‌يعمل بتلك الوصية بل‌استرسل في شهواته ، وبذلك تخلى عنه الرجال المذكورون آنفاً سيما الحاجب سبكتكين فانه لم يعد يأتي الى قصر المملكة ، وأبعد البختيار اعيان الديالمة ، اي حزبه وعشيرتـــه ، وطمع في أملاكهم . وقويت شوكة الأتراك فاضطر البختيار الى إرجاع الديالمة الى بغداد وأعاد لهم ما اغتصبه منهم .

وجرت بعض الوقائع ما بين بني حمـــدان العلويين وبين البختيار في سنة ٣٥٨ ، وفي سنة ٣٦٢ امر البختيـــار بقتل وزيره ابي الفضل وصادر جميع أمواله .

كثر الفساد في تلك الايام بين العساكر التركية والديالمة . ولم يكن للبختيار سلطة عليهم ، وكان يسافر من الموصل إلى الأهواز ويشتغل في مصادرة أموال اتباعه .

أمر البختيار بمصادرة سبكتكين وأن ينادى بهـــدر دم الاتراك في البصرة ، وأحب ان يشمل هذا القتل الاتراك في

بغداد ، مع انه كان بينهم كثيرون داخلون في مذهب الشيعة العلوية .

فنصب الأتراك سبكتكين رئيساً عليهم ، وهـذا ، أي سبكتكين ، أرسل خبراً لابن معز الدولة أبي اسحق يقول له فيه انه (جرى بيننا وبين أخيك حدث لا يقبل الاصلاح بعد، وأنا لا أريد أن اعادي أولياء نعمتي وأخرج عليهم وأستولي على ملكهم وأغتصب سلطنتهم ، ولم يبق علينا امر سوى أن نجلسك مكانه .) فأبى ابو إسحق الامتثال لتكليفه ، وعند ذلك جمع سبكتكين الاتراك وجميع أهل السنة وأحرق قصر البختيار في بغداد وأخذ الخليفة المطيع لله وأولاد معز الدولة وهم ابو إسحق وأبو طاهر وذهب لواسط . وابتدأت الحروب الداخليه ما بين اهل السنة والشيعة، وكان أكثر أهل الكرخ في بغداد (أي الجهة اليمنى من النهر) علوية فنهبها السنيون وحرقوا أبنيتها بالنار وقتلوا من العلويين من ظفروا به .

سمع البختيار تلك الأخبار فلم يسعه إلا ان يرسل الكتب لعمه ركن الدولة وابن عمه عضد الدولة والحاكم بطيحة عمران ابن شاهين العلوي ولأبي تغلب الحمداني، ويطلب المدد والمعاونة منهم فلم يجبه ابن شاهين ؛ وأرسل ركن الدولة له مدداً تحت قيادة وزيره الأعظم أبي الفتح ابن عميد ، وكتب ركن الدولة لابن أخيه عضد الدولة ان يمد البختيار، ولكن عضد الدولة كان ينوي الاستيلاء على بغداد وسلك مسلك المماطلة .

في تلك المدة توفي سبكتكين والخليفة معاً، ونصب الاتراك افتكين رئيساً عليهم عوضاً عن سبكتكين المذكور ، وكان هذا عتيقاً لمعز الدولة ومن أشهر القواد. وبعد حربه مع البختيار مدة خمسين يوماً والبختيار يستمد العون من عضد الدولة ، جاء عضد الدولة متظاهراً بنجدة البختيار ، وفي الحقيقة هـو ينوي الاستيلاء على بغداد ، فجاء بعسكره سنة ٣٦٤ للعراق وبعد حيل وتعديات كثيرة تبدل الخصام للحرب، وعند المحاربة قتل عز الدولة بختيار وقطع جنوده رأسه وأخذوه الى عضد الدولة ، فأبقى هذا منديله على عينيه وبكى مدة طويلة .

كان عز الدولة البختيار من أقوى البشر ، وكان إذا أخذ بقرني أقوى ثور من البقر يقلبه على الأرض .

زوج عز الدولة ابو منصور بختيار ابنته (شاه زمان) للخليفة العباسي وسمي مهرها ماية الف ذهب .

• • •

كان ابن البختيار المسمى ميرزبان والياً على البصرة. فكتب ما عمله عضد الدولة ووزيره ابو الفتح ابن العميد مع ابوه من الغدر لركن الدولة، وذلك قبل وفاة البختيار ، فغضب ركن الدولة ولم يتخلص عضد الدولة من غضبه إلا بعد ما أجلس البختيار ثانياً ، ولكن بعد ما توفي ركن الدولة في سنة ٣٦٦ قام عضد الدولة وقتل البختيـار واستولى على جميع ملكه .

ركن الدولة الديلمي

اسمه أبو علي الحسن بن بويه . عندمـــا استقر اخوه عماد الدولة في ملك فارس ، ارسل الحسن المذكور في سنة ٣٢٧ واستولى على اصفهان وعلى البلاد الجبلية .

عند وفاة أخيه عماد الدولة ، ذهب ركن الدولة مع ابنه وأجلس عضد الدولة على عرش عمه في شيراز ، ومكث هناك تسعة اشهر ، وارسل لاخيه معز الدولة من ارث اخيه عمـــاد الدولة اموالاً واسلحة كثيرة ثم رجع لمحل سلطنته (الري). وبعد حروب كثيرة توفي سنة ٣٦٦ وعمره سبعون سنة ومدة سلطنته ٤٤ سنة .

عند وفاته كان جعل عضد الدولة ولي عهد له، وأعطى لابنه الثاني فخر الدولة جهات همذان والجبل ، ولابنه الثالث مؤيد الدولة جهات أصفهان وما حواليها .

ولكن لم يمض الا قليل من الزمن حتى جاء عضد الدولة بعساكره وخلع فخر الدولة وأجلس مكانه مؤيد الدولة سنة ٣٦٩.

وبعد قليــــل من الزمن توفي عضد الدولة ومن بعده مؤيد الدولة وجلس فخر الدولة مكانهُ ثانياً . وجاء لفخر الدولة المنشور والخلعة في ابقائه في السلطنة .

كان بعض الناس يمدحون ملك العراق عند فخر الدولة ويغرونه للاستيلاء على ملكه ، وكان امر اولاد عضد الدولة مختلاً ، فعند ذلك جمع فخر الدولة عساكره وجاء همذان . وعند الحروب تغلب عليها بهاء الدولة ، ورجع فخر الدولة وضبط بهاء الدولة الاهواز .

بعد وفاة فخر الدولة جلس ابنه مجد الدولة مكانه وعمره ١٤ سنة ، وبعد مدة قليلة انقطع نسل ركن الدولة عن الحاكمية .

ان عضد الدولة البويهي جمع بين الثلاث حكومات الديلمية واتخذ بغداد مركزاً له . ويقال له (عضد الدولة فنا خسرو ابن ركن الدولة)

جلس عضد الدولة في فارس مكان عمه عماد الدولة في سنة ٣٣٨ وسلك مسلك العدل والانصاف ، ثم استولى في سنة ٣٥٧ على كرمان وفي سنة ٣٦٣ على عمان وفي سنة ٣٦٤ على العراق كما ذكر . واعتزل الحاكمية عند غضب ابيه عليه . وبعد وفاة ابيه استولى على العراق ثانية سنة ٣٦٦ ، وفي سنة ٣٦٧ استولى على الموصل والجزيرة وعلى ديار بكر وديار ربيعة ومضر التي كان اكثر أهلها علويين .

توفي عضد الدولة في سنة ٣٧٢ من مرض الصرعة . وكان يحب العلماء ويكرم الفضلاء ، وهو متحلٍ بالرزانة والآداب ، وقد

كتبت في مدحه المجلدات ، وهو تلميذ للخصيبي الذي كتب له كتاباً وسماه (الرسالة راست باش – كن مستقيماً) ولذلك يعرف هذا باسم راست باش الديلمي .

جلس مكان عضد الدولة ابنه صمصام الدولة وخرج عليه أخوه شيرزيل ولكنه غلب .

وبعد صمصام الدولة جلس مكانه شرف الدولة ، ومن بعده في سنة ٣٧٩ جلس مكانه اخوه بهاء الدولة، ومن بعده سلطان الدولة ، ومن بعــــده في سنة ٤١٥ مشرف الدولة ومن بعده جلال الدولة ، ثم العماد لدين الله ، ثم الملك رحيم وابو منصور وابو سعيد وأبو علي كيخسرو ومن بعــــده انقرضت دولة البويهيين ، والذين يحبون معرفة احوالهم عليهم بمراجعة التواريخ .

• • •

بعد البويهيين استقل بعض العلويين ولكن لم تعل شوكتهم مثلهم ، واليك البعض منهم :

١ – بنو حسنويه ، وهم في جهات نهاوند وشار ؛ كان ظهورهم سنة ٣٥٠ وانقراضهم سنة ٤٤٠ ، وملوكهم : حسنويه وابو النجم بدر وهلال بدر وبدر وطاهر وبدر .

٢ – بنو عناز الكردي ،وهم في جهات حلوان وقرميسين؛

أولهم ابو الفتح محمد ، وهذا كان في خدمة بهاء الدين البويهي . كان استقلالهم في سنة ٣٨٠ وانقراضهم في سنة ٥١٠ .

٣ – بنو كاكويه ، ومركزهم اصفهان ، كان ظهورهم سنة ٣٩٤ وانقراضهم سنة ٤٣٧ .

٤ – بنو مزيد . مركزهم الحلة ؛ كان ظهورهم سنة ٤٠٣ وانقراضهم سنة ٥٥٨ .

هذه الدويلات كلها جزء من البويهيين او من اتباعهم .

• • •

نظرة

لم يكن معلوماً لعلي بن ابي طالب قبر الى ذلك الوقت ، إذ اظهره عضدالدولة وجعله مزاراً وجدد بناء مشهد الحسين . توفي عضد الدولة في بغداد وحسب وصيته نقل للكوفة لجانب مشهد علي بن ابي طالب ودفن عنده .

لم يسبق في الاسلام اسم « الملك » ، وأول من تلقب ملكاً في الاسلام هو عضد الدولة ولم يضف على اسمه لقب « أمير المؤمنين » بل اكتفى بلقب « معين المؤمنين » ، وعند ما توفق لتوحيد الممالك المتفرقة لقبهُ العلويون « تاج الملة » وكان عالماً فاضلاً ومتفنناً .

كان أرسل عتيقة وقائدعساكره ابا منصور افتكين التركي

العلوي وهذا أخذ الشام وصار عاملاً عليها وأحب أن يأخذ مصر ويوحد العلويين فحارب العزيز الفاطمي ، وكان بنو هلال المشهورون في جانب افتكين ، ولكنه غلب أمـــام جيش العزيز وأخذ اسيراً وقد ربط الى مقر العزيز بحبل في عنقه وجرته البقر،ولكن العزيز أخلى سبيل الافتكين هذا واكرمه إكراماً لا مزيد عليه واسترضى بني هلال الحلفاء لآل بويه ، ونقل جمعهم من ضفة العـــاصي الى بلاد الصعيد في مصر . ولكن لمـــا كان بنو هلال من البدو أرسلهم اخيراً على قبيلة الزناتي التي كانت تخرج في غالب الاحيان وتمادي الفاطميين؛ ثم تغرب بنو هلال ولم يرجعوا بعد ذلك .

دولة بني حمدان العلوية

كان اكثر قبائل مضر وربيعة علويين وهكذا بلاد الموصل وديار بكر حتى حلب والعواصم التي كانت ملجأ للعلويين كما قلنا ، أي ان المحيط الاسلامي أصبح مسكناً للعلويين ، وقد استفاد بنو حمدان من ذلك واستقلوا في ذلك المحيط .

أما نسبهم فهو : (عبد الله بن حمدان بن حمدون بن الحرث بن لقمان بن راشد بن المثنى بن رافع بن الحرث بن غطيف ابن محربة بن تغلب التغلبي) .

حمدان ، هو احد الأشراف في عشيرة بني تغلب المتنقلة ، وكان يسكن قرب الموصل سنة ٢٥٥ ، وفي اول الأمر استولى على قلعة ماردين ، وعند ما قصد المعتضد العباسي الاستيلاء على ماردين وأخذه فيها بالحيلة ، هرب حمدان الى الموصل سنة ٢٨١ .

ثم حاصرت عساكر الخليفة الحسين بن حمدان المرقوم بقرب الموصل فسلم نفسه وأخذوه لبغداد وحبسوا أباه حمدان ثم دخل في الجيش. وعند خروج الهارون الشازي على الخليفة ، أرسل اليه الخليفة المعتضد قوة تحت قيادة حسين بن حمدان التغلبي ،

وبعد حروب هائلة تغلب الحسين على هارون وأتى به أسيراً الى الخليفة سنة ٢٨٣ ، وألبس الخليفة حسيناً وأخويه الخلع وأطلق أيام من الحبس ، وهذا أول نجاح ناله بنو حمدان التغلبيون .

١

دولة بني حمدان التغلبية في الموصل

كان بنو حمدان في الموصل عبارة عن ثلاثة ملوك وهم : أبو الهيجاء عبد الله بن حمدان ، وناصر الدولة حسن وأبو تغلب فضل الله . وكان ظهورهم سنة ٢٩٣ وانقراضهم سنة ٣٦٨ ، ومدة سلطنتهم ٧٥ سنة .

كان الخليفة المكتفي بالله العباسي نصب أبا الهيجاء عبد الله والياً على الموصل ، وعند أول وصوله جاء الخبر بأن محمد بن بلال الكردي نهب البلدة ، فجرى بينه وبين الأكراد حروب ثم أبعدهم عنه ، وبعد حروب عديدة أطاعه أكراد الحميدية ومن جاورهم من سكان تلك البلاد .

كان أخوه الحسين بن حمدان قائداً في بغداد وفي خدمة الخليفة العباسي . وعندما توفي المكتفي سنة ٢٥٩ وجلس مكانه المقتدر العباسي ، خرج الحسين بن حمدان التغلبي على المقتدر وقد خلعه وبايع عبد الله بن المعتز . ولكن لم يتم الأمر وتغلب عليهم المقتدر أخيراً ، فترك الحسين بن حمدان بغداد

وسافر الى الموصل . وكان الخليفة أمر أبا الهيجاء ان يلقي القبض على أخيه حسين المذكور فهرب الحسين من أخيه ، ثم عين الحسين عاملاً على « لقم » .

شوهد بعض العصيان من أبي الهيجاء في سنة ٣٠١ فأرسل الخليفة عساكره على الموصل تحت قيادة مؤنس الخادم . ولكن أبا الهيجاء لم يقدم على الحرب وذهب مع مؤنس الى بغداد ، فخلع عليه الخليفة الخلع وأرجعه الى مكانه .

ثم عزل الحسين بن حمدان عن ولاية قم وكاشان ونقل الى ديار ربيعة . ولما لم يرسل الأموال الأميرية للخليفة ، أرسل عليه العساكر تحت قيادة العلوي المشهور محمد بن رايق ولكن محمداً غلب أمام الحسين بن حمدان . ثم رجع مؤنس الخادم من افريقيا لمقاتلة المهدي وحارب الحسين بن حمدان ، وبعد الاستماتة في الحرب أخذ حسين المذكور وبقية اخوته لبغداد وحبسوا جميعاً هناك ، ولم يبق في الخارج سوى أبناء الحسين بن حمدان التغلبي . وهذا أخذ بلدة « آمد » أي ديار بكر .

وفي سنة ٣٠٦ قتل الحسين بن حمدان التغلبي . وبعد سنة أعاد الخليفة أبا الهيجاء للموصل وأعطى ديار ربيعة لابراهيم ابن حمدان . وعندما توفي ابراهيم بن حمدان أعطى الخليفة ديار ربيعة لداوود بن حمدان .

تسلط القرامطة اي الاسماعيلية على بغداد في سنة ٣١٥ ولم يستطع الخليفة دفعهم فاستمد من بني حمدان وذهب ابو الهيجاء وأخواه داوود ونصر لحرب القرامطة لبغداد ودفعوا

القرامطة عن بغداد، وبقي ابو الهيجاء في بغداد وابقى ابنه نصر الدولة مستلماً الموصل ، ولولا العلويون التغلبيون لكانت الاسماعيلية تغلبت على بغداد وجميع السنيين .

وفي سنة ٣١٧ حصلت فتنة عظيمة في بغداد، واجتمع الامراء عند مؤنس الخادم واتفقوا على خلع المقتدر . ولم يدخل ابو الهيجاء في ذلك الجمع الاكرهاً ، فخلعوا المقتدر واجلسوا محله القاهر. وبعد مرور ايام تكررت فتنة العساكر وهجموا على قصر القاهر وقتلوا فيه ابا الهيجاء وهرب اخوه نصر للموصل . وجلس المقتدر ثانياً .

وبعد انتهاء الفتنة أعطى المقتدر الموصل وحواليها لناصر الدولة ابن ابي الهيجاء . ثم عزل المقتدر ناصر الدولة عن حكومة الموصل واعطاه ديار ربيعة ونصيبين وسنجار وخابور وميافارقين .

طلب الخليفة المتقي بالله في سنة ٣٣٠ من ناصر الدولة ان يقيه من شر (البريدي) الخارج عليه وهذا ارسل أخاه علي سيف الدولة لنجدة الخليفة ، وكان الخليفة من خوفه قادماً للموصل مع امير امرائه محمد بن رايق من بغداد، فالتقيا بسيف الدولة في تكريت ورجعا للموصل وهناك قتل ابن رايق بامر الخليفة وفي ذاك اليوم سمي «ناصر الدولة » مكافأة له وسمي اخوه علي « سيف الدولة » في سنة ٣٣٠

كان محمد بن رايق حاكم حكومة الشام وتوابعها ، فلذلك بقيت مملكته بعد قتله تحت حكم الاخشيد المصري .

رجع ناصر الدولة بصفته أمـــير الأمراء لبغداد بصحبة الخليفة المتقي بالله وجملة بني حمدان معه واجلسوا الخليفة مكانه. وبعد برهة حصل النفاق بين عساكر الاتراك . وبالنتيجة رحل بنو حمدان للموصل وتعين (توزون) امير الامراء وبعد ذلك ارسل الخليفة لبني حمدان بان يأخذوه اليهم ، فارسلوا له عساكراً واخذوه ، فجاءهم توزون التركي وحاربهم في تكريت وغلب بني حمدان ، فهربوا الى الموصل ومنها الى نصيبين والخليفة معهم ، ثم تصالحا ورجع توزون الى بغداد والخليفة بقي عند بني حمدان . ولذلك كان العلويون التغلبيون لم يتركوا اسم الخلفاء العباسيين من الخطبة في الجوامع ، وذلك سبب عداوة العلويين التغلبيين العلويين والفاطميين .

بعد ان مكث الخليفة مدة في حي بني حمدان في الموصل نقل الى الرقة . وعـين ناصر الدولة ابن عمه الحسين والياً على ديار مضر وقنسرين وحمص وطرطوس وبقية العواصم في كيليكيا. والحسين هذا هو أخ الشاعر المشهور ابي فراس الحمداني

ذهب الحسين واستولى على حلب وهو أول من دخلها من بني حمدان .

ارسل الخليفة المتقي كتاباً للأخشيد في مصر يقول له فيه ان ليس له عند بني حمـدان راحة وطلب ان يأخذه إليه . فجاء الأخشيد الى حلب وهرب الحسين ، وبعد ذلك ذهب الاخشيد الى الرقة ، وبعد رجوع الاخشيد اي في سنة ٣٣٣

تملك سيف الدولة بن حمدان حلباً وحمصاً ونواحيها .

في تلك المدة جاء معز الدولة البويهي لبغداد وخلع الخليفة المستكفي وسمل عينيه وأجلس المطيع لله مكانه ، وفي سنة ٣٣٤ ذهب للموصل ليحارب ناصر الدولة بن حمدان ، وكرر السفر للموصل في سنة ٣٣٧ وعقد الصلح ودام الوفاق بينهم لسنة ٣٤٧ ، وأخيراً سافر ناصر الدولة الى اخيه سيف الدولة في حلب وتصالحا ثانياً .

في سنة ٣٥٣ وقع الشقاق بين ناصر الدولة ومعز الدولة وحدثت بينهم حروب عديدة ؛ ولما كانت الديالمة تتكلم اللغة الفارسية وبنو حمدان العربية لم تحصل بينهم مودة حقيقية مع كونهم اخوة بالمذهب . وتصالحا ثالثاً .

كان قد توفي سيف الدولة في حلب في تلـك المدة ، وكان ناصر الدولة يحبه محبة شديدة فتأثر لوفاته وأصابه بعض العته . واتفق أولاده وانتخبوا مكانه ابنه أبا تغلب فضل الله الغضنفر وسموه « عدة الدولة » .

وفي تلك المدة توفي معز الدولة البويهي وجلس مكانه ابنه بختيار ، وأحب أولاد الناصر الذهاب لبغداد وأخذها من يد البختيار ، وكان ابوهم يقول لهم ان المعز ترك لابنه أموالاً توقفه لدفعهم . فلذلك أرسلوه الى قلعة (كواشي) وعنـــد وفاته جاؤوا به الى الموصل ودفنوه في تل التربة سنة ٣٥٧ .

حصل النفاق بين عدة الدولة أبو تغلب فضل الله الغضنفر

وبين اخوتـــه ، واضطر ان يراسل البختيار الديلمي بانه قبل الجزية .

سمع حمدان بن ناصر الدولة بأخذ أبيه للمنفى فجاء ، لقتال عدة الدولة وبعد ذلك تصالحا سنة ٣٥٨ .

بعد وفاة ناصر الدولة أرسل أبو تغلب اخاه ابا البركات لحرب اخيه حمدان فهرب حمدان، والتجأ إلى بختيار البويهي ، فقبله البختار أحسن قبول وأرسل نقيب الاشراف ابا الحسن الى أبي تغلب لأجل أن يصلح بين الأخين ، فتصالحا ورجع حمدان لمركزه في رحبة .

بعد مدة أرسل ابو البركات عساكره على الرحبة ، فهرب منها حمدان وجاء لسهل تدمر . وبعد عودة ابي البركات رجع حمدان للرحبة وقتل بقية عساكر اخيه فيها،ورجع ابوالبركات ثانية والتقى الجيشان وتغلب حمدان على ابي البركات وأخذه أسيراً وتوفى وهو في حبسه ثم نقل جثمانه للموصل سنة ٣٥٩ .

وبعد ذلك كثر النفاق بين آل حمدان .والنفاق هو المرض الأعظم عند العلويين .

وحينئذ جاءت عساكر الروم تحت قيادة دمستق المشهور ونهبت البلاد الاسلامية حتى وصلوا « لآمد » فاستمد عاملها من أبي تغلب ، وهـذا ارسل اخاه (هبة الله) لنجدة العامل في ديار بكر واسمه (هزار مرد) وبعد الحرب تغلبوا على الروم وأسروا دمستق واحضروه الى أبي تغلب ، وتوفي محبوساً (سنة ٣٦٣) .

وحصلت الحروب بين البختيار وبين أبي تغلب وبالنتيجة تصالحا وتزوج أبو تغلب ابنة البختيار وجعل مهرهـا ماية ألف ذهب .

عندما هرب البختيار أمام ابن عمـه عضد الدولة التجأ لصهره أبو تغلب، وهذا أنجده بعشرين ألف من العساكر ولكن تغلب عليهم عضد الدولة وقتل بختيار ودخل مظفراً للموصل وواصل حروبه مع ابي تغلب حتى استولى على حصونه واحداً فواحداً .

وجاء ابو تغلب لدمشق ، وكانت دمشق بعـد الفتكين دخلت في يد احد الخوارج وحصل النزاع بين أتباع حاكم دمشق وأتباع أبي تغلب، فرحل عن الشام وجاء اليه كتاب العزيز بالله يدعوه لمصر، وبعد مشادة بسيطة قتلوه في الطريق . وانقرضت دولة بني حمدان الموصلية .

٢
دولة بني حمدان الحلبية العلوية

قلنا : لما خاف الخلفاء العباسيون من توسع وتغلب العلوية وبالأخص من أن يصل اليهم الفاطميون بواسطة العلويـين في المحيط الاسلامي ، اعطوا للولاة استقلالهم الاداري والسياسي حتى يحافظوا على بلادهم ولا ينضموا للعلويين الفاطميين ، ومن ذلك انهم صادقوا على حكومة سيف الدولة بن حمدان وهو علي ابو الحسن بن عبد الله بن حمدان التغلبي في سنة ٣٢٠ .

كان بنو حمدان عموماً ذوي أفكار نيرة وألسنة فصيحة وذوو بلاغة ، وهم يعرفون بالسخاء ووفرة الذكاء ، وأشهرهم سيف الدولة المذكور ، وقد كان تحت حماية السيد الخصيبي المعنوية .

وأبو فراس الحمداني الشاعر المشهور هو عم لسيف االدولة ومعاصر للمتنبي .

كانت ولادة سيف الدولة سنة ٣٠٣ ووفاته في سنة ٣٥٦ وقد توفي في حلب ونقل لميافارقين ودفن بقرب والدتـــه . وكان يحكم حلباً وقنسرين والعواصم ، أي طرسوس وآدنه ومصيصه واياس .

كان سيف الدولة قبلاً في خدمة اخيـــه ناصر الدولة واكتسب شهرته في حركاته الحربية في بغداد بمعية الخليفة ، وفي واسط تجاه القرامطة وفي الموصل .

عندما هرب الخليفة المتقي بالله امام توزون التركي وجاء للرقة كان سيف الدولة معه ، وعندما رجع الخليفة لبغداد والاخشيد للشام جاء سيف الدولة وأخذ حلباً من يد يانس وقصد حمصاً واغتصبها من يد كافور أي عتيـــق اخشيد التركي ملك مصر . وقصد الشام ولكن لم يتمكـــن من أخذها . وزحف الاخشيد من مصر بعساكره على سيف الدولة وجرى الحرب بينهم في قنسرين ، وقبل أن يظهر احد الطرفين على خصمه افترقا ورجع الاخشيد لمصر وسيف الدولة للجزيرة ومنها لحلب .

هجمت عساكر الروم ، اي سكان الاناضول المسيحية على حلب فتلقاهم سيف الدولة وظفر بهم في سنة ٣٣٤ .

توفي الاخشيد حاكم مصر وابنه صغير، فذهب كافور ليكون وصياً على الصغير ، واغتنم سيف الدولة الفرصة ودخل الشام ؛ ولكن استمد أهل الشام من كافور فجاء هذا بعسكره وهرب سيف الدولة للجزيرة ، ودخلت العساكر المصرية الى حلب . وبعد ذالك تصالحا ورجعت حلب لسيف الدولة ودمشق بقيت في يد كافور .

خابر سيف الدولة ملك الروم واستبدل اسرى المسلمين باسرى الروم ، وكان عدد اسرى المسلمين ٢٤٠٠ واسرى الروم ٢٣٠ .

في سنة ٣٣٧ غزا سيف الدولة بلاد الروم ولكنه لم يتوفق ، بل انهزم وأخذ الروم مرعشاً ونهبت طرسوساً .

وفي سنة ٣٣٩ غزا الروم ثانية وتوغل في بلادهم واغتنم اموالاً لا تحصى ، ومن كثرة الغنائم لم يستطع الرجوع بانتظام ووقع في كمين الروم فاسترد الروم اموالهم .

وفي سنة ٣٤٣ غزا الروم أيضاً وأغتنم اموالاً أكثر من المرة الاولى ، وقتل في الحرب ابن ملك الروم ، فعندها استمد ملك الروم من الروس والبلغار بقوات عظيمة وقصدوا البلاد الاسلامية . وكان سيف الدولة حضر قواته كما يلزم والتقى الفريقان ووقعت بينهم حروب هائلة وكان النصر حليفاً لجيوش سيف الدولة .

وبعد أنهزام الروم انهزاماً تاماً أسر المسلمون صهر دمستق المشهور وابن بنته مع اعاظم القواد . وقال الشعراء قصائد طويلة في ذلك الفتح العظيم .

وفي سنة ٣٤٥ غزا سيف الدولة بلاد الروم وداوم غزوه حتى وصل الى اماسية ، واخذ قلاعاً عديدة واموالاً كثيرة ورجع لمقره ظافراً .

وفي كل هذه الغزوات كان مرشده سيده الحسين بن حمدان المصري الخصيبي . وبعد سنة توفي السيد الحسين فتجاوز الروم على ميافارقين ونهبوها ودمروها .

وفي سنة ٣٤٩ غزا سيف الدولة بلاد الروم وخرب البلدان وقتل رجالها وأسر الصبيان والنساء وأغتنم الأموال . ولكن عند عودته كانت الروم أخذت كولك وقطعت طريقه ، فاشار عليه أهل طرسوس بقتل الأسرى والرجوع لتخريب بلاد الروم ، لأن الرجوع صعب وغير ممكن ، فاذا اعاد الكرة عليهم يفتحون الطريق له . ولكنه استبد في رأيه وتجاوز على المرابط ، فغلبت عساكره ولم ينج منهم سوى ثلاثماية شخص ، ورجع هو معهم بعد مشقات عظيمة .

في سنة ٣٥٠ أرسل سيف الدول غلامه نجا من جهات ميافارقين ودخل بلاد الروم وأتى بغنائم وأسرى كثيرين .

وفي سنة ٣٥١ أتى دمستق الى عين الزربة ونقض عهده مع أهلها ، وبعد ان أخرجهم قتلهم ظلماً ، والذين نجوا من يد الروم هلكوا على الطريق . وقد أحرق عين الزربة وأخذ

مقدار خمسين قلعة من المسلمين وقتل أكثر أهاليها ثم رجع لبلدة (قيصري) .

كان ابن لزيات العامل على طرسوس قد أعلن استقلاله ضد سيف الدولة واسقط اسمه من الخطبة في الجوامع، وكان ذاهباً ومعه أربعة آلاف فارس فصادفهم دمستق المذكور وكسرهم ورجع ابن الزيات لطرسوس فأسقطه أهل طرسوس من الحكم وأعادوا الخطبة باسم سيف الدولة . ثم انهم اعلموا سيف الدولة بالأمر فتكدر ابن الزيات من ذلك وألقى نفسه من عالي قصره الى النهر فمات غريقاً .

كان دمستق ترك عساكره في قيصري وذهب قبل أن يعلم به أحد ليأتي بالخبر لسيف الدولة . ثم جاء دمستق لقيصري سراً وأخذ عسكره وقبل ان يفشو الأمر أتى الى حلب وحاصر سيف الدولة في قصره . وعند ذلك اضطر سيف الدولة للمقاومة بعساكر قليلة تجاه جيوش جرارة. فانهزم ولم يبق من أولاد داود بن حمدان فرد واحد في الحياة بل كلهم هلكوا في تلك الحرب . ثم دخل دمستق القصر ونهب أشيائه النفيسة والفضة والذهب والأسلحة والنقود وبعد هدمه القصر أتى قلعة حلب وحاصرها .

أما الحلبيون فقد قاموا بحمية تذكر ودافعوا أحسن دفاع حتى رحلت جيوش الروم عنهم للجبال . ولكن باشر المحافظون في البلد ينهبون البيوت ومخازن التجار الذين هم في القلعة . ووصل إليهم الخبر فنزلوا لأجل المحافظة على أموالهم

وعيالهم . وفي هذه الأثناء رجعت عساكر الروم وشاهدت الفتنة في البلد ودخلت إليها مشهرة سيوفها فقتلوا من المسلمين حتى ملوا من القتل . وكان في حلب (١٤٠٠) رومي في الاسر . وهؤلاء اغتنموا الفرصة وحصلوا على أسلحة وهجموا على المسلمين ونهبوا البلدة كلهـا وأسروا عشرة آلاف من المسلمين . وبعد مكثهم في البلد تسعة أيام هاجموا القلعة . وفي الهجوم هلك ابن اخت دمستق . واغتاظ لذلك دمستق وقتل الأسرى جميعاً ثم رحل عن حلب .

عند رجوع دمستق جاء سيف الدولة واهتم في تعمير وترميم البلدة . وأرسل عساكر كثيرة من طرسوس وغزا بلاد الروم وعاد بأموال كثيرة .

ثم غزا غلام سيف الدولة بلاد الروم وجـاء بالاسرى والغنائم .

ثم استولت عساكر الروم على قلعة سيس الجبلية وهي من العواصم . وبعد ذلك جاءت لبلدة منبج وكان ابن عم سيف الدولة الشاعر المشهور أبو فراس الحمداني عاملاً عليها . وبحكم القضاء والقدر وقع أسيراً بيدهم فأخـذوه الى القسطنطينية وحبسوه فيها .

وفي هذه الأيام الف حضرة الخصيبي كتابه المعروف باسم « الهداية الكبرى » وأهـداه لولده المعنوي سيف الدولة ثم الف « كتاب المائدة » .

وفي سنة ٣٥٢ او كان سيف الدولة قد أصيب بالفالج من سنتين ، أرسل عساكره من طرسوس ومن حلب تحت قيادة غلامه نجا، فغزا الروم بقيادته حتى وصلوا لبلدة قونية،وجاءوا بغنائم كثيرة .

أحب سيف الدولة ان يغزو بنفسه وهو مريض فاغمي عليه في الطريق وفشا الخبر بان سيف الدولة توفى . وكان هبة الله أي ابن أخ سيف الدولة بالمرصاد،فاثار الفتنة وذهب لحران التي هو عاملاً عليها وحالف أهلها .

أرسل سيف الدولة غلامه نجا ليأتي بهبة الله فهرب المذكور أمام نجا ، وهذا نهب أموال أهل حران جميعاً وغره الطمع في الحكم إذ كان قد جمع أموالاً كافية للقيام والخروج فذهب الى ميافارقين ثم الى بلاد الأرمن واستولى عليها ، وبعد مدة طلب الأمان ثم قتل .

في سنة ٣٥٣ حاصرت عساكر الروم بلدة مصيصة واحرقوا ما حول آدنه (اطنه) وطرسوس ثم رحلوا .

في تلك الأيام جاء من جهات خراسان بعض العلويين لامداد سيف الدولة في غزواته وقدرهم خمسة آلاف وسكن بعضهم في جهات كليكيا وبعضهم رجع لخراسان .

وفي سنة ٣٥٤ جاء دمستق ومعه ملك الروم فاخذوا اولاً مصيصة في الحرب واستولوا على طرسوس عنوة وأحب دمستق أن يهجم على سيف الدولة وهو في ميافارقين ولكن منعه الملك ورجعا الى بلادهم .

وقد استمد سيف الدولة العون من المعز الفاطمي فأمـــده ، فغزا سواحل الأناضول وتملك جزيرة قبرص بتلك النجدة .

خرج على سيف الدولة في انطاكيـة رجل يدعى رشيق فتحارب معه قرعوبة وقتل رشيق ، ولكن لم يتوفق قرعوبة لأخذ انطاكية فرجع إلى حلب . ثم جاء سيف الدولـة من ميافارقين ، وقتل ابن الأهواز الخارج عليـــه بعد رشيق سنة ٣٥٤ .

وفي سنة ٣٥٥ هجمت الروم على بلاد سيف الدولة . وفي هذه الحرب خلص من الروم ابن عمه الأسير أبا فراس الحمداني وأبا الهيثم .

وفي سنة ٣٥٦ توفى سيف الدولة في مرض عسر البول .

كان سيف الدولة عند رجوعه من غزواتـــه يجمع الغبار المتراكم عليه ثم عمل منه لبنة بقدر الكف وقـد اوصى ان توضع هذه اللبنة بعد وفاته تحت خده في القبر .

• • •

بعد سيف الدولة جلس مكانه ابنـــه ابو المعالي شريف الملقب سعد الدولة . وبعد سنة حصل الخلاف بين سعد الدولة وبين أبي فراس الذي كان عاملاً على حمص، فارسل اليه سعد قرعوبة فقتل أبا فراس الحمداني الشاعر الشهير .

وفي سنة ٣٥٨ عصي قرعوبة وأخرج سعد الدولة من حلب، فذهب سعد الدولة الى امه سخينة الى ميافارقين واستمد

من ميافارقين عوناً وجاء الى حلب وحاصر قرعوبة فيها .

وفي تلك الايام تغلبت الروم على انطاكية وعلى بقية المدن الساحليه وقصدوا حلباً ، فرجع سعد الدولة من حصار حلب وسافر للبرية وأخذت الروم البلدة وتحصن قرعوبة مع بعض الناس في القلعة وتصالح قرعوبة مع الروم على ان يعطي لهم الجزية؛ وأخذت الروم بلدة ملازكرد وعادت جيوشهم . وفي الحال جاء ابو المعالي وأعاد الحصار على حلب .

وبعد الحرب كانت حسب العهد جميع بـلاد المسلمين الى حمص مجبرة على إعطاء الجزية الى الروم، ثم تصالح الفريقان على ان تبقى حمص وما يليها لسعد الدولة وتبقى حلب لقرعوبـة بشرط أن يكون كلاهما منقاداً للفاطميين وللخليفة المعز .

كـان لقرعوبة غلاماً اسمه بكجور ، فعصا سيده وتغلب عليه وحبسه في القلعة واستقل بحلب . وبعد ستة سنين أرسل اهالي حلب لسعد الدولة خبراً وأعلموه الكيفية ودعوه ليأخذ حلباً ، فجاء في سنة ٣٦٦ وأخذها وحاصر بكجور في القلعة وتصالحا على ان يكون بكجور والياً على حمص، وبناء على طلب بكجور عقد الصلح تحت نظارة المشايخ العلوية وكان رئيسهم السيد الجليل الجلّي الكبير .

كان الخليفة الفاطمي عين لبكجور والياً على دمشق ثم عزله في سنة ٣٧٨ ولما لم يبقَ له محل ذهب واستولى على الرقة وباشر بالمخابرة خفية مع قواد سعد الدولة .

كان بكجور يخابر الخليفة الفاطمي العزيز لأجل ان يأخذ

ما حوالي حلب، لأنها مفتاح العراق، فقبل العزيز كلامه وأمر امرائه بأن يمدوا بكجور ، وتلاقى العسكران وقتل بكجور وتفرقت عساكره وأخذت اولاده الى الحبس . وكان ذلك سبباً للحرب بين العزيز بالله وسعد الدولة . وقد توفي سعد الدولة في تلك الايام سنة ٣٨٠ وعمره ٤٠ سنة فجلس مكانه ابنه (سعيد الدولة ابو الفضائل سعد) وكان وصياً عليه لؤلؤ الكبير .

ذهب ابو الحسن المغربي وزير بكجور الى العزيز الفاطمي ليغريه في أخذ حلب فأرسل العزيز قائده منجوتكين ، وجاء هذا وحاصر لؤلؤاً في حلب ، فطلب لؤلؤاً الامداد من ملك الروم ، ولكن لما كان ملك الروم في حرب مع البلغار أمر قائده في انطاكية فارسل هذا قوة إمدادية قدرها خمسون ألفاً . وفي الحرب غلبت عساكر الروم على ضفة العاصي وطاردهم منجوتكين حتى اوصلهم الى انطاكية ورجع لحصار حلب . ولكن كان، اغتنم الفرصة ابو الفضائل ولؤلؤ وخرجا الى القلعة وادخروا اموالا تكفيهم للمقاومة في الحصار ، لان قلعة حلب كانت غير قابلة للفتح بالوسائط الحربية الموجودة في تلك الايام. وكان قد حصل الشقاق بين منجوتكين وبين ابو الحسن المغربي، ويئس منجوتكين من الحصار فرحل لدمشق ، وسمع بذلك العزيز فأبعد أباالحسن وأرسل الذخائر إلى طرابلس وأمر منجوتكين بأن يجدد الحصار ، فحاصر حلباً ثلاثة أشهر . وجاء ملك الروم بجيشه فرحلت العساكر المصرية وأخذ ملك الروم ديار

العلويين وحمصاً وشـــيراز وحاصر طرابلساً ، ولم يتوفق إلى فتحها فرجع لبلده .

وقد مكث سعد حاكماً في حلب مدة عشر سنين ، ولكن كان الأمر لحموه ووصيه لؤلؤ الكبير .

توفي سعد الدولة في سنة ٣٩١ فأقام لؤلؤ مكانه أولاده علياً وشريفاً ، ولكن هؤلاء خافوا من غدر لؤلؤ فهربوا لمصر وانتهت حكومة بني حمدان الحلبية .

• • •

وبعد بني حمدان تأسست في حلب حكومة جديدة هي حكومة لؤلؤ الكبير . وبعد وفاة سعد الدولة استقل لؤلؤ في الأمر وقرأ الخطبة باسم الخليفة الفاطمي الحاكم بأمر الله ، وتوفي لؤلؤ في سنة ٣٩٩ فجلس مكانه ابنه ابو النصر ولقبه الخليفة الفاطمي الحاكم (مرتضى الدولة) .

حصل بعض الخلاف بين مرتضى الدولة والعربان المجاورين لحلب ، وأخيراً استولت العساكر المصرية على حلب وجعلوا عزيز الملك ابن حمدان والياً عليها ، وذلك في أيام الحاكم بأمر الله .

تمهيـــد

قلنا ان السيد حسين بن حمدان الخصيبي المصري بعـــد مجاهداته العظيمة ونجاحه في ديار الديلم وخراسان والفرس والعراق جاء لحي بني حمـدان وسكن في حلب مع تلميذه سيف الدولة لحين وفاته في سنة ٣٤٦ .

والسيد محمـــد الجلّي الكبير كذلك سكن في حلب . وأصبحت بلدة حلب المرجع الوحيد للعلويين الذين اتبعوا الباب السيد محمد أبا شعيب البصري النميري .

وبعد محمد الجلي أي بعد أيام بني حمدان انتقلت مشيخة العلويين للسيد ابي سعيد الميمون سرور وقد رحل حضرته إلى اللاذقية وسكن فيها، وهناك زاره أعاظم بني هلال وساعدوه على قتل عدوه أي رئيس حزب اسحق الاحمر، وهو اسماعيل ابن خلاد المعروف باسم (ابو ذهيبة) .

ولكن عند ما رحل بنو هلال انحلت التشكيلات الدينية عند العلويين وتفرقوا على مراكز دينية غير مربوطة ببعضها والمراجع الدينية تسمى « المشايخ » وتفرد أهل جبـــل النصيرة بالتقوى .

وبعد افول سلطنة بني حمدان في حلب ، اصبح العلويون مرتبطين سياسياً ودينياً بالعلويين المصريين . وبالاختصار نقول ان مهاجمات الصليبيين جعلت مركز العلويين المنقول من حلب الى اللاذقية ضعيفاً ، واكتسب مركز مصر أهمية اللاذقية .

اما المركز الشرقي الموجود في بغداد فقد انفرط عندوقوع النكبة في بغـداد . واخيراً انفرط مركز مصر المعظم الذي كان يرأسه رؤساء عائلة البلقيني .وذلك في أيام السلطان سليم. وليومنا هذا لم يتعين لهم مركز منفرد، بل كل شيخ من المشايخ العظـام استقل في رياسة مركز صغـير ، وهذا أعظم خسارة للعلويين ، وهو من أهم أسباب عدم توحيد كلمتهم .

حكومة بني عريض الغسانية العلوية

ان بني العريض هم من الغسانيين أي العرب الاقدمون في سوريا، وقد اهتدوا للاسلام على يد أبي ذر الغفاري في الشام . ولما استقلت بقية الولاة في أيام العباسيين استقل محمد بن رايق ابن خضر الغساني في سنة ٣٢٨ هجرية، وكان مركزه في الشام وطرابلس وطبرية وما بينها من القرى والبلدان .

جاء محمد بن رايق في سنة ٣٢٨ الى الشام وأول ما أخذ حمصاً وبعدها الشام ، وكانتا قبلاً في يد بدر بن عبدالله العامل عليها من قبل الأخشيد التركي . وبعد نجاحه هجم محمد على مصر ثم تصالح مع الأخشيد سنة ٣٣٣ ونصب بدر بن عمار والياً على طرابلس . وفي أيامه كانت طرابلس من أعظم المراكز للعلويين وكان محمد بن رايق أمير الأمراء في بغداد ، وهذا المنصب أكبر من سلطنة الشام ، فبقي في بغداد واندثرت حكومته بعده .

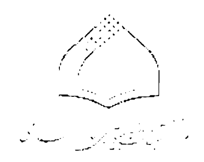
حكومة التنوخيين العلوية
في اللاذقية

قلنا قبلا ان حكومة رومـــا الكبرى عينت التنوخيين وكلاء عنها في سوريا . ومنهم من كان سكن في السواحل اي بلاد فينيقيا. والعلويون التنوخيون والغسانيون هم اقدم السكان العلويين الموجودين الان في سوريا.ولم تكن في اللاذقية وجبال النصيرة تشكيلات ادارية منتظمة قبلا،بل كانت كل قرية وبلدة مستقلة عن اختها . ولم يكن من السنيين في ذلك المحيط الا نفر قليل في جبلة ، وكانت جهات صهيون يقطنهـــا اليهود واللاذقية كان يسكنها المسيحيون والعلويون ، وكان أكثر اهل الجبل علويين وكانت معيشتهم شبه انفرادية ، ولكن عندما أستولت الروم على محيط اللاذقية في سنة ٣٥٧ شعر العلويون بالتشكيلات الادارية والعسكرية ، واغتنموا الفرصـة واعلنوا القيام على الروم، وكان يرأسهم حسين بن اسحق الضليعني العلوي التنوخي، ففاز واستقل في اللاذقية سنة ٣٦٨ ثم حكم مدة محمد ابن إسحق التنوخي ثم عقبه اخوه إبراهيم .

حافظت دولة اللاذقية العلوية على استقلالها الى حين مجيء

أهل الصليب حيث انقرضت في سنة ٧٧؛ وبقيت اللاذقية في يد أهل الصليب مقدار تسعين سنة حتى مجيء صلاح الدين الايوبي الذي استردها وألحقها ببلاد الاسلام ثانية .

وبقي العلويون فيها تابعين للمشايخ المسمى كل منهم (امام البلدة) وهو مرجع العلويين في الافتاء والامور الدينية، ولكن لم يكن يوجد لديهم تشكيلات سياسية قوية .



دولة بني حمود العلوية

قلنا أنه لم يبق ملجأ للعلويين في أيام العباسيين سوى المحيط الاسلامي، وأنهم هاجروا من المركز، وأغلبهم رحل الى افريقيا حتى عبروا جبل طارق وتوطن بعضهم في الاندلس . واستقل بعض العلويين في الاندلس سنة ٤٠٧ وهم بنو حمود .

كانت اول دار للملك العلويين بني حمود بلدة قرطبة وبعدها مالقة؛ وكانت مدة ملكهم ٤٢ سنة ، وانقراضهم سنة ٤٤٩ ، وعدد ملوكهم ثمانية .

أول بني حمود هو علي الملقب (المتوكل على الله) وكان عاملاً على مدينـــة سبتة في أيام سليمان بن الحكم الأموي . وعندما ظهر الفساد وعم الخلل في الاندلس ، ذهب عـلي الى بلدة مالقة وأخذها . وفي سنة ٤٠٧ استولى على بلدة قرطبة واستقل فيها . وبعد سنة ونصف قتله غلمانه في الحمام وجلس مكانه (المأمون القاسم) .

ونقـــل المأمون مركزه من قرطبة الى اشبيلية . وعند ذلك خرج عليه ابن أخيه يحيى وأخذ منه قرطبـة في سنة ٤١٢ ، وبعد سنة توفي المأمون القاسم . وجلس مكانه (المعتلي

بالله يحيى) وتوفي في حرب سنة ٤٢٧ ، وجلس مكانه أخوه (المتأيد بالله ادريس) وهذا توفي في سنة ٤٣١ وجلس مكانه (المستنصر بالله حسن بن يحيى) ، وبعد سنتين توفي هـــذا وجلس مكانه (المعالي بالله ادريس بن يحيى) . وهذا كان لين الجانب وكثير الصدقات، وكان كل يوم جمعة يتصدق على الفقراء بخمسماية ذهب ويعطي لكل من قصده الشيء الذي يطلبه .

وقد خلع في سنة ٤٣٨ وجلس مكانه (المهـدي محمد بن ادريس) وعند وفاته انقرضت حكومة بني حمود .

دولة بني الاحمر العلوية

وبعد انقراض دولة الامويين في الأندلس استقـل الولاة فيها . ومن جملتهم بنـو هود الذين أخذوا سرقسطة والثغر الأعلى واستقلوا .

عندما وقع الضعف ببني هود اتفق العلويون هناك واعلنوا استقلالهم (في سنة ٦٣٠) ، وأول أمير لحكومة بني الأحمر العلوية هو أحد أعيان بـــلدة قرطبة وبعد استقلاله سمي (السلطان أبا عبد الله محمد) .

دام حكم أبي عبد الله مدة «٤٢» سنة ، وله غزوات عديدة ولم يكن يغلب أبداً بـل كان الظفر حليفاً له في جميـــع غزواته .

بعد وفاة أبي عبد الله جلس مكانه ابنه (الأمير محمد) . ثم خلفه ابنه المسمى (الأمير محمد) ومن بعده (الأمــير نصر) .

في أيام الأمــير نصر وفي سنة ٧٠٨ اتفقت الحكومات المسيحية وجمعت جيشاً باسم أهل الصليب وهجموا على مملكة بني الأحمر ، وكان الظفر حليفاً للأمير نصر في هذه الحروب العظمى .

بعد الأمير نصر جلس مكانه ابنه (الغالب بالله اسماعيل).
وقد تألب عليه أكثر من عشرين حكومة عيسوية. وهجموا عليه بقوة تزيد على ماية ألف رجل كاملي العدة ، فقابلهم الملك الغالب بالله وعدد جيشه (١٥٠٠) فارس و (٣٠٠٠) راجل .

وأحاط الصليبيون بالعلويين ، عند ذلك هجم الغالب بالله بشجاعة خارقة على النقطة التي كان فيها ملوك الافرنج مجتمعين وقتلهم جميعاً فتفرقت جيوشهم وولت الادبار .

بعد دوام سلطنته عشر سنين قتل الغالب غدراً وجلس مكانه ابنه محمد . وهذا قتل غدراً أيضاً ، وجلس مكانه أخوه يوسف . وهذا قتل شهيداً أثناء صلاة العيد (في سنة ٧٥٥) وجلس مكانه ابنه محمد

خلع الأمير محمد سنة ٧٦٤ وجلس مكانه أخوه اسماعيل ومن بعده ابنه يوسف ثم محمد بن يوسف ومن بعده أبو عبدالله محمد ثم يوسف ثم الأمير علي ثم المستعين بالله سعد ، وفي سنة ٨٦٩ حبس ابنه أبو الحسن علي ثم الحسن ثم محمد، وعندما أسرت الجيوش الصليبية محمد المذكور جلس مكانه ثانياً أبوه الحسن ومن بعده أخوه محمد .

وعند خلاص محمد بن الحسن من الأسر تحارب مع عمه محمد وضعفت قوة الجانبين ، واغتنم الفرصة الصليبيون واستولوا على بلاد بني الأحمر في الأندلس .

وفي سنة ٨٩٦ استولى الصليبيون على غرناطة وانقرضت دولة بني الأحمر .

وبعـــد ذلك خرج العلويون في الأندلس مرات عديدة ولكن لم ينفعهم قيامهم ، وبالنتيجة غلبوا تماماً ولم يبــق لهم ملجأ إلا الهجرة إلى افريقيا .

وبنو الأحمر هؤلاء يسميهم بعض الناس (نصيرية الاندلس). وهذه هي الدولة التي كان الشيخ الحاتم الطوباني أسيراً فيها . والأمير الذي أرجع حضرة الشيخ لبلده هو (الملك المظفر الغالب بالله اسماعيل) .

دولة بني محرز العلوية

لم تكن دولة بني محرز إلا في أيام الفــترة والحروب في الاسلام . وبنو محرز كانوا أول المجاهدين . وأشجعهم (الأمير ناصح الدولة أبو الفتوح حبيش بن محمد بن جعفر بن محرز) . وكان بنو محرز فرقة سياسية أكثر مما كانوا حكومة مستقلة .

تمهيد

قلنا ، ان السيد حسين بن حمدان الخصيبي بث روحاً قوية في العلويين، فأصعدتهم من الأسر إلى الحاكمية كما ثبت لدينا من تاريخهم ، وهم لم يخسروا ملكهم إلا عند ظهور النفاق بينهم .

بعد انقراض دولة بني بويه أي أقوى دولة علوية في سنة ٤٤٩ ، ترك الخليفة العباسي القائم بالله السلطة الدنيوية في المملكة الإسلامية للأمراء السلجوقيين من الأتراك السنيين ، وقصده من ذلك التخلص من العلويين . وفي الحقيقة كان هذا العمل ضربة قاضية على سلطنة العلويين لأن كافة العرب من سنيين وعلويين اكتسبوا الحضارة واغتنموا الأموال وحليت الدنيا في أعينهم، ولم يكن في إمكانهم مقاومة الأتراك الذين كانوا في تلك الأيام في مبدأ التمدن .

وحتى مجيء السلاجقة كان بنو بويه الديلميون في هـــذا المنصب ، ولم يكن للخليفة إلا ذكر اسمه في الخطبة . والسلطة الدنيوية كانت لبني بويه العلويين .

كان أمير السلاجقة تغلب على ملك الروم وأسره ؛ فهـذه الحادثة أكسبته شهرة وسطوة عظيمتين وجعلت اكثرية سكان الأناضول من الأتراك .

وعند وفاة السلجوقي (ألب ارسلان) اصبح ابنه جلال الدين شاه أميراً محله . وفي أيامه قرأت الخطبة في مكة باسم الخليفة العباسي مع اسم الأمير السلجوقي وترك اســـم الخليفة الفاطمي .

كانت بلدة أصفهان مركزاً للحكومة السلجوقية ، ولكن كان حكم الأمير السلجوقي يمتد إلى القسطنطينية .

ومن طبائع البشر أن المغلوبين حباً بالتخلص من الغالب يلتجئون إلى الأقوى . ولذلك التجأ العباسيون للأتراك، وكان العباسيون يحرضون الاتراك على العلويين، فابتدأت العقوبات كما كانت فيدور الأئمة الطاهرين، وأصبح الأتراك متخذين التعدي على العلويين شغلا لهم ؛ فكانوا يدوسون سكان البلاد العلوية بأرجلهم ، وكثرت التعديات والمظالم في بغداد كما كانت قبلاً بل أكثر، حتى فعل العلويون ما فعله العباسيون عيناً، أي انهم حباً بالتخلص من القوي التجأوا للأقوى ، وكان ذلك سبباً في نكبة الاسلام بوقعة بغداد المشهورة .

ان العلويين كما يظهر من تاريخهم لم يتسلطوا على احد باسم الدين في أيام ظفرهم ، كما كان يجري قبلاً ، حتى ان أعظم الحكومات العلوية لم تقطع تلاوة اسم الخلفاء العباسيين من الخطبة . لأن العلوي يرى أن الحق بالخلافة للامام، والامام هو بذاته اختفى وتكتم فلذلك لا يحق لأحد ديناً أن يدعي بالخلافة ، وما ادعاء الفاطميين بها إلا سياسة .

ولكن كان الاسماعيليون خلافاً للعلويين مداومين علىالعداء

للسنين . وأعظم حكومة اسماعيلية تشكلت في تلك الأيام هي حكومة الاسماعيلية الشرقية التي أسسها (حسن الصباح) المشهور .

ان حسن الصباح هذا هو (ابن علي بن محمد بن جعفر بن حسين بن محمد بن يوسف الحميري) ينتسب لأمراء اليمن، ولد في الري ، وكان أولاً اثنى عشرياً اي علوياً ، وقد نجح حتى صار حاجباً لالب ارسلان السلجوقي . ولأجل عقيدته هرب من عند ألب ارسلان في سنة ٤٦٤ ، أولاً لبلدة «ري» ومن هناك لاصفهان ثم للعراق وأذربيجان والبصرة وفي النهاية سافر إلى مصر وواجه الخليفة الفاطمي المستنصر .

ثم رحل من مصر إلى حلب أي إلى مركز العلويين، ثم إلى ديار بكر وبغداد، وبعد ذلك إلى بلاد فارس وكان يتخير المحل الذي يمكنه إحداث سلطنة عظيمة فيه . ولما لم يشاهد عند العلويين الروح الكافية للخروج ؛ اتبع مذهب الإسماعيلية ووجد له معاوناً لبنانياً اسمه أبو الفضل . واتفقا معاً حتى أخذا « قلعة الموت » أي « عش النسر » ثم أخذا القلاع التي تقرب منها وأعلن استقلاله بها، ولكن لم يتخذ كلمة «السلطان او الأمير » عنواناً له بل اكتفى أن يلقب « بشيخ الجبل »ولم يقم بالدعوة الدينية باسمه بل ادعى في الدين باسم الإمام المستتر أي المكتوم والمحقق للظهور .

ارسل ملكشاه السلجوقي يوماً لحسن الصباح بأن يقدم له طاعته ، فجاء رسول ملكشاه لقلعة الموت وأخبره بالأمر ،

فعند ذلك أمر حسن الصباح احد حواشيه ان يقتل نفسه ، فقتل هذا نفسه بلا تردد وأمر الثاني بـأن يلقي بنفسه الى الوادي ففعل ومات . ثم قال حسن الصباح للرسول : قـل لسيدك ، عندي سبعون الفاً مثل هؤلاء ! »

ورغماً عن كل الروايات التي يرمى بها حسن الصباح ، فانه كان عابداً زاهـداً وتقياً ، ولم يخرج من قلعته سوى مرتين في حياته . حكم ٣٥ سنة ولم ينفك عن عبادته . والاسماعيليون اكتسبوا في أيامه اعظم مجدهم وقوتهم وقتلوا عدة ملوك، ومن جملة ما قتلوا المسترشد بالله ونظام الملك ووزير شاه السلجوقي وابنه ابا المظفر فخر الملك .

ودخل بعض الملوك في مذهب الاسماعيليـة . واكتسب مذهب الاسماعيلية شكله وانتظامه الحـاضر في زمن حسن الصباح ، إذ نسقه ونظم شؤونه .

ولحسن الصباح خدمات جليلة نحو الاسلام ، إذ كان يفتك بأهل الصليب مثل مرض السل بدون أن يظهر له أثر . وقد توفي سنة ٥١٨ هجرية وعمره ٩٠ سنة .

وظلت قلعة الموت محافظة على استقلالها لسنة ٦٥٤ ، أي لحين مجيء « هلاكو » التركي الوثني .

• • •

في أيام حسن الصباح كان أرسل بعض جماعة الاسماعيلية لمعاونة المسلمين على حرب الصليبيين . ولما كانت قوى العلويين منتهكة تماماً ، سكنت قوى الاسماعيليين في جبل النصيرة ،

واستأجرت أولاً قلعة القدمـوس ، ثم احتالت ودخلت قلعة مصياف بدون حرب، واتخذت السياسة عادة حتى استولت على قلاع العلويين بدون حرب ومنها منيفة والعليقة والخوابي وابو قبيس حتى صهيون .

قلنا ان حسن الصباح لم يدّع الامامة ولكن زعيمه في الغرب ، وهو راشد الدين ، ادعى الامامة وجعل له قلعة ابو قبيس حصناً يلجأ اليه عند الحاجة ، وزين قلعة مصياف أحسن زينة وغرس فيها البساتين ونظمها حتى غدت كالجنة ، مثل ما عمل حسن الصباح في قلعة الموت. واستولى على جهات وادي العيون. وكان تعميره سبباً للطعن به لأنه جعل الأمكنة جنات يدخل بها أتباعه ويغريهم ويستخدمهم .

كان العلويون يحبون استرداد أوطانهم ، والاسماعيليون يداومون على الحيل تجاه العلويين، حتى أصبح هذان الفرعان من الامامة أعداء لبعضها .

اغتنم الاسماعيليون الفرصة واستولوا على قلعة بانياس سنة ٥٢٠ ، وعند ما رأى المسلمون خيانة الاسماعيليين هاجموهم في كل الأقطـــار وعلى الخصوص في سوريا ؛ فلذلك حالف الاسماعيليون الصليبيين وسلموهم قلعة بانياس سنة ٥٢٣ .

ولكن نجاح صلاح الدين الأيوبي قضى على الحركات الاسماعيلية، وقد أحس صلاح الدين أن الاسماعيليين اتخذوا التدابير الخفية لقتله ، فهجم عليهم وأحرق ضياعهم ، وكانوا قد تحصنوا في مصياف فحاصرها وباشر بضربها بالمنجنيق، ولولا مداخلة خاله

شهاب الدين الحارس ورجائه بالعفو لكان قضى عليهم . وقد كان هذا في آخر أيام الإمام راشد الدين .

كان راشد الدين يدعي أنه من سلالة الفاطميين وأنه إمام بالحق من نسب إسماعيل بن جعفر الصادق ، ولكن من بعده انقطع هذا الفرع المدعي بالأمامية . والاسماعيليون اليوم يتحرون على الإمام بالحق .

وفي أيام الملك الظاهر بيبرس جاءت الجيوش المصرية وأخذت قلعة مصياف من الاسماعيليين ولما حالف الاسماعيليون أهل الصليب ، بات جميع ملوك آسيا يقاتلونهم ، واتخذوا قتلهم شعاراً لهم حتى محوا القسم الأعظم منهم . فأضاع الاسماعيليون سجية إراقة الدماء .

وبعد هذه الوقعات داوم الاسماعيليون والعلويون على معاداة بعضهم ، وكان الأولون يحالفون القوى المخالفة للعلويين ويداومون على العدوان والعلويون يهاجمونهم ، وأخيراً توفق العلويون . وفي سنة ٩٧٧ هجموا على قلاعهم واستولوا عليها تماماً . ولكن الحكومة العثمانية أخذت بيد الاسماعيليين وأعادت لهم مواقعهم .

وفي خلال سنة ١١١٥ جاءت عشيرة بني رسلان واستولت على قلعة مصياف ، وقتلت جميع الذكور الكبار وسكنت مدة ثمانية سنين .

ثم توسل بعض الاسماعيليين ، فأنجدتهم الحكومة العثمانية وأرسلت مدفعين مع طابورين من العسكر من حمص ، ونصبت

المدافع مقابل القلعة ورمت بعض القنابل حتى أكرهت بني رسلان على ترك القلعة ومغادرتها إلى جهة صافيتا، وسلمت البلد ثانياً للاسماعيليين . وتكررت تلك الحالة في بعض قلاع الاسماعيليين أيضاً . واستولى المتاورة على جهات وادي العيون وعلى حوالي القدموس ، حتى لم يبق في يد الاسماعيليين سوى القدموس وحدها فقط .

اسفار اهل الصليب

ان في تاريخ العلويين نكبتين عظيمتين ، الاولى : حروب اهل الصليب ، والثانية : قتال السلطان سليم العثماني .

ومن حيث الترتيب يجب ان نتقدم في البحث عن الحروب الصليبية .

لا نقصد التكلم عن مهاجمات الصليبيين بالتفصيـــل ، وما هي في نظرنا سوى وقائع تاريخية ، وانما نريد أن نبحث فيها من جهة تعلقها بتاريخ العلويين بوجه الاختصار .

عند ابتداء الاسفار الصليبية كان محيط العلويين عبارة عن ما يأتي :

بلاد خراسان وسواحل بحر الخـــزر والموصل وديار بكر وحلب والعواصم اي طرسوس وآدنة ومصيصة وأياس وهرونية وبياس وجهات انطاكية وجبلة مع اللاذقية ، وبانياس وطرطوس وطرابلس وجهات حماه وحمص وصور وإقليم البلاد السورية حتى القدس ، وأكثر اهـــل مصر والمغرب الاقصى . وكانت أقلية المدينة ومكة وبغداد واليمن علوية .

كان أول الأسفار الصليبية آتياً عن طريق القسطنطينية . فقبل وصولهم الى محيط العلويين صادفوا بلاد الأتراك ، وكان

سلطانهم قلنج ارسلان . وقد قاوم هـذا الصليبيين إذ كانت أول ضرباتهم عليه . وان له خدمات لا ينساها الاسلام .

لم يكن أهل الصليب كقوة حربية ، بل انهم كانوا في هذا السبيل مثل السيل يخرب كل ما كان أمامه . وهـــذا السيل مر على بلاد العلويين وسحق قوامهم .

ان الحملة الثالثة لأهل الصليب جاءت من البحر وخرجت من ميناء طرسوس التي كان لها ترعة من البحر حتى البـلد . وقبل مجيء الصليبيين الى طرسوس كان أهل طرسوس عبارة عن علويين ومسيحيين واكثرهم من الأرمن . وعند شيوع الخبر بنوايا أهل الصليب ، وان قصدهم نحو المسلمين ، كثر عجب المسيحيين وجرى بينهم وبين العلويين القتال حتى لم يبـق في طرسوس العظيمة سوى العلويين .

كانت طرسوس في تلك الأيام هي وسمرقند العلوية تعادل كل واحـــدة منهما نفوس القسطنطينية ، ولم يكن في الأرض أكبر منهما سوى بغداد . وتقـــدر نفوس طرسوس (بألف ألف) .

جاء الصليبيون وجعلوا يطاردون المسلمين ، فهرب العلويون إلى آدنة ومسيس حتى انطاكية ، والبلدة التي يصل إليهـــا المسلمون ، وأعظمهم علويون ، ينشب فيها القتال بينهم وبين

المسيحيين ، وكلما وصل الصليبيون إلى بلد يأخذوا الثأر أضعافاً ، حتى اندثر اسم العلويين من كيليكيا .

* * *

(ان اسم «كيليكيا» حديث العهد في هذا المحيط . وكان اسم تلك البقعة في صدر الاسلام كما ذكر في سورة الروم « أدنى الأرض » وبالتخفيف تسمى ادنى ثم آدنة ، وهي سهل ما بين جبال طوروس والبحر وأهم بلدة في طرسوس القديمة، التي هي أغلب الظن ، مبنية من قبل (تارسيس) بن سام بن نوح عليه السلام . وفي أيام العباسيين كثرت نفوس كيليكيا ، أي أدنى الأرض ، وبنيت بلدة هرونية وآدنة في ذلك الوقت ، وتخصص اسم ادنة للبلدة التي بنيت على الجانب الأيمن من نهر سيحان وذلك فيأيام العباسيين وولاية أبيسليم التركي الآدني) .

قتل العلويون المسيحيين في آدنة ومصيصة ، وكان قصد الصليبيين الانتقام ؛ فكانوا يأخذون الثأر بافراط ، وهذا كان يؤدي لاندهاش البلاد الاسلامية المجاورة ، فيتهيأ السبب لقتل المسيحيين وهلم جراً .حتى وصل الصليبيون لانطاكية العظيمة العلوية ، ولم يصادف الصليبيون مقاومة تذكر إلا في انطاكية وحلب .

كان ملوك السلاجقة مستولين على حلب ، وقد سبقت منهم خدمات عظيمة في تلك الأيام ، ولكن كما قلنا أن أسفار الصليبيين لم تكن هيئات حربية فقط،بل كانت تشابه السيل .

حاصر الصليبيون حلباً وانطاكية في وقت واحد .

ومن كثرة الامطار حدث سيل عظيم فأجبرهم على ترك حلب والاقتصار على انطاكية فقط .

كان حول انطاكية سور عظيم وله ثلاثماية برج . وكان فوق الجسر الذي يؤدي طريقه الى حلب برجان ، فاستولى الصليبيون على هذين البرجين . وكان مهاجرو العلويين من كيليكيا يلقون الرعب في قلوب اهل انطاكية ، ولذلك كانوا يستميتون في الدفاع .

ان روايات مهاجري طرسوس وما حواليهـا ادهشت السكان ، فانكبوا على استعمال اسباب الدفاع ، وكان لا يشاهد أحد في الشوارع ، فأدى ذلك لاستخفاف الصليبيين بـأهل انطاكية ، فتركوا تشديد الحصار وظنـوا ان الظفر قريب واشتغلوا في الملذات والمهر ، مع ان الاستحضارات في داخـل السور كانت على أكمل وجه .

لما رأى العلويون ان الصليبيين مشغولون في اللهو ونهب القرى ، انتهزوا الفرصة وخرجوا على الصليبيين فشتتوا شملهم ، واضطرت القوى الصليبية لرفع الحصار والابتعـاد عن السور وأن تقتصر على هجماتها التي لا فائدة منها .

مر الربيع والصيف والخريف على هذا المنوال . وجاء شتاء شديد بخلاف المعتاد ، وانطاكية معروفة بكثرة الامطار . فهذه الاحوال كانت اعظم مصيبة على الصليبيين ، اذ مات منهم اناس كثيرون من البرد والامراض . وكانت الامطار لا تمهل الصليبيين حتى لدفن أمواتهم . وأخيراً اضطرت هـذه

الكتلة الكبيرة (أي أهل الصليب) الــتي نهبت وأكلت الأخضرين ، ان ترحل عن انطاكية بصورة الفرار ومعها بطرس الناسك الذي كان سبباً في الحروب الصليبية وإعداد حملاتها .

• • •

وقد كانت هزيمة الصليبيين مفيدة لأهل انطاكية ، إذ اجبرتهم على اتخاذ التدابير الجدية . كان مسيحيو السريان يخدمون المحصورين ويأتون بأخبار الصليبيين . وفي بادىء الأمر اشتغلت القوى الصليبية بمنع هذا الامر ، وقرر الصليبيون أنه إذا ألقي القبض على أحد الجواسيس وكان صالحاً للأكل يؤكل . فاطلع المسلمون على هذا القرار وامتنعوا فيما بعد عــن إرسال الجواسيس المسيحيين . وقد أحسن المسيحيون بلزوم الصداقة لمواطنيهم المسلمين خيفة من وقعات كيليكيا .

وأخيراً اقتنع الصليبيون بأنــه لا يمكن الاستيلاء على انطاكية إلا في تمديد الزمن. وبناء على هذا القصد باشروا بفلاحة الأراضي حوالي انطاكية .

كان محيط السنيين يهمــل محيط العلويين ، أي لم يهتم العباسيون بالأمر كما يلزم .

وقد عرض المستعلي بالله الفاطمي العلوي على أهل الصليب الصلح وتعويضهم بأشياء ترضيهم . ولكن أعيانهم رفضوا كل ذلك وقرروا الدوام على الحرب .

أما امراء البلاد الاسلامية المجاورة فانها أرسلت إلى حلب

قواها الامدادية ، ولكن ظفر بهم الصليبيون وقطعوا رؤوسهم وأرسلوا بعضها لوفد مصر وبعضها للمحصورين في إنطاكية

ومع كل ذلك لم يطرأ الفتـــور على عزم المحصورين في الدفاع ، لأنهم رأوا بأعينهم وقعات طرسوس .

كان أحد الأرمن تظاهر بالاسلام وإسمه فيروز وهو من جملة القوى في إنطاكية، فارتكب الخيانة وسلم إنطاكية للصليبيين.

وكان لذلك الوقت لم يرضَ الصليبيون باستعمال الخدعة في الحرب .

كان قوادهم يدعون (شواليه) ومن عوائدهم عدم الخيانة، فلذلك ذهب في بادىء الأمر الاتفاق الذي عقد بـــين فيروز المذكور وبين القائد الأعظم للصليبيين بوهموند عبثاً ولم يأت بنتيجة . وفي تلك الأيام شاع خبر بأن القوى الاسلامية الكبيرة تحركت من الموصل وهي متجهـــة لانطاكية . فعند ذلـك القى بوهموند خطبة على الصليبيين وبيّن لهم وجوب استعمال الخيانة في الحرب .

وبعد المذاكرات الحماسية تقرر بين القواد الصليبيين وجوب استعمال الحيلة وقبول الخيانة التي عرضها فيروز، وقد عقد بينه وبين بوهموند اتفاقاً على ذلك .

في ثاني يوم القرار ارتحل الصليبيون واتجهوا صوب القدس وتظاهروا بالرحيـــل حتى احتجبوا عن الأبصار وهم يضربون طبولهم ، حتى إذا جنّ الظلام رجعوا الى أن وصلوا تحت الثلاثـــة أبراج التي يقود عسكرها فيروز المذكور .

وكان فيروز قتل أخاه الذي كان مخالفاً له في هـــذا العمل وأدخل الصليبيين للبلد . وفي تلك الغفلة استولى الصليبيون على سبعة أبراج غـــير الثلاثة المذكورة وذلك سنة (٤٧٦) . وأخيراً استولوا على البقية الباقية ، ولم يبق في يد العلويين سوى القلعة .

وبعد هذه الحادثة بأربعة أيام ، قدم أمير الموصل وتبعته جيوش جبل النصيرة وحلب العلوية مع عساكر الشام والقدس السنية وبرفقتهم من بلاد فارس ٢٨ أميراً علوياً مع جيوشهم .

جاء أمير الموصل (كربوقا) ونصب خيامـه في مرج دابق . وكان حوله سليمان بن ارتق وطفتكين اتابك وبعض الامراء . واستراحت عساكرهم ثلاثة عشر يومـــاً وتهيئوا للهجوم على انطاكية . وجرى الحرب بين الجيشين وكان النصر بجانب الصليبيين، ولكن لذلك الحين كانت قد انكسرت قوة الصليبيين إلى درجة لم يبقَ لهم معهـــا قابلية للتجاوز والهجوم ، فعند ذلك استعمل أحد الخوارنة حيلته المشهورة وهي : انه ادعى انه رأى في منامه على ثلاثة أيام متتابعة ان شفرة السكين التي كان يستعملها عيسى بن مريم موجودة في كنيسة « مار بطرس » وقد صوّر الوقعـــة بأحسن صورة . وبعد الحفر دخل الخوري وخرج وفي يـــده شفرة عتيقة فرجعت للصليبيين قوتهم المعنوية ، وكان ذلك سبباً في تفوقهم وتغلبهم على كربوقا أمير الموصل ومن معه . فعند ذلك اضطرت القلعة للتسليم وسلمت .

وبعد مدة يسيرة أي في (سنة ٤٩٠ هجرية) حصل في إنطاكية قحط عظيم واعقبته زلزلة شديدة فتدمرت البلدة وهلكت النفوس وأصبحت البلدة عبارة عن خربة

وفي سنة ٥٢٧ نشبت حرب أمام انطاكية بين نور الدين وبين الصليبيين فغلبوا وتحصنوا في انطاكية . وبقيت انطاكية في أيديهم لحين استيلاء صلاح الدين الأيوبي على القدس . وفي كل هذة الأيام كان نور الدين يغزو جهات انطاكية .

وفي سنة ٥٦٨ كانت انطاكية في يد روجان ملك سجيليا الذي كان حليفاً للصليبيين .

وفي سنة ٦٤٨ أي في أيام الملك الظاهر بيبرس العلائي البندقداري دخلت انطاكية ثانياً في يد العلويين ولذاك الوقت كانت خسائرها في الحروب أكثر من اربعين ألف قتيل ومائة ألف أسير . وبقيت انطاكية فيبد الصليبيين (١٧١ سنة) .

أما حلب التي ثبتت في المقاومة فقد بقيت الملجأ الوحيد للعلويين ، لأن المركز العمومي الذي كان في اللاذقية كان قد انقرض .

• • •

وفي تلك المدة الطويلة أي في سنة ٤٧٧ كان الصليبيون استولوا على القدس وأعلنوا بها الاستقلال . وكان هذا النجاح سبباً في ورود القوات الامدادية لهم من جهات اوربا ، فعند ذلك استولى الصليبيون على قلعة عكا وأخذوا منها غنائم لا تحصى وذلك في سنة ٥٠٣ ، ثم أخذوا بانياس وصور وبيروت

وطرابلس الشام بعـد أن دوخوا جبال العلويين وسواحلها ، ثم استولوا على صيدا (سنة ٥٠٤) .

وفي سنة ٥١١ هيأ أهل الصليب اعدادهم لكي يأخذوا مصر العلوية ، ولكن توفي قائدهم على الطريق فرجعوا .

وللحروب الصليبية كتب تاريخية عديدة تغنينا عن تفصيل وقائعها هنا .

ولما كان الصليبيون يستولون علىأوطان المسلمين قدماً بعد قدم ، فقد هاجر أغلبهم لجهات مصر .

الملك الناصر

يوسف صلاح الدين الأيوبي

ان الاسلامية من حيث بقائهـــا السياسي وحريتها الملية مديونة لصلاح الدين الأيوبي .

لا نستطيع أن نقول ان صلاح الدين الأيوبي كان سنياً أو علوياً ، بل كان مسلماً سياسياً محضاً ، لأنه تظاهر بالعلوية حتى استولى على مصر ، وتظاهر بالشافعية حتى يؤمن المعاونة والمظاهرة من السنيين العباسيين . وكما قلنا مراراً أن الشافعية كانت رداء متوسطاً ما بين العلوية والسنية .

انقرضت دولة الفـــاطميين على يد صلاح الدين . وقرأ صلاح الدين الخطبة باسم العباسيين ، وبهذه الصورة أوجد اسباباً لوحدة الاسلام تجاه اهل الصليب .

عامل الفاطميون في مصر السنيين بالعدل ولم يعامـــلوهم بالمثل . ويمكننا القول بأن العلوية والاسماعيلية والجعفرية اتحدت في مصر ولم يبق بينهم فرق إلا الفرق ما بين مذاهب أهل السنة . وما هذه التجليات الا من نتائج دهاء المصريين

الناضجي الا دمغة بسبب الأشعة الحادة والانوار النافذة عليها من شمس تلك البلاد .

* * *

ان الايوبيين هم من أذربيجان في جهات بلاد الكرج ، ولكن مسقط رأس صلاح الدين الايوبي هي بلدة تكريت القريبة للموصل وسنجار العلوية .

ان هذا الرجل العظيم كان قد رحل مع أقاربه وأبويه إلى الشام وقضى ايام طفولته بها .

كان الصليبيون مستولين على القدس ، وفي أيام الخليفة الفاطمي اتجهت تعرضاتهم إلى مصر ؛ فاستمد الفاطمي من نور الدين الشهيد ملك الشام، ونور الدين ارسل قائده شير كوه أي (سبع الجبل) لمصر ، وكان صلاح الدين بين حاشيته . وهناك أسند العاضد الفاطمي الوزارة الى شير كوه، وعند وفاة شير كوه أسنده لابن أخيه صلاح الدين ، وذلك في سنة ٥٦٤ .

وفي أيام العاضد كانت مصر العلوية في أوج السعادة والرفاه من جهة الثروة ، ولهذا فشا فيها الخمول والكسل وتراخت عزائمها ومالت للترف والراحة وحب النعم وذهبت قابليتها الحربية فاضمحلت تشكيلاتها الدفاعية ، إذ كان القسم الأعظم من أفراد عساكرها صقالبة وروماً وأرمناً وقليل منهم من المسلمين .

وعندما استولى صلاح الدين على زمام الاحكام رأى الاحتياج

القطعي للانقلاب في مصر فاستولى عليها، وكان الخليفة الفاطمي العاضد في أشد حالات المرض ، فاعلن انه عامل على مصر من قبل نور الدين الشهيد ملك الشام .

ولم تكن مناسبات صلاح الدين مع نور الدين الا مشبوبة بالاغلاط والشبهات . وتحقق بينهما وقوع الحروب ، ولكن وفاة نور الدين منعت غائلة الحرب . ووفاة الخليفة العاضد انتجت الاستيلاء على قصور ومخازن وبلاد الفاطميين ، وأصبح صلاح الدين الملك الغني المستقل في سنة ٥٦٧ .

وفي ابتداء الامر اهتم صلاح الدين في تنسيق الجيش ، فطرد الصقالبة والروم والأرمن، واضاف على الأفراد الاسلامية والعلوية الاكراد والاتراك . وحوّل الخطبة لاسم الخلفاء العباسيين ، ورفع من الأذان كلمة (حي على خير العمل) ، ونصب قضاة شافعيين ، وباشر باجراء صولاته وغلباته المتوالية على الصليبيين .

استرد صلاح الدين القدس بعد ان بقيت في يد الصليبيين ٧١ سنة ، وبعد حروب عديدة اكتسب بها الظفر القطعي . وفي حروبه خسر الصليبيون مليونين من العساكر .

في سنة ٥٧٠ جاءت حملة من أهل الصليب واخرجت جيشها للاسكندرية، ولكنها رجعت مغلوبة امام جيوش صلاح الدين الأيوبي .

وبعد وفاة نور الدين ، كان استولى صلاح الدين على الشام ثم على حماه وحمص وبعلبك . وعند ذلك أرسل له الخليفة

العباسي خلعة ومنشوراً . ولكن بقيت السواحل في يد الصليبيين .

وفي سنة ٥٧٣ استولى صلاح الدين على غزة والرملة . وفي سنة ٥٧٥ استولى على بانياس . وفي سنة ٥٧٦ حصلت بين صلاح الدين وبين السلجوقي المشهور ملك الأناضول بعض الحروب وتصالحا .

وكانت الفرقة الاسماعيلية حليفة لأهل الصليب ، ونوت إغتيال صلاح الدين . وإمامها راشد الدين اذ ذاك . وبعد حصاره لقلعتهم مصياف طلبوا الأمان بواسطة خاله شهاب الدين الحارمي أمير حماه ، فتصالح صلاح الدين معهم ونصب ابن عمه الأمير يوسف عاملاً عليهم ، وأمراء الاسماعيلية الموجودون اليوم هم أولاد يوسف المذكور ، وهم لا يتزوجون الا من بنات بعضهم .

ثم استولى صلاح الدين بالتدريج على حلب وديار بكر (آمد السوداء) والموصل وميافارقين . واسترد القدس ثانية في سنة ٥٨٣ .

واخذ صلاح الدين في سنة ٥٨٤ بلدة اللاذقية ، التي كانت عاصمة للعلويين في مبدأ حروب الصليبيين ولم يكن بها سني واحد في تلك الأيام ، بل كان يسكنها العلويون والمسيحيون وقسم من اليهود .

وبالنتيجة نرى ان الحروب الصليبية قربت ما بين العالم الاسلامي والمسيحي ، أي العالم الشرقي والغربي وتعارفا ولو

حرباً . فعليه يكون العالم البشري مديوناً في مدنيته الحاضرة لصلاح الدين الأيوبي .

* * *

ان صلاح الدين الأيوبي لم يحصر مساعيه إلا في استخلاص ديار الاسلام (وهذه الديار كانت واقعة في المحيط ، أي عبارة عن مواطن العلويين في الأغلب) فلذلك لم يتوفق لتأسيس حكومة مرتكزة . بل انقسمت ممالكه من بعده لأقسام عديدة . ومن جملة من استقل أولاد صلاح الدين ، ولكن أصبحت لكل منهم حكومة صغيرة لا تأتي بنفع للاسلام .

وأخيراً تكررت الحملات الصليبية ،وبالسفر التاسع خرجوا على سواحل مصر ولكن بدون ثمرة ، حيث كانت العلوية قد قويت ووحدت قواها مع الاسماعيلية ،وذلك في أيام حكومة المماليك المصرية ، فهاجموا الصليبيين براً وبحراً وظفروا بهم . ويقال لهذا الدور (دور الفداوية) وهم امراء ومقدمون وفداوية العلوية والاسماعيلية في أيام الملك الظاهر بيبرس ، وقد خدموا الاسلامية أعظم خدمة .

ولكن يا للاسف حصلت في هذه الأيام نكبة بغداد المشهورة وقضت على العالم الاسلامي الشرقي الذي كان بقي مصوناً من تخريبات الصليبيين . في سنة ٦٥٦ هجم هلاكو سلطان حكومة (ايلخان) التركية الصائبية ودمر بغداد ، التي كانت مركزاً للمدنية الشرقية . ولم تقم امامهُ قوة توقفهُ الا قوة العلويين والاسماعيليين وقد غلبتهُ لأول مرة كما سيأتي:

ان التدابير المصيبة والحذق العظيم والدهاء الخاص والحكمة التي ظهر بها صلاح الدين ، قـد انتجت خلاص بلاد المسلمين من يد الصليبيين ، وقبل صلاح الدين كان المحيط المسكون بالعلويين تحت أقدام الصليبيين ، وكان العلويون قـد وهنت قوائم الحربية وانحلت رابطتهم تجاه تلك الاسفار المتتابعة .

ولما كانت كليكيا – أي أدنى الأرض – الممر الوحيد لتلك الأسفار ، بسبب عدم وجود طريق ما بـين الشرق والغرب ، سوى بوغاز (كولك) الواقع في جبال طوروس الشهيرة ، وهـي المحيطة بادنى الأرض أي آدنة وطرسوس ومصيصة وما يليها . فلذلك بقيت آدنه وطرسوس تحت أقدام الصليبيين ، وهلك من فيها من العلويين . وان مصيبة سقوط انطاكية سلبت من يد العلويين المراكز الاستنادية ولم يبق لهم ملجأ سوى حلب . وهذا اول امر انتبه له صلاح الدين الايوبي واضطره لقبول المذهب الشافعي ، وهذا الطراز كان معروفاً عند العلويين وكان يساعدهم على التكتم .

وعند وفاة صلاح الدين في الشام ، كان ابنهُ وولي عهده علي ابو الحسن معه . وجلس ابو الحسن بعد أبيه وتلقب باسم (الملك الافضل) واستقل في الشام وما يليها . واستقل أخواه (الملك العزيز عثمان) في مصر و (الملك الظاهر) في حلب .

ثم لم يقنع العزيز وعمه (الملك العادل) بحكومة مصر ، بل انهما هجما على الشام واستخلصاهـا من أبي الحسن وأبعداه « لصرخد » ، وبعد مدة توفي العزيز في مصر وجلس مكانهُ

ابنهُ (الملك المنصور) وهو صبي . وان الملك المنصور محمد أرسل من يأتي اليه بأبي الحسن من صرخد ، وبعد ذلك أي في سنة ٥٩٥ ومع وجود عمه في الشام ، أجلسه على سرير الملك وشاركه في المراسم والأفراح . وبعد مدة يسيرة جاء الملك العادل من الشام واستولى على مصر وأخذ أبا الحسن وأرسله إلى سميساط (سميساط محل مـــا بين ملاطية وروم قلعة) وهناك توفي في سنة ٥٩٥ ، وقبل وفاتـه أرسل للخليفة العباسي الناصر هذا المكتوب المشهور :

مولاي ! ان أبا بكر وصاحبـه
عثمان قد غصبا بالسيف حق علي
وهو الذي كـان قد ولاه والده
عليهما فـــاستقام الأمر حين ولي
فخالفـاه وحـلا عقد بيعتــه
والأمر بينهما والنص فيـــه جلي
فانظر إلى حظ هذا الأسم كيف لقي
من الاواخر مـا لاقى من الأول

فاجابه الخليفة الناصر :

وافى كتابك يا ابن يوسف معلناً
بالود يخبر أن أصلك طـاهر
غصبا علياً حقــه ، إذ لم يكن
بعـــد النبي له بيـثرب ناصر
فابشر ! فان غداً عليـه حسابهم
واصبر ! فناصرك الامـام الناصر

فهذه المراسلة تثبت لنا ان الملـك الأفضل والايوبية كانوا علويين أو على الأقل شيعيين .

ان الحروب الصليبية قضت على علويي ديار بكر وملاطية وطرسوس وآدنه وانطاكية واللاذقية ، ولم يبق من مواطن العلويين مصونـــاً سوى مصر ، وقد ازدادت المحن المقدرة للعلويين إذ انضمت على مصائبهم الآفات السماوية ، فقدحصلت الزلازل في سنة ٥٥٢ فدمرت حمـــاه وشيذر وحمصاً وحصن الأكراد وطرابلساً وانطاكية واللاذقية مـــع ما حواليها . وأصبح العلويون في حالة أليمة وانحلت تشكيلاتهم الدينية وأضاعوا وجودهم السياسي ، وباتوا وهم في الدرك الأسفل من الشقاء .

وفي سنة ٦٠٠ خرج صوت من محيط العلويـين مستصرخاً مستنجداً ، وهو صوت الشيخ حسن من قرية كفرون ،فأرسل القصائد الحزينة والمرثيات المحرقة لعلويي مصر شارحـــاً لهم مصائب الصليبيين ومخبراً لهم بحالة العلويين في جبل النصيرة ، وبالاخص الخسارات الـــتي حصلت من حروب أهل الصليب وهجماتهم بحراً على سواحل اللاذقية والمرقب . وبوصول هذه النشائد هاج العلويون في مصر .وكان حامد الكمية فيصافيتا يدافع ضد أهل الصليب مدة سبع سنوات .

بعد رجوع الصليبيين عن السواحل ذهبوا إلى قـــبرص وسكنوا فيهـا واتخذوها للتجاوز على السواحل العلوية ونهبها مهنةً لهم، وكانوا يقتلون الرجال ويأخذون الأولاد والنساء

أسرى . فلذلك اتفق العلويون على ان تخلي السواحل،وهدموا جبلة ولم يبق سوى تل التويني بقرب جبلة ، ولكن من بعد ذلك اخلوها تماماً وانسحبوا الى الجبال .

وبعد قبرص اتخذ الصليبيون جزيرة رودس ملجأ لهم وداموا التعدي على المسلمين ، وما برحوا يضربون السفن الاسلامية ويعتدون على السواحل ويهاجمونها ، حتى هاجمهم السلطان سليمان القانوني في جزيرتهم واستولى على رودس بعد حروب هائلة وطردهم ،فذهبوا لجزيرة مالطة وداموا فيالعداء والنهب والسرقة حتى جاء نابوليون الكبير وأخذ الجزيرة منهم وعند ذلك اندثروا .

وفي تلك الأيام أي حول سنة ستماية اكتسب السلجوقيون سطوة عالية . وتأخرت أحوال العرب . وجاء من بلاد بعيدة من الاتراك أجناس مختلفة ، وعقيدتهم تختلف ما بين العلوية والسنية والصائبية ، ومجيئهم كان مثل السيل ولم تكن تتخلص أراضي العلويين من نكبة الا تعقبها أخرى أعظم منها . وقد استولت الصائبية على مواطن العلويين ثم زحف الاكراد بصفة المهاجرة لحي العلويين . حتى لم يبق للعلويين أدنى استراحة في جبلهم أي في أراضي العلويين . وعند ذلك استمدوا من الرجل العظيم وهو أمير سنجار ، الشيخ حسن

المكزون السنجاري ، وهذا أنجدهم وخلصهم من تجـــاوزات الاكراد بعد الصليبيين .

• • •

وهناك أقوال عديدة بخصوص مجيء الأمير حسن المكزون السنجاري في سنة ٦١٧ لمنطقة العلويين ورجوعه خائباً .

فالقسم من الراوين يقولون أنه جاء لكي يمحو ما بقي من كتب اسحق الأحمر . والبعض يقولون كي يزيل مظالم الاتراك الصائبية عن العلويين . ولكن الأقوى والأصح أنه جاء لكي يخلص العلويين من الاكراد، الذين اتحدوا مـــع الاسماعيلية وتسلطوا على العلويين .

وعلى كل حال لم يجيء الأمير حسن المكزون الا بعد مـا دعاه علويو المنطقة لنصرتهم .

جـــاء الأمير لاول مرة ومعه خمسة وعشرون الفاً من العلويين ، ونصب خيامه على عين الكلاب بقرب قلعـة أبي قبيس وعلى سطح جبل الـكلبية .

وكان ممن التجأوا اليه الشيخ محمد البانياسي والشيخ عـلي الخياط ، اذ انهما سافرا لسنجار وابلغوا الامير حالة العلويين ومضايقة الاكراد لهم . فجاء بقوة ظن انهـا كافية .

ولما كان صلاح الدين الأيوبي قد نسق العساكر الاسلامية وترك من كان رومياً وصقلبياً أو ارمنياً ، وباشر في استخدام الاتراك والاكراد ، فلذلك امتلأت سوريا بمهاجري الأكراد ، وانتبهت الاكراد لمجيء الأمير حسن المكزون ، فايقظت حلفاءها وتجمعوا في مصياف ، وأغاروا ليلاً على خيام الأمير وعساكره وغلبوه فرجع لسنجار خائباً .

الدور الخامس

٦٢٠ – ٩٢٣

من هجرة الامير حسن المكزون السنجاري

الى فتح السلطان سليم العثماني

بعد ثلاثة سنين من رجعة الأمير حسن عاد فزحف من سنجار على منطقة العلويين ومعه خمسين الف مقاتل عداالنساء والصبيان ، وهم الذين تشكلت منهم العشائر الحدادية والمتاورة والمهالبة والدراوسة والنميلاتية وبني علي . وجاء عن طريق حلب فالتحق به من هناك بعض العلويين . واحتل المنطقة بعد حروب هائلة . وقد انجدته عائلة البلقيني بقوة من مصر وسكنت في جبلة .

وهذا نسب الأمير :

هو الأمير حسن بن الأمير يوسف مكزون بن السيد خضر ابن السيد ترخان بن السيد محمد بن السيد رائق بن السيد حسن ابن السيد ترخان بن السيد عبدالله بن السيد محمد بن السيد علي ابن السيد حسين بن الامير مفضل بن الامير يزيد بن الأمير مهلب

ابن أبي صفرا الغساني الازدي . المذكور نسبه سابقاً وينتهي بملوك اليمن .

جاء الامير حسن المكزون وأخذ قلعة أبي قبيس عنوةً ، واستولى على جبل الكلبية في مدة ثلاثة أشهر ، وكانت الرياح تمنعه عن اجتياز جبل الشعرا ، لأن الرياح التي تهب في الجانب الشرقي من الجبل لم يكن مثلها في الشرق الأدنى .

وعندما استولى الامــير على شواهق جبال النصيرة التي تسمى (الشعرا) ، جعل جبهته الحربية ممتدة ما بين الشرق والغرب ومتجهة الى الجنوب . وكانت الاسماعيلية قد تركت الاكراد وحدهم في الحرب وصادقت الامير والعلويين . وكان الامير يسوق أمامه عدداً عظيماً من الأكراد الى الجنوب حتى أوصلهم لجبل الثلج من جهات عكار . ثم رجع لقلعة أبي قبيس وجعلها مركزاً له ، ثم اتخذها مسكناً في الصيف وجعل قرية سيانو المجاورة لخربة جبلة مشتى .

ان الامير حسناً استولى على المنطقة حرباً وازال الاكراد الذين كانوا مستولين على شرقي المنطقة واجلاهم عنهـا واسقط نفوذ الاسماعيلية ، وجمع الكتب الموجودة من عقيدة اسحق الاحمر واتلفها كلها ، حتى انه لم يـــترك نسخة واحدة من كتب العقيدة الاسحاقية في جبال النصيرة .

وان الامــير حسن المكزون هو من اعاظم مشايخ العلوية المتأخرين ومن أشهر الاتقياء، لانهُ بعد ما استخلص العلويــين

ونظم امورهم وسهل لهم أسباب الرفاه ، ترك الامور على حالها واسلم نفسه للتصوف كسيده محي الدين العربي .

ان مدفن الامير حسن هو في قرية كفرسوسه بقرب الشام وهو مزار مشترك للسنيين والعلويين . واوقافه حتى مفتاح تربته في يد غيرهم كبقية أوقاف العلويين في كل محيطهم .

• • •

وقد افتتح الامير حسن باباً ادى الى انقلاب في الدين . ومن قبله لم يكن الا الخواص واقفين على نكاة الدين في العلوية. وكانت المعرفة لحقوق ووظائف أهل البيت منحصرة في الخواص بل في خواص الخواص ، وكانت تكتم تماماً .

امـــا الامير فقد كتب ديواناً واشعاراً متفرقة مشحونة بنكاة والغاز تكتم المعاني وتسوق السامع للخيال دون الحقيقة ، ثم اتبع أثره من بعده بعض المشايخ ونظموا الاشعار المكتومة معانيها والمشبعة بالرموز والالغاز الغريبة ، حتى تكونت اشعار دينية لم يوجد فيها من المعاني الحقيقية شيء . والمتأخرون منهم جعلوا هذه الاشعار انموذجاً وتطاولوا في النظم .

ولكن لم تكن تلك المباحث من صدد تاريخنا هذا فنترك الدور المذكور (أي من سنة ٥٩٠ الى ٦٨٥) إلى من سيكتب التاريخ الديني للعلويين . ونصفه بكلمة (العصر الخيالي) في تاريخ العلويين .

ولم يكن الامير حسن المكزون يحمل البغضاء لأحد، وأشعاره هذه تثبت مشابهته التامة للامام الشافعي :

قد بدت البغضاء منهم لنا كما لهم منـــا بدا الحب
ومـــا لنا إلا موالاتنا لآل طـه عندهم ذنب

وقال في أهل البيت :

ما زال يخفيني الغرام بحبكم حتى خفيت به عن الاوهام
وفنيت حتى لو تصورني الفنا لم يدر أين انا وفيه مقامي

وقوله :

وعيروني بذلي في محبتهم وبالذي عيروني تم لي الشرف

• • •

كانت ولادة الامير حسن المكزون في سنة ٥٨٣ وهجرته الثانية في سنة ٦٢٠ ووفاته في سنة ٦٣٨ .

والامير مع معاصره الشيخ منتجب الدين العاني المولود في سنة ٥٩٥ ، هما العالمان المتأخران ، ولم يرَ العلويون من بعدهما من يماثلهما في العلم والتقوى .

كان مجيء الامير حسن للمنطقة فاتحة لدور سعيد وحياة طيبة للعلويين . وكان على العلويين والاسماعيليين – لكونهم من شعبات الامامية – ان يتحدوا تجاه الاعداء المشتركين . وفي أحسن الأدوار أي في أيام الفاطميين وبني بويه وقع افتراقهم سياسياً ، ولكن لم يصل بهم هذا الافتراق لدرجة العدوان ، وكان من السنة الطبيعية ان يتحدوا أمام المصائب الصليبية ،

وبعد مجيء الامير حسن المكزون ، أحس الاسماعيليون بوجوب الاتحاد ، فاجتمع زعماء الفريقين في صافيتا ، إذ لا يوجد سبب يفرق بين العلوية والاسماعيلية إلا في أساس واحد، وهو ان الامـــامة عند العلويين تتبع نسب موسى الكاظم وتنتهي عند محمد المهدي ؛ والاسماعيلية تتبع نسب اسماعيل ابن جعفر الصادق وتقول ان الامامة جارية للآن .

وفي تلك الايام كان الامام عند الاسماعيلية مكتوماً . فكان الاتحاد من جهة الامامة لا يحدث تأثيراً مادياً ولا يخص اماماً ظاهراً .

وان أعظم ملك للاسماعيليين (أي حسن الصباح) لم يدعي الامامة، بل جعل دعوته لامام مجهول وظهوره محقق . وادعى الامام راشد الدين امامة في القدموس، ولكن انقطعت فروع ذلك الاصل . فلم يبق لاتحاد الاثنى عشرية والاسماعيلية سوى النية الحسنة . ولكن لم تكن هذه النية الحسنة ضمن التقدير الإلهي . وانفرط المجلس بدون نتيجة سنة ٦٩٠ .

• • •

ورغماً عن المساعي المصروفة بالمجلس الديني في « عانة » لم تتحقق الأماني . ولكن الاتحاد في مصر تكوّن بحالة طبيعية في ايام المماليك البحرية . وهناك كانت العـــلوية والجعفرية على وفاق تام مع الاسماعيليـــة ، وكان يلتحق امراء الاسماعيلية ومقدمو العلوية بجيش المماليك ويشاركون بعضهم بعضاً في الجهاد تحت راية المماليك المصرية .

وفي الاصل كانت حكومة المماليك تشتغل في استخلاص أوطان العلويين من تعديات الصليبيين وتطهر البقية . وفي سنة ٦٨٩ أي في ايام السلطان المنصور ، اعتدى العلويون على الصليبيين واستولوا على قلعة المرقب التي لم يستطع صلاح الدين الأيوبي الاقتراب منها. وبعدمدة قليلة استردها الصليبيون ولكن دامت العلوية في عزمها واستولت عليها في سنة ٦٩٩ ، وبعد أخذها هدموها خشية تكرار التحصن بها .

وقعة هلاكو

نكبة بغداد

سنة ٦٥٦

بعد زوال سلطنة بنى بويه الديلمية ، ترك الخلفاء العباسيون السلطنة الدنيوية للسلاجقة .

وكانت قد توسعت بغداد في البنيان ، بحيث كان مقدار السكان اربعة ملايين وذلك داخل البلدة المسماةبغداد، ومليونين في ما حول بغداد من المدن والقرى المتصلين بها . ولكن مع هذه العظمة والحضارة كانت العداوة الديلية سائدة في بغداد وتهدمها داخلاً .

كان الخليفة العباسي المعتصم ، متعصباً للغاية . وابنه المسمى ابو بكر أكبر عامل وموقد للفتنة بين السنة والشيعة . حتى انه في أيام المعتصم نشب الاختلاف والنزاع ما بين الحنفية والحنبلية أيضاً .

وكما قلنا ، لا يوجد في التاريخ وقعة الا نتج عنها فرار المظلومين للخارج تخلصاً من الظالمين القريبين . وابن المعتصم ،

أي ابو بكر ، كان يشعل نار تلك الفتن ويزيد في اوارها وقد زاد في خلق الفوضى والأنحلال الديني ، وكل هذا مما استكمل أسباب الاضمحلال لخلافة العباسيين .

وكان في تلك الايام رجل اسماعيلي من الدهاة يدعى (مؤيد الدين بن علقم) وزيراً للمعتصم . وهو يخدم سيده باخلاص وجهد . ولكن لما كان اسماعيلياً فانه لم يتخلص من الطعن الذي تقيد في التواريخ .

وهذه وقعة مؤيد الدين بن علقم كما يذكرونها :

كان القائد التركي المعروف بلقب (جنكيز) ، قد قسّم مملكته العظيمة بين اولاده ، وبهذا التقسيم تملك « طلوي » ابن جنكيز بلاد المغول . وابن طلوي المذكور ، أي هلاكو اسس حكومة ايلخان وهي الحكومة المغولية العجمية .

وكان المعتصم العباسي لا يملك نفوذاً إلا في بلدة بغداد الكبيرة وجوارها.وبقية اجزاء المملكة العباسية نالت الاستقلال السياسي والاداري ، وكان الصدر الاعظم مؤيد الدين بن علقم يهتم في ترجيح الخلافة لأهل البيت . ويتهمونه في التاريخ بانه خابر ثم قابل هلاكو وحرضه على الاستيلاء على بغداد ، وأنه تسبب لقتال لم يسبق نظيره في الاسلام .

وسبب تهمته هو انه عند ما حصلت الفتنة بين الشيعة والسنة في بغداد وهي وقعة الكرخ المشهورة ، أمر الخليفة بهدم ونهب بيوت الشيعة وأخذ أولادهم وعيالهم اسرى كأنهم من بلد آخر ومن دين آخر ، فتأثر ابن العلقم الذي لم يستطع منع تلك الفضائح . فقدم على مخابرة هلاكو وتسليمه الخليفة كما هي القصة المدروجة في التاريخ .

واغتنام أموال العلويين واسترقاق عيالهم وأولادهم سيذكر في قتال السلطان سليم التركي ايضاً . وهذه الأفعال تسند إلى فتاوي مخصوصة .

جاء التاتار لبغداد وقائدهم هلاكو ومقدار عسكره مايتا ألف ، وبعد مناوشة خفيفة غلب المعتصم فالتجأ لبغداد وأرسل ابن علقم لكي يتم الصلح بينهم. فرجع ابن علقم وبشر الخليفة أن هلاكو يحب الصلح وينوي ان يزوج ابنته لابن الخليفة أبي بكر وان يبقي الخليفة على سريره . وذهبا هو والخليفة معاً، ثم رجع ابن العلقم وحده وأخذ الاشراف والأعيان والفقهاء لكي يحضروا عقد بنت هلاكو على ابن الخليفة . فقتلهم التاتار جميعاً ودخلوا بغداد وأمعنوا بالقتل اربعين يوماً . وعلى ما يروى انهم قتلوا (الف الف) نفس . وقد رثى شعراء العصر حالة بغداد . ومما قال بعضهم :

لسائل الدمع عن بغداد أخبار فما وقوفك والاحباب قد ساروا

يا زائرين الى الزوراء لا تفدوا فما بذاك الحمى والدار ديار

. . .

كان التاتار والاتراك في تلك الايام يعبدون الشمس والنجوم. وقد أحضروا معهم جميع ما يلزمهم من المواشي ولم يكونوا محتاجين لشيء ، فلم يتأثروا من القحط والغلاء ، لأنهم لم يأكلوا غير اللحم والحليب، وكانت مواشيهم معتادة على حفر التراب وأكل جذور النبات ، فلم يحتاجوا إلى الشعير . فهلكت الناس واندثرت ثروة البلد، وملايين من الكتب ألقيت في الدجلة ، حتى حصل منها جسر عظيم . وعمّت البلوى في الجزيرة التي كان سكانها ثلاثين مليوناً، وتولد القحط والغلاء. وكان من جملة ما هلك المركز الثاني للعلويين الموجود في الكرخ .

. . .

وبعد تلك الواقعة في سنة ٦٥٦ وقتل المعتصم العباسي ، هرب عمه ابو القاسم احمد لمصر ، وبعد ثبوت نسبه لقبوه باسم (الخليفة) ، وذلك في سنة ٦٥٩ ، والخليفة المستنصر هو اسم أخيه ، وعدد الخلفاء العباسيين في مصر سبعة عشر من بعده . ولكن لم تكن لهم حكومة، بل كانوا مثل المشايخ . وكلما جلس على مصر سلطان كان الخلفاء يبايعونه ، وقد لبس الخلفاء العباسيون في مصر السواد مثل العباسيين في بغداد . ولم يتأخر العلويون المصريون عن احترام

الخليفة العباسي . لأنه لم تبق قيمة للخلافة بعد المهدي عند العلويين .

بعد خراب بغداد ، جاء هلاكو لحلب وأخذها . مع ان حلب كانت البلدة الوحيدة من اوطان العلويين المصونة من تخريبات الصليبيين .

ثم زحف هلاكو على جهات الشام . واستمد اهل الشام من ملك مصر وهو الملك قطز (قودوز) وهذا أرسل جيشه تحت قيادة بيبرس ووعده انه إذا وفق لدفع غائلة هلاكو يعطيه حلباً .

وقد تغلب الامراء والمقدمون الاسماعيليون والعلويون الموجودون تحت قيادة بيبرس على جيش هلاكو وأزالوا اسمه. ولكن لم يف الملك قطز بوعده ونكل عن الانجاز .ولما كان الملك الظاهر ربيباً للعلوي الكبير الملك الصالح ولي الله ، كان العلويون يحبونه محبة عظيمة ، واتفقوا مع بيبرس ، وهذا قتل الملك قطز على الطريق واستقل بالحكم سنة ٦٥٨ .

وبعد ذلك أي بعد سقوط بغداد بثلاثة سنين جاء احمد ابو القاسم الملقب المستنصر بالله واستقبله الملك الظاهر وبايعه بالخلافة . وكان اسم الملك (الملك الظاهر ، ركن الدنيا والدين بيبرس العلائي البندقداري الصالحي) ، وكانت الرياسة الدينية

بين العلويين مع عائلة « البلقيني » ، والرئيس الديني للعلويين البلقيني الذي سمى بيبرس (الملك الظاهر) . واتحدت العلوية والاسماعيلية سياسة واجتمعوا تحت راية الملك الظاهر .

ثم باشر الملك الظاهر في استجلاب قلوب المسلمين نحوه . وجدد المسجد النبوي الذي كان محترقاً وغسل الكعبة بيده بماء الورد . وافتتح جهات النوبة ودنقله . وكان أعظم قصده تأمين الاتحاد بين المسلمين .

عند قتل الملك قودوز قام علم الدين والي دمشق واستقل بها ؛ وتبعه أهالي حلب فقتلوا واليهم وأجلسوا عوضاً عنه حسام الدين ، وهـــذا استقل بالأمر . واغتنم التاتار الفرصة فجاءوا حلباً وقتلوا أهلها وزحفوا على دمشق فلم يستطيعوا المقاومة لجيش الملك الظاهر ، وهذا أخذ دمشق واستمر في استخلاص بلاد العلويين حتى وصل لكليكيا ، وأمراء العلوية معه . وكانت كليكيا (أي أدنى الأرض) في يد الأرمن . فأخذ اياس وانطاكية من يد الأرمن سنة ٦٦٦، وفي سنة ٦٦٩ استولى على حصن الاكراد وعكار وهمـــا في يد الصليبيين . واستولى على بعض القلاع التي في يد الاسماعيلية .

وفي سنة ٦٧١ أي عند ما هجم التاتار الصائبية على بلاد العلويين ، داوم الملك الظاهر في جهاده والعلويون حوله حتى سنة ٦٧٥ ، توفى في الشام .

وحيث كان بذاك الوقت طرز المخابرة لا يتفق مع أصول المركزية ، فعليه كانت هذه الاصول وطرز الادارة في أيام

الملك الظاهر على أصول المأذونية الواسعة . ومن رجاله العلوي الشهير ابراهيم ابي حسن ، كان اميراً على حوران ، وسعد بن دبل اميراً على طبريه ، ومحمد الطبراني اللاذقي أمير المـــاء . وهؤلاء جاهدوا في معيته حتى وصلوا لأدنى الارض(كليكيا) وهي في يد الارمن ، واستولوا على طرسوس وحاصروا سيس عاصمة الارمن. واستشهد هناك أي في طرسوس العلوي المشهور بقوته سليمان الجاموس .

وحصل الانتباه بين العلويين،ورأوا ضرورةللزوم التعارف، فباشروا بالسياحة ما بين مصر والفرس وجبل النصيرة . ومن جملة من ساحوا بقصد التعارف ، بدر الحويلا وبدر الغفير . وقد زارا العلوي العظيم سليم الادهم في بلدة بلخ

يوجد كتب عديدة تبحث عن سياحات هؤلاء المشايخ ، ويتحقق من تلك الكتب ان جزيرة موره والارناووط « الطوسقه » من تلك الايام وهي علوية .

لم تنته المصائب من ديار العلوية بعد الصليبيين . لأن أضرار الأتراك كانت فوق الحد . وسيول المهاجرة التركية هدمت الحكومة السلجوقية التركية العظيمة من أساسها . وكما أن الصليبيين هدموا حضارة الاسلام في الغرب ، فالاتراك خربوهـــا في الشرق أيضاً وفي هذا التاريخ جاءت قبيلة (قايي خان) ، وهي تابعة في سيرها الجريان التركي ، وقـد توفقت لتشكيل الحكومة العثمانية التي دافعت عن الاســـلام مدة ستة أعصار .

لم تنحصر سيول المهاجرة التركية بالاناضول وحدها ، بل اشتملت على سوريا . وحيث كانت التجاوزات التركية متوالية ومتتابعة ، اندثرت اعظم الآثار العربية، ومن جملتها تكررت مصائب مواطن العلويين . بل كان العلويون من الجهتين تحت الخطر ، لان الصليبيين بصفة « قرصان » ، أي حرامية البحر ، كانوا يسكنون قبرص وبعدها رودس ، ويكررون التعديات على سواحل كليكيا واراضي العلويين وينهبونها ويقتلون من يظفرون به ويأسرون الصبيان والنساء . والاتراك من الشرق تقضي على حياة كل من صادفته امامها . وليومنا هذا يوجد في روايات العلويين ما يبين تعديات الصليبيين بصفتهم قرصاناً .

واقتضت هذه الاحوال هجر السواحل ، والتجاء العلويين الى الجبال حباً في التخلص من تعديات القرصان على السواحل والقرى المجاورة للسواحل . حتى بقي برّ جبلة وسواحل اللاذقية وجهات السويدية لحد انطاكية وسهل آدنه الى سلفكه ، قاعاً صفصفاً لم يسكنه احد . ولم يبق في البر الى آدنه وطرسوس البعيدتين عن الساحل، تسعة وخمسة ساعات، وكان جميع سكانهم من الارمن .

اما من جهة الشرق أي حماه وحمص وحلب ، فقد بقيت تحت حكم الاتراك الصائبية . واقتصر العلويون في السكنى على شواهق الجبال العلوية .

٣٧٥ ن

وفي ايام الملك الظاهر بيبرس اكتسبت الحكومة المصرية طوراً جديــداً وأنشأت السفن وأصبحت لها قوة بحرية واستولت على جزيرة قبرص وازالت الصليبيين الذين كانوا يوالون الهجمات على السواحل العلوية . وبعد ذلك رجــع العلويون الى السواحل وجــاءت معهم فرقة من الحنفيين الى اللاذقية . وبعد الملك الصالح تملك حلباً العلوي الشهير المقدم معروف بن جمر .

قلنا بعد ان استخلصت قبرص من يد الصليبيين لم يكفوا عن التطاول على السواحل وكان مركزهم رودس . وفي سنة ٧١٧ هجم القرصان الصليبيون على جبلة وقتلوا من فيهــا من العلويين مع مقدمهم علي .

وفي سنة ٧٩١ هاجموا جهات صافيتــا والخوابي وكاف والمرقب والقدموس وقتلوا من ظفروا به من العلويين .

ومن الشرق هجم الأتراك الصائبية حتى وصلوا على (رأس ماسين) وهو الجبل الصغير في جهات الحمام قرب بشراغي وقتلوا العلويين المجتمعين على رأس ماسين واكثرهم من المشايخ وبينهم من العلماء العلويين المتأخرين (الشيخ يوسف الرداد) و (الشيخ مسلم البيضا) .

واستمد علويو الجبل من اخوانهم المصريين سنداً واخرجوا الاتراك الصائبية وطاردوهم حتى ابعدوهم الى حلب . ووقعة رأس ماسين من اشهر النكبات .

الملك أبو الفدا السلطان عماد الدين اسماعيل
والشيخ حاتم الطوباني
(يوم الدعوة سنة ٧٢٥)

بعد صلاح الدين تشكلت فروع عديدة للايوبيين ومن جملتهم (ايوبية حماه) وملك ايوبية حماه كان السلطان عماد الدين المعروف باسم « أبو الفدا » وهو من أشهر المحررين والمؤرخين في الاسلام . لقد كان شافعياً ثم انتسب لعقيدة العلويين ودخل في طريقة الجنبلانية . وصورة دخوله في الطريقة تذكر كأنها وقعة عظيمة عند العلويين .

ثم هناك الرجل العظيم الذي اقنع ابا الفدا وأدخله في عقيدة العلويين وهو الشيخ حاتم الطوباني من عشيرة الحدادين السنجارية الغسانية الأزدية القحطانية .

ولد الشيخ حاتم في قرية طوبا الواقعة في جبال طوروس في سنة ٦٧٧ واشتهر في العلم والتقوى .

ثم انه كانت قد انقطعت الأمطار في جهات حماه في أيام عماد الدين ودام القحط ثلاثة سنين والناس تذهب للبر وتطلب الغيث من المولى فلا يغاثون واضطربت الناس وعطشت المواشي

وسكان حماه كان نصفهم علويين ونصفهم من السنيين . والوزير الاعظم رجل علوي . وعند الاستشارة تبين له أنه يوجد في جبل النصيرة أتقياء ومستجابو الدعاء . وأمر عماد الدين ان يدعى رجال التقوى من الجبل ، وأرسلت الاخبار لطرطوس واللاذقية ، واجتمع علماء العلوية ومشايخها عند الشيخ الأعظم الحاتم الطوباني ،وباشروا بانتخاب من كان يظن به انه مستجاب الدعوة ، ولم يحصل الاتفاق الا على عشرة . وتعرف تلـــك العشرة باسم (رجال الدعوة) وهم :

١ – الشيخ حـــاتم الطوباني الجديلي ، ٢ – الشيخ حسن البري من تل التويني ، ٣ – الشيخ الغريب من هريصون ،٤– الشيخ جابر ديدبان ، ٥ – الشيخ صبح الضويعي ، ٦ –الشيخ علي القصير ، ٧ – الشيخ مسلم البويصة ، ٨– الشيخ نور الدين ٩ – الشيخ ابراهيم الطرطوسي ، ١٠ – الشيخ عيسى بن موسى

ذهب هؤلاء الأتقياء لحمـــاه ، وعينوا ليلة للدعاء وباشروا ليلاً بالدعاء،ولم يشق الفجر الا وكان المحيط قد استغنى من الامطار فاعجب الامر السلطان عماد الدين ودخل في مذهب العلويـــين وارتقى لدرجة المشيخة .

• • •

بعد سنة أحس عماد الدين ببعض المخالفـة لآداب الطريقة الجنبلانية من قبل استاذه الشيخ حاتم الطوباني ، ولذلـــك هدده بالقتل ، فهرب الشيخ المعصوم من التهمـــة لسواحل طرطوس . وقدر عليه المولى الوقوع في يد القرصان فأسروه

وأخذوه لجزيرة قبرص . وله قصيدة تسمى « القبرصية » تحكي قصته وأسره .

وقد باعه الصليبيون عشرين مرة في أسره حتى ساقته التقادير الى بني الاحمر في الاندلس ، وذلك في ايام الملك المظفر الغالب بالله . وبعد محنة عظيمة تعارفا وتناثرت عليه الاموال وأرجعوه لبلده معززاً . وصادف مجيئه في عرس زوجته الثانية . وزوجته الاولى وأولاده في أفقر حال لابسون الفرو ، ففرحت بمجيئه الأقارب والجيران وكانت تلك المسألة سبباً في رياسته للشعب .

طلبت الاسماعيلية منه توحيد العقيدة، وجرت المذاكرات بينهم في صافيتا ، ولكن افترق الجمعان دون الوصول الى اتفاق .

ثم تصالح حضرة الشيخ حاتم الطوباني الجديلي مع السلطان أبي الفدا الملك المؤيد عماد الدين . وهذا نسبه : عماد الدين اسماعيل بن الأفضل علي بن المظفر محمود بن المنصور محمد بن عمر بن شاهنشاه بن أيوب . ويقال لعائلته (بيت تقي الدين) وبعد مدة رجعت احفاده للمذهب الحنفي كما حصل لبقية العلويين في حماه .

واسماعيل ابو الفدا من أعظم المؤلفين في الاسلام . وكتابه « معجم البلدان » كان اكمل كتاب للجغرافيا في عصره . فقد بيّن فيه خرائط القطعات المعلومة في الارض ، ونظم كتابه

على الاقاليم بصورة الجـــداول ، وبيّن فيه درجات الطول والعرض .

وفي مقدمة كتابه ابان بالتفصيل الجغرافيا الرياضية كما هو متبـع في زماننا هذا، وذكر البحار والجبال.واختار الاطناب في تفصيل سوريا .

أما تاريخه المسمى « تاريخ ابو الفدا » فهو يستحق ان يسمى تاريخ الاسلام .

كانت ولادة إسماعيل في سنة ٦٧٢ ووفاته في سنة٧٣٢ .

* * *

وبعد الشيخ حاتم الطوباني كان الرجل الاشهر في السياسة الملية هو الرجل العظيم الشيخ حسن الاجرود وبالأحرى نقول انه لا يوجد رجل سعى في اتحاد العلويين لمـا فيـــه خيرهم وصالحهم أكـــثر من الشيخ حسن الاجرود المعروف باسم (امير الجماعة) .

ساح حسن الاجرود بين الشرق والغرب في بلاد العلويين مدة طويلة . واكتسب افكاره الصحيحة من مشاهـداته . وبعد اقامته في عانه رجع لوطنه وسكن في قرية « آدار » ، ولسبب اقامته في العانـــه يسمى « العاني » واكتسب نفوذاً عظيماً في قرية آدار ثم رحل وسكن في اللاذقية ولكن لم يهدأ باله من وجود الخلاف بين العلويين في المنطقة . واختار السفر بحراً لمصر ، وفي يوم وصوله استقبله شيخ المشايخ العلوية

في مصر « البلقيني » وأحضره حالاً لعند (الملك العادل أبي النصر تراق برسباي) العلوي، واستحصل على الأوامر اللازمة المتضمنة استقلال جبل النصيرة تحت رياستـــه . وأتى بها لطرابلس التي كانت مركزاً للولاية ، وواجه الوالي « طرباي » وهذا بلغها للاذقية في سنة ٨٣٦ .

ان قبر حسن الأجرود هو بقرب حي العلويـين في تلك الأيام ، أي فوق محلة الشحادين ، وعلى التل الذي هو بجانب قبر أبي الدرداء . ويعرف باسم (قبر أمير الجماعة) .

• • •

كان استولى الملك الظـاهر بيبرس في سنة ٦٦٧ على قلعة البلاطونس التي كانت في يد صاحب قلعـة صهيون عز الدين عثمان الاسماعيلي . وفي سنة ٦٦٨ أخذ أعظم قلعـــة عند الاسماعيلية وهي مصياف بمظاهرة العلويين له . وكذلك عند مراجعة العلويين له وبمعاونتهم استولى على حصن الأكراد وعلى عكار ، ووقع شيخ الاسماعيليـة الشيخ خضر في الأسر عند الاستيلاء على القدموس. ولكن الملك الظاهر بطلب من العلويين احترم الشيخ وأحسن له وأسكنه في الشام حتى وفاته .

وفي سنة ٦٨٤ حـــاصر (الملك المنصور ، سيف الدين قلاوون) قلعة المرقب واستولى عليها صلحاً وأجلى الاسماعيلية عنها إلى محلات أخرى .

وفي سنة ٦٨٨ أخذ بلدة طرابلس من يد الصليبين. فانتقل المسيحيون منها لجزيرة أرواد . ولكن غارت العساكر المصرية

على الجزيرة وهي راكبة على خيلها سابحة حتى وصلت لأرواد وقتلوا من فيها من الذكور وأسروا النساء والصبيان .

وكان الصليبيون قـــد اغتصبوا طرابلس من الاسلام في سنة ٥٠٣ وبقيت في يدهم ١٨٥ سنة .

وكانت طرابلس وعموم ملحقاتهـا علوية محضة . وهؤلاء مديونون في استخـلاصهم إلى السلطان (الملك المنصور سيف الدنيا والدين القلاوون) الصالحي .

وابن قلاوون أي (الملك الأشرف) اســترد أولا عكا وبعدها صيدا ثم بيروت ثم طرطوس من الصليبيين ، ولم يبق محل للصليبيين في السواحل والبلاد العلوية في سنة « ٦٩٠ » .

في سنة ٦٩٩ هجم التاتار على الشام ومقدار عسكرهم ماية الف. فقابلهم سلطان مصر العلوي الملك الناصر ومعه عشرون الفاً ، فغلب باول الامر . واستولى ملك التاتار « غـــازان شاه » على الشام . وبقيت قلعتها في حال المدافعة . ثم جهز الناصر جيوشه العلوية وهجم على الشام وسحق عساكر التاتار .

وهذا الملك الناصر أصله من العلويين الساكنين في كرك . والثانية ملوك من بعده الذي تملكوا على مصر هم أولاده .

استيلاء العلويين على كيليكيا

– وآل رمضان في اطنه –

٧٨٠ — ٩٢٠

قلنا ، تبعت قبيلة قابي خان التركية جريان سيل التاتار وجاءت من جهات خراسان للغرب، ورحلت من محل إلى آخر تائهة من شر التاتار . وعند عبورها نهر الفرات بجانب قلعة جعبر ، غرق رئيسها وهو سليمان شاه جد العثمانيين وتفرقت قبيلته على أربعة أقسام. منها قسمان كبيران وآخران صغيران .

والقسم الأعظم رجع لخراسان ولم يعد يذكر ، والثاني داوم على سيره للشمال وأسس الدوله العثمانية المعظمة . والقسم الصغير كان عبارة عن سبعة عائلات كبيرة وهي تنسب لعشيرة « اوج اوق » أي « النشابات الثلاثة » ، وهؤلاء ذهبوا للغرب مع جميع عائلاتهم واتباعهم ومواشيهم وسكنوا في بر اطنه . وهؤلاء السبعة هم . « يوره كير ، قوسون ، وارساق ، قره عيسى ، أوزر ، كوندوز ، قيش تمور . »

وقد انتخبوا من بينهم يوره كير رئيساً عليهم. وهذا راجع الأرمن في أطنة ، فسمحوا له برعي المواشي في سهل أطنه

ومصيصة الذي كان قد اصبح خالياً من توالى تعديات الصليبيين وبعد يوره كير انتقل هذا الحق لابنه (رمضان بك) وكان يسكن في الشتاء في سهل أطنه ، وبالصيف يرحـــل لجهات كولك هو وقوسون .

وكان قيش تمور يسكن في الشتاء في سهـل طرسوس وفي الصيف في جهات جبل البلغار . وكوندوز يسكن في الشتاء حول مصيصة وفي الصيف في جبالها . فكان السهل كلـــه في ايديهم . ولكن لم تكن لهم قدرة لنزع البلدان من يد الارمن. وقد دامت تلك الحال خمسين سنة .

وفي هذه المدة جاء العلويون المصريون وحاصروا قلعةاياس وفتحوها ، وتحصن الارمن في القلعة الصغيرة الواقعة في قلب البحر . فنصب العلويون المنجنيق عليها ورموها بالحجارة من بعيد ، وتجاوز العلويون على قلعة البحر من الطريقين الدقيقـين على جانبيها .فهرب الارمن راكبين في قوارب صغيرةواضرموا النار في القلعة في سنة ٨٢٢ .

هذه الحادثة نبهت الاتراك آل رمضان لاجلاء الارمن عن المدن في كليكيا . وكان رئيسهم داود بن اوزر بعـد ابيه ، فراجع هذا (الملك العادل ابا النصر برسباي) سلطان مصر العلوي فاجابه الى طلبه وأنجده حتىاستولى علىجانب منالبر ، وأمااولاد كوندوز فبعد ما ساعدوا العلويين على الاستيلاء على على حوالي اياس هـــاجروا لمصر ولم يبق لداود سوى لقب (الامير) اي كانت السلطة لقائد جيش العلويين في سنة ٨٣٠.

وقد أيقظت هذه الواقعة أولاد عمومته . واستمد رمضان بك من العلويين المساعدة واستولى على اطنة ومصيصة من الارمن .

كان العلويون نصبوا خيامهم في شمالي اطنة على ضفة نهر سيحان ، وكان من اعظم قوادهم الشيخ ابراهيم الجبلي من قصبة جبلة ، وقد دفن بعد شهادته على ضفة النهر ، وقبره الآن على رأس الجسر الحديدي شرقي محطة بغداد في اطنه .

وقد راجع أولاد قوش تيمور قواد العلويين والتجأوا لشجاعتهم ، وهؤلاء أمدوهم حتى ضبطوا بلدة طرسوس الشهيرة من الارمن . وفاتح طرسوس الشيخ محمد البيادري المعروف باسم محمد ابن فلاح ، وقد استشهد داخل باب سور طرسوس ، وكان مشى سبع خطوات بعد ان فتح الباب ودفن في مشهده ، وليومنا هذا مزاره معمور عند الباب الحديدي (تيمور قبو) .

كان السلطان العلوي برسباي الدقاقي أخذ جزيرة قبرص من يد المسيحيين ، الذين اتخذوا التجاوز على السواحل العلوية مهنة لهم . وقد وقع ملك قبرص في يده أسيراً وأعاده بشرط اعطاء الجزية . وبعد تلك الوقعات استولى العلويون مع أتراك آل رمضان على قلاع سيس الجبلية ومصيصة وكولك ، وهذه القلاع بأجمعها كانت قبلاً مواطن للعلويين وتسمى العواصم ، وعندما استرجعت العواصم جعل رمضان بك اميراً عليها ، وبذلك يكون العلويون قد عادوا لأوطانهم التي أخذت منهم في الهجمات الصليبية .

وبعد مدة اعلن احمد بك من أولاد رمضان بك عصيانه على سلطان مصر واستقل في الامر . وصار بعد احمد بك ابنه إبراهيم أميراً على أطنه ثم عزله سلطان مصر وعيّن محله حمزه بك لإمارة أطنه . وقد حصلت بعض الحروب بين حمزه ومعارضيه ، وقتل هو في الحرب وتعين داود بك من آل رمضان أميرا سنة ٨٨٥ .

توفي داود بك في الحرب وبقي ابنه في محله أميراً للبلد ، ودامت إمارته ٣٤ سنة. وبنى في أطنه الجامع الكبير وعمارته ومدرسته ، وكان البناؤون للجامع ومأذنته من أمهر الصناع في مصر . وحصل بعض الخلاف لأجل الجامع ما بين العلويين والأتراك ، وقصة هذا الخلاف متواترة على ألسن الناس ليومنا هذا في أطنة .

بعد وفاة خليل بك صار ابنه محمود بك أميراً لأطنه. وهذا اشترك في العداء للعلويين وقابلهم بالسوء واشترك في حركات السلطان سليم في قتال العلويين وسافر معه لمصر . وقتل العلويين في كليكيا بعد ان مكثوا في خدمة الاتراك واستخلاصهم من الأرمن مدةماية وأربعين سنة. وهذا هو المحو الثاني للعلويين من بعد اهل الصليب .

والعلويون الذين بقوا في كليكيا التحقوا بالشعب التركي سنة ٩٢٢ .

وقتل محمود بك المذكور في مصر ونصب مكانه بيري بك وتوفي بيري بك سنة ٩٧٠، وهذا الذي بنى في اطنه البدستان

اي السوق الكبير وجامعه المشهور والسراي الكبيرة الشبيهة (بالكاروان سراي) .

في ايام السلطان سليمان القانوني نصب أميراً على اطنه ابن بيري بك وهو درويش بك . وبعد ستة أشهر توفي ونصب مكانه أخوه ابراهيم ، ثم ابنه محمد بك .

مرت السنون الطوال وأصبحت كليليكيا كأنهـــا خالية خاوية ، والعلويون يتحسرون على اوطان أجدادهم . وفي سنة ١١٨٥ هاجر بعض العلويين من انطاكية لأطنه ، وكثر الذين التحقوا بهم الى هذه الأيام ، فأصبح ثلث سكان البلد من العرب العلويين . وهذه المرة الثالثة لسكناهم بها . ولكن لم يحصل بينهم وبين العلويين الأقدمين رابطة دينية ، لأن العلويين الذين حافظوا على عقيدتهم نسوا العربية والطريقة العلوية .

التيمورلنك

حباً في التخلص من نوايا العرب ، كان العباسيون يعتمدون الاتراك ، فازدادت شوكة الاتراك لأن العباسيين لم يعتمدوا إلا عليهم . وبعد أفول سلطنة بني بويه الديلمية ازدادت شوكة الاتراك واكتسبت دولة السلاجقة شكلاً سياسياً عظيماً ، كان لكل فرع من السلاجقة أهمية أعظم من الآخر . ولكن المهاجرة التركية لم تخلص اليافثيين من الاضطرابات . ولأسباب خفية اضطرب اليافثيون في الشمال وحصلت في بلادهم حركة لم يسبق لها مثيل ، فكانت بلادهم لا تستوعبهم ونزحوا تباعاً لجهة الغرب .

كان مجيء الاتراك في الاول بطيئاً وبالتدريج ولم يحصل منه مضرة عظيمة . أما مجيء التاتار فكان جارفاً يخرب ما أمامه، وزحفهم كان فاجعة تامة على البلدان.

وأعظم رجل في هذا الدور هو تيمورلنك ، اي التيمور الاعرج المشهور .

تنتسب ام التيمور لجنكيز التركي المشهور وأبوه من بـلدة (القش) في جهات بخارى .

جاء تيمورلنك بجيوش لا يعرف مقدارها واستولى على الغرب وفتح بغداد وحلباً والشام في سنة ٨٢٢ و ٨٨٣ .

ما قصدنا من ذكر تيمور الاعرج إلا بيان مـا يتعلق من تاريخه بالعلويين ، ونحن نقول ان تيمور كان علوياً محضاً من جهة العقيدة . فانه عدا عن المباحث التاريخيه ، يوجـد له (أشعار دينية) موافقة لآداب الطريقة الجنبلانية . وأسباب دخوله في الطريقة هو ذهاب العلوي المعظم السـيد (بركة) من خراسان الى الامير تيمور وهو في بلدة بلخ العلوية . وقد جلس تيمور على سرير مملكة بلخ وعمره ٣٤ سنة .

وداوم التيمور في الاستيلاء على البلاد ، وشيخه السيد بركة يبشره بدوام فتوحاته حتى جاء لبغداد وأخذها من يد السلطان أحمد ، أراق الخمور ومنع الملاهي والمقاهي منها . وأخذ من كان من ارباب الصنائع في بغداد لسمرقنـــد . واستولى على الموصل سنة ٨٩٦ وبنى بها مراقد الانبيـــاء جرجيس ويونس عليهما السلام . وجاء للرها واغتسل بمحل النبي إبراهيم . وجاء لماردين وأعطاها الامان ، وأخذ آمد السوداء أي دياربكر ، وحصنها من أشهر القلاع المتينة ، واستولى عليها في مدة اربعة ايام . وسافر لبلاد الروس والقريم حتى تملك البلدان إلى بحر الظلمات شمالاً ومن الجنوب حتى الهند .

ثم أخذ عينتاب والتجأ اميرها لحلب . وعندهـــا ارسل الخليفة تحاريره لجميع الملوك والأمراء الاسلامية بأن يسعوا في إمداد حلب . وجاءت لحلب القوات الإمدادية من كل جانب وأكبر قائداً فيها نائب الشام سيدي سودون . ومنهم نائب طرابلس الشيخ الخصكي ونائب حماه الدقماق ونائب صفد طنبغا ونائب غزة عمر بن الطحان، وبقية الجيوش من كل بلدة ويرأس عسكرها نائبها. أما نائب حلب فهو الامير الملوي (تمورطاش) والحلبيون تحت أمره .

اجتمع القواد حول حلب وعقدوا بينهم مجلساً للاستشارة فالبعض أشار بالمدافعة داخل القلعة . والبعض ارتأى المدافعة بالخارج ، حتى إذا توجـــه تيمور لبلدهم يكون لهم فرصة للفرار والالتحـاق بأوطانهم ، ودخلت بينهم السياسة الدينية ، وقرروا البقاء خارج حلب ، حتى يتمكنوا عنـــد الحاجة من الفرار ويتركوا حلباً وشأنها مع تيمور .

فتأثر تيمور طاش من تلك النوايا الفاسدة وخابر تيمورلنك خفية واتفق معه .

أرسل تيمورلنك رسولاً إلى حلب يدعو أهلها للطاعة . ولكن سيدي سودون اي نائب الشام قتـــل الرسول قبل ان يبدي كلمة . وتفوّه بكلمات ملؤها العجب مظهرا في نفسه الاقتدار للمدافعة .

ثم جاء تيمور لحلب بغتة وأظهر مقدرة قاهرة فمنع إمكان الفرار المنوي . وتزاحمت العساكر الغريبة في الدخول للبلدة

خلافاً لما تقرر بينهم . وكثر الازدحام إلى درجة صارت فيها الابواب لا تتسع للهاربين والناس يــــدوسون بعضهم ، وقد انسدت الابواب من الاجساد ، وقتل الالوف من الناس.ودخل تيمور لحلب عنوة . وكان أعاظم العلويين والأمراء والاشراف وخواص العلويين ملتجئين لداخل القلعة .

راجع تيمور أحد قواده وهو قريب الرسول المقتول من قبل سيدي سودون ظلماً، وطلب الرخصة في أخذ الثأر فأذن له فأمعن في القتل والنهب والتعذيب مدة طويلة حتى أنشأ من رؤوس البشر تلة عظيمة وقد قتل جميـع القواد . وانحصرت المصائب بالسنيين فقط .

وبعد ذلك طلب تيمور علماء أهل السنة ويرأسهم المفتي السني (ابن الشحنة) . وبعد مراضاته لأهل السنة ومذاكراته العلمية معهم سأل ابن الشحنة عن الخلاف ما بين معاوية وعلي . فقال القاضي علم الدين المالكي : (هؤلاء اي علي ومعاويةرضي الله عنهما من المجتهدين) فغضب تيمور من هذا الكلام وصرخ قائلا : (معاوية ظالم ويزيد فاسق ، وأنتم يا اهل حلب تتبعون أهل الشام الذين قتلوا الحسين) ولكن‌تدارك ابن الشحنة الامر وقال لتيمور ان القاضي يتكلم بكلام لم يفهم معناه .

ثم سافر تيمور الى الشام وهو كمصيبة سماوية .وقبل سفره جاءت اليه العلوية (درة الصدف) بنت سعد الانصار ومعها

اربعون بنتاً باكراً من العلويين وهي تنوح وتبكي وتطلب الانتقام لأهل البيت وبناتهم اللاتي جيء بهن سبايا للشام . وسعد الانصار هذا هو من رجال الملك الظاهر وهو مدفون بحلب وله قبر تحت قبة . فوعدها تيمور بأخذ الثار ومشيت معه حتى الشام والبنات العلويات معها تنوح وتبكي وينشدن الاناشيد المتضمنة التحريض لأخذ الثار . فــكان ذلك سبباً للشام بمصائب لم يسمع بمثلها وتكرر القتال بها .

كانت الشام مصونة من التعديات الصليبيــة . ومن بعد الصليبيين لم يطرأ خلل على رفاه الشام . وتوسعت البلدة لجسر التورة الكائن ما بين دوما وقلعــة الشام . وعند استيلاء تيمور عليها اندثرت ثروتها وشهرتها المشعشعة وأفلت حضارتها وعدمت صناعتها .

قضى تيمور على مدينة الشام وتخلص من كان لاجئاً في القلعة ودام القتل في الخارج حتى جاء اهل حلب العلويين واشتروا دم اهل الشام بثمن هو احذية عتيقة حسب طلب تيمور .

وبعد اعطائهم الأمان كلفهم تيمور أن يزوجوه بنتــاً من أعيان بلدهم ، وعند استحضار العروس أمر بأن يمروا بها في الأسواق وهي غــير مستورة . وعند مخالفتهم له اجابهم : (إذاً كيف صح لكم المجيء ببنات الرسول مكشوفات ؟) وأمر بقتل أهل الشام ثانية .

ثم سأل أهل الشام عن محي الدين العربي . فقالوا له انه

قال لهم : (يا أهل الشام ! معبودكم تحت قدمي) وهو فوق مزبلة . وانهم قتلوه جزاءاً لكفره . فذهب تيمور للمزبلة وأزالها ورأى تحتها الخزائن المقصودة من كلام حضرة محي الدين فاغتنمها .

ولم ينج من قتل تيمور في الشام إلا عائلة واحدة من المسيحيين .

وأمر تيمور بقتل السنيين واستثناء العلويين . ولكن سمع انه قتل بالغلط الرجل العظيم (الشيخ أحمد قرفيص) وعند ذلك أمر بمنع القتل حتى عن السنيين .

• • •

ومن بعد الشام ذهب تيمور لبغداد وقتل بها تسعين ألفاً .

وجاء تيمور للاناضول ومحى الحكومة العثمانية بعد الحرب مع السلطان بايزيد بقرب بلدة انقرة . ثم نزل لساحل البحر على ازمير وسد البحر عليها ، أي ملأ البحر تراباً . وأخذ ازمير المسيحية وقتل أهلها وبنى قلعة من رؤوس البشر بها وبقيت الحكومة العثمانية إحدى عشر سنة بدون سلطان وتسمى تلك المدة « فاصلة السلطنة » .

السلطان سليم (ياووز)

كانت وقعة تيمور تشبه السيل . ومن نكد الأيام ان حركات تيمور جددت النزاع بين السنيين والعلويين ، ذلك النزاع الذي كان منسياً بعض النسيان . فمصيبة تيمور بدلاً من ان تمحو هذا النزاع من أساسه جددته ، فكانت مثل العاصفة التي تزيل الرماد وتزيد اللهيب . ونشأ عند الفريقين حب الانتقام . وذلك من سيئات سياسة السلطان سليم التركي العثماني .

• • •

هجم السلطان سليم في باديء الأمر على بلاد الفرس الجعفرية ، وملكها الشاه اسماعيل الصفوي . ومعه مائة واربعين ألفاً . ولكن حينما رأى أن الشاه اسماعيل سحب رعاياه لأعالي الجبال وأخذ معه الأغلال والمأكولات . أبقى السلطان سليم اربعين ألفاً في جهات سيواس . ولكن من قلة الزاد اضطربت العساكر ورموا الرصاص ليلاً على خيمة السلطان سليم . ودامت الحال حتى وصلت الجيوش التركية الى سهل « جالديران » ، وفي نتيجة الحرب هرب الشاه

اسماعيل الشيعي ودخل السلطان بلدة « تبريز » ، ولكن لم يتوفق السلطان لسحق بلاد الفرس الشيعية من قلة الزاد . فسأل عن ذلك فأخبروه بأن مصر العلوية تساعد الفرس الجعفرية ، وقد قطعت تسفير الأغلال من بلادها ، وهي بلاد كليكيا وحلب حتى بلاد ذي القدرية التركية العلوية .

فشبت الحرب بين مصر والعثمانيين والتقى الجيشان في مرج دابق بجوار حلب . وكان السلطان على مصر (محمد قانصو غوري) . وفي الحرب غلبت العساكر المصرية وهرب السلطان الغوري لبلاد العلويين واختفى في الجبل . وعشيرته اليوم تسمى المحارزة ودخل السلطان سليم لحلب العلوية . واغتنم بعضهم الفرصة وراجعوا السلطان سليم وشكوا من العلويين الذين تسببوا لقتال حلب والشام في أيام تيمور الأعرج . مع ان السلطان تيمور كان قد استجلب قلوب بعض العلماء بالعطايا والرواتب . ورأى السلطان سليم نفعاً سياسياً في قتال العلويين وأخذ من بعض العلماء الفتوى المشهورة لقتال العلويين أو الكفرة ... الى آخره وفيها من التجني والبهتان الشيء الكثير ، وكانت نقطة سوداء سيحاسبهم الله عليها .

وهذه الفتاوى كانت سبباً لوقعة الكرخ البغدادية ، حيث هجم أهل الرصافة أي نصف بغداد على النصف الثاني وهو الكرخ ونهبوا أموال العلويين وسبوا نساءهم وقتلوا كبارهم . مع أن علماءهم لم يستندوا في تلك الفتوى على شيء يلائم روح

الشريعة الاسلامية وفسروا هذه الآية تفسيراً جاهلاً :« فقاتلوا التي تبغي حتى تفيء إلى أمر الله » وهذه الآية الجليلة لا توافق في ذلك القتال . لان العلويين كانوا تحت حكم دولتين علويتين مستقلتين . فلم يكونوا خارجين على السلطان . وعلى الخصوص هذه الآية بحق المسلمين ، مع ان الفتوى تتضمن بغي وكفر وإلحاد العلويين . فالآية هي ضد الفتوى ولا تكون دليلاشرعياً يؤيد مشروعية القسوة المطلوبة .

يحق للعلويين الافتخار بانه ليس لديهم فتاوي كهذه ، ولا يوجد في تواريخهم نقط سوداء تشابه ذلك القتال . والسلطان تيمور الاعرج كان في كل البلدان يسترضي علماء أهل السنة بعد أن يجادلهم في وجوب لعن معاوية وابنه يزيداً . وحركة تيمور شخصية محضة يعقبها العفو .

وكما ذكرنا سابقاً في وقعة الكرخ ، ان هذه الفتاوى كانت سبباً لنهب العلويين واسترقاق نساءهم وذراريهم ، وحينئذ جمع السلطـان سليم في حلب عموم الأمراء والمشايخ العلويين بحجة أنه ينوي أن يعطي لكل من له نفوذ منهمأو سلطة على عشرة أنفس ، أمراً يثبت فيه صبغته وسلطته رسمياً ويصادق على وظائفهم . فجاء الأمراء والمقدمون والمشايخ العلويين من كل جانب حتى اجتمع اليه تسعة آلاف وأربعمائة رجلاً منهم . فقتلهم بموجب تلـك الفتوى ثم أمر بقتل العلويين باسم الدين !!...

فبعد قتل جميع الرؤساء وفرار السلطـان غوري ، بقي العلويين في حيرة وتاهوا شاردين في البراري ، والجهلة يتبعونهم مع الجيوش التركية المنتظمـــة . كان العلويون يهربون صوب جبل النصيرة والقوات المنتظمة تتبعهم وتقتل من تظفر به منهم . وقد قتل في تلك الوقعة عدا عن الامراء والمشايخ أربعون الفاً من العوام في حلب وحدها ! وعمت البلوى بين علويي ديار بكر وماردين والعواصم ثم بلاد ذي القدرية العلوية التركية وبقية الاناضول . والعلويون الذين لم يلتجئوا لمذهب الشافعي كانوا يقتلون عن بكرة أبيهم . والعلويون الذين هربوا لجهات جبل النصيرة سمـــاهم الاتراك (سوروك) وهي لفظة تركية بمعنى المنفيين أو المساقين ، واستعربت تلك الكلمة واستحالت لكلمة (سوراك) وسمي العلويون مدة طويلة (سوراك والسواريك) وجبلهم يسمى « جبل السوراك » ويوجد اليوم بعض الحلبيين في أقضية صهيون والعمرانية وصافيتا يسمون بهذا الاسم .

ثم ازدادت المظالم على العلويـين في حلب لدرجة أصبح العلوي الذي تشك به زوجته لا يري وسيلة للتخلص من التعذيب إلا الانتحار ، لأن التوبة لا تقبل حسب الفتوى .

• • •

رأى السلطان سليم مناعة جبل النصيرة، وتحقق لديه أنه لا يقدر أن يمحو العلويين منه إلا بعد مساعي جدية ومدة طويلة

تمنعه عن الزحف على مصر . والحقيقة لم تكن حركته في قتل العلويين إلا سياسية محضة ، وهي توصلاً لنهضة السنيين معه . فلذلك استجلب العشائر التركية من جهـــات الأناضول حتى خراسان وقدرها تسعون الف خيمة . اي أكثر من نصف مليون من الأتراك تقريباً . واسكنهم في القــلاع في جبال النصيرة او المواقع المرتفعة او الغنية فيه . وكان القصد من ذلك تسليط العشائر التركية على العلويين لكي يمحوهم . وهذه الوقعة فتحت باباً لدور الفترة في الجبل .

سكن الأتراك على الأكثر في جهات قلعة ابي قبيس وقضاء العمرانية وجبل الحــلو . والقصد من ذلك ان يمحو العلويين ويؤمنوا طريق مصر . وسكن الاتراك ايضاً في جهـــات بشراغي وقرية سيانو وقلعة بلاطونس وحوالي صهيون والباير والبوجاق ، وقصبة جبلة أصبحت تركية محضة هي وحواليها، أي المحـــلات التي يسكنها اليوم عشائر بني علي والكلبية . واستولى الاتراك على جميــع سهل جبلة وعلى حوالي اللاذقية ، وهجموا على العلويين في اللاذقية ، وكانوا يسكنون غربي القلعة وجنوبيها حتى ميناء البحر ، والميناء كانت كلها بين حي العلويين ، فاضطر العلويون للهرب صوب البحر ، ولكن دام التسلط عليهم حتى غرقوا في البحر تمامـــاً ولم يبق اثر من العلويين في اللاذقية سوى مقابر الأجداد في البلد لا بل ادعى بعضهم بالقبور . وهكذا كان في جبلة . مع ان اللاذقية كانت اعظم مركز للعلويين في الزمن الأخير .

واتماماً لمشروع القتل والمحو جاء السلطان سليم بذاته ومعه ثلاثون الف جندي لما بين اللاذقية وانطاكية العلويتين، ونصب خيامه في الوسط ، ولذلك سمي محل خيامه (اردو) ومكث فيها عشرة ايام . واسكن في الاردو وحواليها اتراك كاخ .

ترك السلطان سليم جبل النصيرة وشأنه وسافر للشام ثم لمصر . وكما يعلم أهل التاريخ ، كانت قساوة قلب السلطان سليم مشهورة حتى سموه (ياووز) ، وكان يقتل وزرائه ويعين غيرهم عند أقل غلطة او عند ظهـــور رأي مخالف لرأيه الخـــاص .

* * *

سمى الأتراك قلعة ابي قبيس (قارتال قلعه سي) وجبل ابو قبيس « قارتال طاغي » اي قلعة النسر وجبل النسر ، وكانت مركزاً للحكومة التركية . وبشراغي هي معربة عن لفظة (بشير آغا) . وسموا قلعة المهالبة « مورسال قلعه سي » فتعربت للفظ « قلعة المرسالية » وهلم جرا .

كان جبل العلويين فقيراً لأنه لا يحصل فيه ما يكفي لاهله من المأكول . فكان اسكان نصف مليون فيه سبباً لقـــلة الأمنية والمجاعة .

وجهات ابي قبيس مع جهات جبلة رديئة المناخ، والأتراك معتادون على الممالك البـــاردة والمناطق الثلجية ، فدهمتهم الامراض وضايقتهم المجاعة ، وهجم عليهم العلويون المتحصنون

في شواهق الجبال ، وكانوا يتحسرون على اوطانهم وارزاقهم وقد ضاقت عليهم سبل المعيشة فلم تمر خمسون سنة الاوهلكت معظم الاتراك وسلموا الاوطان للعلويين .

وسنذكر بعض الوقائع في مباحث العشائر العلوية . حتى لم يبق من الاتراك في يومنا هــذا الا خمسة عشر الفاً ، وهم في جهات الباير والبوجاق وحصن الاكراد وحذور ، وقليل منهم في قريتين في ساحل اللاذقية وهما قريتا برج اسلام والصليب التركمان .

وعلى ما يظهر كان بعض الاتراك الخراسانيون علويــين . ولما كان مركز الاتراك في قلعة ابي قبيس المسماة « قارتال » في التركية . وتعرب ذلك الاسم بين العلويين بصورة « قرطل » فتسموا الاتراك العلويين الخراسانيين « قراطلة » فهؤلاء القراطلة من حيث العقيدة التحقوا بالعلويين العرب وتفرقوا بين العشائر وهذا يدل على تفوق العصبية العربية وقدرتها على دغم غيرها بها ، دون الاتراك .

والاسماعيليون تمسكوا بخطتهم القديمة وجعــلوا انفسهم حلفاء للاتراك القويين والحكومة التركية المالكة . حتى انهم مع قلة عدد افرادهم تملكوا القلاع الموجودة في المنطقة .وتزيوا بزيّ الاتراك واختبأت نساؤهم تحت الازار تشبهاً بهم .

وهذا الرجل السلطان سليم التركي الذي قتل العلويــين في حلب ، مع انهُ لا يوجد عليهم تهمة سوى البغض للامويــين

وكونهم علويين ، ذهب اخيراً للشام وهدم تربة يزيد التي كانت بتلك الايام مظهراً للتوقير والاحترام ، واخذ عن القبر الشبكة المصنمة ووضعها على قبر العلوي المظيم محي الدين العربي ،الذي كان قبره مزبلة لذاك الوقت ، وعمر تربته وزينها ، فكأنه اثبت قول حضرة الشيخ العلوي المشار اليه اذ قـال : (اذا دخل السين في الشين ظهر قـبر محي الدين) . وعند دخول السين اي سليم للشين اي الشام ، ظهر قـبره واصبح كعبة الاحترام .

وكأن السلطان سليماً في احترامه لشيخهم وسيدهم اعطى العلويين ترضية عوض بها عن قتله مئات الالوف بل الملايـين منهم . وما حركته هذه الا سياسية ايضاً . لان محي الدين الذي هو بذاته كان يفدي نفسه بالاحترام لاهل البيت ،كانت مقبرته عبارة عن مزبلة الى أيام المرحوم السلطان عبد الحميد الثاني . ولم يهتم بها السلطان سليم في الشام .

• • •

بعد اختفاء السلطان غوري في جبال العلويـين انتخب الأمراء والعساكر المصريون احد أقاربه (طومانباي) عوضه سلطاناً عليهم . وداوموا على الحرب مدة ، ولكن التقديرات الالهية ساعدت السلطان سليم فعبر صحراء التيه بسهولة لم يسبق مثلها من كثرة الامطار واستولى على مصر تماماً . وانقرضت حكومة المماليك العلوية . وتحقق قول الجفر ان لفظة (كظ) هي تاريخ لزوال ملك العلويين سنة ٩٢٣ .

وآخر الخلفاء العباسيين في مصر وهو المتوكل على الله، ترك حق الخلافة للسلطان سليم التركي . ومن ذاك اليوم اكتسب سلاطين آل عثمان عنوان (خادم الحرمين الشريفين) .

مع ان الحرمين الشريفـــين لم يزورهم أحد من الخلفاء الاتراك .

نصب السلطان سليم خيري بك العلوي نائباً على مصر . وأدخــل الجراكسة الذين هم علويون للجيش العثماني ، كأنه لم يكن له عـــلم بتلك الفتوى ، وقتل وزيره الذي أشار عليه بضبط أوقاف العلويين . وأبقى الاوقــاف العلويية في مصر تحت أمر خيري بك المذكور حسب طلبه .

ولكن يا للاسف ، كان العلويون في مصر قبل مجيء السلطان سليم يسمعون بمصائب أخوانهم في حلب فيخرجون عند قربه لمصر . وخوفاً على أرواحهم هاجر أغلب العلويين لافريقيا الغربية . ويقولون ان أول قافلة من الهاربين كانت مقدار ستة آلاف عائلة . وقد تكتمت الاكثرية تحت كسوة الشافعية .

وكانت مصر العلوية التي حافظت على قناعتها الدينية من أيام مقتل عثمان لذاك اليوم خسرت عقيدتها . وفي يومنا هذا لا يوجد عدد يذكر من العلويين في مصر التي بقيت تسعماية سنة علوية .

* * *

من السجايا التي يتصف بها الاتراك ، أنهم ينسون حالاتهم الماضية باقرب وقت . فقد ترك السلطان سليم نصف مليون من الاتراك تجاه العلويين العرب . وهـــذا أعظم دليل على عدم اصابته في رأيه ، لانه أضــاع من الاتراك نصف مليون وقتل عنصراً مخالفاً للذين يجب احترازه منهم، وكان الاولى أن يبقيه ويستخدمه في غايته السياسية . ولم يبق في كليكيا علوياً إلا من التحق بالقومية التركية ، مع ان التاريخ أثبت لنا بان العلويين كانوا المسند الوحيد في كليكيــا ضد الارمن ، الذي كان يجب عليه الاحتراز منهم أكـثر من العلويين ، وسنأتي بالتفصيل على ذلك .

وعدم اصابته في رأيه أيضاً تركه الاتراك القراطلة في جبل النصيرة، وهو لم يفكر بالعصبية العربية ، حتى تسبب لهلاكهم أو على الاقل التحاقهم بالشعب العربي العلوي . ومـــا هذه النتائج إلا زلات سياسية تستحق الذكر في التاريخ .

(هذه من أصغر الزلات الصادرة من الحكومة العثمانية التي أضاعت الملايين من الاتراك في الروم ايلي) وهـــذا من جملة أسباب زوال الحكومة التركية وضعف العنصر التركي .

من الاكيد بحيء قدر خمسة عشر مليون تركي من بلاد الترك الاصلية إلى الاناضول ، مع أنه لا يوجد اليوم في تركيا أكثر من خمسة ملايين فرد تركيو الاصل، والبقية هم متتركون من أكراد وأرمن وروم وأرناووط الخ .

الخلاصة : ان السلطان الثامن من العثمانيين كان متعصباً شديداً واندفع اندفاعاً هائلاً ضد العلوية . فسحق أولاً حكومة (الشاه اسماعيل الصفوي) العلوية الفرسية . التي كانت تملك شرقي الاناضول مع بلاد فارس . ثم سحق حكومة مصر العلوية التي كان حدها جبال طورس شمالي كليكيا . ثم سحق عقيدة العلوية بين أتراك الأناضول ومنها حكومة ذي القدرية العلوية التركية . وعبثاً حاول المدافعة أمير ذي القدرية العلوي التركي ، بعد افول حاكمية مصر العلوية التي كان هو وأبناء رمضان الموجودون في اطنه تابعين لها .

فيكون (ياووز سليم) قضى على السياسة العلوية الفارسية والعربية والتركية بدون ان ينفع الاسلام أو السنية .

• • •

عندما هجم السلطان سليم على ممالك الشاه اسماعيل الصفوي ، كان عساكر الشاه اسماعيل يضعون على رؤوسهم كوفيات حمر . فلذلك سمى الاتراك هؤلاء العلويين (قزل باش) أي (الرؤوس الحمراء) .

وتزينت التواريخ التركية بكلمات تدل على قساوة السلطان سليم تجاه العلويين ! انه نكل بالقزل باش الاوباش والروافض وكأنه خدم الاسلام بأعماله هذه .


مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

الدور السادس

٩٢٣ – ١٣٣٠

من فتوحات السلطان سليم لابتداء الحرب العمومي

ان استيلاء السلطان سليم على البلاد العلوية عدا عن تأثيراته في الشرق ، انتج أيضاً أفول حاكمية العلويين حسب التنبؤ الموجود في رسالة العصمية (أو المصرية لانه كتبها أحـــد المصريين وهو في أيام عصمة الدولة البويهي .)

وأما قصد السلطان سليم من قتال العلويين فلم يكن إلا فكرة سياسية مشبعة بالتعصب . ولكن صادف ان تلك الفكرة اقترنت بحالة تحط من مقدرة الاسلام الحربية .

والعرب – علويين كانوا أم سنيين – هم أصحاب شعور وعصبية مفرطة . متمسكون بعاداتهم القومية ، ولسانهم الذي تفوق قدرته الاستيلائية على جميع الألسنة في البشر . ولسانهم هذا الذي ساعدهم حتى تملكوا جميع البلاد الاسلامية ، لا بل لتمثيل وهضم أمم كثيرة حتى ألحقوهم بالجامعة العربية .

والاتراك خلافاً لذلك ، فهم قوم لتفاوت المزاج متى جاؤا لبلد يلتحقون به ، أولاً بترك لسانهم ثم مذهبهم ويلتحقون بقومية الاهلين .

كان قتال السلطان سليم للعلويين في حلب عبارة عن الاستفادة من نقمة السنيين المتأثرين من جراء وقعة تيمور الاعرج . وهذه الاستفادة مكنته من التغلب على الحكومتين العلويتين العظيمتين السياسيتين . وهما حكومة المماليك البحرية العلوية وحكومة الشاه اسماعيل الصفوي ، واغتصاب اراضيهم وكان الهجوم على مصر لا يمكن الا في تأمين طريقها . واعظم خطر على الطريق هو جبل النصيرة الذي كان على الطريق ، وبه عشرات من القلاع ،وبعد استحصال الغاية وتأمين الطريق بصورة اسكان نصف مليون من الاتراك فيه ، لم يبق لزوم سياسي لمحو العلويين ، فنسي الأتراك فيه .

ولكن نسي السلطان سليم العصبية العربية وحبهم للانتقام. والعرب ورثوا حب الثأر ارثاً عن اجدادهم ، فهم متمسكون بالانتقام وأخذ الثأر ولو مرت عليه السنون الطوال !

وعلاوة على ذلك كانت المظالم والتعديات دائمة تجاه العلويين في حماه وحمص وطرابلس وحلب واللاذقية . وهذه التعديات تحرك عصبيتهم وتسوقهم لاخذ الانتقام باي طريق كان . وهذا امر طبيعي ؟!..

باشر الاتراك في حماه وحلب في اصول التعذيب بطرق ما

العلويون يسمعون بذكره . وهو جعل الوتد الطويل ذا انفين وركزه من جهة وجعل الانف الثاني في دبر المطلوب قتـله معذبـاً وهو شاقولي ويسحب الرجل من ساقيه حتى يدخل الوتد في جوفه ويبقى على هذه الحالة حتى الموت ا عدة ايام!

وبما ان الوتد لا يخرب في الجوف سوى الامعاء فلذلك لا يتوفى من أقعد عليه الا بعد ما يحصل الالتهاب في الاحشاء وذلك يولد اضطراباً لا تتحمله الشياطين . وهذا كان نصيب العلويين ! .

فاندهش العلويون الضعفاء المنهوكة قواهم والمحرومون من حق الحياة ! واسم هذا الوتد في التركي (قازيق) وتعرب لكلمة (خازوق) والعملية المسماة (قازيقلامه) اي الاقعاد على الخازوق لا تحتاج لمحاكمة او حكم ،بل كان رجال الحكومة مأذونين باجلاس من شاءوا من العلويين على الخازوق . وكانوا في باديء الأمر ، كل من احسوا بـه انهُ علوي يصعدونه لتلك المنصة ! ...

ولم تنحصر المظالم والتعذيب في اصول (قاز يقلامه)فاذا كانت الروح رهينة ذاك العذاب ، يمكن لنا التصور فيما كانت عليه بقية الحقوق والامور .

ثم رجع العلويون لشعور ابناء البشر الاولين . وكأنهـم تأخروا لدور الهمجية.وقويت بينهم التشكيلات الدفاعية بصورة

تعادل ادوار القرون المتقدمة . وانقسموا لقبائل وعشائر وبطون وافخــاذ . لأن هذا التقسيم كان الملجأ الوحيد الذي يساعدهم في المدافعة عن حياتهم وعلى الخصوص في أخذ الانتقام من ظالميهم .

فعليه رأينا من الواجب ان نبين في هذا الدور أحوال العلويين التي ساقتهم اليهـــا الطبيعة ، حتى التجأوا الى تلك الانقسامات ونسوا أنهم ملة واحـدة ، بل احبوا الانقسام لعشائر وافخاذ :

الكلبية – هي من اكبر العشائر واهلها ساكنون في قلب البلاد العلوية . ولها ذكر مخصوص .

النواصرة – وينسبون لجدهم ناصر .

الجهنيــة – اخذوا اسمهم من الأمير جهينة البغدادي .

القراحلة – ينسبون لمحل (قرن حلياء)

الجلقيّة – بما انهم جاءوا من الشام تسموا باسم الشام وهي جلّق واتحدوا مع الرشاونة .

الرشاونة – منشأهم قرية الرشية وهي في جبـل الشغرا غربي تل سلحب .

الشلاهمة – ينسبون لجدهم شلهوم .

الرسالنة – ينسبون لجدهم رسلان .

الجردية – لانهم اتخـــذوا شواهق الجبال مسكناً لهم تسموا بهذا الاسم .

الخياطية – كل العلويين القدماء اجتمعوا بهذا الاسم نسبة للشيخ على الخياط ، الذي تسبب في مجيء عشائر السنجارية الى المنطقة ، البرامكة والقبرصية والتنوخيين بينهم .

البساترا – هي قسم من الخياطية.

العبدية – هي عدنانية وقديمة في المنطقة .

البراعنة – هي فخذ من العبدية العدنانية .

الفقاورة – منشأهم قرية فقرو في جنوني مصياف أي العمرانية من العلويين الأقدمين .

العمامرة – يشترك نسبهم مابين العلويين القدماء والسنجارية والحلبية وينسبون لزعيمهم عمار .

الحدادية – ينسبون لجدهم المعلم محمد الحداد بن الامير ممدود السنجاري ابن اخ الامير حسن المكزون .

بني علي – ينسبون لجدهم علي أبو شلحة الذي كان في أيام الحكومة التركية . وهم جزء من الحدادية .

البشالوه – منشأهم قرية بشيلي .

الباشوطية – ينسبون لجدهم باشوط من عشيرة بني علي .

العتارية – ينسبون لجدهم ابراهيم عتار .

المتاورة – منشأهم قرية متوار وهي من أول المواطن للأمير حسن المكزون .

الحلبية – جاء العلويون الحلبيون ثلاث مرات لجبل النصيرة ، أولاً في أيام أبو سعيد الميمون أي عند استيلاء الروم

على جهات حلب ، ثانياً مع الأمـير حسن المكزون ، ثالثاً في أيام السلطان سليم التركي ، وهؤلاء هم السوراك .

الخرزجية } هم فخذان من الخياطية القديمة .
السوارخة }

النميلاتية — ينسبون لجدتهم نميلة وهي من عشيرة المتاورة.

السرابنـة — منشأهم قرية سرابيون .

الصوارمة — ينسبون لجدهم صارم .

المهالبة — ينسبون لأعظم جد للأمـير حسن المكزون ، وهو المهلب ابن أبي صفرا ، أي من أقدم العشائر .

الدراوسة — ينسبون لموطنهم الاخير وهو جبل دربوس ، وهم فرع من الحدادية والمهالبة وبني علي والقراطلة التركية .

المحارزة — جدهم محرز ، ولكن انتسابهم للهاشميين الذين فتحوا مصر . وجاؤا قبل السلطان محمد الغوري الذي حارب السلطان سليم التركي .

البشارغة — جبل بشراغي تسبب فيتسميتهم وهم مصريون هاشميون .

الجواهرة — ينسبون لجدهم جوهر .

السواحلية — العلويون مـــا بين صهيون واللاذقية وجبل الاقرع ، هم متركبون من كل العشائر .

الانطاكيون – هم في نواحي السويدية وقرهموط والحربية وقصير وبيلان مع اسكندرون، ويتركبون من العشائر السالفة الذكر .

الأطنويون – هم علويو أطنـــه وطرسوس ومرسين (أدنى الارض) ويتركبون من أفراد العشائر السابقة الذكر.

١

العشائر الخياطية

الى ايام الشيخ علي الخيـــاط اى لسنة ٦١٧ لم يكن اسم العشيرة ما بين العلويين ، بل كانوا كتلة واحـــدة مركبة ممن جاؤا في سنة ١٤ هجرية ، ومن الذين كانوا مسيحيين ثم اهتدوا للاسلام بعد تلك الايام وهم غساسنة وتنوخية وقسم من اليهود، وهم تربية ابي ذر الغفاري .

وكما ذكرنا في تفصيل البرامكة عندما قتلهم هارون الرشيد بحجة انهم اتفقوا مع الامام (علي الرضا) لإرجاع الخلافة لأهل البيت ، هرب بعض البرامكة للمغرب الاقصى وتونس ثم جزيرة قبرص ، ومنهم من رجع لجبل النصيرة والبعض جاءوا تواً للجبل ، ومنهم من جاء قبل سنه الاربعماية من بانياس الشام.

فتكون عشيرة الخياطين مركبة من الغسانيين والتنوخيين والبرامكة والباناسيين وقليل من الفـــاتحين ، اي الهاشميين واليثربيين ، الذين فتحوا البلاد .

وبعد مصائب الصليبيين التي سحقت العلويين اي سحقة ثم نجوا بهمة السلطان صلاح الدين الايوبي ، فقد باشرت الاكراد المجيء بكثرة وضايقوا العلويين ، فذهب (الشيخ علي الخياط) و (الشيخ محمد البانياسي) الى الامير حسن المكزون أمير سنجار والتمسوا منه ان يزيل مظالم الاكراد والاسماعيلية عنهم سنة ٦١٦ .

جاء الامير حسن المكزون ومعه قوة لم تكف لسحق أعدائه . فأغارت عليه الاسماعيلية والأكراد ليلا وأجبروه للرجعة خائباً .

ثم جاء ثانياً واستولى على المنطقة وأزال عنها الاكراد تماماً سنة ٦٢٠ .

وعند ذلك كبر اسم الشيخ علي الخياط وازدات شهرته . واعترف العلويون بعلو منزلته وفضله عليهم ، وهم الذين كانوا قبلاً في المنطقة وتسموا (الخياطين) نسبة اليه .

كان الخياطون في الاكثر في جهات طرابلس وجبالها وجنوبي نهر الكبير . ولكن لما لم يكن لديهم تشكيلات قوية كما هو موجود بين المسيحيين ، ضايقهم المسيحيون الموارنة مضايقة ادبية لم يشعروا بها حتى ألجأوهم اخيراً للرحيل الى شمالي نهر الكبير .

وجاء العلويون الذين ينسبون للناسخ البغدادي بعد ما رحلت عشائر بني هلال عن الشام تخلصاً من السنين . وكان

المنسوبون للناسخ البغدادي يسكنون قبلاً بانياس الشام سنة ٤٠٠ هجرية .

وجاء الشيخ ميهوب بن الشيخ علي ، وهو من سلالة الناسخ البغدادي ، من بانياس الشام الى قلعة المرقب وسكن من كان معه وكثرت المهاجرة ، حتى استولى اتباع الناسخ على جهة الصرامطة وعلى قلعة الدالية والمينقة .

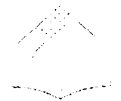
ومن جملة رجال الدعوة الذين ذهبوا الى السلطان اسماعيل أبي الفدا (الشيخ غريب هريصون والشيخ احمد مخلص) وهم من الخياطين في المرقب .

وفي أيام (شبل عبدي) وهو رئيساً على الخياطين ، هجم الاسماعيليون على المينقة ففشلوا ، ثم هجموا ثانياً وضبطوا القلعة .

وبعد مجيء الأمير حسن المكزون ومظاهرته للخياطين ، توسعوا في الجبل ، وبعضهم رحل الى الشمال والشرق . أما الذين سكنوا في الملزق الشرقي فقد تسموا، فقاورة ، والذين سكنوا في جهات صهيون تسموا عمامرة .

قبل الشيخ علي الخياط ، كان اعظم الخياطين يسمون (العبدية) و (البغدادية) ، وبعد اكتساب الشيخ علي الخياط شهرته غلب عليهم اسم الخياطين .

وعشيرة العبدية بين الخياطين ، ليست قحطانية بــل عدنانية . والبغدادية قحطانية . ولم يكن بينهم قرابة نسبية ولم يكن يجمعهم سوى الاسم . والعبدية ينسبون لجدهم عبد القيس من قبيلة بني ربيعة . والتنوخيون والضلاعنــة الاقدمون هم اليوم بين عشيرة الخياطين .



٢

العشائر السنجارية الغسانية القحطانية

نرى أنـه يجب علينا ان نخصص دوراً مخصوصاً لمجي العشائر السنجارية ، الذين جاؤا تحت قيادة الأمير حسن بن يوسف المكزون السنجاري ، لانقاذ علويي المنطقة من مظالم الاكراد والاسماعيلية . وذلك في سنة ٦٢٠ هجرية .

ان مجيء الأمير خلص العشائر الخياطية والبغدادية . وكما ذكرنا خلص المنطقة من اختـلاف عقيدة الاسحاقية التي تبني عقيدتها على الفلسفة أكثر من أقوال الأئمة . وفلسفتها يونانية أكثر من أن تكون هندية وشرقية .

اتخذ الأمير حسن المكزون أولاً قلعة أبي قبيس مركزاً له حتى أتم اجلاء الاكراد ، وسكن مـدة في بلدة جبـلة أو قرية سيانو في جانب جبلة ، (لأن جبـــلة كانت خربة محضة) وبعد سنة ٦٢٦ رجع لسنجار ، ثم عاد وسلك طريق التصوف وترك تشكيلات العلويين على حالها ، وسلك على مسالمة السنيين الذين لم يرَ سبباً دينياً أو معقولاً لعداوتهم ،

بل عادى الاخلاق السيئة ، واستهدف في قصده المعـــالي والواجب الديني كذلك .

ومن ايام الامـــير حسن المكزون لايام مجيء الاتراك العثمانيين لم تحصل عدواة بين العلويـين والسنيين ، ومن بعده حصلت دعوة ابي الفدا للمشايخ العلوية . وكانت اعظم مصيبة العلويين هي تجاوزات (قرصان) أهـل الصليب من قبرص ومن رودس على السواحل . ولم يقع أقل حادث بين العلويين، لان العشائر لم تكن تفرقت بعد .

اما مجيء الاتراك العثمانيين ، فقد انتج اعظم تضييق في العلويين حتى تفرقوا لعشائر وبطون ومن جملتها تفرقوا الذين جاؤا من سنجار وبمـــا ان السنجاريين كانوا هم المستخلصين للبلاد اصبحت رياسة العلويين حقا من حقوقهم .

عند مجيء الامير حسن المكزون من سنجار خابر علويي مصر خفية فانجدوه بارسال قوة عظيمة خرجت لجبلة.ولكنها اختلطت مع السنجاريين . حتى أننا لا نرى في يومنا هذا ما ينسب للمصريين المذكورين بصورة اكيدة واضحة .

كانت العشائر السنجارية تحب السكن في السهول ولذلك سكن معظمهم في بر جبلة ومن هناك تفرقوا لمحلاتهم الاخيرة. فلذلك كل علوي سنجاري يدعي أنه من قرية سيانو المجاورة لجبـــلة .

عشيرة بني علي

●

ان الشيخ حسن معلا ، أي عم الامير حسن مكزون هو جد عشيرة بني علي .

وعند مجيء السلطان سليم التركي واخذه مواطن عشيرة الحدادية ، ذهب بنو علي لجهات بيت ياشوط لقرية(البصمورة) ومن ثم لجبل البودي ، وسكنوا به .

وبسبب تضييق الاتراك عليهم افترقوا لثـلاثة اقسام وهاجروا من جهة لجهة أخرى . والقسم المنسوب منهم الى (ابو شلحة) جدهم ضغمان . والقسم الثاني المنسوبون لبيت فاضل جدهم حازم . والقسم الثالث اي ، بيت جابر ، جدهم جابر، وكل واحد من هؤلاء الثلاثـة صار رئيساً لقسم .

وجد هؤلاء الثلاثة (الشيخ محمد الركن) الذي قبره في قرية درمين في تربة الشيخ ميكائيل،وقد هاجر ضغمان مع فرقته لقرية حرف الصليب .

وقد تولد من ضغمان ١٦ ولداً ذكراً . احد عشر منهم

جاؤا مع من تبعهم لقرية ست يللو وهم يحـــاربون الأتراك المدعوين بالقراطلة . وبعد حروب عديدة استردوا أراضيهم وأوطانهم .

والخمسة من اولاد ضفهان مـــع من تبعهم بقوا في قرية حرف الصليب .

وهذه الحروب هي قبل حروب الكلبية مع القراطلة . بل ان أولاد ضفهان أول من فاز على الأتراك القراطلة نسبة لجبل (قارتال – قرطل) أي جبل ابو قبيس .

ثم حصل النفاق والتفرقة بين من جـاؤا لقرية ست يللو . أما الذين اتبعوا ابي شلحة ، أي الذين صافوا الحكومة العثمانية فقد سكنوا في قرية ديروتان (دير الأوثان) ولتلك الأيام كانت عشيرتهم تسمى بيت الركن . وفي تلك الايـــام اكتسبت اسم بني علي ، وهذه أسباب تسميتها ا ولم تكن إذ ذاك مفترقة عن المهالبة . بل كانت متحدة .

كان يجيء الشيخ بدر الحويلا ، وهو رجل مسن للغاية ، ويزور قرية ديروتان ، وكلما سئل عن محـــل سفره يقول : « لعند ابني علي ا » . فلذلك سمي بيت الركن الذين سكنوا في ديروتان بني علي . وبهذه الصورة افترقوا عن المهـــالبة والدراوسة .

وفي أيام صقر بن علي ، دامت الحروب مع الاتراك السنيين والتحق بهم الأتراك العلويون المدعوون القراطلة . وجرت بينهم حروب حتى قضى على الأتراك السنيين وتمثل الاتراك

العلويون، أي استعربوا ونقل مركز بنى علي لقرية عين الشقاق التي كانت مركزاً للقراطلة أي الأتراك . وفيها سراي كالقلعة ذات سبع طبقات فوق بعضها .

أما اسم شلحة فسببه أنه كان علي يحصل الشلحة ، أي الرسم السنوي للحكومة . وتسمى في التركية « صالفين – ساليانه » ومعناها الشلحة أو السنوية .

ولم يكن العلويون يتحاربون مع الأتراك فقط ، بل كانوا يحاربون بعضهم ايضاً . لأن المنطقة ضيقة والنفوس كثيرة . وتجاوز الأتراك فتح باباً للمبارزة في مشاكل الحياة ، حتى أصبح الأخ يقتل أخاه ليأكل ما عنده .

وبعد مجيء الكلبية للقرداحة وظفرها على الأتراك نشب الحرب بينها وبين عشيرة بني علي لأنهم نسوا أوطانهم الاصلية . وفي خلال سنة ١١٤٠ دامت الحرب بين الكلبية وبين بني علي مدة سبع سنين ؛ وذلك بعد زوال خطر الأتراك .

وأخيراً اتحدت العشائر الكلبية والنواصرة والقراحلة والياشوطية والجهينية وبيت محمد ، وهجمت على عشيرة بني علي بالاتفاق وحرقوا قراهـا ، وعند تجمع بني علي في قلعة عين الشقاق حاصروها بعد ان هدموا جميع قراها ولم يبق ملجأ لبني علي سوى الحصار الذي كان مبنياً على سبعة طوابق . وداوم بنو علي على الدفاع في ذلك الحصن .

وكان في تلك الايام (ابن المن) مستلماً اللاذقية . وهـذا انجد عشيرة الكلبية . فلذلك هاجر بنو علي لعند عثمان خير

بك رئيس عشيرة المناورة وهو جـد بيت هواش . اي زعيم العشائر السنجارية .

وبعد مهاجرة بـني علي هدمت الحكومة العثمانية الحصن الذي كان في قرية عين الشقاق المحتوي على سبعة طوابق .حتى اساساته .

وبعد مدة ندم ابن المن على افعاله وزال سوء التفاهم ورجع بنو علي الى اوطانهم وقراهم الخربة والخالية .

وفي سنة ١٢٨٠شبت حرب شديدة بين بني علي والكلبية، لان الكلبية نوت الهجوم على العمامرة الـتي هي مركبة من الخياطين والسنجاريين ونوت ايضاً ان تنهب المهالبة السنجاريين فعند ذلك هدد بنو علي الكلبية من ورائها . واحست الكلبية بالتهلكة المقبلة فصرفت النظر عـن التطاول على العمامرة والمهالبة . واضمرت البغض لبني علي .

ما انجاء حزيران في سنة١٢٨٠والا فوجيء بنو علي بهجوم الكلبية والنواصرة معاً . وقد زحفوا حتى وصلوا لقرية ست يللو . ثم حرقوا بتغرامو وديروتان ومغسله وخربوها وجاؤا لقرية المعصرة التي هي تجاه قرية عين الشقاق ولم تحدهم غـير الوادي .

واذ حصل هجوم الكلبية فجائياً وظلماً تحركت نخوة العشائر ونهضت عشيرة الحدادين مع كل افخاذها وجاءت تمـد يد المعاونة لعين الشقاق وكان برأس القوات الامدادية عباس مكنا من بيت الحداد .

وعند الحرب غلبت الكلبية ورجعت لاوطانها .

عند مجيء الكلبية كان الرجال يحاربون والنساء تشتغل في التخريب والاحراق . فلذلك عند رجعتها مغلوبة قوبلت بالمثل . وهجم بنو علي على السفرقية وديرونة ورويسة البساتنة وحرقوها

وقبل ان يدفن الفريقان أمواتهم جاء من متوار الشيخ الجليل (الشيخ حبيب بن الشيخ معروف) وصالح الطرفين .

ولم يفتر عزم بني علي عن الحرب ، بل داوموا على مهاجمة الاتراك العلويين القراطلة مع أنهم حلفاؤهم حتى اضطروا القراطلة على الهجرة من سيانو وحواليها . واصبح البر والاراضي في يد بني علي حتى جبلة ولم يبق خارج من ايديهم من أملاك اجدادهم سوى البـــلدة التي كانت مسكناً لأجدادهم وهي جبلة ولم يستطيعوا تملكها لانها كانت مركزاً للحكومة العثمانية .

عشيرة المهالبة

قلنا : انه عند مجيء الامير حسن المكزون لاستخلاص علويي المنطقة ، لم تكن بينهم التشكيلات العشائرية الموجودة الآن . وكذلك لم تكن معية الامير حسن المكزون منقسمة لعشائر ، لأن كل أسماء عشائر السنجارية حديثة سوى عشيرة المهالبـــة . ونقول الآن ان بقية العشائر تشكلت تبعاً لحس وجوب التحفظ والاضطرار لدفع التعرض .

اما عشيرة المهالبة ، مع انها جزء من عشيرة الحدادين أي السنجاريين ، فهي تحافظ على اسم أقدم من مجيء الامير حسن المكزون فتكون هي اساس عشائر السنجارية وعشيرة حسن المكزون الاصلية . وهي لب العشائر التي لم يطرأ تغير على اسمها . وكما قلنا يوجد في يومنا هذا عشيرة في خراسان من هذا الاصل وهي تشارك عشيرة المهالبة الموجــودة في دولة العلويين في النسب والاسم والعقيدة بلا فرق ما !

لعل سوء حظ عشيرة المهالبة جعلها مجاورة للاتراك . ولم يكن الاتراك المجـــاورين لعشيرة المهالبة كالاتراك الذين كانوا

مجاورين لبني علي والكلبية ، لأن الأتراك في سيانو والقرادحة كانوا من أتراك خراسان وأغلبهم علويون . أما الأتراك المجاورين للمهالبة فكانوا سنيين اي ممن يصلحون لانفاذ آمال السلطان سليم اي لمحو العلويين . وكان الاتراك السنيون سكنوا في قلعة المهالبة وسموها (مورصال قلعه سي) ثم تعربت هذه الكلمة الى (قلعة المرسالية) التي اسمها القديم (قلعة بلاطونس) .

لم تتوفق عشيرة المهالبة لاسترداد مواطنها التي اجلاها عنها الاتراك ، لأن الاتراك كانوا يتحصنون في قلعة بلاطونس وهذه تحميهم من تغلب عشيرة المهالبة . ولكن المهـــالبة ادركت النقطة المشكلة أخيراً واستمدت من رئيس الرؤساء في أيامه وهو علي شلهوم ابن اخ احمد مخلوف السابق الذكر . وهذا اتخذ تدابير مهمة واستخلص القلعة ، وذلك انه اخفى معظم قوته في محلات مستورة في قرب القلعة المرسالية وعند خروج الطرش والمواشي حسب العادة صباحاً للمراعي ، ارسل عدداً قليلاً من العلويين فساقوا المواشي لجهة بعيدة متظاهرين نهبها .

وعندما شاهد الاتراك قـــلة العلويين وضعفهم خرجوا لخارج القلعـــة وحصل النزاع بين من اغتصبوا المواشي من العلويين وبين الاتراك اصحاب المواشي حتى لم يبق في القلعة الا قليلاً من الرجال فهجمت قوات العلويين الكامنة بقرب القلعة ودخلوها فجأة ودامت الحرب الدموية ثلاثة ايام حتى تركت بقية السيوف من الاتراك القلعـــة للمهالبة ورحلت لقرب البابر والبوجـــاق وأحدثت القريتين المسماتين (برج

الاسلام) و (الصليب) وهما على الساحل . وسميت القلعة المرسالية « قلعة المهالبة » .

وبعد الظفر رجع علي شلهوم لقرية عين الكروم الكائنة في الملزق الشرقي بقرب نهر العاصي وهو يومئذ رئيس العشائر السنجارية .

وأخيراً هاجر أكثر المهالبة لانطاكية واطنه وطرسوس حتى أصبحت في يومنا هـذا من أصغر العشائر في أراضي دولة العلويين .

عشيرة الحدادين

ان عشيرة الحدادين هي أصل لعشائر بني علي والمهالبة والمتاورة والدراوسة . وهي تمتــاز بالشجاعة والجـد والثبات على كل العشائر . وهؤلاء هم الازد اي الاسد .

ذكرنا سابقاً ان سبب تسمية العشيرة ، انتسابها للمعلم محمد الحداد ابن الأمير ممدود السنجاري ابن أخ الأمـير حسن المكزون .

ان عشيرة الحدادين لم تحارب الأتراك في بادىء الأمر . بل اعتادت الغــارة على الاسماعيليين ودامت الحرب بين الاسماعيلية والحداديين أكثر منماية سنة تقريباً .

في سنة ١١٠٠ أي في أيام رئيس عشيرة الحدادين (اسعد ابن علي) تغير طور الحرب مع الاسماعيلية . واتفـق اسعد المذكور مع المحارزة والعلويين التنوخيين وهجم عـلى الاسماعيليين وأخذ منهم قلعة القدموس وجهات وادي العيون التي كانت حصناً طبيعياً نظراً لمناعة موقعها وجبالها واسكن فيها العلويين .

وبعد اسعد بن علي انتقلت رياسة عشيرة الحدادين لعباس

ابن مكنا . ولكن عباس المذكور بدلاً من ان يداوم الحرب مع الاسماعيلية أو يعادي الاتراك ، باشر الحرب مع العلويين حتى أنهكت هـذه الحروب قوى الحدادين وتفرقوا لأقسام كثيرة .

وفي سنة ١٢٠٠ حصلت الحرب بين عشيرتي القراحلة والحدادين ودامت ٢٨ سنة . وفي هـذه المدة كانت الحرب سجالاً . وكلما غلبت الحدادون تنقسم العشيرة لافخاذ وتتبع لرؤساء عديدة . ولذلك كان أكثر الرؤساء هم في عشيرة الحدادين. ومعظم العلويين في برّ حماه وحمص وحلب ينسبون لعشيرة الحدادين ولكن نسبتهم اعتبارية محضة .

عشيرة الدراوسة

الدراوسة ، هم من العشائر السنجارية الغسانيه . ويوجـد بينها من المهالبة والقراطلة والكلبية ومن العلويين الحلبيين أي السوارك وعدا عن كون الدراوسة خليطة من كل العشائر ، فهي تحتوي على أعظم عدد من عنصر الأتراك أي القراطلة . واصل دريوس كونها حدادية .

أسباب تشكل العشيرة ، هو سليمان فرطوس أي جـد بيت بدور .

عندما استولى الاتراك على المنطقة اتحدت الاسماعيلية في صهيون مع الأتراك وابعدوا معظم العلويين من هناك .

ولما كان سليمان فرطوس شجاعاً ، ارسل من قبل رئيس المهالبة المقدم محمد . ومحمد هذا كان في تلك الأيام رئيس رؤساء جميع العلويين .

كانت مهنة سليمان فرطوس ، المحافظة على حقوق العلويين في جبل دريوس باسم المقدم محمد . وتوفق في أمنيته الى مـا فوق المطلوب وأجلى الاتراك والاسماعيلية عن جبل دريوس .

واستقل بالأمر وأصبح مقدماً على الجبل . والتحق به الافراد من كل العشائر وأغلبهم من القراطلة من قرية سيانو وكلما حارب بنو علي الكلبية وتضرر بعض أفرادهم كانوا يذهبون لجبل دريوس .

والدراوسة كانوا حلفاء العمامرة . ولولا الدراوسة لما كان يوجد مانع لأهل صهيون من التجاوز على علويي السواحل والمهالبة .

٣

العشائر المصرية الهاشمية العدنانية

عشيرة المحارزة

أصل المحارزة هاشميون . وفي أثناء الفتح في صدر الاسلام ذهبوا من يثرب اي المدينة الى مصر ومنها الى بلاد العلويين .

قلنا في أيام الأمويين لم يسبق لعلويي مصر ومنهم المحارزة ذكر ، أما في أيام الفاطميين وحكومات المماليك فقد كان المحارزة في مصر العامــل الوحيد في ادارة المملكة ، وفي المدافعة ضد الصليبيين ، واستيلاء الملك الظاهر على مصر لم يكن إلا بتأثير المحارزة ، وفي أيامه حصل افتراق بين المحارزة وبين بعض العلويين ، فجاء بعض المحارزة لمنطقــة العلويين وسكنوا في قرية « بعرين » وباشروا في الخــلاف والحرب بينهم وبين المسيحيين الباقين من الغساسنة . وبالنتيجة تسلط المحارزة على المسيحيين وأخذوا منهم قرية الصليب وما يليها من القرى وبالتدريج أخذوا تحت نفوذهم قلعة المضيق وترأس العلويون على البلاد لحد حلب تقريباً ، وكان هذا قبل مجيء الملك الظاهر .

وكانت في بادىء الأمر مصافاة تامة بين المحارزة والاسماعيلية لأنها علويون أماميون .

ولكن بعد وقوع الحرب بين السلطان محمـــد الحرزي المعروف باسم (قانصو غوري) وبين السلطان سليم التركي وانكسار الجيوش المصرية في مرج دابق ، هرب السلطان غوري لعند المحارزة وظن السلطان سليم انه توفي فجأة بدون جرح أو مرض على ضفة نهر الفرات . مع أنـــه اختبأ في المنطقة .

للمحارزة والاسماعيلية اختلافات طويلة وحروب عديدة ، وقد أخذ المحارزة قلاع القدموس والعليقة والمينقة مراراً ، وكان الاسماعيليون يستردونها بعد مدة .

وفي سنة ١٠٠٠ هجرية تقريباً هيأ الاسماعيليون هجوماً على القدموس وذلك في أيام أمير المحارزة الشيخ محمد الجيشمي ، ولما كان لابن الشيخ محمد المسمى زغيب اصبع زائدة لم يدخلوه في صف المشايخ . فعندها اغتاظ زغيب وحالف الاسماعيليين الذين وعدوه باعطائه بنتاً من بنـــات أمرائهم ، وفتح لهم أبواب قلعة القدموس . عندما كان جميع العلويين مشغولين في العبادة في يوم الغدير ، فأغار الاسماعيليون على العلويين وقتلوا من المشايخ الذين رموا أجسادهم في « جب العنان » ثمانين شيخاً عـــدا العوام وتملكوا القدموس . ولم ينجو في تلك الوقعة من الموجودين في العبادة سوى الذي رمى نفسه من

شباك القلعة وتحطمت عظام ارجله وهو الشيخ محمد الاعرج فعندها اختبأ الشيخ محمد في الجوار وبعد أن شفيت رجـــلاه طلب نجدة من العلويين وفتك بالاسماعيلية فتكة عظيمة ولكن لما كانت الحكومة العثمانية مظاهرة للاسماعيليين لم يتوفق العلويون لاجلائهم عن القلعة .

ويقال ان الاسماعيلية أخذوا في تلك الوقعة السيف المختص في المحارزة وهو سيف الامام الحسين الشهيد وكان يرثهُ زعيم المحارزة حتى اكتسبه الشيخ محمد الجيشمي المذكور . وأخـــذ الاسماعيلية كتب العلويين مع كتاب النسب .

وبعد مرور الايام نسي المحارزة بناتهم وأموالهم المغصوبة ولكن لم ينسوا السيف وكتاب النسب . وهذا كان من جمـــلة اسباب القتال الذي سيذكر في الدور السادس . وعند ظفر الشيخ صالح العلي المحرزي بالاستيلاء على القدموس ، واعطائه الامان للاسماعيلية شارطهم على ارجاع كتاب النسب والسيف المختص باجداد المحارزة ، ولكن لم يجد أثراً من الكتاب بـــل أعطوه شفرة سيف قديمة لا يعلم ما هي .

أمــــا الاسماعيليون فيقولون ان تلك الشفرة المأخوذة من المحارزة في القدموس ، هي شفرة سيف الأمام الحسين الشهيد التي وقعت منهُ عند اغارته على الماء في نهر الفرات ، وهذه ستكون في يد المهدي ، أما الشفرة المعطاة للشيخ صالح العلي فليست بتلك الشفرة بل غيرها .

سبق ان قلنا ان المحارزة ينسبون للهاشميين . ولكن المدة

الطويلة التي مرت عليهم في مصر ومحاربتهم المتواصلة غيرت كثيراً في سجاياهم واختلطوا مع بقية الامم التي دخلت في العقيدة العلوية ، وأكثرهم جركس وأتراك ، ولهذا نستطيع ان نقول ان اغلب دم الجراكسة بين العلويين هو في عشيرة المحارزة كما تثبت تلك القضية عيونهم الزرقاء .

والرجل المشهور المدفون بحلب (المقدم معروف)وسليمان الجاموس المدفون في طرسوس وفاتح طرسوس الشيخ محمد البيادري هم من جملة المحارزة الأقدمين ومن عائلة بيت فلاح التي كانت قبل بيت البلقيني رئيسة علويي مصر .

القراطلة

ان من العلويين طائفة تسمى « القراطلة » وهذه الطائفة ليست لها العصبية العربية التي هي لبقية العشائر العلوية ولذلك هي سيئة الطالع مستضعفة بين العشائر . لقد كان عدد هذه الطائفة يزيد عن عدد اية عشيرة غيرها ولكن لما لم تكن لها عصبية العشائر اضمحلت والتحق الباقي من رجالها بالعشائر الاخرى .

والقراطلة هم من الاتراك الذين اتى بهم السلطان سليم الى جهات جبلة وأسكنهم في سهولها إلى قرايا القرادحة وبشراغي وقلعة ابي قبيس وإذ كان مركزهم في هذه القلعة التي كان يطلق عليها اسم « قارتال قلعه سي » وهي أسم « النسر» في التركية، وقد اشتهروا بين العلويين باسم القراطلة نسبة لقارتال .

مرت الايام وكانت الحكومة العثمانية فيهـــا لا تعتني إلا بشؤون العاصمة وكانت تترك بقية المملكة وشأنها . وفي تلك الايام جعل العلويون يهجمون على الاتراك النازلين بينهم ويحاربونهم حتى كادوا يفنونهم ولم يسلم منهم الا من كان علوياً وقد التحق هؤلاء بالعشائر العلوية واندمجوا بها .

أسكن السلطان سليم الاتراك في الجبال الكائنة غربي حماه بقصد تأمين الطريق بين مصر والاناضول ، وكان مركزهم قلعة ابي قبيس التي هي اليوم دارسة ، وأسكن منهم اناساً في جهات قرية « عاشق عمر » وجبل الحلو ومدينة جبلة للغاية نفسها . وأبقى قصبات مصياف والقدموس والمينقة والعليقـة وصهيون في يد الاسماعيليين لأنهم كانوا من اصدقاء الترك . وقتل من كان علوياً من أهل اللاذقية ، ولكنه غفل عن تأثير العصبية العربية إذ سبب لهدر دماء غزيرة من الاتراك ومن العلويين .

ويوجد بين العلويين في كليكيا وعشائر بني علي والمهالبة ودربوس وانطاكية كثير من العلويين الذين ينسبون الى القراطلة ولا فرق بينهم وبين العلويين العرب .

ويوجد أيضاً بين الاتراك في الاناضول كثـــير من العلويين الترك وهم يشكلون في ولاية سيواس الاكثرية وهم متصفون في كل بلاد الاناضول وكذلك يوجد من اولئك الاتراك العلويين في جهات اطنه ما يزيد على الثلاثين الفاً وهم موصوفون بالأخلاق الحسنة والتوكل والتقوى ولا يوجد اي فرق ما بينهم وبين العلويين في العقيـــدة . والاتراك يسمونهم (قزيل باش) و (تحته جيلر) .

وأسباب الحرب بين القراطلة وبين العلويـــين في المنطقة هي لأنهم توطنوا في مواطن العـــلويين ، وهذا من زلات السلطان سليم .

وما أحسن ما قاله التيمورلنك العلوي الكبير ، إذ قال :

(السيف يفتح البلاد ولكن العدالة تحافظ عليها) . والسلطان سليم فتح البلاد بالسيف ولكنه عوضاً عن أن يعدل ، ظلم العلويين والأتراك معاً ، وتسبب في قتل نصف مليون من الأتراك ونحو هذا المقدار من العلويين العرب في جبل النصيرة.

قلنا ان الحكومة التركية نقلت إلى جبل النصيرة مقدار نصف مليون من الاتراك ونسيت الغاية حتى انها نسيت النصف مليون من عنصرها . ولم يمض أكثر من خمسين سنة حتى انقرض الأتراك في المنطقة الضيقة التي لم تكن حاصلاتها كافية لإعاشة ابنائها الاصليين ، ولم يبق منهم إلا خمسة عشر الفاً وهم اليوم في الباير والبوجاق وقليل منهم في الساحل وهم محافظون على جنسيتهم ولسانهم التركي .

أما الذين في جهات حماه وحمص ، فتغلبت عليهم العربية ولم يبق لهم من التركية إلا اسمها .

رجعة العلويين لانطاكية وحواليها
وإلى اسكندرون

عندما استولى السلطان سليمان القانوني على جزيرة رودس التي كانت مركزاً لبقية أهل الصليبيين الذين اعتادوا غزو السواحل ، أصبحت البلاد في أمان منهم ، وكانت السواحل إلى ذلك الوقت خالية من السكان منذ الحروب الصليبية .

قد بدأت رجعة العلويين لانطاكية من تاريخ ١١١٥ ، وأول من هاجر (ابراهيم ومسلم ومعروف وعلي) وهم اربعة اخوة من قرية « رامـــا » ثم تبعهم أناس من جهات سيانو ، وسكنوا ما بين انطاكية والسويدية حتى برّ اطنه وطرسوس. وقد سببت الحروب الداخلية بين العلويين كثرة الهجرة ، وكل ما كانت تحصل دعوى الدم كان الضعيف يهاجر

في سنة ١٢٠٠ حصلت زلزلة عظيمة في اللاذقية وخربت القرى والضياع وكثرت المهاجرة لحوالي اطنه وطرسوس . ولم يكن في اطنه في تلك الايام سوى القليل من الاتراك والأقل من الارمن ، اما بلدة طرسوس فكانت كأنها لم تكن اي ان سكانها قليلون وهم من الاتراك الرحل ، الذين ينزلون الى البلدة في الشتاء ويصيفون في جبال طوروس .

• • •

يعـــلم كل من درس اصول هجرة الأقوام ان المهاجرة في أكثر الأحيان تقع حبا بالرجوع للوطن الأصـلي ، وقد اتبع العلويون هذه القاعدة إذ انقادت بمهاجرتها الى شعورها السائق للرجوع لمواطن الأجداد . ولا يوجد سبب يرمي الى المهاجرة أكثر من المحبة المتولدة من السماع . ومحبة انطاكية واطنــه كانت متولدة من سماع تحسر الأجداد عليها .

ولم يكن العلويون آخر من سكن في انطاكية واطنه وطرسوس . ومن العبث التحري على السكان القدماء في تلك البلدان لأنهم مجهولون ، والسكان الموجودون اليوم تسعون في المائة منهم من الأتراك والعلويين والمسيحيين .

والسنيون في انطاكية واطنه وطرسوس عبارة عن عشائر تركية جاءت البلاد بعد العلويين وجاء قليـــل من الأكراد منفردين ثم من الجراكسه الحديثي العهد . فيكون العلويون قد رجعوا لأوطان أجدادهم قبل الكل . واننا نرى في يومنا هذا ان جميع السهل في انطاكية هو مسكن العلويين وهكذا سواحل كليكيا .

علويو كليكيا

« ادنى الأرض »

نلخص هنـــا ان العلويين الموجودين في كليكيا ينقسم وجودهم الى ثلاثة أدوار :

١ – عندما كثرت مظالم العباسيين وتعدياتهم علىالعلويين ، رحلت أكثرية العلويين الى محيط اسلامي آخر أي انها تركت المركز – أي بغداد والشام – واتخذت مصر وبلاد العلويين مع كليكيا وسواحل بحر الخزر مع خراسان ملجأ لها . فعند ذلك كثرت في النفوس المحيط حتى أصبح عدد النفوس في طرسوس وسمرقند – وكلاهما من مواطن العلويين – في كل واحدة منها مليوناً . وهذا العدد كان بعد بغداد أكثر منه في بقية البلدان في تلك العصور ، حتى أنه أصبح أكثر من عدد نفوس القسطنطينية .

وبواسطة تقسيمات الأنهر أي جيحان الذي يمر منمصيصه ، وسيحان الذي يمر من اطنـــه ، وبردان الذي يجري من

طرسوس الى الأراضي ، أصبح البر المسمى (أدنى الأرض — جوقور اووا) أي السهل ما بين جبال طوروس والبحر الأبيض ، كأنهُ جنة الله يسكنها أسعد خلقه وهم العلويون ؛ وعدا عن عمليــة اسقاء الأراضي لم يكن بين الشرق والغرب ممر تجــاري سوى ذلك البر ، ولوجود مضيق (كولك) المشهور قبل حفر ترعة الســويس كان هــذا الممر هو الطريق الوحيد للهند .

وقد اتخذ المأمون بــلدة طرسوس مصيفاً له وهذا بسبب محبته للعلويين ، لأنهُ أخذ روح العقيدة من جعفر البرمكي في حب أهل البيت ، وقد قلنا أنهُ زوج بنتهُ أم الفضل لابن الامام علي الرضا وجعل الامام المشار اليه ولي عهد له . ثم توفي المامون في أرزن ونقل نعشه إلى طرسوس .

وفي أيام عجز العباسيين كانت طرسوس وجميع سهل أطنه تحت نفوذ السيد الخصيبي ونفوذ خليفته في الدين السيد الجلي الكبير . حتى ان سيف الدولة بن حمدان التغلبي ، لم ينجح إلا بواسطة من كان عنده في حلب وهو السيد الحسين ابن حمدان الخصيبي ، الذي كان يمده بنفوذه المعنوي ويؤثر على العلويين في كليكيا ، وهذا ما ساعد سيف الدولة على غزو الروم مرات عديدة كما سبق القول .

كانت العواصم في أيام الأمويين والعباسيين حصوناً للمسلمين إذ لم تكن توجد دولة قوية معادية للمسلمين سوى دولة بيزانس

الرومية وبلاد أوربا، ولم يكن لهذه البلاد طريق لبلاد الاسلام سوى مضيق كولك وتليه العواصم أي البلاد المستحكمة وهي طرسوس وأطنه ومصيصة وهرونيـــة وإياس وسكان هذه البلدان علويون .

قلنا : ان سيل الصليبيين جاء من مضيق كولك ومن مرسى طرسوس . وعند الحرب لم ينج من العلويين سوى الذين هربوا لحلب وانطاكيـــة . وهناك انتهى أول دور للعلويين في كليكيا .

• • •

٢ – جاء الملك الظاهر بيبرس أولا ومعه جيوش العلويين وغزا سيس عاصمة الارمن.ثم عندما استمدت منه اولاد رمضان التركية جاء الملك العادل برسباي العلوي المصري واستولى على سهل (ادنى الارض) كليكيا وجعل اولاد رمضان امراء عليها . وعند ذلك رجع العلويون لأطنه وطرسوس بكثرة .

عند ما استولى السلطان سليم التركي صلحاً على اطنه وكان استقلالها إدارياً مرتبطاً بالمماليك المصرية .ولعلاقة آل رمضان السنيين بالحكومة العثمانية السنية سلمت البلاد صلحاً وامتثل أمير البلد وهو محمود بك الرمضاني لأوامر السلطان سليم وقتل العلويين في اطنه وطرسوس ومصيصة وذلك سنة ٩٢٢ ، وعند ذلك قضي على دورهم الثاني في كليكيا . ولم يعلم مقدار الذين تمكنوا من التكتم والاختفاء . وربما كان العلويون الترك الموجودون بكثرة اليوم بقايا علويي الدور الثاني .

٣ - في سنة ١١٧٤ ابتدأت مهاجرة العلويين الى كليكيا. ومن جملة اسبابها قتل طبيب انكليزي في تلك السنة في جبل النصيرة ، وامتناع العلويين عن تسليم القاتل ، لأن الذي كان يطلب القاتل هو سليمان باشا الذي طرح على الجبل تكاليف مالية فوق استطاعته . وصادف هـذا الامر مقتل الطبيب الانكليزي . فعند ذلك استحضر سليمان باشا القوات الكبيرة وغزا الجبل . وبعد ان قتل ما قتل من سكانه تمكن من القبض على سبعين شخصاً من الرؤساء وقتلهم ثم وضع في رؤوسهم التبن .

وبعد سنتين توسل بأسباب أخرى وأقنع الحكومة بأنه يوجد في الجبـــل حركات ثورة فجلب قوات عظيمة وكرر القتل وألقى القبض على ٤٥ شخصاً من الامراء والمشايخ وقتلهم .

ولم يكن لتلك الوقعات شيء من الحقيقة بل كان يرتبها متسلم طرابلس الشام ، أي سليمان باشا المرقوم ، حتى انه قضى على العلويين في حوالي طرابلس الشام وأصبح اليـــوم برها مسكوناً بالسنيين خلافاً لما كان قبلا وقد كثرت المهاجرة من أراضي العلويين الى كليكيا الحالية في ذلك الوقت .

• • •

خسرت الحكومة العثمانية قواتها الادبية والعسكرية ،حتى أصبح تسلط العساكر على الادارة من اعظم المصائب، وكثرت

الفتن بين (يكي جري) الهنكشارية حتى اضطرت ملوك بني عثمان الى السعي للتخلص منهم ولكنهم لم يتوفقوا إلا إلى أيام السلطان محمود العدلي إذ أمر هذا بقتل الهنكشارية . وكانت قد وصلت مهاجرة العلويين إلى القسطنطينية. وكان قائد القوة المدفعية علوياً من انطاكية فأظهر شجاعة لا مثيل لها ورمى القنابل والقذائف على ثكنات الهنكشارية وقضى عليهم.وبعد ذلك جعل قائداً عاماً للمدفعية في كل البلاد العثمانية . ويعرف ذلك الرجل باسم قره باشا أو قره جهنم . وشهرة قره جهنم أدت الى رحلة العلويين لاستانبول وبروسه .

والسبب الاعظم في هجرة العلويين الى كليكيا هو :

كان محمد علي باشا والياً على مصر . وقـــد أعلن عصيانه وخروج على الحكومة العثمانية . وأرسل ابنــــه إبراهيم باشا واستولى على سورية ومن جملتها اراضي العلويين . ومكث في اطنه ست سنين ، وذلك في سنة (١٢٥٠) وفي ذلك الحين جمع اعظم جيوشه من جبل لبنان وأراضي العلويين . وجعل في مضيق كولك استحكامين . ولما كان المضيق مستنداً على بلدة طرسوس كثر فيها العلويون بسبب الافراد العسكريين حتى كانت اكثرية البلد منهم .

وبعد حرب ابراهيم باشا ورجوعه خائباً لمصر وذلك بعد المداخلات الاجنبية حدثت الحرب بين الحكومـــة العثمانية والروس وحالف الاتراك بعض الدول الاوربية . وأرسلت الحكومة المصرية بعضاً من عساكرها لانجـــاد متبوعتها اي

الحكومة العثمانية . وأثناء الرجعة مكثت العساكر المصرية أياماً على شاطيء البحر المتوسط وقد بنيت بسبب ذلك بلدة صغيرة على الساحل وهي مرسين وأكثر أهلها علويون

ومن حيث المجموع يوجد في اطنه في نفس البلد ١٧ ألف علوي وفي برها ٢٠ ألفاً تقريباً . وإذ لم يكن في بلدة اخرى عدد يعادل من في اطنه من العلويين يصح لنا ان نعتبر اطنه مركز التمدن للعلويين .

ويوجد في نفس بلدة طرسوس ١٥ ألفاً وفي برها ١٥ ألفاً وفي مرسين مع برها ١٢ ألف علوي ، ومجموعهم سبعون ألف .

وهذا عدا عن العلويين الأتراك الذين يبلغون ثلاثين ألفاً أو أكثر . واكثرية العلويين الذين في اطنه ينسبون الى انطاكية وأكثرية العلويين فيمرسين ينسبون لسواحل اللاذقية . والعلويون الطرسوسيون مركبون من الجهتين . ولم يكن للعلويين في كاليكيا اسم عشيرة ما ، بل كلهم كتلة واحدة .

النصيرية

السلطان سليم هو الملك الثامن للعثمانيين . وهو من أعظم الملوك الفاتحين (جهانكير) ومن دواعي الأسف انه لم يثبت مقدرته الحربية إلا في محو العلويين .

لما رأى السلطان سليم ، الحكومتين العظيمتين المجاورتين له تتحدان بسائق علاقتها العلوية ، وهما رقيبتان له ، عزم على محوهم . وقد كان هذا العزم سبباً في قتـــل الملايين من العلويين القاطنين في ديار بكر والموصل وحلب وأدنى الارض وسورية ومصر . هذا عدا عما قتل منهم في بلاد الفرس ومن لم يتوفق للتكتم تحت كسوة الشافعية من العلويين اضمحل ،حتى في مصر التي بقيت ألف سنة تحافظ على عقيدتها العلوية .

كانت البلاد المصرية تحافظ على علويتها منذ مقتل عثمان . ولم تصب مصر بمصائب الصليبيين وسيول الأتراك والتاتار .

لم تعش حكومة الفاطميين إلا بقوة العلويين في مصر . وهذا يبين عظم المساعي التي بذلها السلطان سليم ، حتى افنى عقيدة دامت ألف سنة في مصر . واليوم لا يوجد من العلويين عدد يستحق الذكر فيها .

وهذا لم يكن الا بقصد سياسي سيء ولم يقف على هذا القصد الا السلطان سليم وحده . أما الأمة التركية فلم تكن في مرتبة علمية تعرف بها احوال سكان جبل النصيرة .

رأى السلطان سليم ان خطة السنيين في حلب والشام هي ضد العلويين فاستفاد من هذه الخطة واستحصل على فتوى تجيز بل تأمر باراقة دم من يسب الشيخين وتبيح قتل شطر المسلمين أي العلويين .

وعدا عما جرى من القتل والمحو ، جلب السلطان سليم نصف مليون من الاتراك واسكنهم في جبل النصيرة وهذه جناية اخرى له . لانه تسبب في اراقة دم نصف مليون من الاتراك وهذا يثبت لنا عجز الحكومه العثمانية عن حسن ادارة العناصر الاجنبية عن العنصر التركي .

لم يبق أثر للعلويين في مصر وكيليكيا وديار بكر وحلب . وقد كانت مناعة جبل النصيرة الطبيعية سبباً في المحافظة على الموجودين فيه منهم وها هو تاريخنا يبحث عن هذا البعض من العلويين .

مرت أيام في التاريخ اندثر فيها العلويون من الاناضول حتى نسي أهل السنة اسم العلويين . وجاء يوم كان يسئل فيه عن عقيدة من يسكنون في جبل النصيرة . حتى لقد صار المسلمون (شيعية ام سنية) وبقية الامم لا يعلمون شيئاً عن ابناء البشر الساكنين في الجبل . لان القتال والمحو والتعقيب والتضييق

جعلهم في دركة سخيفة من الانحطاط فلم يعودوا يشابهون العلويين الاقدمين المذكورين في التواريخ .

ولما اندثرت بقية العلويين ولم تعرف مـــاهية من بقي في الجبل منهم ، اطلق عليهم اسم النصيرية اذ لم تعرف ماهيتهم. ولكن الجبل ، جبل النصيرة .

يعجب الناس من حالة أهل الجبل قبلاً وما هم عليه اليوم؟!

وقد قال بعض الفقهاء عن أهل جبل النصيرة بانهم يعبدون الشمس والقمر والنجم والحجر والشجر ! وقالوا بانهم في جبلهم منذ اربعة آلاف سنة !. والعصيان شعارهم دائماً . حتى من أيام الفينيقيين وهم لم يغيروا سجاياهم في النهب والقتل واستحلال مال الغير والخروج على العالم المتمدن . وتصور بعضهم ان لهم آلهة من بينهم قبل الفينيقيين اي قبل الطوفان ! .

ولم ينفك المتجسسون ، يتساءلون عن النصيرية وعن مـا هم عليه ؟!..

• • •

اراح اولئك المتجسسين رجل علوي تولد في انطاكية في سنة ١٢٥٠ ورحل لأطنه وسكن في محلة (خورمالي) ولما كان يفعل كل الرذائل من السكر وإيذاء الغير وهو ذو أخلاق سيئة ، طرد من اطنه من الجامعة العلوية . وحينئذ أتى بفعل ساعد به على إبعاد شبهات العموم .

فانه بعد ان طرده العلويون ، تسنن مدة.ثم تنصر والتحق أولاً بمذهب البرتستانت ثم اركن لمذهب الكاثوليك في بيروت

ولبس الكسوة الروحانية . وفي هـــذه الايام كتب كتاباً مزخرفاً في الاقوال الكاذبـة سماه (الباكورة السليمانية) بحث فيها عن ماهية العلويين .

وانكب البعض على كتابه بصورة كأنهم لقوا دفينة أو اكتشفوا سراً مكتوماً من مدة لم يعلمها أحـــد . وكتبت (السوسنة) من بعده حتى احتويت بواسطة ذلك الرجل على معلومات أوسع من الاولى.وفرح المتولعون بهذا البحث فكأنهم وجدوا طائفة خارجة عن الاسلامية والمسيحية ، أو هي ملة مستقلة وذات ديانة خصيصة اساطيرية .

قلنا ، انه كان اسم (العلويين) اندثر . وسمي الموجودون باسم الجبل (ويظن البعض بأن اسم النصيرية هـــو نسبة للسيد ابي شعيب محمد بن نصير البصري النميري) مـــع ان الاصح هو لأنهم تغلب اسم الجبل عليهم . وأصبحت كلمة « النصيري » أشنع كلمات التحقير .

وبعد مدة رجع الرجل المذكور لطرسوس وهناك قتل خنقاً وهو بصفة راهب كاثوليكي .

• • •

نشكر مولانا ونثني على لطفه وخيره ونحمده لعطاياه. بعد انتهاء الحرب العمومية رجع الى هذه الطائفة اسمهـــا القديم وسميت (العلوية) ويا نعم النسبة . ويا عظمة الفائدة . وهذا

ما كانت محرومة منه مدة (٤١٢) سنة اي من قتال الاتراك للعلويين .

وهذا اسمهم الذي هو أول ما ردّ لهم من حقوقهم المغصوبة .

• • •

في ٣١ آب سنة ١٩٢٠ وفي ١ أيلول سنة ١٩٢٠ ميلادية صدر أمر من القومسيرية العليا في بيروت وتسمى جبل النصيرة (أراضي العلويين المستقلة) وتقرر لهم شكل اداري خصوصي.

وفي ١ ايلول سنة ١٩٢٠ جاء رجل من علوبي طرسوس وباشر بنشر جريدة اسمها (الصدى العلوي) .

وفي تلك السنة أحبت الحكومة الفرنسية معرفة حقيقة العلويين وطلبت من البعض إيضاحاً عن هذا الموضوع . وكان بعض أصحاب المعلومات من السنيين والمسيحيين غير سامعين باسم العلويين ولم يكونوا يعلمون سوى ما اسند الى النصيريين من الترهات والاكاذيب ، فقدموا للحكومة الفرنسية تقارير مطولة ومشبوعة بالطعن والتشنيع ولم يبق شيء من المضحكات إلا وأسند للعلويين .

فعند ذلك اقدم محرر هذا الأثر وقدم تقريراً مفصلاً بيّن فيه الحقائق الثابتة والموضحة في هذا التاريخ ووضع اساساً لهذا الأثر .

ان الاتراك السنيين لايشتبهون باسلامية العلويين ويعتبرونهم من المسلمين .

ولكن السنيين العرب على عكس ذلك ولهذا لم يرضوا عن تسمية العلويين بهذا لانهم لا يسمونهم الا النصيرية .

وبعد تسمية العلويين بهذا الاسم نالوا في ١٦ ايلول سنة ١٩٢٢ حقهم الثاني بتعين قضاة ومحاكم مذهبية لهم . وأحدث لهم مرجع باسم (قاضي القضاة) وهم يحكمون على المذهب الجعفري مع بعض الفروق .

وكان قبل ذلك تعين بعض مشايخهم لوظيفة (الافتاء) .

ابراهيم باشا المصري

« وتأثيره على العلويين »

يشهد التاريخ بان ابراهيم باشا المصري ابن محمد علي باشا هو أحد دهاة السياسة وهو ذو مواهب سامية . ولم تكن اعمال ابراهيم باشا المعروفة موضوعاً لتاريخنا ولكن قصدنا بيان تأثيرها على العلويين الذين في جبل النصيرة وكليكيا .

كان ابراهيم باشا حازماً مدبراً ولذلك توفق الى استخدام المارونيين المسيحيين والدروز الذين هم فرع من الامامية آلة لترويج دعواه .وكان في تلك الايام سكان داخل جبال النصيرة يحافظون على عظمتهم التاريخية ولم يكن يعرفهم او يهتم بهم أحد. استعمل ابراهيم باشا المصري دهائه في استمالتهم ولكن لم يصدر من العلويين خيانة لحكومتهم الدولة العثمانية وقد شتتوا شمل الدروز الذين تجـــاوزوا على الجبل تحت علم ابراهيم باشا . والمتواتر انهم قبضوا في وادي العيون على خمسماية درزي من عساكر ابراهيم باشا وذبحوهم فوق حجرة واحدة مدورة وهي تسمى الى يومنا هذا حجرة الدم وهي بقرب قرية المريقب .

وبعد أن غلب الاتراك ومكث إبراهيم باشا في اطنه مدة

ستة سنين ، اصبح جبل النصيرة من جملة منابع قواه وذلك في سنة ١٢٤٨ .

يوجد في كتب العلويين احكام وآراء متباينة عن إبراهيم باشا . وبعض المؤرخين يجعلون إبراهيم باشا من أوليـــاء الله ويعظمون عدله ومساواته بين الشعب ، وعدم تفريقه بين الاديان، حتى انه لم يكن يعرف بأي دين كان يتدين. (وهؤلاء المؤرخون هم من أهل السواحل الذين كانوا عرضة للمظالم أكثر من غيرهم فلذلك هم يحبذون عدله) .

وبعضهم يجعلون ابراهيم باشا من أشر خلق الله.ويصورونه كأنه آفة سماوية وان مظالمه لا طاقة للبشر لها . ويقولون انه بقصد التخلص من مظالمه العسكرية كان إلتجأ الناس الى قلع أعينهم أو بتر اصابعهم أو قطع أيديهم تخلصاً من خدمته العسكرية . ونظم الأشعار المحزنة تثبت ذلك . (وهذاالقسم هو ممن كانوا أحراراً كالطيور قبلا وهم سكنة الجبال) .

ونحن نقول ان كلام كلا الفريقين موافق للحقيقة ، إذ كل يصور الحالة على حسب ما تتراءى له .

وأكثر المبغضين لابراهيم باشا هم المقدمون الذين ساواهم مع أقل رجل من العامة !

وقد تشكلت قوى ابراهيم باشا من أفراد هذا الجبل المشابهة للطيور الكاسرة ، مع ان الحكومة العثمانية لم تكن في اعصارها الطويلة تتوفق لمثل ذلك ، ولا هي تمحو العلويين حرباً ولا

تكسبهم مدنية . وفي مدة ستة سنين جعلهم ابراهيم باشا قوة مع من كانوا معه من الموارنة والدروز وهدد بهم استانبول ، ووصل الى بلدة كوتاهية .

ولكن لم يمتد تأثير إبراهيم باشا على أهل الجبل بل زال عند ما تداخل الاجانب وأجبروه على الرجـوع الى مصر . وبقي تأثيره على العلويين لأنهم تعارفوا مع الاتراك في الحرب وانتشروا في الأناضول وقد نسي بعض هؤلاء اصله .

• • •

وسبب كثرة العلويين في طرسوس وأطنه هو لأنهم ذهبوا مع ابراهيم باشا بصفة جنود ثم بقوا بعده هناك . وكان إبراهيم باشا بث فيهم روح الحرية وحب الرياضـــة ، حتى أصبح العلويون ذوي قوة هائلة لا يضارعهم بها أحد في أطنه وطرسوس .

سيد الاحرار في الشرق مدحت باشا

« وتأثيره على العلويين »

ان مدحت باشا ، الصدر الاعظم التركي يعادل ابراهيم باشا المصري في الدهاء . وله نظر نافذ وخلق سام وقد كان من اعظم رجال الادارة وكان ظهوره في سنة ١٢٩٣ .

قبل ان يتعين مدحت باشا والياً على سوريا كان المتصرف في حماه (هولوباشا) وهو الذي آخى العلويين ومنهم رئيس عشيرة المتاورة السنجارية ودفع تسلط الحمويين عن جبل النصيرة . وقد اكتسب بسبب ذلك رئيس عشيرة المتاورة شهرة وتفوقاً بين العلويين حتى انه عند مجيء مدحت باشا كان هواش بك رئيس عشيرة المتاورة صديقاً حميماً له وقد اعتمد عليه مدحت باشا لتنفيذ افكاره .

عند مجيء مدحت باشا لولاية سوريا لم ينظر الى جبل النصيرة نظرة مصيبة ، بل رأي كغيره لزوم اخضاع العلويين بالقوة . وحينئذ جاء لطرابلس الشام وجمع قوى عسكرية وزحف بها على الجبل بدون سبب يقتضي ذلك . وكان يعتقد ان الجبل ملجأ الافكار الثورية منذ القرون المجهولة ، وأنه

يجب تأديبه . وقـــد اتبع كلام من صوروا الجبل له بحالة ما انزل الله بها من سلطان . ولكن ذكاءه الحاد نفذ الى قلب المسائل فرجع عن فكره عند اول وقعة . وقد جعل قضاء اللاذقية متصرفية وارسل اليها عوضاً عن القائمقام متصرفاً . وازداد في تغيير رأيه حتى اصبح الجبل والعلويين موضع اهتمامه اكثر من كل سكان سوريا ، وادرك ان الأحكام الفطرية تقتضي ان يكون سكنة تلك الجبال احراراً حتى ادارياً .

جاء مدحت باشا لحماه وهو والٍ على الشام . وطلب زعماء العلويين جميعاً (من جبل لبنان إلى جبل الأقرع) وكان بينهم المقدمون والمشايخ المعروفون وكانوا نحو خمسماية نفس . ولما وصلوا استقبلهم في الجنينة في حكومة حماه ودعاهم ثانياً لبيت نوري باشا وهو من أشراف حماه . وكانت تلك الدقيقة من أهم الازمنة للحكومة العثمانية، لانهُ جرى البحث فيها عن تنظيم الامور وتأمين المستقبل وحفظ الموازنة في سوريا !

وكان أول خطاب مدحت باشا للحاضرين من العلويين مـا يأتي :

— يا امراء ومقدمين ومشايخ ! لماذا تبقون تجاه الحكومة في موقع العصاة وانتم مصرون على عدم تأدية التكاليف الاميرية وعلى عدم ايفاء الخدمة العسكرية ولا تقبلون الاحكام القانونية، وانتم مصرون على مخالفة الحكومة ؟!..

كان العلويون مدة أربعة أعصار تابعين لحكومة تريد محوهم، وكان إذ ذاك أعظم رجل في تلك الحكومة يخاطب اولئك العلويين الذين أنقضت ظهورهم أثقال المظالم حتى اوقعتهم في جهل مظلم وانحطاط عظيم وجعلتهم يعتادون على خشونة الطبع وقصر الحاكمة ، وهو يسألهم عن أعظم وأدق مسألة تتعلق بإدارة الملك !!..

سكت العلويون أمامه مظهرين الارتياح والتوكل ولم يبدوا الا اشارة الحيرة التي تدل على عدم إحاطة أدمغتهم بذلك الموضوع الغريب !

فأجاب مدحت باشا على سؤاله هو بذاته :

– يا أولادي ! أنا أجيب عنكم :

أنتم لا تعترفون بعدالة الحكومة لانكم لم تروا في أعمالها شيئاً يدل على النيات الحسنة نحوكم ، ولم تصادفوا قراراً لها في شؤونكم يوافق قواعد العدل .

لا تنقادون لأوامر الحكومة ، لأن المأمورين الذين يذهبون لعندكم لا يعملون شيئاً إلا تذليل نفوسكم العزيزة ولم تكونوا في نظرهم إلا غنيمة تؤكل ، ولم تشاهدوا في الحكومة اذناً تصغي لأنين شكواكم وأنواحكم تذهب ضياعاً ، فأنتم تعتقدون ان هذه هي الحكومة !

اما السوريون ! فانهم يعتقدون انكم ذوو أخلاق تقتضي معاداتكم الى الابد ويهتمون في إقناع الحكومة على ذلك .

بقيتم تجاه الحكومة في موقع العصاة ، لأنه لا يوجد في جبلكم مدرسة تعلمكم واجباتكم ولا طريق يوصلكم لمراكز المدينة ولا أثر يدلكم الى العمران والرفاهيـــة ، ولم تشاهدوا سوى المظالم والتعديات التي اوجدت فيكم المخالفـــة وخشونة الطبـــع .

فلذلك بقيتم دائماً كالعصاة وواظبتم على الممانعـــة والمخالفة وهذا امر طبيعي فلا لوم عليكم ؟ ! .

يا اولادي ا أطمنكم ، اني سأدفع عنكم تلك الاحـــوال الادارية السقيمة . وسأجعلكم تستقلون في الحكم بأنفسكم كما هي الحالة في جبل لبنان .

سأفتح لكم مدارس تساعدكم على الترقي وتعلمكم واجباتكم ، وأنشيء لكم طرقاً تسمح لكم بالاشتراك في الحيـــاة البشرية العمومية ، وتكونون انتم الحكام على أنفسكم ، وحينئذ تلقون أنفسكم في حضن أمكم الشفوقة الحكومة العثمانية .

تقرر جعل قرية الشيخ بدر مركزاً للمتصرفية المتصورة ، على ان يشكل في بلاد العلويين لواء مستقل .

أرسل مدحت باشا اللوائح المفصلة إلى الاستانة بوجوب تشكيل لواء مستقل يشمل بلاد العلويين وتكـــون له صبغة خصوصية تشابه ادارة جبل لبنان ، ومركزه الشيخ بدر .

فعند ذلك تحركت خواطر أشراف الشام وحماه وأقاموا ضجة عظيمة بأن مدحت باشا لا ينوي إراحة الحكومة ، بل

قصده اعلان استقلاله ضد الحكومة وانه يمثـــل دوراً شبيهاً بدور محمد علي باشا المصري .

وزادوا في طعنهم بان مدحت باشا يفتخر بهذه الكلمات : (أنا الذي خلعت عن السلطنة الملكين !!..) وهمـــا عبد العزيز ومراد .

ووالوا شكاياتهم لعبد الحميد الثاني المرحوم وللمابين الهمايوني، وهذه كانت أعظم مسألة تقلق بال عبد الحميد .

نقل مدحت باشا والياً على ازمير . وأتهم بانه يسعى في استقلال سوريا وانهُ ينوي تفريقها عن الجامعة العثمانية.وأعظم دليل على نواياه كتاباته التي تطلب الادارة المستقلة لجبل النصيرة ولوائحه المرسلة في هذا الموضوع . وقد اتخذت تلك اللوائح من الاسباب الخفية التي استلزمت الحكم عليه بالنفي الى الطائف واعدامه غدراً بها .

اما من كان من العلويـــين ينتسب لمدحت باشا ، أي رئيس عشيرة المتاورة، هواش بك فانه أتهم بانه اتفق مع الأمير عبد القادر الجزائري على السعي في الحـــاق سوريا الى الحكومة الفرنسوية . والوالي حمدي باشا الذي خلف مدحت باشا في الشام ، نصب أمام عينيه الأوهام واتخذ دستوراً له السعي في اماتة فكرة استقلال جبل النصيرة . مع ان الامير عبدالقادر الجزائري كان تحت الحماية الفرنسوية، وهذه الحماية تمنع الحكومة العثمانية من استعمال الشدة معه . وقد توفي الامير عقيب تلك الوقعات . وبعد سجن طويل نفي هواش بك وعائلته لجزيرة

رودس . وكان قد أخمدت نيران فكرة الاستقلال في الجبل .
مع ان المسأله كانت عبارة عن جعل الجبل قوة ناظمة في ادارة سوريا . وهذه الحكومة العثمانية التي لم تنتبه لتناقص العنصر التركي في الأناضول لم تطق ان يكون العلويون ناظماً في سوريا، بل داومت على اعتقادها بان العلويين مضرون في جبلهم الفقير.

* * *

بعد مدحت باشا جاء بعض رجال تركيا واقتنعوا بوجوب تنبيه العلويين . ومن هؤلاء متصرف اللاذقية ضيا باشا الشهير .
فهذا الرجـــل القدير ، أنشأ المكاتب والجوامع في قرى العلويين وسعى في تقريبهم من الحكومة . ولكن انحصر هذا العمل بشخصه وبعد مدة يسيرة افل ذلك الامل .

* * *

كانت الادارة القديمة في السلطنة العثمانية تبتنى على العوائد والتعامل اكثر من الاصول الرسمية والقوانين . وبعد التنظيمات الخيرية وعلى الخصوص التشكيلات العدلية ، تغير طرز المظالم في العلويين .
كانت تطبق في الادارة القديمـة للولايات اصول المأذونية الواسعة، وكان اصحاب الأملاك والتيمار والزعامة يهملون جبل النصيرة الذي لا يمكن الحصول على النفع منه . فلذلك كانوا بعد محاكمة بسيطة يتركون الجبل وأهله على حالهم . وكما قلنا ان الحروب العشائرية لم تكن تهم الحكومة فكان العلويون أحرار في جبلهم كالطيور .

ولكن التنظيمات الجديدة أوجدت مجالاً لانفاذ تصورات المأمورين وكان ذلك يكلف الحكومة ثمناً غالياً ، ولكن هؤلاء لا يهمهم الانفاق كاصحاب التيار واصحاب الزعـــامة . فعند ذلك خلقت آذان تسمع الشكايات والوشايات ضد العلويين . حتى هوجم جبل العلويــين مرات عديدة بقوات عسكرية . والاسلحة الحديثة الموجودة في يد الحكومة كانت تفرق شمل العلويين بسهولة .

واتخذ في المحاكم اصول المحاكمة الدقيقة دستوراً،والنظريات الدقيقة . فعند أقل ذهول في المدافعة لدى المحاكم كان الذي يؤدي لضياع الحقوق . وبما ان المحاكم لم تكن على الحياد كان العلويون يخسرون حقوقهم وتعطى أموالهم للغير .

كذلك المعاملات الادارية والطــابو تبدلت لطرز حديث .

وكان مأمورو الدوائر في الحكومـــة من السنيين وحدهم فانتقلت اعظم الأموال الغير منقولة لغير أيادي العلويين وبقوا هم في جبلهم كالأسارى .

فاعتبار السندات العادية والبيوع الغير رسمية والشروط في المواضعة الغير معروفة عند العلويين وتركيب المحاكم من حكام سنيين ومن حيث الاجمال نقول ان سوء الاستعمال في الدوائر انتج انتقال الف وثلاثمائة قرية مع أراضيها وأملاكها ومواشيها الى ملكية السنيــين والمسيحيين وبقي ملاكها الأولون أي العلويون مرابعين .

سقط العلويون الى درك الأسر كما كان الحال في القرون المتقدمة .

ولما كان لا بد للضعيف المظلوم من التوسل بالخيانة لكي يحافظ على حقوقة او يستردها . وهذا أمر طبيعي يساق اليه كل انسان .كان العلويون كلما غصب السنيون اموالهم وحقوقهم يتوسلون بغدر السنيين عند سنوح الفرصة . وقد سقطت الأخلاق و كثر الكذب واستبيح مال الغير حتى وصل العلويون الى حالة تعادل حالة من كانوا في دور الجاهلية بعد ما كان الجبل مهداً ووطناً للورع والتقوى .

تأثير الحرب العمومية على العلويين

سنة ١٣٣٠ ـ ١٣٣٥

●

اتضح للعموم ان البناء العثماني مائل للانهدام . وان الشكل المطلق في الادارة هو السبب لهذا الضعف ، فكان ما كان من تغيير طرز الادارة في سنة ١٣٢٤ واعلان الدستور .

كان طرز الادارة قبلا يذكر اتحاد الاسلام ولو بشكل اعرج ، فظهرت جمعية الاتحاد والترقي وقالت بلزوم اتحـــاد العناصر وجعل سكنة المملكة من جنس واحد وهو العثمانية التي تتشكل من العناصر التركية والعربية والجركسية والكردية واللازية والارناؤوطية والبوشناقية واليوماقيـة ما بين علويين وسنيين ، ومن العناصر المسيحية الرومية والارمنية والآشورية والكلدانية والمارونية ، مع اصناف عنصر اليهود . وتكوين خليطة منهم تدعى (الامة العثمانية) .

لم تمض سنة واحدة الا وقـد ظهر فشل تلك الفكرة . وأمطرت الايام اسباب الافتراق . لان الاتراك فتحوا النوادي باسم (الترك) ، فلما رأت العناصر الاسلامية الاخرى ذلـك

اعقبتها باسم النادي العربي ، ونادي اتحاد الاكراد ، ونادي باشقيم للارناؤوط وهـــلم جراً . والعلويون وحدهم هم الذين بقوا مع الاتراك .

اما نوادي العناصر الاخرى فجعلت تتطور بشكل مخيف. فالارمن فتحت نواديها السياسية وغايتها الاستقلال التـام في البلاد التي يقطنها الأرمن . وبدلاً من ان تكون هذه النوادي مشلتة في البلاد الاجنبية تيسر لاربابها المجيء لداخل المملكة وبث فكرتهم السياسية فيها ، بل انهم جعلوا في نواديهم قوى مسلحة واجرائيـــة حتى تجمع من شعبهم الدراهم المساعدة لاستحصال غاياتهم السياسية .

وأنقسم الاتراك الى اقسام سياسية متضادة وكان منها من يقول بلزوم الاتحاد بين العناصر ومحو العوائد القديمة ومبدأهم هدم ذلك البناء المؤسس منذ ستماية سنة وبناء غيره على انقاضه مع انهم غير قادرين على حفظه .

فتباينت العقائد السياسية وظهر الخــلاف باسم الدين ، وتشكل حزب معارض وهو (الاتحاد المحمدي) وانفجرت القنبلة المعـــدة للفوضى (في ٣١ مارت سنة ١٣٢٥ مالية) واعقبتها القيامة الصغرى في أطنه وهي (في ١ نيسان ١٣٢٥) ونشب القتال في استانبول مــــا بين الحزب المحمدي وحزب المتطرفـــين أي جمعية الاتحاد والترقي التركية وكلاهما من المسلمين . أما في أطنه فقد نشبت بين الاتراك والأرمن فقط . ولا يعني تاريخنا بمسألة اطنه الا من حيث تعلقها بالعلويين .

كان في بلدة اطنه في تلك الأيام مقدار اثني عشر نفس من الأرمن وهذا عدا ممن كانوا جاءوا لغـاية سياسية (ثورويه) وكان في ملحقاتها مقدار خمسين ألفاً، والجميع مسلحون بأسلحة من الطرز الأخير وهم يملكون المواد الانفلاقية بكثرة .

وكان الأتراك لا يملكون إلا أن الحكومة حكومتهم .

والعلويون ليس لهم فكرة سياسية ما . واسلحتهم عبارة عن نواياهم الصافية وحب الاتراك والارمن معاً .

هيأ الارمن أسباب الثورة، وكان لهم أمل كبير بأن لا يمر ثلاثة أيام على ثورتهم الا وتدركهم القوات الأجنبية وتجعل لهم الاستقلال التـــام وتكون اطنه (أي الوطن القومي القديم للارمن) حكومة أرمنية جديدة . فاندفعوا بهذه الفكرة وما قصدهم الدفاع إلا ثلاثـــة أيام على ان يثبتوا تفوقهم . وهيأوا أسباب الثورة وجعلوا بيوتهم كالاستحكامات وبينها الأبواب والمداخل السرية فوق الارض وتحت الارض وكانوا يظنون ان مهماتهم الحربية أكثر من اللازم .

كانت اطنه في الحريق بين القنابل ، والحكومة متلاشية في استانبول ..

دامت الحرب في بلدة اطنه حتى جاءت القوة من الروم ايلي أي ادرنة . ومجيء العساكر لم ينفع لاطفاء نار الثورة في البلد بل هيجها حتى انحلت القوات الارمنية ولم ينـــج من الارمن إلا من التجأ لحي العلويين ، وبذلك اكتسب العلويون

شرفاً عظيماً وظهرت نياتهم الحسنة التي لم يشك بها أحد .

• • •

أحدثت هاتان الواقعتان تغيراً عظيماً في جمعية سياسة الاتحاد والترقي ، إذ هدمت التشكيلات العسكرية في الحكومة من أساسها . وأخرجت الأمراء والضباط الذين لاحظت فيهم روح المخالفة وغيرت خطتها تجاه العناصر الغير مسلمة . وظهر غلط فكرة توحيد الملل والعناصر وأبدلت تلك الفكرة بفكرة المحو بالجبر والشدة . وقد كان المسيحيون أيضاً تشبعوا بروح الثورة والافتراق أكثر من ذي قبل .

وآخر فكرة كانت لجمعية الاتحاد والترقي هي تمثيل العناصر التي هي غير تركية في الشعب التركي . ثم حدثت حرب البلقان وكانت مفيدة تجاه فكرة جمعية الاتحاد والترقي ، إذ تخلصت الجمعية في نتيجتها من الارناؤوط والبوماق وطرابلس الغرب . ولكنها من جهة أخرى زادت فكرة القومية بين الاكراد والعرب وظهرت نغمات اللامركزية . وكان الاكراد يطلبون إعمار بلادهم .

اهتمت جمعية الاتحاد والترقي لذلك كثيراً ، لأن البلاد العربية واسعة وسكانها كثيرون وكانت تخشى من تشكل الاكثرية في مجلس المبعوثان مستقبلا من العنصر العربي .

ولذلك كانت الحرب العامة لدى الاتحاديين كنجدة سماوية ، تد دخلت جمعية الاتحاد والترقي الحرب بتهور واستعجال

لانهم كانوا يرجون بها تحقيق جميع آمالهم أي تأمين صبغتهم التركية .

* * *

ان الحكومة الالمانية التي كانت أقوى حكومة عسكرية لم تجند سوى (١ من ١٢) من نفوسها . ولكن الأتراك الفقراء الذين يملكون بلاداً تزيد حدودها عن البلاد الالمانية خمسة مرات ، جندوا (١ من ٥) من نفوسهم لكي يتسنى لهم (الحرب الهجومية) .

لم يكن قصدنا بيان خطيئآت رجال الترك في الحرب . وانما نريد بيان تأثيرها على العلويين .

قررت جمعية الاتحاد والترقي برنامجها وتوسعت في مراميها فيه وقد كان منه' تتريك الأكراد ومحو الأرمن وجعل سوريا الغربية ، تركية محضة . ولهذا السبب نظمت القوانين اللازمة واعطت السلطة المطلقة للحكومة العسكرية والادارة .

واعظم تدبير هو تهجير الارمن من الأناضول . وكان كذلك حتى نال الأرمن من ذلك أعظم المصائب لان التهجير حصل بقسوة شديدة . ونستطيع القول بان نصف نفوس الارمن هلكت في ذلك ، وهذا عدا الأضرار المادية والمعنوية .

* * *

سكن جمال باشا السفاح في بيروت بحجة استحضار وسائل الهجوم على مصر . ولكنه' لم يتوفق الا لاهلاك جبل لبنان وجبل النصيرة من الجوع ومن الحمى . وكان القصد في نتيجة

الحرب جلب جميع اتراك الروم ايلي الى سوريا الغربية واسكانهم فيها . وتهجير علويي اطنه الى داخل الأناضول وتتريكهم .

* * *

جرى تهجير الارمن اثناء سقوط ولايات وان وبتليس وشمالي الاناضول فسهل اسكان مهاجري الاكراد في البلاد التركية. ولم يبق نقص في الآمال سوى تمثيل العلويين وجعل بلادهم تركية .

* * *

كان أكثر أفراد الفرقة السادسة عشر التي تنسب الى اطنه من العلويين في اطنه وقد اظهرت هذه الفرقة في حرب« جناق قلعه » بسالة لم يذكر مثلها التاريخ لانها ، أجبرت على فتح صدورها تجاه المدافع البحرية التي هي من عيار (٣٥) .

أما علويو انطاكية وجبل النصيرة فلم يكونوا الا مأكلاولم ينظر لفقر حالهم . وبعد أن أخذ ما عندهم من الأموال سيق كل رجالهم من شبان وكهول الى الحرب .

وقد انتج ذلك ضعفاً في الزراعة حتى وصلت الى ربع ما كانت عليه في اطنه وكانت الحكومة تأخذ الحاصلات العشرية ضعفين ثم ابلغتها لثلاثة أضعاف ، مع ان هذه الكمية تعادل نصف الخارج فلم يبق بعد البذار شيء يذكر . وفوق ذلك باشرت الحكومة بالشراء الجبري بحجة انه لازم للجيش. فجعل الناس يستعجلون بالقاء البذر في الاراضي قبل أوانه

تخلصاً من البيع الجبري والذي لم يستعجل كان يبقى بدون زراعـــة .

فهذه الادارة جعلت الحبوب كلها في يد الحكومة وتشكلت دوائر مخصوصة لاعاشة الأهالي . ومنع الناس من شراء الخبز الا من دائرة الاعاشة . فعند ذلـك قررت هيئة الاعاشة في اطنه ان الاثني عشر محلة المسكونة بالعلويين في اطنه لا تحتاج للاعاشة وقطعت عنها الخبز ولم يستفد الا العلويين الذين هم داخل المحلات التركية . ولما كان هذا القرار منحصراً في محلات للعلويين كان القصد منه ظاهر كالحقيقة العرياء .

اما جبل النصيرة الذي لم يكن ليعطي حباً يكفي اهله ، فقد بقي تحت خطر الجوع وخطر الحمى التيفوسية التي توسعت في اعالي الجبل واسفرت عن وفاة مائة الف نسمة فيه .

ان خطيئات الحكومة العثمانية اهلكت قسماً عظيمـاً من السكان ، ولكن لم يحصل في احدى البلاد العثمانية من النكبات مثل ما حصل في جبل لبنان وجبل النصيرة ، ولم يقع الناس في الفقر مثل من كانوا في جبل النصيرة . اي جبل العلويـــين . وكاد الجبل ان يخلو من السكان

الدور السابع

من هدنة موندروس الى انقضاء الصلح العمومي

كان المتحاربون حزبين : الحزب الاول يتركب من المانيا والنمسا والبلغار والحكومة العثمانية . والحزب الثاني يتركب من ثمانية وعشرين حكومة ، منها الانكليز والفرنساويون وايتاليا والروس والصرب واليونان ورومانيا والجماهير المتفقة الاميركية . فعظمة الحزبالثاني ألقت اليأس في جيوش الحزب الاول . وانهكت القوى البلغارية لانه أصبح تجاه كل مدفع بلغاري عشرة مدافع في صفوف الاعداء فسقطت بلغاريا . وتأثرت الجيوش التركية من جراء ذلك حتى اسفرت النتيجة عن سقوط سوريا بعد فلسطين والعراق .

أظهر أهل الشام العدوان تجاه الاتراك الهاربين أمام جيوش الحلفاء، وهذا العداء أثر على الحكومة التركية فأمرت بطرد العلويين من اطنه !.

وأول أمر جاء لاطنه يعطي المأذونية للسلطة الادارية في نفي العلويين الذين تقع عليهم الشبهة . والامر الثاني يأمر

بأخذ الاسلحة الحربية من العلويين وحصر خدمتهم في الخدمات الغير مسلحة ، والامر الثالث يقول بلزوم اجلاء العلويين عن اطنه ، ولكن هذا الامر لم يأت إلا قبل ثلاثة أيام من انعقاد الهدنة في موندروس .

• • •

ذهب مندوبو الترك الى جزيرة موندروس الكائنة بقرب مدخل جناق قلعه . وعقدوا الهدنة مع مندوبي الحلفاء .

عقد الهدنة منعت ان تكون سهول اطنه خالية من الناس كما كانت بعد أيام الصليبيين . لان بقيـــة الجيوش التركية عزمت على التحصن في بلدةاطنه وقررت المدافعة ازاء الجيوش الانـكليزية والعربية ، وبينهم من كانوا من الارمن المتطوعين . وكان قصد الاتراك إذا اضطروا للرحيـل ان لا يبقوا حجراً فوق حجر في اطنه . وأن يلجأوا لجبـال طوروس الشهيرة ويتخذوها خطاً للمدافعة . لذلك جعلت هدنـــة موندروس العلويين والاتراك مسرورين في اطنه . لانهـا ضمنت حياتهم بكل معناها وهذا كان في ١٨ تشرين الاول سنة ١٣٣٦ مالية وسنة ١٩١٨ ميلادية .

ومن جملة شروط الهدنة تخلية كليكيا وتسليمها لعساكر الدول الائتلافية . والناس تظن عربية .

بوشر في التخلية من تاريخ الهدنة وكانت تبـــاع بعض الاشياء العسكرية بأبخس ثمن والضباط يبدلون الذهب الموجود

معهم بكثرة باوراق تركية لتخفيف النقل حتى رخص الذهب وكانت الليرة العثمانية تساوي سبعــــة أوراق فنزلت قيمتها للثلاثة أوراق .

* * *

بقيت العساكر العربية المنسوبة للامير فيصل في قاطمة التابعة لحلب . ولم تفهم الناس الحالة . لان الناس تظن ان الاحتلال سيكون عربياً .

وبعد ذهاب العساكر العثمانية كلها ، بقيت أطنه مدة بلا قوة عسكرية ، ثم جاءت هيئة فرنسية كما كان مشروطاً في عقد الهدنة واستقبلت في محطة بغداد . وهذا اليوم يضطرب منه الوجدان والقلب بعد مصائب الحرب .

ان الجيوش العثمانية والالمانية لم تستطع نقل كل ما كان لها فكانت تباع الاسلحة كأنها بلا بدل . حتى بيعت المـــاوزر الالماني الجديد بثلاثة ورقات تركية.والمتراليوز بثمانية ورقات.

كان اغلب الضباط اتراكاً وعمومهم سنيون . وعدا عن ذلك كان منع جمال باشا (الصغير) اعطاء الاسلحة للعلويين. فتوزعت الاسلحة والمهمات العسكرية التي لم يتيسر نقلهـا للمسلمين الاتراك خفية" وكان محل التوزيع في الاغلب مستودع العسكرية ودائرة الدرك في اطنة .

والحاصل انه لم يعط لاحد من العلويين خرطوشة واحدة .

وبعد ذلك جعل الارمن يأتون الى اطنه وكانوا تضرروا كثيراً من جراء تهجيرهم . وكان اكثرهم قتل في الطرق والتهجير فكانت فكرة الانتقام عندهم قوية جداً . وعدا عن ذلك كانت المواعيد الاجنبية اسكرتهم وهي عبارة عن خيالات الاستقلال، وتابع مجيئهم بكثرة وهم يبقون في اطنه . لانهم لم يتمكنوا على المداومة في طريقهم ورضوا بالسكنى في اطنه التي ستكون وطناً مستقلاً لهم .

ادرك الاتراك الخطر الارمني في الحال . ودهشوا من تصور النتيجة . فباشروا بالاستحضارات المقتضية ازاء الهجوم المحتمل ضدهم واعدت القوى التركية .

ومع ان المصائب والخطر لم يكن بدرجة يمكن الوقوف امامها . لان الأرمن كانوا ممتلئين من النوايا القطعية المملوئة بحب شرب الدماء وهم عدد كبير جداً .

وفي تلك الايام كان رؤساء واشراف العلويين يلتحقون بالاتراك ولكنهم لم يتوفقوا للاشتراك في مسألة ما .

جاءت لاطنه قوتان مهمتان من الارمن الذين خدموا الحكومات الائتلافية اثناء الحرب خدمات تقدر . واسم تلك القوتين (ليجيون ارمنيان) فاحتشد نصفهم (آلاي) في اطنه والنصف الثاني (آلاي) في (قورت قولاغي) بجانب اياس الشهيرة .

ومن دواعي الاسف ان افراد هذين الفصيلتين لم يكونوا يعرفون العدو من الصديق ولا البريء من المذنب ، بل كانوا

مشبعين بفكرة محو المسلمين وجعل كليكيا وطناً قومياً للارمن كما كان يعدهم بذلك الانكليز .

* * *

كان الأرمن يعتقدون ، ان هاتين الكتيبتين (ليجيون ارمنيان) هما الصخرة الاولى التي ترتكز عليهـــا الحكومة الارمنية المستقبلة التي وعدهم بها الانـكليز .

وكان الاتراك يعتقدون ان هاتين الفصيلتين هما من الارمن الفدائيين الذين جاؤا لينتقموا من الترك لما اصاب قومهم الارمن في الحرب من النفي والقتل وغصب الاموال الـــتي كانت مسؤوليتها منحصرة في بعض رجال الاتحاد والترقي .

ولم تكن في أطنه إذ ذاك حكومة ، حـــق ولا شبه حكومة !! .. فكثرت الفوضى وعمّت البلوى . وجعـــل الأرمن يعتدون على كل من اسمه محمد أو أحمد ، أو كل من كان متعمما او لابس طربوش .

وكان العلويون فاقدين كل أسباب الدفاع ، لأن الأتراك كانوا قد حرموهم من الأسلحة فاضطرتهم الحال او المصلحة إلى التفكر (ماذا يجب ان نعمل ؟ !) و (ما هو نصيبنا في المستقبل ؟ !)

كان الأرمن الذين قدموا أطنه ، من سكان كل أنحـــاء الاناضول المختلفة ، وكانت تشكيلاتهم الاجتماعيـــة والقومية تامة ، وفوق ذلـــك كانوا تحت حماية الدول الائتلافية التي تكفلت بإطعامهم وإيوائهم واستحصال حقوقهم .

تشكلت لجان الصلح ، وكانت لا تسمع الدعاوي إلا من الارمن وصلاحياتها غير محدودة ، والاسباب الثبوتية لديها غير منحصرة ؟!... والحكم غير قابل للطرق القانونية !.... وعدا عن ذلك تشكلت قوات ارمنية غير رسمية وبدأت في التنفيذ.

اتحد الاتراك تجاه ذلك الخطر ، وأتخذوا البناية الجسيمة الواقعة تجـاه الحكومة نادياً لهم ونظموا الدرك والشرطـــة حسب ما يشتهون ، وسلحوا أفرادها بالماوزر الالماني،ونظموا الحراس في البلدة على هذه الصورة . وكان النادي التركي يدير شؤون الجميع .

وكان العلويون الموالون للأتراك يتبعونهم ويحضرون جميع اجتماعاتهم السياسية والخفية ، ويستاؤن من إهمال الترك لهم . وأخيراً يئسوا منهم ، واضطروا لاتخاذ تدابـــير دفاعية خصوصية ، وذلك بعد انتظار مديد .

• • •

ظن الاتراك انهم اصبحوا قادرين على الدفاع تجاه الأرمن الذين حصلت لهم المظاهرة اثناء وقعة اطنه من قبل جمال باشا السفاح .

باشر العلويون اخيراً بعقد اجتماعات سياسية وجعـــلوا يتذاكرون فيما بينهم في التدابير التي يجب اتخاذها في الحالة الحاضرة التي كان خطرها عليهم يزداد يوماً بعد يوم .

وكانت مذاكراتهم نزيهة خالصة ومبنية على النوايا الحسنة . ولم يكن لهم قصد ما باضرار الغير . اذ كانت مذاكراتهم فيما يعود بالنفع على شعبهم .

وبالنتيجة ، تشكلت الجمعية العلوية بصفتها عربية محضـــة تحت اسم (انتباه مــلي) اي (اليقظة القومية) . وتألفت هيئتها المركزية ممن كانوا يسعون في تشكيلهـا وعددهم عشرة « وكان صاحب هذا الأثر كاتبهم . »

وبعد اجتماعات عديدة دعت الهيئة المركزية جميع العلماء والاشراف والقسم المنور من العلويين الى مكان خاص .وطلبت آراء العموم في تلك التشكيلات بعد ان بينت لهم حرج الحالة والخطر الذي يهددهم . وقرأت برنامجها .

ثم بوشر بتحليف الحاضرين اليمين على الاخـــلاص . وفي المقدمة المشايخ العلويين .

• • •

اخذ العلويون يعقدون الاجتماعات الخفية الخاصة بدون مشاركة الترك . وكان الارمن يصلون الى اطنه افواجاً افواجاً مندفعين برغبة تكوين حكومة كيليكيا الارمنية التي كانوا يتخيلونها منذ سنين .

ومع ان العلويين كانوا مبتدئـــين في الأعمال السياسية ، ظهرت فيهم قابلية تامة للاتحاد ، وتمثل فيهم الشعور القومي سريعاً بما كان لهم من حسن النية . غير ان الاتراك ، والعلويين الموالين لهم ، كانوا يظنون ان هذه الحالة هي حركة افتراق . ولذلك كانت تتعرقل اعمال التشكيلات العلوية احياناً .

• • •

بعد ان تشكلت الجمعية (اليقظة الملية) سافرت هيئتهـا

لطرسوس بقصد نشر وتعميم دعوتها . وبعد ان قامت بمساعي مثمرة في طرسوس رجعت بدون ان تزور العلويين في مرسين. فاسفر هذا العمل عن اعتزال العلويين في مرسين اعتزالاً ظاهرياً وهمياً . مع انهُ لم يكن هناك في الحقيقة ادنى مخـالفة او معارضة . وقد اسس علويو مرسين (الجمعية الشيعية العربية الخيرية الاسلامية) وباشروا باعمالهم ازاء اطنه .

رأى الاتراك ان العلويين قد سبقوهم في العمل الحازم فاعترفوا لهم بهذه المزية. وكانت الحالة مساعدة للعلويين فحازوا ارفع مكانة في كيليكيا . ورأى الفرنسيون ذلك ، فقدروهم حق قدرهم واحترموا شأن جمعيتهم .

• • •

كانت أعمال الارمن واندفاعهم في التعدي والتهديد ، مما حمل العلويين على اتباع خطـة الاحتراز . وكانت حكومة الاستانة تهمل وظيفتها نحو أطنه . فاقتنع الجميع بانه يجب على كل شعب أن يتشبث بالمحافظة على مصالحـه بذاته ويدير أموره بنفسه .

• • •

فشلت التشكيلات الدفاعية التركية في أطنه باول صدمة . ولما عزل بعض المستخدمين في العدليـة والدرك والشرطة ، وأبعد بعض الرؤساء لخارج كليكيا ، سقطت قوة الاتراك وأغلق ناديهم وأعطيت الوظائف المهمة للعلويين، كرئاسة البلدية ومديرية الشرطة وبقية الرئاسات في الدوائر . وعدا عن ذلك

كان الرجال الفرنسيون يلتفتون لاعيـــان العلويين . فأحرز العلويون مكانة عالية وحظوا بأيام سعيدة تساعدهم في أعمالهم الخالصة ، وبتعبير آخر ، أصبح الاتراك تابعين للعلويين ولو فكراً . والروم من أصدقائهم والارمن من محبيهم .

في صيف سنة ١٩١٩ جـاءت اللجنة الاميركانية لاطنه للوقوف على رغائب الشعوب .

امتنع الاتراك في أطنه عن ابداء الرأي وأظهروا ارتياحهم الى الحكومة التركية .

وطلب الارمن استقلال كليكيا الارمنية المخيلة . وقالوا أنهم موعودون بذلك من قبل الحلفاء وأدعوا الحق بكليكيا التاريخية .

وأبدى الاروام رأياً خداعياً اذ قالوا : ان البلد وكليكيا للارمن فلا حق لنا في ابداء الرأي .

والآشوريون والكلدانيون انضموا للارمن في المطالب .

وقد انضم بعض أشراف العلويـــين الى الهيئة المركزية لجمية « اليقظة الملية » وحضروا جميعاً أمام اللجنة الاميركانية وقالوا :

« ان كليكيا هي من البلاد العربيـة من حيث التاريخ والجغرافيا والاقتصاد والاساسات العرقيـة لسكانها » وأبرزوا الدلائل المادية والتاريخية وطلبوا من عواطف الدول المتمدنة أن ينظروا في حالة كليكيـا الخصوصية وأن لا يرموها بالقلاقل بتشكيل حكومة أرمنية فيها . وأضافوا على ذلك

قولهم . اذا لم توجد قوة متحايدة عظيمة في أطنه تكون العناصر المحلية فيها عرضة لمصائب القلاقل والفوضى . وبرهنوا على صواب أقوالهم بالادلة المقنعة القاطعة . وكان المتكلم الوحيد صاحب هذا الاثر ، باسم العلويين وبصفته الكاتب العمومي لجمعية « اليقظة القومية » .

ولم يبحث العلويون عن شكل سياسي لأطنه ، بل استلفتوا النظر لأحوالها الخصوصية وللاسباب الموجبة لتأمين راحة أهلها فقط وبرهنوا على تفوقهم العددي على الأرمن وحدهم دون الاتراك .

اتحد العلويون في المدافعة تجاه الخطر الأرمني ، وسعوا في الاستفادة من الرقابة – الأرمنية والفرنسية – إذ كانت هذه الرقابة الضمان الوحيد لحفظ الأمن في البلد . وبهذه الواسطة كان العلويون يظنون أنهم يتمكنون من المحافظة على مصالحهم .

الفوضى في كيليكيا

وتأثيرها على العلويين

●

١

الفوضى وعلويو اطنه

كانت كليكيا سيئة الحظ في التاريخ وماضيها يدل على انها كانت دائمـــاً عرضة للنكبات . فإنها كانت في كل الأدوار التاريخية ، الصلة الوحيدة بين الشرق والغرب ، فهي ميدان الحرب والممر الوحيد بين المهاجمين والمدافعين .

وفي الحرب العـــامة أهدت انكلترا هـذه البقعة المسكينة أولاً لفرنسـا ، ثانياً لايطاليا ، ثالثا للأرمن ، رابعـاً للعرب . وهي نفسـها لا تخـلو من الطمع بها لأنها ممر الهند . وكليكيا لم تكن أقل أهمية من قبرص التي تملكتها انـكلترا لغاية تأمين طريق الهند عندما تفتح ترعة بين الفرات والعاصي فتكون قبرص قفل باب الطريق من البحر وكليكيا باب الخط الحديدي في البر .

وعند انتهاء الحرب وخروج انكلترا ظافرة منها ، كانت المسألة المهمة هي : « كيف تحل انكلترا العقدة المعقدة وتؤلف بين تلك المواعيد الاربعة المتناقضة ؟!. »

قال الانكليز للامير فيصل ما قالوه ! ووقفت جيوشه في « قطمة » ولم يؤثر الامير على كيليكيا بـــل كانت مساعيه عبارةعن تشبثات ابتدائيةوسطحية انتهت بالفشل في كيليكيا

وقد اظهرت ايتاليا كياسة في سياستها اذ انها لم تدع حقاً في كيليكيا .

ولم يبق هناك سوى املين متصادمين وهما : ١ً الحاكمية الارمنية الناجزة : ٢ً الحماية الفرنسوية « الانتداب »

ابرزت الجمعيات السياسية الارمنية همة عظيمة فيمساعيها، فاجتمع في بلدة اطنه وحدها ١٢٨ الف ارمني وهذا عدا عن دريتيول وسيس وحاجين وبقية كيليكيا.وكانت فرنسا تؤمل ميل جميع المسلمين اليها وقد اعترف رجالها مراراً عديدة امام الجمعية العلوية بانهم يعلقون آمالهم على الشعب العلوي . وقــد سبق القول ان العلويين ظهروا بالرأي على الأتراك . لانهمعلموا حق العلم انه لا سبيل للتخلص من آمـــال الارمن والفوضى القريبة الملموسة الا بالالتجاء لحماية فرنسا .

• • •

اتحدت الكتائب الارمنية مــــع بضعة آلاف من الارمن المصممون على الانتقام في كيليكيا. وحمل الجميع يعتدون على المسلمين (علويين وسنيين) . ومن العجب ان اعظم تعدياتهم

كانت تقع على العلويين لانهم في طوق البلدة . ولكن بدون ان يحصل فيها تلف نفس. واخيراً عم الاعتداء جميع المسلمين. واصبح لا يؤمن الخروج من البيوت ليلاً . لا بل التباعد نهاراً عن حي المسلمين . ولم يكن يستطيع احد من المسلمين (سنيين او علويين) التعرض لاحد من الارمن ولو بوجه مشروع أو بشكل مدافعة ، ولو كان المسلم مأمور ضابطة والارمني مجرماً جرماً مشهوداً . حتى ولو كان جرمه ضد أرمني آخر !..

مر شتاء طويل على تلك الحاله المخربة والمدهشة الهائلة !.

• • •

في شهر أيار سنة ١٩١٩ ميلادية ، وصلت لاطنه قوات انكليزية وكان معظمها من العساكر الهندية . وبوصولها سقطت اهمية العساكر الارمنية (ليجيون ارمنيان) . ولكن تبدلت افراح المسلمين (من المذهبين) بالاتراح . اذ باشرت الجنود الانكليزية بمصادرة الاسلحة من المسلمين . وقام بتلك المهمة قايد عموم القوات الائتلافية في اطنه وهو الجنرال « ماج » الانكليزي . واتخذ لها تدابير صارمة شديدة .

كان الارمن يدعون انه يوجد لدى العلويين خمسة عشر الف ، ولدى الاتراك خمسون الف ماوزراً . وقد اقنعوا القوات الاحتلالية بذلك. ولم تتحر القوة العسكريه الانكليزية البيوت المسيحية . ورغماً عن ذلك كانت الجنود الأرمنية (ليجيون ارمنيان) تكفي لإخفاء أسلحة المسيحيين ...

صادرت القوة العسكرية جميع الأسلحة من المسلمين بدون

رحمة حتى أنها أخذت السكاكين المخصصة لقطع اللحم والخبز في البيوت . وإذ كان المسلمون منذ سبعة أشهر يقاسون أشر العذاب من فقد الأمن وتطاول الأرمن عليهم ، فقد حسبوا أن هذا التحري سيجلب الأمن والراحة ، فانقادوا لتلك الأوامر أتم الانقياد. حتى أنهم سلموا أسلحتهم المعدة للصيد مع الأسلحة النفيسة والعتيقة والثمينة والمرصعة مع جميع المدخرات ، حتى امتلأت الشاحنات في الخط الحديدي منها وارسلت لمرسين . وكأنها ارسلت الى محل انكليزي مجهول

وكان ما ضبط من الأسلحة في طرسوس يعادل ما صودر منها في اطنه . ولم يبق بيد المسلمين من الأسلحة إلا ما كان في البر والقرى ، وهو القليل .

بدأت في تلك الأيام الحركات القومية الكمالية في سيواس وارضروم وانقره . وكانت القوات الانكليزية التي أغلبها من مسلمي الهنــــد باقية كل الصيف في اطنه (سنة ١٩١٩) . بقيت البلدة مصونة من الفوضى الشاملة لكل الاناضول . وقد استولت العساكر الانكليزية على كل كليكيا حتى قرب (اولو قشله) أي لحد ولاية قونية إلى ما بعد جبال طوروس .

ولم تصل التشكيلات الكمالية لحدود كليكيا حتى حصل الاتفاق بين انكلترا وفرنسا على أن تقسم البلاد العربية المحتلة إلى شطرين ، وان يبقى الانكليز في الجنوب ويكون القسم الشمالي بيد الفرنسويين ، ولهـــذا السبب رحلت القطعات

الانكليزية عن اطنه . والحقيقة كانت الفوضى محققة الوقوع قبل ذلك .

وفي تشرين أول سنة ١٩١٩ أخـذت الجمعيات الأرمنية تكرر فعلها الأول. ووصلت التشكيلات الملية الكمالية لداخل بلدة اطنه سراً .

مر ربيع سنة ١٩٢٠ محفوفاً بالمخاوف ، والجمعيات التركية والأرمنية تجمع قواها ومعداتها وتتخذ الاحتياطات اللازمة ، حتى كاد لا يمكن منع المصادمة بين تينك الامتين .

ان شهور آذار ونيسان وأيار هي في اطنـــه – كما هي ببقية البلاد – ايام زراعة ولذلك طلب المسيحيون الاسلحة من الحكومة لحماية الزراعة . ويقال أنهم أخذوا «٧٥٠» ماوزراً مع الوثائق اللازمة، وكانت هذه الوثائق أصبحت واسطة كافية لحمل السلاح في البر وفي أسواق البلد علناً . وهذا عدا عما كان في يد افراد (ليجيون ارمنيان) وعدا عـــن التشكيلات الارمنية المركزية البالغة قوتها « ٥٠٠ » متطوعاً . وفوق كل ذلك كان مع المسيحيين ألوف من الأسلحة الحربية مع ذخائرها وأعدادها ، وكانت الجنود الارمنية تهرب من العسكرية حاملة كل معداتها معها .

* * *

شعر الاتراك بوجوب الالتحاق بالقوى الكمالية ، إذ لم يبق لهم ملجأ آخر . وكان رجال الاتراك في أطنه يحرضون الشعب على الالتحاق بالكماليين ، وكانوا يتوقعون قرب المصادمة بين

الفريقين . وحينئذ لم يخف عظم الخطر عن العلويين في اطنه بل شعروا بلزوم التحفظ أكثر من كل الأوقات ولكن كان بعض الرؤساء من جمعية اليقظة متغيبين في مدن بيروت واستانبول . وتفرق الموجودون في أطنه عن بعضهم وغدا كل واحد يعمل منفرداً .

والحقيقة ان المصيبة كانت من الشدة بحيث لا يؤثر فيها تدبير البشر ، وكان الناس يشاهدون الموت بعيونهم ويلمسونه بأيديهم وهم يعتقدون انه لا بد من هلاك أحد الفريقين في اطنه أي المسلمين او المسيحيين !

كان قد تبدل رئيس الضابطة العلوي بأحد الأتراك ، وقد فرّ هذا التركي ومن كان معه من أفراد الشرطة العلويين والاتراك إلى خارج البلد والتحقوا بالقوة الكمالية . وكذلك فعل قائد الدرك التركي وأخذ معه جميع المسلمين من السنيين والعلويين من افراد الدرك وكانت اسلحتهم معهم . وصار يتبعهم كل من كان يدخل في سلك الدرك ثانياً وثالثاً ... ويأخذون أسلحتهم معهم . ثم صار ربط الافراد بالكفالة ولكن لم يؤثر ذلك

فأصبحت القوة في البلد في يد الارمن فعلا، هذا عدا عما كان في يدهم من الوسائل المخربة الاخرى . وكانت لهم تشكيلات تامة لم تكن أقل من تشكيلات الحكومة .

استحصل العلويون على أسلحة من الماوزر ، ولكن ما

عساهم فاعلين مع قلة من بقي منهم في البلد وكثرة الأرمن. ولم يكن قصدهم سوى المدافعة ؟!..

مضى شهر حزيران والبلدة تحت تهديد القـــوات الملية المعسكرة خارجها . وزعماء القوات الكمالية يرسلون الاخبار الى البلد بأنهم : « عن قريب سيحرقون البلد ، فليخرج منها الأهالي المسلمون !.. » وكان الناس يتخوفون من القتال نظير ما جرى في سنة ١٣٢٥ في وقعة أطنه المشهورة !

وبتلك الايام لا بد أن تكون روح السلطان سليم التركي قد ندمت! لأن الاتراك أخذوا بالرحيل عن اواسط البلد أفواجاً افواجاً وكانوا يسكنون في حي العلويين الذي يحيط بالبلد من الغرب والجنوب ، وكان العلويون يعاملون الاتراك بالجميــــل والاحسان وبأعظم آثار المودة ، فكأنهم بذلك يجاوبون السلطان سليم التركي على مـــا مضى من أعماله القاسية التي قضى بها على جميع العلويين في أطنه وأبقى الارمن فيها.

ترك العلويون بيوتهم للاتراك وجعلوا يبيتون تحت الاشجار وقد صمموا على مقابلة الأرمن مدافعة عن الاتراك . مع أن صولة الأرمن كانت كصولة الوحوش المجروحـــة . وكان شعار الأرمن ، أما الموت أو الانتقام ...

وكان الآشوريون والكلدان والاروام يناصرون الأرمن بكل وسعهم .

وقد كان تظاهر العلويون بجانب الأتراك سببا في منع المسيحيـــين (الأرمن والروم والآشوريين والكلدان) عن

الخروج من البلد افراداً . وأخيراً صار من المحال الخروج ولو كان الجمع مؤلفاً من مائة مسلح . لأن العلويين كانوا بمجرد قصد أخذ الأسلحة من ايديهم يهجمون على الجموع المسيحية مهما كان عددهم ويأخذون اسلحتهم منهم .

أظهر الفرنسيون نوايا حسنة وأرادوا مـــلافاة الأمر . ولكن كان قد اصبح الامر فوق مقدرة البشر . وكان المسلمون يتركون البلد ويأتمنون على أموالهم في حي العلويون ثم يذهبون للجبال إجابة لدعوة الكماليين

شكل الأرمن عصابات قوية في جهة الشرق والشمال والشمال الغربي بقرب اطنه وجعلوا يهاجمون الأتراك الراحلين وأهـــل القرى فقضوا بذلك على حياة الالوف منهم ، وكانوا ينهبون أموالهم ويجمعون الاشخاص في البيوت ويحرقونهم . حتى لم يتخلص في بادىء الأمر إلا من بقي في حي العلويين أو من ساعده المولى على الخلاص .

وهنالك وهنت عزائم الاتراك حتى كأنهم لم يكونوا الأمة التي دافعت وحدها عن الاسلام ثمانماية عام .

• • •

كان شهر تموز سنة ١٩٢٠ موسم المصائب والويلات والموت في اطنه .

اصبح خارج البلد في يد العلويين والاتراك الذين في حيهم ، ورؤساؤه علويون . وداخـــل البلد بقي في يد الارمن وبقية المسيحيين ، وكان الطرفان يزدادان حرصا على الهجوم على

بعضها ولولا تدابير الرجال الفرنسيين لكان قضى أحدهما على الآخر .

هذا في الغرب والجنوب . أما في الشرق فقويت العصابات التركية حتى كانت كل واحدة تتركب من المائة شخص وأكثر وهم فرسان ومسلحون اتم تسليح، وبدأوا بالهجوم على مزارع الأرمن المتحصنين والمستحضرين ، وكانوا يقتلون من يوجد فيها والارمن يفعلون كذلك ، فيخرجون من البلد ويهجمون على قرى المسلمين ويقتلون وينهبون ويرجعون .

• • •

كان يوم ١٠ تموز سنة ١٩٢٠ يوماً أسود إذ قضى على كل آمال الوفاق بين الفريقين وكان سبباً لقتال وفظائع لم تسبق مثلها في التاريخ ! .

في ١٠ تموز هوجم العلويون الذين كانوا داخل البلدة من قبل الأرمن غفلة وأخذ الأرمن من وجدوه في البلدة لمركزهم ثم رموهم في الآبار والقوا فوقهم الحجارة !..

أصبحت البلدة تجاه حقيقة مؤلمة وهي احالة (العداوة التركية الارمنية) إلى (عداوة أرمنية علوية) وقد بلغ عدد الذين ألقوا في الآبار من العلويين في آن واحد ٨٣ شخصاً وهم من الأشراف وأهل التجارة والمأمورين والمستخدمين في الحكومة .

ثم رفع الأرمن حجاب الحياء عن وجوههم وأظهروا منتهى عداوتهم إلى العلويين فقط ، لأن الأتراك لم يبدوا مقاومة في البلدة بل العلويون وحدهم حملوا على عاتقهم عبء المدافعة عن الأتراك من تلقاء أنفسهم !

تكرر الاعتداء على العلويين في ذلك اليوم وأصبحت أصوات الماوزر كنزول البرَد الشديد على أسطحة الحديد ، حتى صُمت الآذان ! !

وكان في داخل بلدة أطنه مركزان مسلحان للعلويين :

الأول – في الغرب الجنوبي . والثـــاني – في الغرب من البلدة .

(الأول : تحت أمر العلوي رئيس البلدية . والثاني: تحت أمر صاحب هذا الأثر) .

وفي أول صولة أرمنية تزعزع المركز الجنوبي ، مع أنهُ كان المستند الوحيد للمركز الثاني ولا يوجد بينهما فاصل سوى البساتين التي للعلويين .

وقد ثبت الثاني في مركزه وتوفق لتخليص العلويين الذين أُلقي القبض عليهم من قبل الأرمن في حيّه . ولكن لم يكن له مقدرة لانجاد من أخذوا من الأسواق . ولم يكن بين رجاله من كان قصده التعرض لأحـــد بل كان المقصد الوحيد – المدافعة – فقط !

تداخل المخفر الفرنسي في المنطقة الغربية الجنوبية في البلدة بقصد منع الأرمن الذين كانوا يتعرضون للعلويين في تلك الجهات وأنقذ حياة رجلين كانا مهددين بالقتـــل ، فحصلت في البلد ضجة كبرى على أثر ذلك ، وأعلمت عموم النقاط الفرنسية بواسطة التلفونات بالأمر ، وحينئذ شبّت الحرب في جميـــع النقاط العسكرية في البلدة ، لأن بعض الأرمن والآشوريين تعرضوا للمركـــز المذكور .

وبعد نصف ساعة جهنمية أنجد جنود فرنسا مركز العلويين الغربي بسيارة مدرعة تحمل مترالبوزاً . وانجد المركز الجنوبي بقوة مؤلفة من سبعين فارساً .

* * *

ترك المسلمون (سنيون وعلويون) ابوابهم مفتحة وساروا في الطرق الموصلة لحي العلويـــين في جنوبي البلدة . وكانت النساء غير مستورات وهنّ حافيات . والآباء تاركين اولادهم تحت الأقـــدام وأموالهم وخزائنهم عرضة للنهب . والنقاط الفرنسوية تساعدهم للرحيل بأمان . وكان العلويون في طرق البلدة يستقبلونهم ويطمئنونهم على أرواحهم فقط .

ولم يبق في البلد من الأتراك الا من كان قاطنـــاً في جانب السرايا او بجانب مركز العلويين الذي في الغرب وكان هؤلاء عبارة عن مابقي نفس ما بين رجال ونساء وصبيان . ولو لا وجود النقاط الفرنسوية لما كان توفق احد للهرب .

وفي اليوم الثاني هجم الارمن والآشوريون على المحيط الجنوبي وحرقوه بعد ما نهبوا جميع مـا فيه . وكانت فيه الأشياء الثمينة المودوعة عند العلويين وهي للاتراك .

كان الارمن ينهبون البيوت العلوية المملوءة بامـوال الاتراك ثم يضرمون فيها النيران . والعلويون يطلقون عليهم النار من بعيد .

واخيراً قرر الفرنسيون تشكيل لجنة مختلطة من العلويـين والمسيحيين لازالة سوء التفاهم وقد عقدت جلسات في مقام الولاية لهذه الغاية ولكنها كانت بدون فائدة .

كان قصد الفرنسيين إزالة سوء التفاهم وتأمين إعاشة البلد. وقصد العلويين منع تعرض الأرمن ، ومن ثم ايجـاد وسائل لتخليص من كان موقوفـاً عند الارمن . وقصد الارمن الانتقام !

وعبثاً كان يتحرى محرر هذا التاريخ عن العلويين الذين أخذهم الارمن لديهم ، وطالما خاطر بحياته لأجل ذلك إذ كانت قد أخليت البلدة من المسلمين ولم يبق منهم سوى عدد قليل في المركز الغربي للعلويين ، وكان الارمن يتهيبون هـذا المركز ويخافونه ويتصورون ان فيه المترالیوزات والمدافع مع ان قوته كانت في الايام الاخيرة لا تتجاوز الثلاثين رجلا ! وكان ملجأ الألوف من الاتراك والعلويين في بادىء الأمر .

فأنشأ الأرمن حوله المتاريس الضخمة والحصون . وكان في

الشرق الجنوبي منه مركزاً للأرمن وفيهماية متطوع أرمني ، وفي المركـــز الذي بشرقه خمسون جندياً دركياً وهم الذين هاجروا من سيس الارمنية ، وفي المركز المتجه عليه من الشمال الشرقي خمساية متطوع من الارمن . وقصد الثلاثة ، التخلص من الهجوم المتوهم من مركز العلويين الغربي .

وبعد أن أتم الأرمن تأهبهم باشروا بتهديد ذلك المركز الضعيف الذي هو عبارة عن بيت صاحب هـــذا الأثر المعد بصفة متراس وحوله الشريط الشائك وداخله جميع العلويين الموجودين رجالا ونساء .

ولم يتوفق الارمن الى التقرب منه ، وكل ما استطاعوه انهم قتلوا أربعة أشخاص منه على انفراد . والفضل في بقاء المركز عائـــد إلى النقطة الأولى من العساكر الفرنسية التي تلقت من حاكم الدولة وقائد الجبهة الجنوبية الاوامر بان تكون ظهيرة لهذا المركز العلوي . وقد ترك الفرنسيون الحرية لهذا المركز بان يواصل مخابراته مع العلويين في الخارج . وهـــذا التدبير هو الذي خلص جميع العلويين باقرب وقت .

• • •

جاء يوم ٥ اغستوس سنة ١٩٢٠ وكانت القوات المسيحية قد اكملت تشكيلاتها الادارية وأستولت على دائرة الحكومة واعلنت الاستقلال !.. باسم (حكومة مسيحية) وهؤلاء هم (الارمن والروم والآشوريين والكلدان) وقد اخبروا بذلك

الفرنسيين فقابلهم الفرنسيون باللين في أول الأمر ونصحوهم بالاقلاع عن هذا العمل ثم تهددوهم ولكن بدون ثمرة .

ولما أعياهم الأمر أرسلوا اليهم قوة عسكرية فاجلتهم عن السرايا وسلمت الحكومة الى الثلاثة اشخاص الموجودين من المسلمين وهم :

(الوالي عبد الرحمن افندي البغدادي ، وصاحب هذا الاثر ، وعلاء الدين بك مدير الامور الحقوقية) .

وفي اليوم الثاني أي في ٦ أغستوس اجتمع المسلمون (العلويون والسنيون) واقاموا مأدبـــة للفرنسيين وأظهروا فرحهم لبقائهم بصفة ملة سياسية حاكمة . وشكروا فضـل فرنسا التي دافعت عن استقلالهم السياسي في وطنهم .

(وكان عدد من اجتمـــع لا يتجاوز خمسة وعشرين مسلماً فقط !)

ثم جاءت الوفود الفرنسية من قواد عسكريين ورجـــال ادارة وهنأوا المسلمين على ذلك واوعزوا اليهم بتشكيل الدوائر واكمال النقص باسرع وقت .

* * *

وفي هذه المدة رحل الاتراك للجبال الشماليـــة . وبقي العلويون يهاجمون البلد من الجنوب مع كونهم ليس لهم مطمع سياسي قط .

وقد ساعد العلويون في نقل الاتراك وبذلوا جهدهم في ذلك حتى كانوا يرجعونهم على أنفسهم .

وفي بعض الايام أوعز بعضهم من داخل البلد الى العلويين الكائنين في الخـــارج بتجمعهم في قرية « القايشليه » لانهم سيهاجمون قريباً من البلدة ؟.

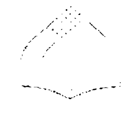
وقد تجمع العلويون حسب التبليغــات المذكورة آنفاً في قرية « قايشلي » فرفعوا الاعلام البيضاء . ولكن بعض الجهلاء اطلقوا الرصاص على الطيارات . وحينئذ باشرت الطيارات الفرنسية ترميهم بقنابلها وكان أمر الله !

• • •

الى ذلك الوقت كان العلويون قد جربوا مقدرتهم ازاء دولة معظمة وتلقوا الدروس المرّة وأدركوا خطيئـــآتهم تجاه فرنسـا .

وكذلك الارمن ايضاً فهموا خطاياهم . ولما كانت الجبهة قد توسعت لخارج البساتين ، لم يبق امكان لبقاء الكماليين في الجبهة الجنوبية فتركوها وبعد اختيار الطريق الطويل من جهة الغرب تسلقوا الجبال . وتركوا البر (أدنى الأرض — جوقور اووا) تحت مراحم الأرمن والأشوريين .

رجع أكثر العلويين لأطنه بعد اربعين يوماً ، وذلك بعدما أصابهم الضرر الأخف ، وهو ضياع خمسماية نفس واحتراق معظم البيوت وانتهاب جميع المنقولات ؛ والمركز العلوي الغربي يأخذهم لحضنه ، ولم يتخلص في أطنه من بيوت العلويين سوى ما كان يحميه هذا المركز الضعيف ، والبقية نهبت وحرقت .



٢

الفوضى وعلويو طرسوس

ان عدد العلويين في طرسوس يتجاوز عدد السنيين والأرمن معاً ، لذلك كانت أهميتهم فيها أكثر منها في أطنه .

حينما نشبت الثورة في حزيران رحل الأتراك من طرسوس للجبال ، أما علويوها فانقسموا إلى ثلاثة أقسام :

القسم الأعظم بقي على الحياد ومكث في البلد ، والقسم الثاني حالف الأرمن وخدم فرنسا ، والقسم الثالث رحـــل للجهة الجنوبية أي لما بين طرسوس والبحر وخدم الأتراك .

القسم الذي حالف الأرمن هو « المصلا » الذي رأى الخطر عليه عند بقائه على الحياد .

ولما تحقق هذا الخطر ، أي بقاءهم تحت نيران المدفعية الفرنسية والمهـــاجمة التركية تخابر أهل المصلاّ العلويون مع الاتراك على أن لا يهاجموا البلدة من جهتهم . ولكن الاتراك أبوا ذلك . وهذا ما أجبر أهل المصلا على الدفاع عن كيانهم .

وقد أدى هذا الخلاف إلى العداوة ثم محاربة العلويين الساكنين في المصلا للاتراك والعلويين المنضمين اليهم .

نصب الأتراك مدافعهم بجانب (جبل اصحاب الكهف) والمدافع الفرنسية تجاوبهم من (كوزلو قوله) والبلدة تحت رحمة الجهتين .

* * *

تجسمت المخالفة بين العلويين في طرسوس فتوسط في حسم الخلاف علويو مرسين . وبعد أن أتت القوة من أطنه ورفعت الحصار عن طرسوس ، تدارك الأمر علويو أطنه وشكلوا وفداً ذهب لرفع الخلاف بين العلويين في طرسوس ومرسين . وكانوا قد اشترطوا على الجنرال « دوفيو » اخلاء سبيل جميع العلويين الذين كانوا في السجون .

وكان رجال الوفد من الهيئة المركزية لجمعية الانتباه وهم (سليمان وحيد رئيس الجمعية ، وابراهيم صادق الذي كان مفتشاً لجمعية مرسين العلوية ، والكاتب العمومي أي صاحب هذا الأثر) .

أثمرت المساعي في طرسوس فمنعت توسع نطاق الخلاف وأرضت الرجال الفرنسيين . ولكنها لم تستأصل الخلاف من أساسه في مرسين . ولذلك بقي بعض العلويين في السجون واخلي سبيل البعض .

* * *

بعد وقوع الائتلاف بين الكماليين والفرنسيين في « انقره » بواسطة المسيو « فرانكلين بويون » اضطر بعض شبان المصلا الذين كانوا يحاربون الكماليين ، للهجرة إلى جهات طرابلس واللاذقية أي لأراضي العلويين .

• • •

أما العلويون في مرسين فلم يأتوا بشيء يذكر أثناء الثورة حيث لم يكن بينهم من غرباء الأرمن حتى يحملوهم على القيام بأعمال مكروهة .

دعوى الأرمن بكيليكيا

ذكرنا اسم الأرمن كثيراً ، وبينّا أنهم سبب الخلاف والفوضى في أطنه . ولم نذكر شيئاً عن مدعياتهم ببلاد كليكيا مع أن هذه المدعيات سبب كل نكبة .

• • •

ان الأرمن شعب قديم جداً . وكان لهم في التاريخ أربعة طبقات من الملوك :

١ – طبقة الحايقية ، وحايق كان في بابل وهاجر في أيام نمرود وقد انشأ بلدة « نخجوان » وتسلطن فيها . ثم خلفه عشرة ملوك من بعده .

وللحايقية فروع اعظمها « كا» وقد كانت في أيام يوشع بن نون حتى بخت نصر واسكندر الكبير .

٢ – طبقة آرشاكونية .

٣ – طبقة باقرادونية .

مملكة هؤلاء بالبلاد الأرمنية اي ما بين الفرس والاكراد وجبال القوقاس . وتسمى « ارمينيا الكبرى » .

٤ – طبقة روبينية . ومركزها سيس ومملكتها كليكيا القليلة الحظ . وقد فرّ « روبن » بعد انقراض الطبقة الثالثة وسكن سيواس وهناك جمع بعض المتشردين من الأرمن وتأمر عليهم . وبعد موته نجح ابنهُ في الامر واستولى على القلاع المجاورة ثم استولى طوروس ابن هذا على سيس واستولى ابنه « له اون » على طرسوس وجميع كليكيا وذلك في سنة ٥٠٨ هجرية .

استمر حكم سلاطين الروبينية حتى مجيء العلويين ثانية لكليكيا من مصر وجبل النصيرة . وقد قتل آخر ملوكهم « له اون » في حرب اياس وانقرضت حكومتهم سنة ٧٢٢ هجرية .

وكان الارمن يدعون قبلاً،اي منذ اربعين عاماً وذلك بعد حرب سنه ١٢٩٢ الواقعة بين الروس والاتراك ، باستقلال ارمينيا الكبري وهي تشمل ولايات ارضروم،ووان،وبتليس وديار بكر،ومعمورة العزيز،وسيواس. وذلك بتشويق الروس لان الحكومة الروسية كانت تحدث القلاقل في المملكة العثمانية لكي تستحصل على امتيازات ثم على استقلال اداري ثم تستولي عليها . وهكذا جرى في القريم وبساربيا وقفقاسيا . وهكذا استقل البلغار واليونان والصرب وقره طاغ .

وحينا حدثت الفوضى في الولايات الستة الشهيرة في ايام عبدالحميد سنة ٣١٣ وحدثت التشكيلات الكردية(أي الفرسان

الحميدية) تبين عدم امكان حصول مدعاهم اي انه' لم يبق امل للارمن باستقلال ارمينيا الكبرى . فتحولوا عنها وطالبوا بان تكون كليكيا وطناً لهم وسموها ارمينيا الصغرى !

• • •

كان الارمن في كليكيا سنة ١٣١٣ عبارة عن ثلاثين الفاً . عشرة آلاف منهم في اطنه والبقية في سيس ودرتيول وحسن بكلي وبغجه وحاجين. ولكن بسبب التشويق كثرت المهاجرة من داخل الاناضول وبلاد ارمينيا الكبرى ، لأطنه النعيسة وحواليها حتى بلغ عدد الارمن في كليكيا اربعة وخمسين الفاً .مع ان اتراكها يزيدون على المائة والعشرين الفاً .والعلويون فيها يقدرون بسبعين الفاً .والعلويون أقدم من الاتراك والارمن. وان ثلاثين الفاً من الاتراك هم علويون أيضاً . فيكون عدد العلويين اكثر من كل عدد .

• • •

وبعد الحرب العمومية قدم أطنه وحدهـــا ١٢٨ ألفاً من الارمن وسكنوا داخل البلد وما بين البلد ومحطة بغداد ثم ما بين محطـــة بغداد والنهر لجهة الشمال ثم انتشروا في الكروم الكائنة شمالي المحطة ، أي في محيط طوله وعرضه ساعة وهو كأنه جنة .

باشرت الجمعيات السياسية الارمنية تتسابق في العمل في أطنه . ويرأس الجميع (المجلس الملي) .

يجب علينا أن نبين انه لم يكن جميع الأرمن ثواراً ، بل كان في أطنه خمس جمعيات ارمنية متضادة وأقواها في السياسة الفكرية جمعية « رامغوار » ، ومسؤولية الثورة لم تكن إلا على عاتق جمعية « طاشناقسوتيون » المفرطة ومن بعدها جمعية « هنجاقيان » ثم الأرمن الغرباء .

أما جمعية رامغاوار ، فكان دأبها المبارزة الفكرية وحسن المعاشرة مع المسلمين على ان تكون كليكيا وطناً للأرمن .

ولو كان لدى المسلمين رجال سياسيون مدربون لكانوا ألقوا الخلاف بين الجمعيات الارمنية وتسببوا لتفرقهم بدون حصول ثورة او فوضى ؛ حتى لقد وقع ذلك الخلاف من تلقاء نفسه وحصلت ضجة عظيمة بين الارمن ، ولكن المغلوب منهم كان يضطر لترك المجال للغالب ويرحل ؛ وكان المسلمون ينتظرون مدد الاستانة التي كانت تهمل أطنه . والأرمن المعتدلون كانوا يتضررون مثل المسلمين من هذه الحالة .

بعد حصول الوفاق بين الكماليين والموسيو (فرانكلين بويون) ممثل فرنسا ، أخلت فرنسا كليكيا . فعندها خرجت جموع الارمن وبقية المسيحيين وقدر خمسماية نفس من اهل مصلا من طرسوس مع قليل من الاتراك من أهل اطنه وطرسوس ، ثم عدة أشخاص من علويي اطنه ، ولكن الاتراك والعلويين لم يرحلوا من الخوف بل تبعاً لعزة أنفسهم كما قال الشاعر :

وفي السماء نجوم لا عداد لها

وليس يكسف إلا الشمس والقمر

الفوضى في انطاكية

وتأثيرها على العلويين

كانت مدينة انطاكية أشد المدن السورية عداوة للاتراك بعد دمشق . ولم يكد اسم الحكومة العربية الفيصلية يظهر ، وكانت الجيوش العثمانية إذ ذاك ما بين حماه وحلب، حتى انتفضت انطاكيه على الحكومة التركية ، ونادى أهلها بالثورة، ورفعوا العلم الفيصلي العربي على مدينتهم وقاموا بأعمال لم تكن بالحسبان إذ نهبوا الأموال الأميرية وطردوا الموظفين الترك وجاهروا بالعدوان تجاه الحكومة العثمانية .

وقد مرت فرقةعسكرية للأتراك وهي راجعة الى الاناضول بانطاكية ، فاغتنمت طائفة تركية أخرى في انطاكية الفرصة وانتقم رجالها من الذين اعلنوا انتسابهم للحكومة الفيصلية العربية ، وارتكبوا أفعالاً تشمئز منها الانسانية !..

ولكن لم تمكث الفرقة الراجعة في انطاكية الا قليلاً حتى داومت سيرها راجعة لجهات أطنه . وقد بقيت انطاكيه في فوضى لا حد لها .

ولذلك كان استيلاء العساكر الفرنسية على انطاكيه نعمة

على أهلها لا تقدر ، وانتبه العلويون هناك للأمر ، فتلقوا الحكومة الفرنسية بالترحيب وصادقوها وعقـــدوا النية على خدمتها وتركوا مسؤولية المعارضة على عاتق السنيين .

• • •

عند أخذ الآراء من قبل اللجنة الاميركية صوت العلويون في انطاكيه لفرنسا ومكنوا رابطتهم بها بقلب سليم .

عند ظهور الحركات الكمالية وظهـــور الفوضى في تلك البلدة ، تشكلت العصابات التركية وزحفت على النقـاط التي كانت توجد بها الجيوش الفرنسية ، وشملت في تعديها العلويين والمسيحيين وبعض الاتراك ، وقد دام حصار انطاكيه من هذه العصابات سبعين يوماً .

لما كان الهجوم على انطاكية من جهة الشمال وجبهته في حي العلويين المسمى (دردياق) هاجر العلويون منه للجهة الجنوبية ، اي لحي اخونهم المسمى (عفان) ،وجعلوا الازقة استحكامات والبيوت موصلة من داخلها لبعضها . وكانوا يحملون الاسلحة الحديثة بقصد استعمالها عند التعرض لهم . ولكن الاتراك المستعربين لم يقفوا عند حد بل توسعوا في تعرضهم للعلويين ، وفي بادىء الامر قُتِلَ بعض العلويين في ناحية القصير ، التي كان الاكثرية فيها من الاتراك ، فاضطر العلويون الباقون الى المهاجرة .

ثم تجاوز الأتراك على الجهات الحربيه ولكنهم صادفوا هناك دفاعاً قتل فيه من المتعرضين عدد ليس بقليل ولم يتوفقوا لنيل شيء في الحربية .

ثم هاجم الاتراك جهات السويدية وأحرقوا أربع قرى للعلويين بدون سبب .

كان زعيم العلويين في السويدية الشيخ الجليل معروف افندي آل جلـّي وكان يقابلهم بالتأني والمعروف حتى هجموا على قرية الجلـّية وعند ذلـــك قاومهم أشد مقاومة وحصلت بينهم حرب لا سبب لها سوى تعرض الاتراك للعلويين ظلماً!.

بعد ثبوت نوايا الأتراك جعل الشيخ معروف افندي يجمع قواه . واصبحت « اللوشية » مركزاً عسكرياً له . واعدت المعدات للدفاع .

كان حضرة الشيخ الجليل المعروف بعطاياه ووفرة سخائه الحاتمي مقتنعاً بعدم لزوم الخلاف بين السنيين والعلويين .فلذلك كانت مدافعته حتى عن نفسه ممزوجة بروح الوفاق .

وأخيراً شعر الاتراك بضعفهم فبدأت المذاكرة بين الشيخ معروف والاتراك للصلح .ثم رجع العلويون عن الحرب .وعند ذلـك اغتنم الاتراك الفرصة وهجموا هجمة واحدة وحرقوا قرية الجلـّية ثم رجعوا !!..

• • •

كان الفضل في جمع كلمة العلويــــين في انطاكية للسادات الكرام الشيخ فاضل افندي تليلي والشيخ الشريف عبـد الله افندي غالية وحضرة الماجد شاكر افندي قواص . واعظم شرف كان لجمعية الشبان العلوية المنورة في انطاكية . والفضل في مدافعة الحربية عائد للرجل الهمام ابراهيم آغا توخان !.. وخدمات الجميع لم تكن مقرونة بقصد سياسي بل هي عبارة عن تدابير وقتية تستهدف استعمال حق المدافعة !.

الفوضى في الجسر

وتأثيرها على العلويين

ان قضاء الجسر هو من مواطن العلويين القديمة التي قضت عليهم حركات السلطان سليم بالنزوح منها . واليوم لا يوجد في قضاء الجسر إلا القليل من العلويين .وهم عبارة عن ثلاثة آلاف عائلة . ومركز العلويين في الجسر هو قرية « الحنبوشية » الجسيمة .

عند افول نجم الحاكمية العثمانية بعد الحرب العمومية واصطدام الحكومة الشامية والفرنسوية ، بدأت في الجسر حركات عاصم بك الفوضوي .

كانت حركات عاصم بك موجهة ضد الفرنسويين . فانعش الآمال القومية واشترك في هذه الآمال جميع المسلمين السنيين بدون محاكمة او تروي في الامر . ولم يكن خلاف ما بين السنيين والعلويين في الجسر يتجاوز درجة الظن والوهم . إذ لم يكن بينهم سوابق تؤدي للخصام .

وكان الأكراد من حيث حسن المعاشرة والجوار ، على وفاق تام مع العلويين .

كان عاصم بك احد الرجال الثلاثة الذين قاموا بشدة ضد فرنسا . وعند مــــا ظهرت قلة العساكر الفرنسية في الجسر اجتمع الشبان العلويون في قرية الحنبوشية واستعدوا للدفاع عن أنفسهم فجمعوا خمسماية متطوع علوي مسلحين بماية ماوزر ولما ضايق العلويون السنيين في صهيون كما سيأتي . شعر السنيون في الجسر بالخطر وبدأوا بالسعي للائتلاف مع علويي الحنبوشية .

وكذلك ساد الوفاق بين السنيين والعلويين في الجسر بسهولة تامة لأن العلويين لم يقصدوا الخصام ، بل كان استحصارهم بقصد التحفظ والمدافعة . ولولا خوف السنيين من العشائر العلوية التي استولت على صهيون وأحرقتها . لكان السنيون في الجسر لا يتركون الحنبوشية .

ولذلك عند ما رحلت العشائر العلوية عن صهيون وقويت عصابات الاتراك على الدراوسة . اضطرت الحنبوشية للالتجاء إلى الاكراد ولم ينفع الولاء السابق .

كانت عشائر الكلبية وبني علي والمهالبة وبيت الشلف . اتفقت على انجاد الدراوسة وقد تجاوزوا معاً على صهيون . وكان هجوم العشائر بتهور عظيم إذ كان يسحق كل من كان أمامه . وقد أثرت حركاتهم على السنيين حتى حلب . وتهيأ السنيون للرحيل والمهاجرة لجهات الاناضول .

ولكن عند ما رجعت العشائر وتركت عشيرة الدراوسة وشأنها ، فعلى اثر ذلك رجع الرؤساء والقواد السنيون إلى صهيون وهاجموا العلويين ثانية .

وفي كل تلك الأيام كان الأكراد لا يتأخرون عن إثبات المودة للعلويين وأهل الخنبوشية . ولكن عند رجوع السنيين لصهيون علم الاكراد بعجزهم عن المحافظة على أهل الخنبوشية. فرحل هؤلاء ليلاً لجهـــات السويدية والتحقوا بقوات الشيخ معروف الجلي .

ولما رأى علويو الخنبوشية امتناع الشيـــخ معروف عن الاشتراك في الفوضى، وان المهمات فقدت من عنده وأن اللوشية تحت خطر الاحتراق ، رحلوا بحراً والتجأوا للاذقية وتوطنوا حواليهـا

الفوضى وعشيرة الدراوسة

يقال ان أصل الصهيونيين اسماعيليون ، ولكن تمايلهم للحكومة التركية وتظاهرهم بالتسنن ووقوع المصاهرات المتتابعة بينهم وبين مسلمي اللاذقية ، أدى لالتحاقهم بأهل السنة . فالصهيونيون هم أعداء العلويين تاريخياً .

في باديء الأمر تطوع بعض العلويين والسنيين في الجيش الافرنسي . وعندما قويت حركات عاصم بك وعمّت الفوضى في المحيط الذي يحتله الفرنسيون ، ترك المسلمون السنيون ومنهم الصهاونة خدمة الجيش الافرنسي والتحقوا بقوة عاصم بك وحاصروا القوة الفرنسية الكائنة في صهيون . والعلويون المتطوعـون ثبتوا لدى الفرنسيين . فعند ذلك جمع رؤساء الدراوسة والمهالبة عشيرتيهم وحـــاصروا السنيين المحاصرين لصهيون. وما كان القصد إلا تخليص حياة أولادهم المستخدمين في الجيش الافرنسي الكائن تحت الحصار. وكانت قطعة صغيرة من الفرنسيين تحمل مدفعين تمشي مع العلويين .

كانت صولة العلويين كأنها صاعقة على صهيون . واضطر السنيون لرفع الحصار . ولو لم يكن قصد العلويين الا تخليص

أولادهم ، فلو كان قصدهم الانتقام من الصهاونة ، لما كانوا فتحوا طرق الفرار للسنيين والصهيونيين حتى هربوا . بل كانوا قضوا على قوة السنيين وحياة الصهيونيين . وقد تمكن الصهاونة من الفرار بدون ضياع نفوس كثيرة وانحصر الضرر بحريق بلدة « بابنا » الصهيونية .

* * *

كانت غاية العلويين تأمرهم في التوقي عن احداث أسباب المخاصمة مع السنيين . وكان السنيون هاجموا القرى المجاورة بعد أن نهبوها وأحرقوها . فذلك أيقظ العصبية العربية بين العلويين . واجتمعت المهالبة وبني علي والكلبية والنواصرة وقسم من العمامرة . ثم زحفوا لامداد الدراوسة .

اتحاد العشائر العلوية وزحفهم على السنيين أوجد الخوف المظلم لحد حلب . وتهيأوا للرحيل لأن حركات السنيين في القصير كان يقتضي خوفهم من الانتقام ، ولكن حصل الخلاف بين العشائر بعد أن نهبوا بعض القرى السنية والمسيحية ، وكانوا جمعوا أموالاً لا يستطيعون نقلها . ثم رجعوا لأوطانهم تاركين المهالبة والدراوسة تجاه أعداء كلية ، والمهالبة لم ترض سوى المدافعة.واستفادعاصم بك وثوار الاتراك وسنيو الجسر من هذه الفرصه ورجعوا ثم كرروا الزحف على القرى العلوية .

رجعت المهالبة ايضاً من قلة زادها. وبقيت الدراوسة قدر اربعين مسلحاً تجاه الالوف من السنيين . وتوسعت جبهة التعرض من حد قضاء الجسر لحد البحر . وكان يوجد في هذه

الجبال التي عددها اكثر من عـــدد رجال الدراوسة وبرأسهم الشهم الشجاع علي آغا بدور، وهو كلما بدأ في صولة يتوفق على من واجهه . ولكن حيث كانت الجبهة الحربية تستلزم كتائب عسكرية لطولها ووسعة جبهتها ، تجـاوز الثوار الاتراك على القرى العلوية الساحلية المتحايدة واحرقوا ستين قرية . وقتل من العلويين الغير مسلحين الا قليلا ، عدد عظيم .

• • •

دامت تلك الفوضى ستة اشهر . وأظهر علي آغـا بدور ورجال عشيرته شجاعة سوف تذكر عدة أعصار . وحصل بين الصهاونة والسنيين وفيات ، كما يقولون انها اكثر ممن قتل في الحرب العمومية من أهل الجسر وصهيون .

• • •

ان عشيرة العهامرة هي الحليفة الصادقة للدراوسة والمهالبة. ولكن حيث كان وراءها عشيرة الرشاونة والجلقية والمتاورة يهددونهـــا فعليه لم تستطع العهامرة معاونة الدراوسة وتمت المسألة على هذا الحد .

الفوضى في قضائي بانياس وجبلة

ان اعظم عبرة في الفوضى هي التي نشبت بسبب عداوة العلويين والاسماعيليين في قضاء بانياس .

لنرجع لمبادىء التاريخ : انه عـــدا الاخشيدية والايوبية وبعض من الاتراك، فاكثر الملوك المصريين كانوا علويين يكتمون عقيدتهم كما هو مألوف ! ولو كانت بينهم الفروق المذهبية ، لم يحصل في مصر بين السنيين والعلويين والاسماعيليين اقل مخالفة فعلية او قتال، كما فعله الامويين والعباسيين. بل كانت توحدت مساعي الاسلام في مصر .

اما سجية الاسماعيلية فكانت تجعلهم دائماً مع الاقوياء . وهم يعادون اخوتهم في العقيدة اي العلويين . حتى ان بعضهم يعادون السنيين عند الضعف كما فعلوا في أيام أهل الصليب .

بعد الصليبيين صادقت الاسماعيلية الاكراد الاقوياء واتفقوا معهم على عداء العلويـــين ثم خدموا الاتراك العثمانيين ضد جيرانهم الضعفاء العلويين . فعليه لم يخل التاريخ من قتـــال الاسماعيلية والعلويين ولكن اشد قتال جرى هو في زمن العثمانيين . وهذا اسفر عن ضعف الاسماعيلية وجلائهم عن جبل

النصيرة وهجرتهم لبقية البـــلدان ، الهجرة التي انتجت فيهم الالتحاق بمذهب أهل السنة .

• • •

قبل استيلاء العثمانيين كانت القدموس مع القرى المجاورة لها ومصياف وقراها حتى جهات وادي العيون مسكونة بالعلويين .

ان مجيء الاتراك ساعد الاسماعيلية فتملكت كل تلك الجهات . اما اليوم فلم يبق سوى القدموس ومصياف مأهولة بالاسماعيليين .

عند ضعف الحكومة العثمانية قوي العلويون قليلا في المنطقة وبعد حرب (القراطلة) والعلويين اي ما بين سنة ١٠٠٠ — ١٠٥٠ حصل القتال بصورة عمومية بين العلويين والاسماعلية . واستولى العلويون مرات عديدة على القدموس ومصياف والاسماعيلية تستردهما بواسطة الحكومة العثمانية . ولكن الحروب كانت تسفر عـــن جلاء الاسماعيلية عن بعض القرى الغير مستحكمة تدريجاً وللترحل لبعيد .

• • •

كانت القدموس قديماً في يد المحارزة . وعند ما كان العلويون المحارزة مشغولين في المبادة (في يوم الغدير الذي يجمع جميع الرجال العلويين) فاجأهم الاسماعيليون فقتلوا رؤساء المحارزة وعددهم ثمانين مع عدد كبير من العوام. وعليه

تملكوا القدموس بصورة قطعية ، بل استولوا أيضاً على جميع قلاع المحارزة وهم العليقة والمينقة والمضيق وسيجر لأن الحكومة أمدتهم حينئذ على ذلك بعد نكبة القدموس .

اننا نعجب كيف ان الحكومة العثمانية التي أهملت الاتراك في المنطقة اتخذت مظاهرة الاسماعيليين من أهم وظـــائفها . وعلى ما يظن ان هذا لم يكن من عند الحكومة العثمانية ، بل هو نتيجة الروح القوية والعزم والتشبث الشخصي الموجود في سجية الاسماعيليين .

وفي وقعة القدموس المذكورة اخذ الاسماعيليون سيفاً قديماً وهو عائد لأجداد المحارزة مع بعض الكتب ومنهم كتاب النسب للمحارزة واغتنموا بنات المحارزة وتزوجوهم . وأعظم سبب لدوام شدة البغض بين الاسماعيلية والمحارزة هي تلك الواقعة .

* * *

ومن المصادفات السيئة كان علوياً في القدموس ، فبينما كان ماراً في السوق وإذ أصابته رصاصة فقتلته ، ولم يعلم قاتله ، فاتهمت الاسماعيلية . وكان شخصان من الاسماعيلية ذاهبين من مصياف الى القدموس فقتلوا على الطريق ولم يعلم قاتلها . واتهمت عائلة محترمة من مشايخ العلويين بذلك . فسببت هاتان الحادثتان هياجاً عظيماً اعقبته مقاتلات وفوضى مدة مديدة .

* * *

ثم تصالح العلويون والاسماعيلية ولكن لم تدم مدة هذا الصلح الا قليلا حتى غصب الاسماعيليون بعض المواشي من السنيين في جهة الخوابي . مع أن السنيين حسب أصول العشائر كانوا أصدقاء للعلويين وبذلك ابتدأت المنافرة بين الاسماعيليـــة والعلويين ثانياً .

اعتمدت الاسماعيلية على أفرادها المسلحة وباشرت بقطع الطرق ثم أعقب قطع الطرق ، إحراق بعض القرى العلوية .

رأى العلويون أن هذه الاهانات لا تطاق . فعندها اجتمع رؤساؤهم في قرية الشيخ بدر وتعاهدوا على القرآن العظيم أن لا يتأخروا عن انفاذ الميثـاق الذي جرى بينهم . وحسب الميثاق اتخذت قرية « القرمدة » مركزاً للحركات وباشروا في الحرب حتى دخلوا لبانياس وأحرقوا فيها السرايا الكائنة على البحر .

• • •

نهب العلويون جميع ما كان للاسماعيليـــة من القرى والمزارع وحـاصروا القدموس . وكان جميع الاسماعيليين المجاورين مجتمعين في القدموس . وأتي بمدفع من الشام . وهذا أيقظ الاسماعيلية المتحصنين في القدموس وطلبوا الأمان على شرط أن يخرجوا من القدموس وهم في أمـان على أرواحهم وأموالهم التي يحملونهـــا معهم ويملكوا القدموس لاصحابها التاريخية . وأن يرجعوا سيف المحارزة والكتب الدينية التى غصبت من المحارزة قبل ثلاثماية عام .

نزل قسم من الاسماعيليــة لبانياس والقسم الأعظم هاجر لجهات مصياف والسلمية . ولكن العلويون خـالفوا شرائط الأمان . ورغماً عن السعي والاجتهاد في المنع والأنذار ، نهب العلويون الأموال التي كانت تحملها الاسماعيلية . كأن العلويون أحبوا أن يثبتوا أن الجهل عمى ...

وتصنفت روايات اسطورية بحق الحروب التي حدثت في تلك الأيام .

• • •

بعد ختام الفوضى في قضــــاء بانياس حصل نظيرها في قضاء جبلة .

وحيث أن الأسلحة كانت وفيرة في يد العلويين ، حدث القيام الثاني بسهولة تامة . ونقلت التشكيلات الدفاعية من قضاء بانياس إلى قضاء جبـلة وبوشر في الحرب . وحكومة فرنسا تنتظر انتباه العلويين لانهم لم يعلمـوا شيئاً عن الوضعية العمومية ولم يكونوا عالمين بقدرة فرنسا وحبها لهم

في ابتداء الثورة الثانية كانت الأسلحـة كثيرة للغاية . لأنه كان ورد منها عدداً عظيمـاً من الشام قبلاً . وعدا عن ذلك فقد ازداد تهريب الأسلحة حتى وصلت أعداد الماوزر لثلاثين الفاً .

اجتمعت الرؤساء في القدموس وكرروا بينهم الايمان على القرآن . وأتفقوا على أن يرسلوا رسلاً لعنـد الزعيم الكبير

التركي مصطفى كمال باشا . ولعند الأمير الشريف عبدالله الحاكم في شرق الاردن .

ذهبت هيئتان لعند مصطفى كمال باشا . مكثت الأولى في عينتاب مدة . والثانية رجعت من انطاليا بعد أن أخذت المواعيد القطعية في الانجاد . وكان كتاب مصطفى كمال باشا مشحوناً بالمواعيد .

ولكن لم تتبع المواعيد ، معاونة مادية . لان الكماليون كانوا نسبة لليونان ضعفاء في تلك الأيام . وكانت أنقره أي مركز الأتراك تحت الخطر .

فلتخجل روح السلطان سليم !...

• • •

جاء في تلك الأيام خمسة ضبـــاط من قبل مصطفى كمال باشا . ومكثوا في الجبل مدة شهر . ولكنهم لم يحاربوا بل انحصرت وظيفتهم في المشورة والتشويق . ولم يتشبثوا لتعليم عسكري واحد ، حتى ولم يدخلوا الحرب بتاتاً .

وبعد شهر رحل هؤلاء الضباط لمراقبـــة حروب الجسر وجبل الزاوية .

• • •

خابر العلويون مصطفى كمال باشا وجـــاء الجواب شاملاً المواعيد الوفيرة وانه قريباً يصل للعلويين اثني عشر الفاً من العساكر المنظمة مع ثمانية عشر مدفعاً .

ويحتوي الجواب على لزوم الثبات لحين وصول تلك القوة .

لذلك انتظر العلويون ثلاثة أشهر وهم قائمون بواجب الدفاع، والحرب يوماً فيوم تكتسب طوراً جديداً !..

طال انتظار العلويين لوصول نجدة الأتراك . لأن الأتراك كانوا في اسوأ حال . وفي هـــذه الايام جاء عاصم بك أحد رؤساء العصابات التركية في حوالي انطاكية لنصرة العلويين ومعه أربعة مدافع وقوة منظمة غير قليلة . ولكن اكتفى باحراق قرية للمسيحيين في جهات صهيون ورجع بعد أن نهبها ، لان المنهوبات كانت وفيرة . فرجوعـه هذا أدهش العلويون !..

• • •

تتوجت مساعي المسيو « فرانكلن بويون » الممثل الفرنسي في انقره ، بالنجاح . وانعقد الائتلاف بين الاتراك وبين فرنسا بخصوص اخلاء كليكيا وحصلت المتاركة بينهم . فعندها القت الطيارات الفرنسية على العلويين أوراقاً خلاصة مآلها :

(انعقد الصلح بين الاتراك وبيننا . والأتراك الذين فديتم أنفسكم في حبهم وأنتم رابطين آمالكم بنصرتهم ، لقد تركوكم ضحية لهم كما تركتكم ضحية الحكومـــة العربية الشريفية . انتبهوا أيها العلويين لصالحكم ...)

• • •

استعمل العلويون آخر خرطوش عندهم . والحقيقة كانت قد تغلبت عليهم الجيوش الفرنسية من أربع جوانب . حتى حاصرتهم في بعض الوديان التي لا يوجد فيها ماء كاف وكانت بعض العشائر العـــلوية او بعض الافخاذ ، التحقت بالجيوش الفرنسية . فعند ذلك تشتتت قوات الشيخ صالح العلي.

* *

ومن ثم أرجعت القدموس للاسماعيلية بعد مدة طويلة . والحقيقة كانت القدموس خالية من السكان لان العلويين لم يتفقوا على تملكها فلذلك تركوها .

وباشرت الحكومة بجمع الاسلحة الحربية من الجبل . وعلى ما قيل انها جمعت مقدار اربعين الف ماوزر . وأنحل القيام للمقاومة وخضعت الجبال للقوة !

اختفى الشيخ صالح العلي مدة غير قليلة . ثم طلب العفو . وأعطي له في شهر حزيران سنة ١٩٢٢ وأصبحت الثورة في الجبل ، ذكرى في التاريخ .

***


مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

الخاتمة

مواطن العلويين اليوم وعددهم

قلنا قبلاً أن المراد من كلمة العلويين اليوم انهـــم الشيعة الساكنون في بلاد « دولة » العلويين ومن كان متبعاً مذهبهم من العلويين العرب فقط .

البلاد التي يوجد فيها اليوم علويون هي :

– مدينة حلب . يوجد فيها قليل منهم وهم متوطنون في محلتين فيها . وقد كانت في الزمن الماضي أكبر مقر لهم اذ كانت في ايام بني حمدان تشتمل البلدة وحدها على مئات الالوف من العلويين . لا بل هي مقر السيد الخصيبي ومركز العلويين . ويوجد اليوم علويين متفرقون ما بين « باب » و « منبج » و « سروج » من اعمال حلب .

٢ – اسكندرون . تحتوي مع ملحقاتها على نحو عشرين الف علوي . وكان قبلاً جميع سكان مدينة « بيلان » التي هي الآن من توابعها علويين اما اليوم فليس فيها احـــد منهم . وكانت كذلك مدينة « بياس » سابقاً آهلة بعدد كبير منهم

وذلك عندما كانت طريق الشرق والغرب اي قبل فتح ترعة السويس .

٣ – انطاكية : ان ثلث سكانها اليوم علويون وعددهم اثني عشر الفاً . ويتبع انطاكية السويدية والحربية وقره موظ . وفيها نحو اربعين الفاً .

وناحية القصير وهي تحتوي على خمسة آلاف .

٤ – منطقة دولة العلويين . القسم الكلي من سكانهاعلويون وهي تشتمل على اقضية اللاذقية وصهيون وجبلة وبانياس والعمرانية وطرطوس وصافيتا وتلكلخ . وفي هذه المنطقة ثلاثمائة الف علوي ونسبتهم الى بقية السكان هي في العشرة تسعة علويين

٥ – اطنه : يوجد في نفس المدينة ١٧ الفاً من العلويين وفي قراها ٢٠ الفاً وفي طرسوس ١٥ الفاً وفي قراها مثل هذاالعدد وهؤلاء غير العلويين الاتراك ، اي العرب فقط .

٦ – يوجد في جهات عانه وسنجار والموصل علويون كثيرون لم يعلم مقدارهم بوجه الصحة .

٧ – وفي بغداد فيجهة الكرخ وفي الرصافة في حيالفضل وما بين بغداد ودير الزور يوجد علويون لا نعلم عددهم .

٨ – في بلدتي حماه وحمص قليلاً من العلويين . مع ان هاتين البلدتين كانتا قبلاً من أعظم مواطن العلويين . ولكن

قضت عليهم الحكومة العثمانية . والعموم يعلمون ان أهل حماه وحمص هم على الاغلب علويون او اسماعيليون نسباً . الا قليل منهم هم من الاكراد ومن بقية العناصر .

أما خارج البلدتين أي ما بينهما وبين تدمر فيوجد علويون وهم يشكلون أكثرية لا اعتراض عليها .

ويوجد في السلمية نحو عشرين الف اسماعيلي مع عشرة آلاف علوي .

٩ – وفي الشام في أحياء الصالحية والميدان وفي ملحقات الشام خصوصاً قضاء القنيطرة يوجـــد علويون نظن أنهم ١٥ الف نفس .

١٠ – حوران والكرك هما من مواطن العلويين الاصلية . أما اليوم لا نعلم ما يوجد هناك من العلويين على وجه الصحة .

١١ – وفي استطنبول في جهات حي الفاتح والقوسقه وفي بروسه وفي نفس قونية وتيره وآيدين علويون قليلون وكلهم من جهات انطاكية أصلاً ولكن أولادهم نادراً ما يتعلمون العربية ومعرضين للتترك .

١٢ – بقية بني الأحمر وبني حمود ، هاجروا من الاندلس إلى جهات فارس والجزائر وتونس ولكن لا نعلم ما هو عددهم اليوم لانهم غير معروفين لدى أهل دولة العلويين .

١٣ – وفي أميركا خصوصاً في البرازيل يوجد من العلويين عدد ليس بقليل .

١٤ – مصر ، مع أنها كانت مهد العلويين لا يوجد فيها اليوم منهم عدد يستحق الذكر .

١٥ – لا نعلم عدد العلويين الجنبلانيين الذين هم من العرب في بلاد فارس (والغير عربي مع كونه عدد عظيم فهو خارج عن موضوعنا) .

١٦ – في اليمن علويون جنبلانيين قيل أنهم نحو ٥٠ الف نفس .

ملاحظة : هذه الاحصاءات هي قبل خمسين سنة والمعتقد أنها اليوم قد زادت نفوس العلويين في هذه المناطق عما كانت عليه قبلاً .

٢

أسباب ضعف

١ – الفقر والسخاء :

تبين من سياق التاريخ ان العلوي لم يكن يأمن على حياته، لكثرة ما مرّ عليه من أحداث ، ولذلك كانت الحياة عنده رخيصة وبعد الحياة لا قيمة للمال .

لا مراء بان أكثرية العلويين هم من أشد أهل الشرق فقراً . على ان أشد العلويين فقراً لا بد له من انفاق نصف مكاسبه للخير ؟!..

لا يعرف العلوي من الخير سوى اطعام الطعام ، لان الاكثرية من اخوانه ، حتى المنفق نفسه ، محتاج للطعام .

فهذا الانفاق أعظم سـائق إلى الفقر . والخير لا ينحصر في الانفاق شرعاً وليت العلويين يتعلمون أن الغذاء المعنوي اولى من الغذاء المادي . وان يسعوا في تعليم اولادهم الفقراء منهم . اذ سيكون لهم في ذلك اعظم اجر من اطعام الطعام !

ولا ينحصر فخر السخاء في العلويين فقط . اذ أن السخاء من خصائص العرب عموماً . ولكنهم يمتازون على غيرهم بالسخاء مع الفقر ؟.

ويا ليتهم يعلمون محاسن السخاء وعيوبه . لان لكل خلق ثلاث درجات وهي : الافراط والتفريط والاعتدال . فاذا جاوز الشيء حده جانس ضده .ولا فرق بين المبذر والبخيل بل البخل خير من الاحتياج للبخيل والاعتدال اولى كل شيء.

نعم ان الجهل أعظم سبب للفقر ولكن فقر العلويين هو فوق فقر الجهل وهو ناشيء عن تقليدهم لأهل البيت وللرجال الاوائل من العلويين كأبي ذر الغفاري وسلمان الفارسي وعلي ابن ابي طالب ذاته مع ان فقر هؤلاء الاعاظم لم يكن الا مختص بهم

***

٢ — ألاختلاف العشائري :

اشرنا قبلاً الى افتراق العلويون الى عشائر وعمائر وبطون. وان ذلك بدأ في دور الاتراك، وحصل اضطراراً لان ضرورة التعاضد والتعاون للدفاع احدث هذه العشائر لان زمن الاتراك جعل تشكيلات العشائر أهم اسباب حياة الشعب .

ويا ليت العلويين يعلمون اليـــوم ان الفرق العشائري لا يغنيهم عن بقية الروابط . وليتهم يعلمون ان البشر من ادنى

الارض الى اقصاها في بعض الاحيـــان وفي بعض الامور يفتقرون للتعاون والتعاضـد وان البشر هم مرتبطون بعائلة ، وبعد العائلة باقارب ، ثم بالحي ، ثم بالبلدة ، ثم بالشعب ، ثم بالجمعية البشرية .

نعم ان أعظم رابطة هي الرابطة العائلية ، ومن بعدهـا الرابطة الدينية ثم القومية . ويحق لنا ان نقدم في هذا العصر الرابطة القومية على الرابطة الدينية . وعلى كل حال فان الرابطة العائلية لا تغني عن الروابط الدينية والقومية ولا عن الرابطة البشرية .

ان أكثر العلويين يظنون ان الرابطة الوحيدة هي الرابطة العشائرية وهذا غلط عظيم ! . والحالة الاجتماعية اليوم تحتم علينا الغاء الرابطة العشائرية التي زال سببها . وهذا اول شرط للدخول في دور الحضارة والتمدن .

***

٣ — الافتراق القومي :

هنالك حوادث كثيرة لم نذكرها في هذا الكتاب لأنها لا تستحق الذكر .

يظن البعض ان هذا الافتراق هو افتراق مذهبي . ونحن ننفي هذا القول السخيف ونرفضه كل الرفض لأنه لا يوجد

فرق مذهبي ما بين العلويين. وها نحن نثبت صحة تلك الوحدة المذهبية ولو لم تكن تستحق الذكر :

العلويين كتلة واحدة تجمعهم طريقة الجنبلانية ، التي دوّنت حقوق . وظائف أهل البيت بصورة خصوصية كبقية الطرق في الاسلام ، ولا يوجد كتاب واحد يختص بقول خاص ، بل كتبهم كلها مشتركة بل متحدة اتحاداً تاماً .

ساقت التقادير بعض العلويين وجمعتهم في هذا الجبل الفقير ، وأعظم الاسباب لاجتماعهم فيه هو فقره الطبيعي وقناعتهم . ومن أهم هذه الأسباب اقامة السيد ابو سعيد في اللاذقية .

قلنا ولا نزال نقول انه لم يكن بين العلويين افتراق مذهبي قطعاً ولكن في ايام الفترة أي ما بين سنة ستماية إلى سبعماية هجرية ، وعند مجيء الاتراك الصائبية اشتدت الحـــالة على العلويين فاعتقدوا إذ ذاك أن المصائب لم تكن إلا من عند الله لتربيتهم . وأحبوا أن يصلحوا أعمالهم ويأتوا بدعاء خــاص يخلصهم من بلواهم .

فبحثوا عن وجوه التقوى فلم يروا وجهاً تاماً لها . لأن كل حاجاتهم كانت من صنع أهل بقيـــة المذاهب ، وكانوا إذا نووا الصيام لم يكونوا يجدوا وعاء من صنعهم لوضع الأكل أو لشرب الماء .

فعند ذلك حفروا الصخور بالاحجار حتى جعلوها كالاجران ووضعوا فيها الماء ؛ فكانوا يشربون منـــه أيام دعائهم . وقد سمي أصحاب هذا العمل الاتقياء (جرّانة) أي الذين

شربوا من الاجران اثناء العبادة ، وهذا الاسم كان يدل على التوسع في « التوسل » لارضاء الله . وقرية جرانة هي في جبال بشراغي التابعة لجبلة بجانب قرية الحمام .

وبعض العلويين توسعوا في « التوكل » والانقياد للتقادير ، فلذلك سميت هـــذه الفرقة (الغيبية) أي الذين آمنو بالله ورضوا على ما كتب عليهم في الغيب وتركوا التوسل والتحري .

ثم ظهر اخيراً رجل من الجرانة وشرح فضائل حزبه ، واسمه الشيخ محمد بن يونس كلازو من قرية كلازو التابعة لانطاكية وذلك في سنة ١٠١١ هجرية فتغلب اسم الكلازية على الجرانة .

وظهر رجـــل في القرن التاسع في جهات انطاكية اسمه الشيخ علي حيدر ، وقد دافع هذا عن فضائل الغيبيين وكثر حزبه بين المشايخ وغلب على الغيبيين اسم (الحيدرية) .

وافترق رجل من بين الكلازية وهو الشيخ علي المـاخوس فاتبـع الحيدرية فسمي من اتبعوه في أقواله (الماخوسية)وهي اسم قرية في جهات اللاذقية .

ثم اشتهر رجل في جهات جبل الحلو ودافع عن أقوال الغيبية حتى بقي له اسم ، ولما كان اسمه الشيخ ناصر الحاصوري من نيصاف سمي من اتبعوه (النياصفة) .

واشتهر رجل يدعى الشيخ يوسف بن ابراهيم العبيدي المسمى « بالظهور » وجاهر ببعض الاقوال فسمي من اتبعـوا أقواله (الظهوراتية) .

وانك لتجدن من عائلة واحدة أخين : الواحد حيدري ، والثاني كلازي . وقد سبب الافتراق القولي بين الكـــلازية والحيدرية إلى وقائع لا تحمد . ولذلك اشتهر أصحاب هذين القولين . ولما كان أكثر الكلازية في الجنوب وأكثر الحيدرية في الشمال سمي الكلازية بكلمة (القبلية) والحيدرية بكلمة (الشمالية) .

وهذا الافتراق هو عبارة عن افتراق لفظي وهو منحصر في أقوال المشايخ ، وان أكثر المشايخ ينسبون للعشائر ويحبون المحافظة على مكانتهم . لذلك اتخذوا هذه الاقوال وسيلة لبث مطالبهم ، فجعلوا الحبة قبة وأسندوا لبعضهم روايات ما أنزل الله بها من سلطان !..

ولم يكن الفرق بين الحيدري والكلازي كالفرق ما بين الحنفي والشافعي ، لأنه يوجد عند الحنفيين والشافعيين أحكام أصلية وفرعية خصوصية ربما تعاكس بعضها ، مع انه لا يوجد قول او قاعدة تختص بالكلازي دون الحيدري !

وأخيراً نقول : انه لم يكن بين الحيـــدري والكلازي والماخوسي والغيبي والظهوري والنيصافي و.. و. الخ فرق مذهبي بل العلويين شيء واحد لا يقبـــل التجزؤ ووحدتهم المذهبية مطلقة .

أصلح الله من يبدع هذه الفروق التي هي أعظم أسباب ضعفهم ؟ وما هذه الفروق إلا من وسائل جر المغـانم خلافاً لمرضاة الله تعالى ولصالح الشعب .

ولنا ايضاً ان نقول : ان العلويين ليسوا هم أصحاب مذهب يفترق عن بقية الجعفرية ، لأن الفرق بين الجعفري والعلوي عبارة عن انتساب العلوي لطريقة الجنبلانية ، والجعفري من لم يكن منتسباً اليها . وهذا ليس هو فرق مذهبي .

الويل للعلويين اذا لم يتركوا الافتراق العشائري والقولي . وهنيئاً لهم عند ما يعلمون بوحدتهم المطلقة .

* * *

٤ – معاداة اهل السنة للعلويين ومضايقتهم لهم :

وان من جملة أسباب ضعف العلويين ، لا بل ضعف العالم الاسلامي ، هو ناشيء عن معاداة السنيين والعلويين وجميع الشيعة .

ربما انتقد اناس كثيرون كلامي هذا . ولكني ارى ان أعظم وسيلة للتحابب هو التفاهم والصراحة .أما انكار العداوة فلا يفيد سوى الاصرار عليها .

لذا فإننا نتمنى ان تفقه الناشئة الحديثة من سنيين وعلويين لزوم الاتحاد الاسلامي فلا تقصر في واجباتها في سبيل التقريب بين الفريقين الاخوين .

• • •

٥ – الجهل :

ان القسم الكلي والسواد الاعظم من العلويين يئــــن تحت اثقال وظلمات الجهل .

قلنا : لا بد لكل علوي ان ينفق نصف مكاسبه لاطعام

الطعام مع انهُ يكون بحاجة للطعام . فلو انفق العلويون نصف ما ينفقونه على الطعام باسم الخير في سبيل التعليم لكانوا افقه ممن هم بجوارهم .

مسكين العلوي العامي ! انه مكلف باداء ما يجب عليه الى الحكومة ومكلف بأداء واجباته الى رجال الدين الذين يبلغ عددهم عدد العوام . ومكلف باعداد الوسائل لرفاه وسعادة الامراء والمقدمين في عشيرته . ومكلف بأن يعطي كل من جاء الى حيه من المشايخ الغرباء ومكلف باداء دية من يقتله احد افراد عشيرته . ومكلف باسكات كل من يرتب عليه قضية عديمة الاصل . ومكلف في الدوام على خيرات آبائه واجداده من اطعام الطعام . ومكلف بالقيام باحتياجات مأموري الحكومة . ومكلف . . فكفى يا أولي الأنصاف !.

وكل مصائب هذا العامي ناتجة عن جهله . لان العلوي لا يعلم واجباته ولا حقوقه الا بما اعترفوا له به المشايخ والمقدمين.

* * *

٦ — فقدان التشكيلات الدينية والروابط الاجتماعية :

رأينا في تاريخ العلويين انهُ الى سنة ٢٦٠ كانت الأئمة مرجعاً دينياً لهم . ولهم أوصاف قدسية وأبواباً للعلم . وبعد الأئمة الى سنة ٤٢٦ كان الباب ثم اخلافه مرجعاً دينياً لهم في حلب واللاذقية وبغداد وبعد السيد ابي سعيد الميمون اتحدت مصر العلوية مع أهل حلب وجبل النصيرة وكليكيا . وبعد هذه الوحدة حصل الافتراق بين أصحاب عقيدة الأمامية حتى افترقت منهم الدروز . ولم يرأسهم بعد شيخ واحد ، بل كل شيخ استقل في جماعة قليلة ومعينة .

عند مجيء الأمير حسن المكزون السنجاري ، جمع العلويين نوعاً مـــا ولكن اختياره طريق الفناء المطلق والسياحة ، أعادت الفوضى في الرياسة الدينية وإلى يومنا هذا لم تجمع كلمتهم بعد .

والمشايخ اليوم يحكمون ولكن لا بالعلم، بل بقوة الارادة، فالشيخ الذي تكون له ارادة فطرية يكون أكبر زعيم ديني لما حوله . على أن لهم اليوم مراكز دينية معتبرة ولكن بدون تشكيلات منظمة .

ففي كليكيا في طرسوس عائلة الشاملية . وفي اطنه عائلة بيت سمرا وبيت غريب وبيت المنكولية وبيت بوغا وبيت عبد وبيت الريحانة ، مراكز دينية .

أما في انطاكية ففوضى الرياسة أكثر . ولا يصح أن نقول انه يوجد لهم مركز سوى آل الجلي ، وان كان فيها رجـــال دينية ذات شأن ومعروفون بالعلم والتقوى ، الا أن شهرتهم هي شخصية اكثر من أن تكون ذات صبغة مركزية .

وفي بلاد دولة العلويين لا يوجد روابط اجتماعية أو دينية سوى العشائر. وإذا قلنا انه يوجد بين العلويين عشائر وبطون فقولنا هذا ليس إلا أمر اعتباري ولا يحتوي على نفع أو أثر مادي يساعد الشعب في نهضته أو فياقتحام المشاكل فيحياته .

فالعلويون عليهم أن يهتموا في هذين الأمرين حتى يتخلصوا من سقوطهم الحـــالي . وما لهم نهضة إلا بعد تشكيلات

وروابط دينية واتخاذ مرجعاً واحداً للكل كما كان في أيام مشايخ الدين .

لم يخسر العلويون تشكيلاتهم الدينية إلا بعد خسرانهم الحاكمية الدنيوية . فتشكيل دولة العلويين وتفشي الروح الاجتماعية بين الشعب تسنح لنا فرصة الامل بانهم سينالون التشكيلات الدينية عن قريب .

٣

وسائل نهضة العلويين

لم يكن للعلويين ديانة خاصة أو مذهب خاص كما يظن البعض ، بل ان العلويين مسلمون شيعيون جعفريون . ولم يكن بينهم قيود دينية أو اجتهادات عملية تفرق بينهم وبين بقية الجعفرية .

قلنا ونكرر القول انه لم يكن عند العلويين مساغ للاجتهاد كما هو في المذهب الحنفي . فالعلويون يعتقدون أن الأئمة الاثني عشر هم معصومون من الخطايا . وأن أقوال الأئمة دلائل قطعية . ولا يمكن أن يخالف الامام القرآن والاحاديث . كما قال الامام جعفر الصادق : (إذا أورد لكم عني كلام غير القرآن فارموا به عرض الحائط) .

لأن النص الجليل الذي منحهم تلك المزية هو مطلق بلا قيد ولا شرط ولا يحق لاحد أن يؤل القرآن ولا أن يفرق بين محكمه والمتشابه منه سوى اهل البيت . وان جعفر الصادق منع الامام الاعظم أبا حنيفة لابداعه أصول القياس .

ولا تنفع عند العلوي القواعد الصرفية والنحوية او الاصولية في استخراج الاحكام الشرعية . بل كل ذلك من جملة حقوق أهل البيت .

ان العلويين يمتازون على بقية الجعفرية اي الاثني عشرية في انتسابهم في الآداب الدينية للطريقة الجنبلانية . وهذا الانتساب هو الذي أدى إلى افتراقهم عن بقية الاثني عشرية .

فمن الواجب الآن اتحاد العلويين والجعفرية ولو في الاحكام الزمنية ، اي في المعاملات .

وكان قد سعى السيد الجليـــل الشيخ سليمان بيصين بهذا الموضوع وتوفق نوعاً ما لاقناع المتاولة الذين في بعلبك للالتحاق بعلويي جبل النصيرة وحصل الوفاق بينه وبين علماء الجعفرية ثم ذهب جماعة منهم لجهات بعلبك ورجعوا بكثرة عظيمة ، مركبة من علماء المتاولة ، وهذه الكثرة لم تكن لاجل المباحثة او إزالة سوء التفاهم ، بل لتأييد الاتحاد والالتحاق ، ولكنهم لم يصلوا لعند الشيخ سليمان بيصين الا وهو جثة هامدة فرجعوا ، وكأن المولى تعالى لم يقدر الوفاق بين هـــذين الاخيرين ، اي العلوي والمتوالي .

(يوجد عند العلويين كتب عديدة تثبت انـــه كان قبلاً عدد عظيم في صور وصيدا وطبريا علويين ينتسبون لطريقة الجنبلانية) .

فاذا اتحد اليوم الشيعة والعلويون لا بد ان تتبعهما الاسماعيلية

الذي لا فرق أساسي بينهم وبين العلويين سوى الافـــتراق الخاص في اعتبار الأئمة بعد جعفر الصادق عليه السلام .

أما الدروز فهم عبارة عن فرع كريم في العائلة الامامية ، وهم اخوة للعلويين حسباً ونسباً . وحينئذ لا يبقى افتراق ما بين المسلمين في هـــذا المحيط إلا قبول المساواة بين السني والشيعي ، وليس هذا بكثير على منوري هذا العصر ، الذي ساد فيه العقل ، وهو أعظم سائق للمصلحة ، وان الرابطة القومية أكبر وأقوى الروابط ، وهناك يعرف الغساني المسيحي ان العلوي هو اخوه لا فرق بينهما سوى الاعتقاد الديني المعنوي وأن الاديان ليست إلا الملجأ الوحيد الذي يلتجىء اليه عبد الله عند ما يحس بالعجز تجاه مصاعب هذه الحياة الشاقة .

والعلوي يعلم حق العلم انه حتى في ايام علي بن ابي طالب، اي الذي يعتقدونه انه امام الائمة وسيد الأوصياء، ان الاوصياء ليسوا مكذبين بعضهم، بل ان عموم الاديان عبارة عن احكام وخصائص ، تخلص البشر من الذل وترشدهم الى التعالي كما قال سيد الكونين :

(إنما بعثت لاتمم مكارم الاخلاق) .وكتاب الله يبتدىء بقوله تعالى (الحمد لله رب العالمين) .

تم الامر لله

نسب المؤلف

كتبه الفقير الى ربه العزيز القدير : محمد أمـــين بن علي غالب بن سليمان آغا بن ابراهيم آغا بن سليمان آغا (المعروف باسم بنجه جي باشي أي رئيس العلويين في كليكيا) بن يوسف الكوسا (الذي هـاجر من انطاكية لاطنة سنة ١٢٠٠) بن سليمان بن يوسف الطويل (جد عائلة بيت الطويل) بن محمـد ابن معروف (جد عائلة بيت معروف والذي هاجر من أراضي العلويين الى جهـات انطاكية سنة ١١١٥) ابن الشيخ قاسم بن الشيخ منصور بن الشيخ زين الدين (جد عائلة زين الدين) بن الشيخ يحيى بن الشيخ علي بن الشيخ احمد بن الشيـخ داود بن الشيخ قاسم بن الشيخ سليمان البنا بن الشيخ احمــد الناسخ بن الشيخ علي بن الشيخ محمد بن الشيخ معروف بن الشيخ خليل بن الشيخ نجم الدين بن الشيخ عــلي بن الشيخ حسن الاجرود (المشهور باسم أمير الجماعة ومدفنه باللاذقية) بن الشيخ محمود ابن الشيخ ابراهيم بن الشيخ محمد الصرماني بن الشيخ عــلي بن الشيخ يوسف الخياط بن الشيخ محمد بن الشيخ حسن البري « من

رجال الدعوة» بن الشيخ عامر بن الشيخ محمـــد الهجري بن السيد حبيب بن السيد علي « أخ الأمير حسن المكزون » ابن الأمير يوسف بن الأمـــير مكزون بن السيد خضر بن السيد ترخان بن السيد محمد بن السيد رائق بن السيد حسن بن السيد ترخان بن السيد عبدالله بن السيد محمد بن السيد علي بن السيد حسين بن الأمير مفضل بن الأمير يزيد بن الأمـــير أبي سعيد المهلب عاصم بن أبي صفرة الغساني بن ظالم بن سراق بن صبح ابن كندي بن عمر بن عدي بن وائل بن الحرث بن العتيك بن الازد (أو اسد) بن عمران بن عمر (مزيقياء أحـــد ملوك اليمن) بن عامل بن ماء السماء بن حارثة بن امريء القيس بن ثعلبة بن مازد بن الاسد بن غوث مالك بن ادد بن زيـــد بن كهلان بن سبا بن يشجب بن يعرب - أو عامر - بن قحطان ابن قالع بن شالح بن عباس بن ارفخشد بن سام بن نوح بن لمك ابن متوشالح بن اخنوخ - أو ادريس - بن نون بن مهلائيل ابن قينان بن انوش بن شيث بن آدم .

وحسبه :

محمد أمين بن كلثوم بنت محمد - أمه زينب - بن سليمان- من قرية مرشتي في بانياس الذي هاجر لاطنـــه سنة ١٢١٨ هجرية - بن حسن سلما بن سليمان بن صقر سلما جد عائلة بيت سلما من قرية العناقية في قضاء صهيون المنسوب للأمير خطار ابن الأمير مسلم بن فائز الجهني البغدادي الطائي الحميري .

والعلم عند الله ...

على اني أقول : أنه ليس الفخر في الحسب والنسب . بل الفخر في العلم والكمال بعد حسن الخلق والأدب . ولقد ساقني ضميري لخدمة هـــذا الشعب ، الذي ليس لي فخر إلا بمفاخره . وجل قصدي أن أبين نسبه وأصله العربي الشريف. وان أدعوه الى اتباع طرق المدنية والعلم ليكون أبنائنا عاملين على خدمة الانسانية . والله الموفق الى الصواب !

محمد أمين غالب

فهرست

القسم الأول

القسم الثاني

الدور الأول

الدور الثاني

الدور الثالث

الدور الرابع

الدور الخامس

الدور السادس

الدور السابع

الخاتمة